

International Islamic University
Islamabad - Pakistan
Faculty of Arabic Language
Department of Literature



الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد - باكستان
كلية اللغة العربية
قسم الآداب

بحث تكميلي لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي

بعتوان

مقاومة الاستبداد
في النصف الثاني من القرن العشرين
بين الشعراء العربي والأردني
(دراسة مقارنة)

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور حبيب الرحمن عاصم حفظه الله

إعداد

عبيد الرحمن بن محمد بشير السالكوتي

116-FA/PHLD/F09

العام الجامعي ٢٠١٦م



Accession No TH-16511

[Signature]
K

Ph.D



892-71

ع ب م

١ - ادب عربي - مقارنة الشعر -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾

صَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ

إهداء

إلى والدي العطوف
شيخ العربية الأستاذ محمد بشير السياالكوتي
الذي نذر نفسه وحياته لخدمة اللغة العربية في باكستان

وإلى ذلك الصبح
الذي اعتقل فيه من غرفة المحاضرة
لرفضه العلني بتعليق لافتات شعرية تتحدى لعبة الاستفتاء العام
الذي أجراه الحاكم العسكري المستبد سنة ٢٠٠١م
لمنح حكمه الجائر صبغة دستورية شرعية

وإلى والدي الجريئة
التي رفضت التوقيع على ورقة الاعتذار
التي قدمتها إليها السلطة الاستبدادية آنذاك
لنك قيد زوجها الأسير

﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وبعد :

فمن أول واجبي أن أخص بشكري الخاص فضيلة الأستاذ الدكتور حبيب الرحمن عاصم الذي تكرم بإشرافه على هذا البحث وتسديد خطاي وكان عتابه لنفاولي وتكاسلي يتجلى بشكل بسماته الودية كما لا يفوتني هنا أن أعبر عن مشاعر الشكر والتقدير لرمز الحنان والعطف الأستاذ الدكتور محمد حماد والأستاذ الدكتور محمود حسن مخلوف عميد كلية اللغة العربية الأسبق الذي عاملني وجميع زملائي بخلقه النموذجي الجميل والأستاذ الدكتور محمود شرف الدين الذي شجعني على الالتحاق بالدكتوراه ، والأستاذ الدكتور حسن عبد الباقي والأستاذ محمد ناشي كان تشجيعهما المتواصل أكبر حافز لمواصلة دراستي في جميع المراحل الجامعية ، جزاهم الله خير الجزاء.

كما أرى من واجبي أن أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور حافظ محمد بشير عميد كلية اللغة العربية الذي خفف عني أعباء التدريس لفترة طويلة ، كما أشكر سعادة الأستاذ مؤيد فاضل رئيس قسم الأدب لحرصه الشديد على تسهيل سبل الدارسين والدارسات بتدبيره الإداري النموذجي ، والأستاذ الدكتور محمد علي غوري رئيس قسم الدراسات العليا الذي تكرم بنصائحه القيمة أثناء كتابة هذا البحث.

وأخيرا أسال الله أن يتغمد أستاذي المرحومين الدكتور خليل الرحمن والدكتور سيد سيد عبد الرازق بواسع رحمته وأن يسكنهما فسيح جناته ، ساعداني في أيامهما الأخيرة ، كما أشكر كل من ساعدني في إنجاز البحث وإخراجه بهذا الشكل ، حراهم الله خيرا في الدنيا والآخرة ، والله لا يضيع أجر المحسنين.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

يحتوي جزء كبير من الإنتاج الشعري والنثري في جميع الآداب الكبرى على مادة ثم إنتاجها إثر تقلبات سياسية وتغيرات حكومية. وذلك أمر تشترك فيه كل الآداب الإنسانية دون تخصيص أو استثناء، وكذلك شأن الأدبين العربي والأردني، فتشأ كم كبير مهما في قصور الحكم وفي صحبة الملوك والخلفاء والوزراء والأمراء وإثر حروب ومعارك واشتباكات وعاش الشعراء في أغلب الأحوال في صلة بذوي الحكم إما مدافعين عنهم أو معارضين إياهم. ففي حين تروي لنا كتب الأدب قصصا كثيرة عن اكتساب الشعراء المرتزقين وحصولهم على عطايا من الملوك بالتعلق والمبالغة في مدح ومدحهم تروي لنا كذلك قصص شعراء ذهبوا ضحية شعرهم لاختلاف الرأي ومعارضتهم للسلطين والملوك، لأنهم - على العكس من الشعراء المتواردين على أبواب الملوك والخلفاء والوزراء - لم يبيعوا كلمتهم وفنهم وحرمتهم بثمن بخس بل أدركوا كرامة فنهم فاتخذوه سلاحا لإعلاء كلمة الحق ضد الاستبداد والظلم والجبر غير مبالين بما ألقى عليهم من ألوان التعذيب من النفي والقتل والأسر والضرب وغيرها

أهمية الموضوع

في النصف الثاني من القرن العشرين وبعد تحرر معظم البلاد الإسلامية إثر انصراف الاستعمار وإقامة حكومات محلية ثم تحولها إلى الحكومات المستدة تكاتف شعراء العربية والأردنية مع الحركات الشعبية ضد الاستبداد والديكتاتورية وأسهموا في إيقاظ الوعي الإنساني العام لدى جميع الطبقات ونفخوا روح الحماس وألهبوا نار الغيرة فيها، وهذا وفر لنا بابا مستقلا باسم أدب مقاومة الاستبداد أو أدب الثورة. فجد الشاعر ينسب همومه الشخصية الذاتية ويدخل المعترك السياسي بسلاح الشعر ودرع القصيدة يهاجم عدوه المستبد ويدافع عن شعبه المستغيث المستكين ويعبر عن تطلعات الشعب

وأماله ويصور المعاناة المزدوجة للشعب ويتألم لما يرى ويحزن لما يشاهد فلا يملك نفسه إلا ويصرخ في وجه المستبد يتحدها بكل قوة وشدة.

ولدينا مادة شعرية وافرة تدافع عن حقوق الشعب المسلوبة وتتحدى قهر الحاكم وجبروته وطغيانه وهي جديرة بالبحث العميق والدراسة المفصلة لاحتوائها على رسالة عالمية سامية وفكر تربوي ملتزم وعمق معنوي وتأثير خلاب في نفوس الجماهير، وقد نالت قبول العوام وكسبت قلوبهم لأنها أدب رسالة وهمة وليست أدب تملق وذلة، أدب يرفض تسمية الأسود أبيض والعبد إلها والليل نهارا ويرد كل أنواع الاستبداد بأي شعار شرعي أو مصطلح سياسي كان، وليس هدفه خدمة مصالح الاستبداد بل يحمل مسؤولية إثارة قضايا الناس وتجلية آمال الشعب مع تصوير ما يجري في الوطن من أحداث وتقلبات وما ابتلي به شعبه من هموم ومشاكل ومآس وتجلية الواقع الشعبي الممزق بسبب غفلة الحكام الخونة.

والأدب الأردني هو أدب مقاومة الاستبداد منذ ميلاده لأنه نشأ وترعرع في بداية القرن الثامن عشر حيث بدأ الحكم الإسلامي يضعف شيئا ما بسبب مؤامرات خارجية ناجحة، وفي القرن العشرين قد حظي الأدب الأردني بوجود أسماء كبيرة ارتفعت صرختهم بكل قوتها ضد مظاهر كل أنواع الاستبداد وخاصة الاستبداد السياسي في مجتمعاتهم وبلادهم وأثروا أدب مقاومة الاستبداد بقصائد نالت ذيوغا عديم الظير، واعترف في الأدب الأردني بأهمية أدب المقاومة كتيار أدبي مستقل وذلك منذ سبعينيات القرن العشرين، واخترت أبرز ثلاثة من الشعراء الثوار لقبوا ألقابا مختلفة تدل على شعبية شعرهم مثل شاعر الشعب أو شاعر الانقلاب أو شاعر الثورة وغيرها، وقمت بالوقوف عند سيرتهم ودراسة مفصلة لشعرهم وكشف ما يحوي شعرهم في باب المقاومة من موضوعات وأفكار ومعان وصور.

أما الأدب العربي فمصطلح "أدب المقاومة" معروف تعبيراً عن كفاح وجهاد الشعراء والأدباء ضد القوى المستعمرة والمحتلة، أما مقاومة الاستبداد المحلي فيالآن لم يظهر ولم يستقر له مصطلح مستقل وعادة يطلق على هذا اللون من الأدب "الأدب السياسي" بمفهومه الواسع الذي يضم كل ما فيه من شعر المناسبات ومدح الحكام والاختلاف عنهم وغيرها من الموضوعات. ولا يعني غياب المصطلح غياب الشعر العربي

في هذا الباب، بل ما طبع منه هو كثير، وما لم يظهر بعد هو كثير كذلك، ومن المنشور ما طبع فوراً ومنه ما أجل نشره من أجل الانتقاء من مخاطر معلومة. ولكي أخوض في أعماق الشعر العربي المقاوم اخترت ثلاثة شعراء عرب كانوا على رأس قائمة الشعراء الذين عرفوا بلهجتهم الثورية وشعرهم المقاوم في الأقطار العربية الثلاث مصر، واليمن والعراق وفي عهود مختلفة ومن المأمول قريباً أن هذا اللون سيتخذ مكانته المنفصلة واللائقة به وصدر كتاب "شعراء في مواجهة الطغيان" قد يكون بداية لاستقرار مصطلح "أدب الثورة" أو "أدب المعارضة" أو "أدب المواجهة" للتعبير عن الأدب العربي الثائر على مظاهر الطغيان والقسر والاضطهاد في حكومات الاستبداد.

أياً كان الأمر، فإن هذا اللون من الشعر وهذا الصنف من الشعراء يستحقان من الدارسين وقفة طويلة، وهنا يجب توضيح أمرين، أولهما: ليس القصد من هذه الدراسة إحصاء كل ما قاله شعراء العربية والأردية في هذا الباب - لأن هذا العمل لكثرة المادة المتوفرة فيه يحتاج إلى مؤسسات ولجان تقوم بجمعه بشكل موسوعة - بل الهدف هو إبراز خصائص وسمات وقضايا وأفكار اشترك فيها شعراء اللغتين وثانياً: هذا البحث دراسة مقارنة وموضوعية للشعر الذي واجه الطغيان والاستبداد وليس من شأنه معالجة الأهداف السياسية وتحليلها ولذلك يجنب قدر الإمكان الخوض في النقاش السياسي لتحديد المكانة السياسية الصحيحة للوقائع والأحداث والبحث عن أسبابها وتحليلها فريضة الشعوب والمؤرخين والصحفيين والمفكرين والمحللين السياسيين.

أسباب اختيار الموضوع

أول ما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع هو صدق أدب مقاومة الاستبداد وما دفع أصحاب هذه الكلمة الصادقة من ثمن كبير من أجل صدق موقفهم بشكل الضرب والقتل والتشريد والاعتقال والنفي وغيره من ألوان التعذيب والتخويف، فشخصية الشاعر متحدياً قهر المستبد لا تقل عن شخصية البطل في الأساطير والأفلام، فيه يقابلنا الشاعر وهو يستقبل الرصاص على صدره ويتلقى السياط على ظهره ويواجه مظالم الشرطة على الشوارع ويتحمل أبشع أنواع التعذيب في السجون والمعتقلات ويؤسر ويشرد ويضرب ويجلد، يقصف فكره ويسجن لفظه دون أن يتزعزع أو يتنازل عن موقفه، أو تنبس شفتاه بأهه قد تمنح الطاغية المستبد لحظة سرور، وبذلك يمكن الحكم

بأن أدب مقاومة الاستبداد هو أدب صدق وجرأة ورسالة ويلائم الطبيعة الإسلامية التي تؤمن برفع كلمة الحق من دون خوف اللاتمين.

والدافع الثاني هو أنني اشتقت إلى أن أكتب في موضوع يناسب عصرنا ولحظتنا ليكون عملاً أدبياً وميدانياً وحقيقياً وحياً في وقت واحد، وخاصة في حين يمر المسلمون فيه من حالة الاستعداد والكفاح من أجل النهضة والثورة بعد ضيق نفسي داخلي طويل بسبب استبداد مديد على أراضينا الإسلامية عرباً وعجماء فأرى أن هذا البحث سيخدم الأدب والوضع في وقت واحد، إن شاء الله.

ومن بواعث هذه الدراسة جمال أدب مقاومة الاستبداد وقوته وصموده، فهو أدب اكتسب الخلود والبقاء فيصلح لكل زمان ومكان، لأن المأساة تتكرر بنفس الشكل والرسالة تظهر بنفس القوة. وعلى سبيل المثال، القصائد الأردية التي قيلت في العهد الديكتاتورية في سبعينيات وثمانينيات من القرن العشرين لا تزال تصلح وتلائم يومنا وساعتنا، وتروى وتنشد بنفس القوة وب نفس الشوق.

ودافع آخر هو أن شعر مقاومة الاستبداد -إضافة إلى كونه شعراً جميلاً- شعر تعليمي وتربوي وملتزم يحمل رسالة سامية ويحرض الإنسان على مواجهة النظام المحتل وقمع جذور الاستبداد والنهوض للتغيير والثقة بالنفس ويبعده عن اليأس والحمول ويحيي في قلبه المتمزق نار الحياة ويريه في ظلمات الليل بصيص الأمل.

ومن دوافع كتابة هذا البحث إعجابي بنماذج راقية من قبل العلماء والشعراء في تقويم وإصلاح صاحب السلطة وإرشاده ورفع كلمة الحق في وجهه بين ملا من المتملقين، وإن أدى ذلك إلى خرق جمجمة الشاعر أو صلبه أو قتله أو نفيه أو إهانته.

أسباب اختيار الفترة الزمنية

لما كانت مأساة الاستبداد تتعلق بوجود حكام محليين غير أجنيين ولما يعلم الجميع أن معظم البلاد الإسلامية تحررت من يرثي الاستعمار في منتصف القرن العشرين ونشأت حكوماتها المحلية ثم تحولت إلى الحكومات الاستبدادية في هذه الفترة اخترت الشعر المقاوم الذي قيل في الفترة المذكورة أي من بداية الخمسينيات إلى نهاية القرن

العشرين، ولاختيار هذه الفترة مسوغ آخر وهو أنه لا يجد المدارس لأوضاع المنطقة العربية وأحوال باكستان فرقا كبيرا فالأوضاع طلت متشابهة في العالمين العربي والأردني خلال العقود الخمسة المذكورة وإليها يرجع الفضل في تجلية روح المقاومة وإذكاء جذوة ثورة الشعراء الأحرار، فالشعراء الستة الذين درست شعرهم علقت أسماؤهم بذاكرة الشعب والتاريخ والأدب بشعرهم المقاوم الذي يتسم بالرفض والجرأة والتحدي.

الدراسات السابقة في الموضوع

جميع الشعراء الستة الذين اخترتهم معروفون، وقد تناولت دراسات مختلفة شخصياتهم وشعرهم من جوانب عديدة إلا أنني لم أعثر على دراسة تقارن بين الشعرين العربي والأردني المقاومين كما لم أجد كتابا عربيا يتناول شعر مقاومة الاستبداد كموضوع مستقل. وصدر مؤخرا كتاب عربي "شعراء في مواجهة الطغيان" لمحمد عبد الشافي القوصي يحوي ذكر ألف شاعر عربي كانوا ضحايا لقصائدهم عبر تاريخ طويل، وكذلك صدر كتاب آخر باسم "شعراء قتلهم شعرهم" للأستاذ سمير فراج جمع بعض الشعراء الذين لاقوا مصيرهم بسبب كلمتهم الشعرية لسبب أو آخر. ووجدت في المكتبة الأردنية كتابا بعنوان (مزاميق ادب) للدكتور رشيد أمجد يجمع بين دفتيه تلك الأعمال الثرية والشعرية التي تمثل الأدب الأردني المقاوم. وتشارك الكتب الثلاث في الاكتفاء بمجموع نماذج شعرية دون دراستها دراسة موضوعية مفصلة. فنظرا إلى أهمية الموضوع الذي يهم الأمة كلها شرقا وغربا وعربا وعجماء وخلص مكتبة الدراسات الأدبية المقارنة بين العربية والأردنية من وجود أي دراسة من هذا النوع تشجعت لتحمل هذه المسؤولية، ورغم وجود دراسات كثيرة عن كل شاعر من هؤلاء الذين اخترتهم إلا أنه لم تسبق دراستهم في باب مقاومة الاستبداد ودكتاتورية الحكام.

أهداف البحث

يستهدف البحث تحقيق ما يلي:

- ١ البحث عن نقاط التلاقي والتشابه بين الشعراء العرب والأردنيين في مقاومتهم الشعرية للاستبداد والطغيان وتحديد السمات الفنية المشتركة والمنفردة لدى الشعبيين في موضوع مقاومة الاستبداد

٢. تحديد مكانة صحيحة للشعراء مقاومي الاستبداد المحلي في التاريخ الأدبي المشترك بين الآداب الإسلامية
٣. نحو الانطباع العام عن الشاعر المسلم وهو أنه وليد القصر وطفيلي الحاكم ومسح تلك البصمة التملقية على الشعراء وإثبات أنه لم يتخل عن بلاده وأمته وقضاياهما رغم ما عاناه من قهر وجبروت وتقديم نماذج كاملة من قبل الشعراء المسلمين في هذا الشأن
٤. إبراز دور الشعراء في الحركات والثورات الشعبية ضد الاستعمار الغربي ثم الاستبداد المحلي الجائرم على صدر الوطن وتعريف كل من الشعبين العربي والأردني بما لدى الآخر من أعمال أدبية رائعة في باب مواجهة الطغيان والديكتاتورية
٥. جمع وتوفير المادة الأدبية القيمة التي تسهم في التربية الروحية لدى الشاب الطامحين الساعين وراء نهضة الأمة والتحرر من القيود الإنسانية المصطنعة
٦. إبراز وتحديد دور الشعراء المقاومين في منح الشعوب الإحساس بحقوقها المسلوبة وحررتها المغصوبة

منهج البحث

جرت كتابة البحث في ضوء المنهج الاستقرائي المقارن إذ قمت أولاً باستقراء النصوص الشعرية في دواوين الشعراء المقاومين الستة لتحديد ملامح المقاومة وإبرازها والإحاطة التامة بجزئياتها وکلياتها والوصول إلى الأحكام الدقيقة في الموضوع وكشف النفسية التي كانت سبب المقاومة ثم قارنت - مقارنة موضوعية - بين شعراء اللعنين مستعينة بنتائج استقراء النصوص الشعرية وعالجت الجوانب المشتركة بالتفصيل.

إجراءات البحث

١. المادة الشعرية في باب مقاومة الاستبداد في الأدبين العربي والأردني في النصف الثاني من القرن العشرين بكثرة حيث يتطلب جمعها وإحصاؤها جهداً مضنياً يظهر بشكل مجلدات كثيرة، وليس مهمتي في هذا البحث إحصاؤها وجمعها كلها، بل درست في الباب الأول سمات وموضوعات شعر المقاومة عند ثلاثة من

أبرز الشعراء العرب بصفة منفردة ليساعد ذلك على تحديد الموضوعات والقضايا والأفكار العربية المشتركة في الشعر العربي المقاوم. وفي الباب الثاني درست ثلاثة من أشهر شعراء الأردنية بصفة منفردة وبالتفصيل لتحديد الموضوعات والقضايا والأفكار المشتركة في الشعر الأردني المقاوم.

٢. عرضت شعر كل شاعر في باب مقاومة الاستبداد عرضاً مفصلاً، وقبله تناولت حياته باختصار لفهم وتفسير أسباب روح المقاومة في شعره. وكان اهتمامي منصاً على الجانب الموضوعي والفكري ودراسة أهم العناصر المعجمية والصرفية والتركيبية لديه، متجنباً الخوض في تحليل الأحداث السياسية فهذا ليس من شأن ومهمة هذه الدراسة كما حللت باختصار الأسس الشعرية الجمالية والمقومات التي بناها في النص الشعري لديه والأدوات التي استخدمها واستعان بها ليمنح شعره قوة وتأثيراً.

٣. ركزت على النصوص والمضامين الشعرية بالدرس والتحليل والمعالجة متبعاً المنهج الاستقرائي مبرزاً ملامح المقاومة بجزئياتها وجوانبها المختلفة عند كل شاعر.

٤. في نهاية الأمر قارنت في الباب الثالث بين موضوعات الشعرين العربي والأردني المقاومين وقضاياهما وأفكارهما ومعانيهما لاكتشاف جوانب التلاقي والتشابه والتغاير والاختلاف، وجرت المقارنة بين السمات الموضوعية والأفكار لدى شعراء اللغتين على وجه العموم، وبيان المميزات المنفردة والمشاركة لديهم.

٥. أثرت في المقارنة أن أذكر الأمثلة الشعرية التي سلفت وتم تحليلها سابقاً وارتسخت في ذهن القارئ كما عربت أبيات الأردنية نثراً، فلا يرد بيت أردني إلا ومعه تعريبه أسفله.

٦. التزمت بالطريقة العلمية المألوفة في كتابة الهوامش وذكر المصادر والمراجع وإعداد الفهارس وغيرها من الأمور الأخرى.

خطة البحث

بمعنوان

مقاومة الاستبداد في النصف الثاني من القرن العشرين بين الشعرين العربي والأردني دراسة مقارنة

■ مقدمة

- أهمية الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- أسباب اختيار الفترة الزمنية
- الدراسات السابقة في الموضوع
- أهداف البحث
- منهج البحث
- خطة البحث

■ تمهيد

- الاستبداد لغة واصطلاحاً
- أنواع الاستبداد وألوانه
- الفرق بين الاستبداد والاستعمار والصلة بينهما
- حديث القرآن الكريم عن المستبدين
- المقاومة لغة واصطلاحاً
- المقاومة في ضوء التراث الإسلامي
- ما هو أدب مقاومة الاستبداد والمراد بالشعراء المقاومين
- أنواع المعاناة التي يواجهها الشعراء المقاومون
- مقاومة الاستبداد في الأدب العربي الحديث
- مقاومة الاستبداد في الأدب الأردني
- الوضع السياسي للعالمين العربي والأردني في النصف الثاني من القرن العشرين

الباب الأول: مقاومة الاستبداد لدى الشعراء العرب في النصف الثاني من القرن العشرين

الفصل الأول: شعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء العرب في النصف الثاني من القرن العشرين

المبحث الأول: الشاعر محمد محمود الزبيدي (من اليمن)

المبحث الثاني: الشاعر هاشم الرفاعي (من مصر)

المبحث الثالث: الشاعر أحمد مطر (من العراق)

الفصل الثاني: تحليل السمات الموضوعية والفنية لشعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء العرب

المبحث الأول: تحليل السمات الموضوعية

المبحث الثاني: دراسة الصور والمعاني

المبحث الثالث: تحليل السمات الفنية

الباب الثاني: مقاومة الاستبداد لدى الشعراء الأردنيين في النصف الثاني من القرن العشرين

الفصل الأول: شعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء الأردنيين في النصف الثاني من القرن العشرين

المبحث الأول: الشاعر فيض أحمد فيض

المبحث الثاني: الشاعر حبيب جالب

المبحث الثالث: الشاعر أحمد فرار

الفصل الثاني: تحليل السمات الموضوعية والفنية لشعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء الأردنيين

المبحث الأول: تحليل السمات الموضوعية

المبحث الثاني: دراسة الصور والمعاني

المبحث الثالث: تحليل السمات الفنية

الباب الثالث: دراسة مقارنة لشعر مقاومة الاستبداد في النصف الثاني من القرن العشرين بين العربية والأردية

الفصل الأول: المقارنة الموضوعية لشعر مقاومة الاستبداد بالعربية والأردية

المبحث الأول: مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بمعاناة الشعب في العهد الاستبدادي

المبحث الثاني: مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بالقوة المستدة

المبحث الثالث: مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بالموثدين للاستبداد

المبحث الرابع: مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بالتعب التي تعاني مأساة

الاستبداد

الفصل الثاني: الصور والمعاني المشتركة بين شعر مقاومة الاستبداد بالعربية والأردية

الفصل الثالث: خصائص وسمات مشتركة لشعر مقاومة الاستبداد بالعربية والأردية

■ خاتمة

نتائج البحث

توصيات

■ فهارس

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع العربية

فهرس المصادر والمراجع الأردنية

تمهيد

يعالج النقاط التالية :

- الاستبداد لغة واصطلاحاً
- أنواع الاستبداد وألوانه
- الفرق بين الاستبداد والاستعمار والصلة بينهما
- حديث القرآن الكريم عن المستبدين
- المقاومة لغة واصطلاحاً
- المقاومة في ضوء التراث الإسلامي
- ما هو أدب مقاومة الاستبداد والمراد بالشعراء المقاومين
- أنواع المعاناة التي يواجهها الشعراء المقاومون
- مقاومة الاستبداد في الأدب العربي الحديث
- مقاومة الاستبداد في الأدب الأردني
- الوضع السياسي للعالمين العربي والأردني في النصف الثاني من القرن العشرين

تهديد

الاستبداد لغة واصطلاحاً

الاستبداد من مادة (ب د د) كلمة كثيرة الانتشار في العصر الحاضر وتتضمن مدلولات متقاربة مثل الحكم بلا زمام والقوة المطلقة وسلب الحرية وغصب الحقوق الفردية واحتكار شيء وغيرها، وهي المعاني التي تشير إليها المعاجم اللغوية والموسوعات السياسية المختلفة وليس هناك فرق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لها.

ففي لسان العرب: "يُقَالُ: اسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ يَسْتَبِدُّهُ اسْتِبْدَادًا إِذَا انْفَرَدَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ: انْفَرَدَ بِهِ وَمَا لَكَ بِهَذَا بَدَدٌ وَلَا بَدَّةٌ وَلَا بَدَّةٌ أَي مَالَكَ بِهِ طَاقَةٌ وَلَا يَدَانِ"^(١)

وفي الصحاح: "واستبد فلان بكذا: أي انفرد به"^(٢). وكذلك "استأثر فلان بالشيء استبد به"^(٣).

وفي المصباح المنير: "يُقَالُ اسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ، إِذَا انْفَرَدَ بِهِ مِنْ غَيْرِ مُشَارِكٍ لَهُ"^(٤) ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن ذلك^(٥) وكذلك: "وَأَسْتَأْثَرَ بِالشَّيْءِ اسْتَبَدَّ بِهِ"^(٦). وفي القاموس المحيط: "استأثر بالشيء استبد به، وخص به نفسه"^(٧).

- (١) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن مظهر الأنصاري الإفريقي، دار صادر، بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، ج ٣، ص ٨١.
- (٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. دارالعلم للملأين، بيروت الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م، مادة (ب د د) ج ٢ ص ٤٤٤.
- (٣) المرجع نفسه، مادة (ع ث ر)، ج ٢ ص ٥٧٥.
- (٤) المصباح المنير في عريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي تم الحموي، المكتبة العلمية، بيروت، مادة (ب د د)، ط ٢٠٠٩، ج ١، ص ٣٨.
- (٥) الموسوعة الفقهية، إعداد مجموعة من الباحثين، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت. ط ٣، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٥ م، ج ٣، ص ١٦٦.
- (٦) المصباح المنير، مادة (ع ث ر) ج ١، ص ٨.
- (٧) القاموس المحيط، تأليف العلامة محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ط ٢٠٠٥ م/١٤٢٦ هـ، مادة أثر، ص ٣٤٢.

ومعناه في المعجم الوسيط: "استبد به: انفرد به، واستبدّ: ذهب. واستبد الأمر بفلان: غلبه فلم يقدر على ضبطه، واستبد بأميره: غلب على رأيه، فهو لا يسمع إلا منه"^(١)

ومعنى الاستبداد في المنجد: "استبد بكذا: انفرد به مستقلاً، واستبد الأمر بفلان: غلب عليه، فلم يقدر أن يضبطه" كما يعرف المستبد بأنه: "من يأخذ في شيء ولا يتركه إلا بعد إتمامه"^(٢) "واستبد الأمر بفلان: غلبه فلم يقدر على ضبطه، واستبد بأميره: غلب على رأيه، فهو لا يسمع إلا منه"^(٣).

هذا وفق ما تنص عليه القواميس القديمة والمعاجم المعاصرة، في دلالتها على التعسف والتصرف المطلق بلا حدود وبدون سماح باعتراض. ويتضح معناها أكثر بتحديد فاعله، فاستبد الشخص بالأمر: تَعَسَّفَ، انفرد به من غير مشارك له فيه. نَسَلَطَ، تَحَكَّمَ. واستبد الحاكم بقراراته -سلطة مستبدة، ومن استبد برأيه هلك (مثل)."^(٤) (مثل)."^(٥)

ويكون الاستبداد في القرابة والصلات فد "استبداد زوج: تعسف وظلم وفرض الإرادة من دون مبرر بحسب الرغبة والأهواء"^(٦).

فالاستبداد يشمل الغلبة الكاملة والسيطرة المحكّمة، ومنه يقال "استبد الأمر بالشخص، غلبه فلم يقدر على ضبطه، واستبدت به أهواؤه وشهواته، واستبد به الحزن والوجد والشوق"^(٧).

(١) المعجم الوسيط، لمجموعة من باحثين مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، سنة ٢٠٠٤م، مادة (ب دد)، ج ١، ص ٤٢

(٢) المحمد في اللغة والأعلام، تأليف لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، بيروت - لبنان، ط ٢١، ١٩٧٣، مادة (ب دد)، ص ٢٨

(٣) المرجع نفسه

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م، ج ١، ص ١٦٩

(٥) المرجع نفسه

(٦) المرجع نفسه

أما استخدام كلمة الاستبداد بإضافتها إلى غير الحكومة فتطلق مجازاً، "مثل تحكم الأب أو الأستاذ أو رؤساء بعض الأديان وبعض الشركات وبعض الطبقات".^(١) واستخدمت كلمة الاستبداد في مجالات الفكر والسياسة والاجتماع والفقه وغيرها متضمنة نفس المعاني التي نصت عليها المعاجم العربية قديماً وحديثاً، ففي معجم لغة الفقهاء: "الاستبداد: الانفراد بالرأي من غير مشورة".^(٢) والمفكر عبدالرحمن الكواكبي^(٣) عرف الاستبداد بأنه: اقتصار المرء على رأي نفسه فيما تنبغي الاستشارة وغرور المرء برأيه والأنفة عن قبول النصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة. ويراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة لأنها مظاهر أضراره التي جعلت الإنسان أشقى ذوي الحياة.^(٤) ويكون الحاكم مستبداً إذا خضعت له كل سلطات الدولة دون جرأة اختلاف عن رأيه واعتراض على أمره "لأن الحكم الاستبدادي يقوم على التسلط والتعسف المطلق والتفرد بالحكم".^(٥)

والاستبدادية - وفق معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية - "هي أحد أشكال الحكم يتولى السلطة العليا فيه ملك أو جماعة صغيرة بمقتضى دستور أو بدونه، ويتميز بالسلطة غير المحدودية أو الاستبدادية".^(٦) والحكومة الاستبدادية هي الحكومة التي

(١) طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد، عبدالرحمن الكواكبي، كلمات عربية للشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ٢٠١١م، ص ١٥

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعه جي، ود. حامد صادق قنبي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان، بدون سنة الطبع، ص ٥٧

(٣) عبدالرحمن الكواكبي: من أعلام الفكر، ولد بحلب سنة ١٨٤٨م، وعمل صحفياً ومدرساً وقاضياً وسياسياً ومحامياً، وساح بلداً كثيرة كالهند وآسيا وأفريقيا، وشخص أمراض كل بلد نزل فيها، في محال الاجتماع والزراعة والسياسة وتلمس العلاج لهم، ونشر نتيجة دراسته في مقالات طبعت باسم "طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد" في نقد الحكومات الإسلامية و هو أول كتاب عربي في هذا الموضوع، وله كتاب آخر في نقد الشعوب الإسلامية بعنوان "أم القرى". باختصار من: "أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، لمحمد واصح رشيد الحسني الدوي، دار الرشيد، لكتاؤ، الهند، ط ١، سنة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص ١٩١ وما بعدها

(٤) طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد، ص ١٥

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ١٦٩

(٦) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، للدكتور أحمد زكي بدوي، مكتبة لسان، بيروت،

لا تخضع في ممارستها لسلطة القانون أيا كان مصدره، فالمحدد الأول والأخير لوسيلة الحكم وعلاقة السلطة بالفرد هو الحاكم صاحب السيادة الوحيد. فلا توجد في ظل الحكومة الاستبدادية حريات حقيقية لأن الاستبداد يؤدي إلى إنقاص بل إهدار الحريات.^(١)

”والاستبدادية تناقض الشورى.“^(٢) ولا تخضع الحكومة الاستبدادية في حكمها لأي قانون أو نظام ولا يحد من سيادتها شيء بل إن القانون في تلك الحكومة هي إرادة الحاكم.^(٣) والديمقراطية^(٤) التي تعني الحرية في جوهرها تعني مقاومة ومعارضة استبداد الحاكم.^(٥)

ويتضمن النظام الديمقراطي ثلاثة عناصر رئيسة: تعيين الحكام بالانتخاب، ووجود برلمان يملك صلاحيات واسعة والقواعد القانونية التي تتضمن رقابة قضاء مستقلين للسلطات العامة فالتمثل الشعبي عبر الانتخابات يسمح للمواطنين بتعيين الحكام ويعدم إبقائهم في السلطة عند انتهاء فترة معينة.^(٦)

ويعرف معجم اللغة العربية المعاصرة الاستبدادية بأنها: ”اسم مؤنث منسوب إلى استبداد، وهي نظرية سياسية تقول بأن السلطة المطلقة يجب أن تناط بسلطة واحدة“^(٧)

(١) الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، للأستاذ الدكتور نعمان أحمد الخطيب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان. الطبعة السابعة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص ٢١٣

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ١٦٩

(٣) الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، ص ٢١٤

(٤) الحكومة الديمقراطية أو الحكومة الجمهورية هي الحكومة التي يجري فيها اختيار رئيس الدولة فيها عن طريق الانتخاب ولمدة محدودة. المرجع نفسه، ص ٢٠٠

(٥) النظم السياسية في العالم المعاصر، تأليف الدكتور سعاد الشراوي، منشور من المركز، ط ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص ١٣١

(٦) المؤسسات السياسية والقانون الدستوري، لموريس دومرجيه، تعريب د جورد سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٥٧

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ١٦٩

"والاستبداد في اصطلاح السياسيين هو: تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعية وقد تستخدم لديهم مصطلحات استعباد واعتساف وتسلط وتحكم وفي مقابلها كلمات: مساواة وحس مشترك وسلطة عام. ويوصف المستبد لديهم بكلمات مثل: جبار وطاغية وحاكم بأمره وحاكم مطلق. والاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلا أو حكما التي تتصرف في شئون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين. ويوازي كلمة الحكومة المستبدة كلمات عادلة ومسؤولة ومقيدة ودستورية"^(١).

ويضمن خضوع الحكومة للمحاسبة وشعورها بالمسئولية خروجها عن دائرة الاستبداد ف"الحكومة -من أى نوع كانت- لا تخرج عن وصف الاستبداد ما لم تكن تحت المراقبة الشديدة والمحاسبة التي لا تسامح فيها كما جرى في صدر الإسلام"^(٢). وخير مثال لمحاسبة الحاكم ما جرى مع سيدنا عمر رضي الله عنه إذ اضطر إلى دفع شبهة التصقت به أمام جمهور الناس. فقد روي أنه "خطب عمر بن الخطاب يوماً وعليه ثوبان، فقال: أيها الناس ألا تسمعون؟ فقال سلمان: لا نسمع، فقال عمر: ولم يا أبا عبد الله؟ قال: إنك قسّمت علينا ثوباً ثوباً وعليك ثوبان، فقال: لا تعجل. يا عبد الله، فلم يحجّه أحدٌ من الحضور، فقال: يا عبد الله بن عمر، فقال: ليّيك يا أمير المؤمنين، فقال: شدتك الله الثوب الذي اتزرت به أهو ثوبك؟ قال: نعم، اللهم نعم، فقال سلمان: أمّا الآن فقل نسمع."^(٣)

فالاستبداد - بعد مراجعة المعاجم القديمة والحديثة والموسوعات السياسية والفقهية - يتضمن مفاهيم متقاربة مثل القوة المطلقة والحكم بلا زمام والتعالى على الخلق واستعباد الحرية وتغلب السلطة على الشريعة و مشاركة خالق الكون في الجيروت.^(٤)

(١) باختصار، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص ١٥

(٢) المرجع نفسه

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ١٢٣/٢، تحقيق: محمد

عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩١ م

(٤) باختصار، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص ١٢ و ١٣

ولكلمة الاستبداد مرادفات مشهورة، منها الديكتاتورية^(١) والطغيان، فالمدلول - وإن اختلفت المصطلحات - واحد. أما من يقع ضحية الاستبداد والحكومة الاستبدادية من القوم فيطلق عليهم كلمات "أسرى ومستصغرين ويؤساء ومستمتين وتقابلها كلمات أحرار وأباة وأحياء وأعزاء"^(٢).

• أنواع الاستبداد وألوانه

الاستبداد مأساة قديمة لها تاريخ موغل في القدم، تظهر بألوان عديدة وتكرر بأشكال مختلفة، وتعاني البشرية من هذه المعاناة منذ قديم الزمان وما زالت تعاني في العصر الحديث، وإن خفت حدة الظاهرة في العصر الحاضر بفضل الأنظمة الديمقراطية وتقارب الأمم والاتصال السريع والوعي السياسي اليقظ لدى الشعوب والأفراد.

وتطلق كلمة الاستبداد عادة على الاستبداد السياسي إلا أن هناك أنواعا أو ألوانا عديدة للاستبداد باعتبار الجهة المستبدة وباعتبار مجال الاستبداد. فالاستبداد باعتبار الجهة المستبدة يكون فرديا واجتماعيا، وباعتبار القوة المستبدة، يكون محليا ودوليا، وباعتبار المجال يكون سياسيا ودينيا وعرقيا. ويكون الاستبداد طائفيا إذ تستبد طائفة من الطوائف حقوق الطوائف الأخرى، ومن أمثلة الاستبداد الطائفي ما يعرف عن الهد، فلم يعرف في تاريخ أمة من الأمم نظام طبقي أشد قسوة وأشد استهانة بتصرف الإنسان من النظام الذي اعترفت به الهند دينيا ومدنيا، وخضعت له آلاف من السنين ولا تزال^(٣). وقد منح

(١) المعجم الوسيط: ح ١ ص ٤٢

(٢) بتعديل، طائعات الاستبداد ومصارع الاستعداد، ص ١٥

(٣) ماذا حسر العالم باغطاط المسلمين، للعلامة السيد أبي الحسن على الندوي، مكتبة الإيمان.

النصورة، مصر. ط ٢٠٠٦م، ص ٥١

هذا النظام الطبقي طبقة البراهمة^(١) (الطبقة العليا) امتيازات وحقوقا ألحقتهم بالآلهة وجعل "المنبوذين"^(٢) (الطبقة السفلى) أحط من البهائم وأذل من البهائم^(٣).

ومن ألوانه: الاستبداد الديني، ففي إيران مثلاً "كانت الأكاسرة ملوك فارس يدعون أنه يجري في عروقهم دم إلهي، وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئاً علوياً مقدساً فكانوا ينشدون الأناشيد بألوهيتهم ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر."^(٤)

ويسفر التشاكل بين الاستبداد السياسي والاستبداد الديني إلى أنه يلتبس على الناس الفرق بين الإله المعبود بحق وبين المستبد المطاع بالقهر فيختلطان في مضايق أذهانهم من حيث التشابه في استحقاق مزيد التعظيم، والرفعة عن السؤال وعدم المؤاخذه على الأفعال^(٥). وبناء على ذلك يعظمون الجبابة تعظيمهم لله الأمر الذي يدفع بعض المستبدين إلى ادعاء الألوهية، حتى يقال إنه ما من مستبد سياسي إلا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله أو تعطيه مقاماً ذي علاقة مع الله. ولذلك يتخذ المستبد بطانة من خدمة الدين يعينونه على ظلم الناس باسم الله أو باسم الدين.

ومن سياسة المستبد أنهم "اتخذوا من الدين دروعاً تحمي عرشهم، وتذود الخارجين عليهم وأفهموا الناس أن طاعة الأئمة من طاعة الله وعصيانهم من معصية الله، ومن جنائية الملوك واستبدادهم بالمسلمين أنهم أضلوهم عن الهدى وعموا عليهم وجوه الحق وحجبوا عنهم مسالك النور باسم الدين، وباسم الدين أيضاً استبدوا بهم وآراءهم

(١) هي أعلى الطبقات الأربعة، تتمتع من بين الطبقات الأربع بامتيازات خاصة تجعلها أقدس طبقة، وهي تتولى أداء الفرائض الدينية، وتعتبر الطبقة المخدومة والحاكمة. باختصار من: "هندوستان تهذيب كراستان"، (قصة الثقافة الهندية)، بالأردية، إى ايل هاشم، الناشر: "نكارشات" لاهور، باكستان، ط ١٩٩٩م، ص ٢١٠

(٢) هي الطبقة السفلى من بين الطبقات الأربعة، يجب عليه أن يمتلك امتثالاً مطلقاً لأوامر البراهمة. ولا يحوز له جمع ثروات زائدة، ويحذر من أن يساوي رجلاً من طبقة أعلى من طبقة، ويواجه عقوبات شديدة لإساءة الأدب إلى الطبقات العليا. بتصرف واختصار من: موسوعة الأديان في العالم، إعداد لجنة من علماء وباحثين، الناشر: ايديتو كريس انترناشيونال، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠ - ٢٠٠١م، ص ١٢٢

(٣) ماذا خسر العالم بالخطايا المسلمين، ص ٥٢

(٤) المرجع نفسه، ص ٤٢

(٥) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعداد، ص ٢٢

وحرّموا عليهم النظر في العلوم السياسية وباسم الدين خدعهم وضيّقوا على عقولهم فصاروا لا يرون لهم وراء الدين مرجعا حتى في مسائل الإدارة الصرفة والسياسة الخالصة.^(١) فالخدعة المستهلكة التي طالما روج لها المستبدون من قديم الزمان وحتى الآن هي ادعاء القدسية المستمدة من الله أو الأب أو شيخ القبيلة، فينبغي للأمة أن تنقاد له ومن يشق عصا طاعته فقد كفر وحق عليه عذاب جهنم والحرمان من الجنة.^(٢)

ويسوس المستبد سياسة دنيئة أخرى فهو بالإضافة إلى الاحتكار بجميع السلطات بيده يسعى لتفريق شعبه إلى مذاهب وأحزاب متعادية تجادل بعضها بعضا وبذلك تخلو الساحة ليحكمها المستبد كما يشاء. وأعظم ما يلائم مصلحة المستبد هو أنه يبني أوامره على شيء من الدين فالتناس يتلقون قواعده وأحكامه بإذعان وبدون بحث أو جدال^(٣) ومن سياسة المستبد كذلك أنه يربط بين هويته والدولة ومصالحه الشخصية والأهداف الوطنية فيتقرر رفض أوامره الخروج على الدولة وبذلك يسهل له البطش بمعارضيه وكبت أصواتهم، ويمنح أجهزة الاستخبارات حرية مطلقة لحماية القيادة دون أن تستحوه سلطة قضائية أو رقابية فتكتسب أجهزة الاستخبارات في بعض الأحيان قوة أكثر من الجيش النظامي للدولة.

الفرق بين الاستبداد والاستعمار والصلة بينهما

وما يجب استحضاره في الذهن هو أنه عم في العصر الحاضر كلمة "الاستعمار" تعبيرا عن الاستبداد الدولي ينما يعنى بـ "الاستبداد" الاستبداد المحلي أو الديكتاتورية. والاستبداد الدولي هو الاستعمار بالمعنى المعروف للكلمة، ويعني "فرض دولة ما -أو تحالف دولي معين- إرادتها -أو إرادته- على وحدات دولية أخرى بكافة الوسائل المتاحة بما يحقق أهداف ومصالح الطرف الأول بغض النظر عن مصالح الطرف الثاني والمبادئ والقوانين الدولية السائدة، وهذا النوع من الاستبداد يتعلق أساسا بالسياسة

(١) الإسلام وأصول الحكم، لعلي عبدالرزاق، الطبعة الثالثة، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، مطبعة

مصر. مصر، ص ١٠٢

(٢) الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين، نيل هلال هلال، ط ٢٠١٣م، دار الكتاب العربي،

دمشق، القاهرة، ص ٨٩

(٣) بتعديل واحتصار، طائع الاستبداد ومصارع الاستبداد، ص ٢٢ و٢٣

السياسية للمجتمع الدولي والسلوك الخارجي لوحدها بغير ارتباط بنوعية البنية السياسية الداخلية لأنظمة الحكم في الدول المستبدة أو المستبد بها^(١) وتحاول الدول المتقدمة إخضاع الدول الفقيرة لأوامرها بطرق عديدة منها إحكام بطشتها في رقاب الدول الضعيفة بشكل إعطاء ديون وعقد اتفاقيات دفاعية وصفقات استثمارية وغيرها من الحيل لكي تؤثر بها في سياستها الداخلية والخارجية كما نشاء^(٢).

أما الاستبداد المحلي -أو دكتاتورية الحكم فهو^(٣) - "بمعنى تركيز السلطة وتجميع وظائف الدولة كلها في يد فرد واحد أو أسرة أو عشيرة واحدة أو حزب واحد يكون له كافة السلطات والصلاحيات التشريعية والتنفيذية والقضائية والرقابية وبالتالي قيام أنظمة دكتاتورية فردية (رئاسية أو ملكية) أو أسرية عشائرية أو حزبية أو غيرها، وهذا النوع من الاستبداد يتعلق أساساً بالبنية السياسية الداخلية لأنظمة الحكم في الدول والجماعات البشرية"^(٤).

وتعتبر الديكتاتوريات الملكية والإقطاعية والدينية أعتق ألوان الاستبداد، وتشارك كل أنواعها قديماً وحديثاً في سمات منها: استئثار عضو واحد (فرداً أو جماعة) بجميع السلطات ومحاولته إحكام سيطرته على السلطة بكل وسيلة والوصول إلى السلطة عبر استخدام القوة العسكرية أو عبر الميراث العائلي أو الميراث الدستوري، وكثيراً ما تظهر في دول العالم النامي الثالث وتنعدم في دول العالم الصناعي وكذلك تجد مكانها في الدول الفقيرة كما تنحصر على البلاد التي عاشت تحت ظلال الاستعمار^(٥).

وليس هدف هذا البحث -رغم الصلة القوية بين النوعين المذكورين- إلا دراسة النوع الثاني أي الاستبداد المحلي ومقاومته في العالم العربي والباكستان. فمقاومة

(١) الخبرات التاريخية وحرب الخليج، لتوفيق عام، معهد الدراسات السياسية بإسلام آباد.

ط ٣، ديسمبر ١٩٩٢م، ص ٥١ و ٥٢.

(٢) "غلامي أيك تاريخي جائزه" (الاستعمار: نظرة تاريخية)، بالأردنية، ميلان محمد أشرف، "فردوغ علم

أكيڤي" اسلام آباد، ط ١، يوليو ٢٠٠٥م، ص ١٤ و ١٥.

(٣) الخبرات التاريخية وحرب الخليج، ص ٥١.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) باختصار من: الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، ص ٢١٩ وما بعدها.

الاستعمار تكون من أجل تحرير البلاد من دولة أجنبية أخرى ومقاومة الاستبداد تنشأ للتخلص من استبداد نشأ من داخل البلاد.

حديث القرآن الكريم عن المستبدين

لا يخلو تراثنا الديني من الحديث عن الاستبداد والمستبدين وعاقبتهم. ففي القرآن حديث متكرر عن المستبدين والمتحلين بصفات المستبدين بكلمات مختلفة، منها الطغيان كما في قوله: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(١) ومنها إذلال الشرفاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً﴾^(٢) ومنها إفساد القرى كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾^(٣)، ومنها الظلم وذلك في حديثه عن الاستبداد الاجتماعي في قوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾^(٤).

يتحدث القرآن عن فرعون^(٥) واستبداده بالتفصيل، ومن حديثه عنه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُم طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي

(١) سورة طه، رقم الآية ٢٤

(٢) سورة النمل، رقم الآية ٣٤

(٣) الآية نفسها

(٤) سورة النساء، رقم الآية ٧٥

(٥) لقد اختلفت الآراء في تحديد اسم فرعون، منها أنه: الوليد بن مصعب بن أبي أمون بن الهلوات بن فاران وهو فرعون موسى عليه السلام. وقيل: هو تحتمس الثاني. وقيل: هو نوت عنخ آمون، وغيرها من الأقوال. لم يكن من الفراعنة فرعون أعتى منه على الله. ولا أعظم قولا، ولا أطول عمرا في ملكه منه، ولا أشد غلظة، ولا أقسى قلبا، ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه، يعذبهم فيحملهم خدما وخولا، وصنفهم في أعماله، فصنف يسون، وصنف بحرثون، وصنف يزرعون له. أنى أن يؤمن بموسى عليه السلام، أو يرسل معه بنو إسرائيل. مات غارقا في البحر إثر مطاردته لبني إسرائيل. انظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، ١/٣٨٦-٢٠٤٢، دار التراث، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٣٨٧ هـ.

نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ^(١). وأقصى استبداده استعباد الناس بعد ما خلقوا أحراراً، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٢)

وكان العصر النبوي عصر تحرر الجزيرة العربية من جميع ألوان الاستبداد، ثم حافظت الخلافة الراشدة على حرية وكرامة البشر، ولم يسر مرض الاستبداد في العالم الإسلامي إلا بعد ما تهاون حكامها الجدد بالتقاليد الرفيعة التي تمسك بها الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم أجمعين كان على رأسها العدل واستقامة القمة والقاعدة وحرية التعبير ومحاسبة الخليفة على كل ما يصدر عنه والرجوع عند الاختلاف في كل شيء إلى الله ورسوله كما حافظت الخلافة الراشدة على كرامة الفرد وحرية المجتمع بصفة تفقد نظيرها في التاريخ البشري، "ولم يكن الواحد منهم رضي الله عنهم ينعم بما عرف وعهد عن رخاء القمة ونعيم الملك وسطوة الملك وجبروت الولاية على الناس والشعوب"^(٣).

وظلت أمتنا الإسلامية تتمتع بحقوقها كاملة غير منقوصة في عهود الخلفاء الراشدين التي تزخر بأمثلة ذهبية فريدة في التاريخ البشري لإقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه دون أن يكون لأحدهم سلطة مطلقة غير قابلة للمواخذه والمحاسبة، وكان الخلفاء حفظة حرية الناس وكرامتهم وتجلت فلسفتهم الحكومية في قول عمر رضي الله عنه إذ قال: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"^(٤) "والواقع أن نظام الحكم في الإسلام - في عهد الخلفاء الراشدين - لم يكن استبدادياً، فرئيس الدولة في الإسلام لا يتمتع بأي حصانة وإنما يخضع للقانون كأى فرد عادي، كما ليس لرئيس

(١) سورة القصص ، رقم الآية ٤

(٢) سورة الشعراء ، رقم الآية ٢٢

(٣) سيرة الخلفاء الراشدين، محمد علي قطب، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط ١،

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ١٢

(٤) فتوح مصر وأخبارها لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي

المصري، تحقيق محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ هـ، ط ١، ج ١، ص ٢٩٠.

الدولة في الإسلام اختصاصات تشريعية، ويعتبر مبدأ الشورى هو الدعامة الأساسية لنظام الحكم في الإسلام.^(١)

وبدأ مرض الاستبداد يتسرب في شرايين الأمة الإسلامية بعد انقضاء فترة الخلافة الراشدة وظهرت علاماتها في النظام الحكمي أول الأمر بضعف، وسرعان ما اشتدت وقويت وحتى غلبت مظاهر الفساد والاستبداد وترسخت مفاهيمها في العقول والأذهان وتوارثتها أجيال بعد أجيال وكتب التاريخ مليئة بقتل النفوس وإهراق الدماء وإحراق البيوت وتدمير القرى وتشريد السكان ونفي المعارضين بحجج واهية ومحاكمات فردية في محاكم مزيفة باستثناء أي عصر من العصور " فنظام الحكم في العهد الأموي والعباسي على سبيل المثال قد اتخذ إلى حد ما الصفة الاستبدادية ".^(٢) والحكم بصفة عامة " أصبح بعد عصر الخلفاء الراشدين مطلقاً في يد شخص واحد تساعده بطانة من جنسه، تزلف إليه بكل شيء من غير مبالاة بسخط الله وتسفك الدماء لأجله وتتهب لإرضائه الأموال، وتنتهك كل حرمة من الحرمات، وتشر بين الناس فكرة الطاعة المطلقة له من غير أن يكون لهم أن يطالبوا بحق أو أن يدافعوا عن كرامة وأن يحموا حرمة أو يتمتعوا بحرية في شيء ".^(٣)

وأقيم حكم الإسلام على أسس زاهية منها " طاعة أوامر الله والعدل بين الناس والمساواة بين المسلمين ومسئولية الحكومة والشورى ومنع الحرص على تولي الحكم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "^(٤) ولم يسمح لأحد أن يسلب حق الآخر بأي مبرر ولم يمنح لذوي الحكم سلطة فوق أوامر القرآن والسنة في أي حال من الأحوال. ولكون العدل أكبر ضامن لبقاء المجتمع وتطوره حافظ الإسلام على العدل دون مبالاة صلة أوقرابة أو نسبة ونسب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ

(١) النظم السياسية المعاصرة وتطبيقاتها، للدكتور زاهد ناصر الزكار، منشورات إي كتب (نسخة إلكترونية)، من موقع: <https://books.google.com.pk>، ص ٥٠

(٢) بتصرف من: النظم السياسية المعاصرة وتطبيقاتها، ص ٥٠

(٣) الاستبداد مظاهره ومواجهته، للعلامة أحمد بن حمد الحلي، نسخة إلكترونية، من موقع: www.baseera.net، ط ١، سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠١٣م، ص ٢٥

(٤) "خلافت والموكيت"، (الخلافة والملوكية)، بالأردية، الشيخ أبو الأعلى المودودي، الناشر: "ادارة ترجمان القرآن" لاهور. باكستان، ط ٢٥، يونيو ١٩٩٨م، ص ٦١ وما بعدها.

أَنْفُسِكُمْ»^(١) ولم يشأ الإسلام أن يسقط عمود العدل في أي حالة من الأحوال ولم يحرم أعداء المسلمين حق العدل حتى في حالة الحرب ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾^(٢)

ولم يأل الإسلام جهدا في إقامة معايير العدل التي قررها للإنسانية جمعاء، فالتناس صغارا وكبارا وحكاما ومحكومين سواسية كأسنان المشط في أمر العدل، دون استثناء بأي حجة من الحجج ودليل من الأدلة، فعن عائشة رضي الله عنها، أن قرئها أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلّا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فخطب ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها."^(٣)

ولا يمكن لنا - مسلمين - الفرار من هول القضية وخطورتها بمجرد أن نقرر الحكم والاستبداد قضية سياسية لا تهم سوى أهل الدنيا، بل إنها قضية شرعية تتعلق بالدنيا والآخرة على حد سواء فيحذر الإسلام أتباعه من الميل إلى الظلم وذويه وما

(١) سورة النساء، رقم الآية ١٣٥

(٢) سورة المائدة، رقم الآية ٢

(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه . للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجمعي، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ١٧٥/٤، حديث رقم ٣٤٧٥، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، لبنان، بيروت. ط ١، ١٤٢٢هـ. وانظر: المسند الصحيح المختصر بقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري اليسابوري، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن التساعة في الحدود، ١٣١٥/٣، حديث رقم ١٦٨٨، بحوه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث

عاقبه إلا النار، ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(١)

وقد حذر النبي ﷺ الظالمين من الحكام بالحرمان من رائحة الجنة كما ورد في صحيح البخاري: (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة).^(٢) وكذلك (ما من عبد يسترعيه الله يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته؛ إلا حرم الله عليه الجنة).^(٣)

المقاومة لغة واصطلاحاً:

بعد تحديد كلمة الاستبداد وبيان صفاته ومظاهره يقتضي المقام شرح مفهوم "المقاومة". فالمقاومة بمعناها العام هي معارضة شيء ومخالفته ومناصلته ومنعه. يشرح معجم اللغة العربية فعل المقاومة بـ "قاوم العدو: واجهه وضاده. قاومت الرياح سير السفينة: منعتها السير أو التقدم. ومنه: قاوم الجسم المرض: قام برد فعل ليزيل تأثير المرض أو يخفف من ضرره".^(٤) ومن مرادفات المقاومة كلمات، منها: الثورة والمعارضة والمواجهة.

ومن فطرة الله في الكون والخلق أنه لا يوجد استبداد وإلا تظهر معه المقاومة، لأن النفوس لا تقبل الجور والظلم فتثور عليه ولذلك اقترنت المقاومة بالاستبداد منذ بداية التاريخ البشري الذي حفل من جانب بأسماء ذهبية رمزا للاستبداد والظلم

(١) سورة هود، الآية ١١٣

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم يصح، ٦٤/٩، حديث رقم ٧١٥٠، بحوه وانظر كذلك: وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ١٢٥/١، حديث رقم ٢٢٧، بمعناه.

(٣) انظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ١٢٥/١، حديث رقم ٢٢٧، بمعناه. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ٤٤٩/٣٧، حديث رقم ٧٥٦٢، و٧٥٦١. انظر: تاريخ دمشق، لأسى القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٩٩٥ م. وانظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، للإمام البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، ٦٤/٩، حديث رقم ٧١٥٠، بحوه

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٤، ص ١٨٥٧

والتعسف والقسر مثل الحاكم الجبار فرعون الذي يتحدث عنه القرآن في أماكن عديدة، وحوى من جانب أعلاما أخرى استعارة للمقاومة مثل سيدنا حسين^(١) والإمام أحمد بن حنبل^(٢) رحمه الله وغيرهم وكذلك الشأن في الكلمات والألفاظ، فيعبر عن الاستبداد بكلمات مثل الطغيان والظلم والظلمات كما عبر عن مقاومة الاستبداد بكلمات مثل التحرر والإباء والأنفة والصمود.

المقاومة في ضوء التراث الإسلامي

يرى القرآن الكريم الوقوف في وجه المستبد فريضة لأتباعه فيحثهم على الوقوف في وجه الظالم والطاغية ويجعلها فريضة على ذوي الفهم والوعي منهم. ولدينا نماذج عديدة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تنص على ذلك، فعلى سبيل المثال إذ أمر الله نبيه موسى عليه السلام في قوله الكريم ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٣) كلفه بفريضة رفع كلمة الحق أمام أفسى حاكم مستبد بلغ درجة ادعاء الألوهية وكانت كلماته التي ينطقها بمثابة شريعة ودستور لشعبه.

الأمة المسلمة مكلفة بعدم التعاون مع ذوي الظلم بموجب نصوص شرعية كثيرة، منها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه

(١) الحسين بن علي بن أبي طالب، أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولد سنة ٤ من الهجرة، استشهد يوم عاشوراء من سنة ٦١ هـ بكريلاء من أرض العراق. بتصرف من: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق الشيخ علي محمد معروض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، بدون سنة الطبع، ج ٢، ص ٢٤ وما بعدها.

(٢) ولد سنة ١٦٤ هـ، وتوفي سنة ٢١٨ هـ. بصري، أحد الأئمة الأربعة الكبار، أبلق بلاء حسنا وعذب في السجن في قضية خلق القرآن. بتصرف من: مناقب الإمام أحمد بن حنبل لاس الحوزي، تحقيق: سعد كريم الفقي، دار ابن حلدون، إسكندرية بمصر، بدون سنة الطبع، ص ٢٥ وما بعدها. وانظر كذلك: موسوعة عباقرة الإسلام، الدكتور محمد أمين فرسوح، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط ١٩٩٦ م، ج ١، ص ٩١

(٣) سورة طه، رقم الآية ٢٤

وسلم: «سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا يفعلون، فمن صدقهم بكذبهم، وأعائهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولن يرد علي الحوض»^(١).

تشمل المقاومة الإسلامية مراحل مختلفة مثل النصيح والإرشاد والتعرض للطغيان والاستبداد بجميع الوسائل كالخطابة والمناظرة والكفاح والمناضلة والمحاسبة والتحدي والمباهلة وحتى القتال والجهاد. ولا ينشأ الاستبداد إلا بتحرر الحاكم من حدوده ولذلك سد الإسلام باب الاستبداد بمحاسبة الحكام المتواصلة وبعدم إعطائهم حرية مطلقة، ولدينا في عهد الخلافة الراشدة أمثلة زاهية لخضوع الخلفاء الراشدين لهذه القيود، فمثلاً قصة امرأة عجوز تحدث موقف عمر رضي الله عنه في قضية مهور النساء^(٢) مستدلة بقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^(٣) معروفة. فوجود أي شخص فوق نصوص الشرع واعتبار إرادته هي القانون أمر خطير وهو أول علامة من علامات الطغيان في سلوك الحاكم ثم تحولته إلى المستبد، ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم طبق القوانين على نفسه دون استثناء فردي ولم ينجل حتى من عرض جسمه للقصاص بل صرح بأنه يقطع يد بنتها لو ارتكبت جريمة السرقة.

ولنا غنى كل الغنى فيما مضى من حكايتي عمر رضي الله عنه عن بقية الأمثلة التي روتها كتب التاريخ الإسلامي بكثرة كاثرة وكان بفضل تلك المحاسبة أن بقي زمام الحكم أمانة ومسئولية في رقاب الحكام، لا لعبة ودمية بيد السلاطنة والخلفاء والوزراء.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه، ٥١٤/٩، حديث رقم ٥٧٠٢ وله شاهد عن طريق ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه الإمام في مسند ابن مسعود رضي الله عنه، ٣٧٤/٧. حديث رقم ٤٣٦٣. مختصراً، بمعناه. انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل التيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٦م وأخرجه البرار في مسنده، ٢٣٠/١٢، حديث رقم ٥٩٥٠، بحوده، ويزيادة في أوله وآخره. انظر: مسند البرار المشهور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ٢٠٠٩م

(٢) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ٩٩/٥، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤م

(٣) سورة النساء، الآية ٢٠

ما هو أدب مقاومة الاستبداد والمراد بالشعراء المقاومين

بعد بيان الاستبداد ومفاهيمه وألوانه وبعد توضيح معنى المقاومة يسهل تحديد المراد بشعر المقاومة وحدوده. فأدب المقاومة بصفة عامة قد يعنى به "الأدب الذي يصور مقاومة الشعوب للاحتلال والاستعمار"^(١) وقد تكون المقاومة ضد الاستبداد المحلي أو ديكتاتورية الحكام، وحيث يستخدم في الأدب العربي مصطلح "الأدب السياسي" تعبيراً عن هذا النوع من المقاومة، وقد يطلق عليه "أدب الثورة" كذلك، ويتخذ من مظالم الحكومة ومخازي الحكام موضوعه الأساسي، وتستخدم كلمات مثل "شعر سياسي" أو "شعر اجتماعي" لهذا اللون الشعري، وليس هدف البحث هذا إلا هذا النوع الثاني. بينما عرف في الأدب الأردني مصطلح "مراثي أدب" (أدب المعارضة أو الأدب المقاوم). ولعل المصطلح الأردني يناسب الفرض أكثر من المصطلح العربي الذي فيه نوع من الاتساع، فقد يحتمل "الأدب السياسي" شعراً غير شعر المقاومة بما فيه شعر مديح الحكام وشعر الوقائع والأحداث والمناسبات السياسية وغيرها

والمقاومة الأدبية والشعرية لم تقتصر على اتجاه أدبي معين، وإنما أسهم فيه الأدباء من كل مذهب وفكر لأن الاستبداد مأساة مشتركة بينهم جميعاً، بل هو المحور الذي اتفق حوله المتمون إلى المشارب الأدبية المختلفة كما تشمل كل عمل أدبي من الشعر والقصة والرواية والقصة القصيرة وإن كان الشعر أكثرها تأثيراً وأسرعها ذيوفاً وانتشاراً وأقربها إلى الجمهور والعوام.

وقد تولد فرع من فروع أدب المقاومة في الزنانات والسجون وهو ذلك الذي سمي بـ "أدب السجون" وكذلك نجم عما قاله الشعراء في منافعهم "أدب المفى". وكل هذه الأبواب نتاج التجربة المرة القاسية التي مر بها الشعراء قديماً وحديثاً، وهي أبواب من الأدب تنم عن مشاعر صادقة وأحاسيس عميقة وعواطف جياشة وأفكار ملتزمة بأخبار محزنة وأحداث مقلقة ترق لها القلوب وتذرف لها العيون وتجلى أهمية الشعر وتمجح الشاعر قداسة وكرامة في القلوب.

(١) المعجم الأدبي، لؤف بشار، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ١١

وشعر مقاومة الاستبداد حافل بمآسي الأمة الإسلامية عربا وعجماء، ينتقل القارئ خلال دراسته من مأساة الجوع إلى مأساة الظلم إلى مأساة العبودية إلى مأساة الخيانة ويلمح فيه مناظر الزنانات وأحوال البائسين ويسمع آهات المعذبين وأنات المنفيين وصرخات المنكوبين. وحارب شعراء المقاومة ظلمة الاستبداد وإفلاس الفكر ومعاناة الفقر وتحذوا بطشة الاستبداد وأسواط الجلاد وعملاء الدمار كما استنفروا الشعب بصيحتهم الراجية التي أطلقوها من أعماق صدورهم. بالإضافة إلى ذلك هو شعر يخاطب العقل والفكر والإحساس معا، فيهز الكيان ويثير العواطف ويلهب الثورات في داخل قارئه ويزجه في تيار المقاومة والدفاع عن الإنسان وعن حقوقه المهددة في بلاد أصححت ميدانا للفساد والتعسف والاستبداد بعد ما كانت رائدة رقي وحضارة وإنسانية

وللشعراء المقاومين أو الأحرار سمات تميزهم من بقية الشعراء، منها صدق محتوى شعرهم وصلابة موقفهم وعزيمة إرادتهم وتصديق كلمتهم بتضحياتهم العظيمة في الأحوال الرهيبة والأخطار الجسيمة. ويقع في قائمة شعراء المقاومة كل شاعر وقف في وجه الحكام وقفة جرأة بصمود وصلابة متخذاً من شعره سلاحه، فقوي هذا اللون في شعره أو كثر. وطلع على سماء الأدبين العربي والأردني شعراء عرفوا بتحديدهم المباشر وثورتهم الغاضبة ولهجتهم الصارخة وقد هاجتهم مآسي مجتمعاتهم وأحوال بلادهم، فانتفضوا في وجه الحكام انتفاض جرأة وصراحة وعنف وتمرد، وفي نبرات شعرهم من الصدق والاندفاع ما يوقظ الضمائر ويحرك المشاعر، وفيه تحقير للمتآمرين على بلادهم، وتنديد بالصامتين على طغيانهم وتمهيد لما يحمل على النضال المخلص في سبيل التحرر من كل قيد وتخطيم كل عقبة تقف في وجه مسيرة التحرر من الاستبداد. فإذا كان "الشعر ديوان العالم بأسره، وليس ديوان العرب وحدهم، يرصد تاريخ الأمم والشعوب عبر الزمان والأحقاب"^(١) فدواوين شعراء مقاومة الاستبداد خير وسيلة لمعرفة أحوال الشعوب في العصور الاستبدادية

وأخيرا، ينبغي الإشارة إلى وجوب التفريق بين مقاومة المستبدين وبين هجائهم، فهجاء الحكام لأسباب شخصية أو دينية وسياسية أمر في الأدب العربي القديم معروف،

(١) تأملات في الشعر العربي المعاصر، الأستاذ الدكتور مسعد بن عيد العطوي، عالم الكتب

قد يكون دافعه نقدا دينيا أو سياسيا أو تعصبا قبليا أو عداوة شخصية، وقد يكون عرضة هذا النوع حاكم عادل ملتزم، أما المقاومة فلم تتعرض للحكام إلا لاستبدادهم وانحرافهم عن مبادئ الحرية والعدل والكرامة وارتكابهم أبشع الجرائم وأفظعها.

• أنواع المعاناة التي يواجهها الشعراء المقاومون

لا تخلو المقاومة الشعرية من التضحية التي يقدمها الشعراء المقاومون ثمنا للكرامة كلمتهم وإعلاء كلمة الحق في وجه المستبد، وتتمثل في صور شتى، بدءا بطرد الشاعر من وظيفته وحرمانه من لقمة العيش ليضيق عليه العيش أو حبسه وراء قضبان السجن لعزله عن الجمهور أو إلحاق ضرر جسدي به أو بإفراد أسرته ليدوق مرارة الآلام والحكم عليه بعقوبة سجن مؤقت أو مؤبد لكبت صوته أو نفيه من وطنه الحبيب وإجلاله إلى أرض لا تألفه ولا يألّفها ومرورا بمصادرة أمواله أو حرقها وانتهاء إلى حرمانه من حق الحياة وصلبه بأمر محاكم مزيفة أو قتله على يد عصاة سرية وغير ذلك. هذا غير تهديده وتخويفه أو ضربات خفيفة عليها توقظه من ضلاله، وتخفف من حماسه أو تخمد الشعلة الملتهبة في فكره، لم يكن كل ذلك ليثبط همهم أو يقلل من حرارتهم، أو يصيبهم الوهن في عزيمتهم، بل كل ذلك كان بمثابة وقود للنار يزيد حرا واشتعالا.

وليس الأمر بمحير، فالشاعر بوسعه أن يشكل بشغفه خطرا على الحكم المستبد أخطر وأكبر من سلاح سيف العدو لأنه يهز القلوب ويخاطب المشاعر ويحرض على الكفاح والنضال، ويشدد المستبد حصاره حول الشعراء الأحرار لأنه يدرك خطورة أمرهم فيقيم حواجز وعوائق من أجل كبت صوت الشعر المقاوم الحر بشكل سلب الدواوين وإغلاق المطابع ومنع المكتبات من بيعها، كل ذلك دون جدوى لأن شعر المقاومة مثل الماء الذي يجري مجراه الطبيعي ويحطم كل من يصادفه، فالشعر المقاوم لكوبه كلمة صادقة في غنى عن الوسائل المادية لانتشارها وكفت ألسنة المظلومين وسيلة لنقلها من صدر إلى آخر.

مقاومة الاستبداد في الأدب العربي الحديث

بدأ القرن العشرون والأمة العربية تعاني من وجود الاستعمار أو عملائه الحكام على أراضيها الطاهرة. وليس القرن العشرون فحسب بل الأدب العربي الحديث منذ

نهضته في نهاية القرن الثامن عشر عانى في أكثر فتراته من وجود الاستعمار والاستبداد معا، ومقاومته إياهما لا تحتاج إلى تفسير لأنها فريضة فطرية أداها الأدب على أحسن وجه.

وكان الاستبداد العربي المحلي - مهما اختلفت أشكاله وتسمياته - ضحيته إنسانية المواطن العربي وحرية وكرامته، وكان سببا لإشعال فيل الشعر المقاوم عند الشعراء العرب في العصر الحديث، ففي حين نجد معظم الشعراء يصرفون فنهم لإلقاء قصائد تمجد الملوك والأمراء والرؤساء والولاة وأكثرتهم مستندون - مهملين النظر عن جرائمهم التي يرتكبونها في حق شعبهم أو نرى بعضهم يبكون همومهم الذاتية منعزلين عن آلام مجتمعاتهم بشكواهم ونعيمهم المجد الغابر نرى خلال هذه العصور كوكبة من شعراء يقفون وقفة جرأة ورسالة يتحدثون القوى الاستبدادية غير مباليين بالأضرار التي تلحق بهم ويذكرون جذوة الثورة في الشعوب الضعيفة المستكينة ويضيئون لها طريق الكفاح والنضال بتور شعرهم، ولا غرو، "لقد ارتبط الشعر منذ بداياته بتصوير معاناة الإنسان والتعبير عن مكنونات وجدانه والكشف عن مستور خلجاته"^(١) و"ليس الأديب دودة الحرير التي تنسج حول نفسها قبرا ترقد فيه، بل هو لوحة حساسة يرسم عليها ما يحيط به من مؤثرات فتمتزج بنفسه ثم تظهر للناس رسوما ذات روعة وتأثير"^(٢).

وفي السطور التالية نماذج على سبيل المثال لا على سبيل الحصر لتصوير الشعراء معاناة الشعوب في عصور القسر ولما أخذتهم حكاهم الجائرين دون مداورة. فهذا هو البارودي^(٣) يرسل أناته من منفاه حيث يدفع ثمن كلماته الشائنة ضد النظام الاستبدادي الجائم على صدر مصر مستنزفا أموال الشعب وغارقا في الملذات والشهوات ومثقلا

(١) تأملات في الشعر العربي المعاصر، ص ٥

(٢) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، الدكتور أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، لسان، ط ٥، ١٩٧٣م، ص ١١

(٣) محمود سامي باشا بن حسين البارودي المصري (١٨٣٩م - ١٩٠٤م) أول ناهض بالشعر العربي من كبوته في العصر الحديث، وأحد القادة الشجعان، كان في صفوف الثائرين دخل الإنجليز القاهرة فقبض عليه وسجن وحكم بإعدامه، ثم أمر بغيره ففُضى سبعة عشر عاما في المنفى بتصرف من: معجم تراجم الشعراء الكبار، تأليف وإعداد: د. يحيى مراد، دار

ظهرها بأعباء الديون وموقعا عليه ظلما لا يطاق " فيستهض البارودي همة قومه ليقضوا قضاء مبرما على الخديوي إسماعيل^(١) وحكمه الفاسد^(٢) [الطويل]

فيا قوم هُبُوا إِنَّمَا الْعُمْرُ فُرْصَةٌ وَفِي الدَّهْرِ طُرُقُ جَمَّةٍ وَمَنَافِعُ
أَصْبِرًا عَلَى مَسِّ الْهَوَانِ وَأَنْتُمْ عَدِيدُ الْحَصَى؟ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ
وَكَيْفَ نَرُونَ الدُّلَّ دَارَ إِقَامَةٍ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَاسِعُ
أَرَى أَرْؤُسًا قَدْ أَيْنَعَتْ لِحَصَادِهَا فَأَيْنَ وَ- لَا أَيْنَ- السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ^(٣)

ومعروف الرصافي^(٤) في الربع الأول من القرن العشرين يتقلب أسى على سوء الوضع الذي يعيشه العالم العربي ويطلق النداء تلو النداء ليقظ العرب من سباتهم العميق ويشعرهم بالذل الذي ارتضوه لهم: [البسيط]

لَهْفِي عَلَى الْعَرَبِ أُمَسَتْ مِنْ جُهودِهِمْ حَتَّى الْجَمَادَاتُ تَتَكَوْهُ فِي ضَجَرِ
يَا أَيُّهَا الْعَرَبُ هُبُوا مِنْ رُقَادِكُمْ فَقَدْ بَدَا الصُّبْحُ وَانْجَابَتْ دُجَى الْخَطَرِ^(٥)

(١) إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي الكبير، خديوي مصر. ولد سنة ١٨٣٠م، وتوفي مصر سنة

١٨٦٣م، أول من أطلق عليه لقب الخديوية وعزل سنة ١٨٧٩م وتوفي سنة ١٨٩٥م الأعلام لخير

الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٣٠٨

(٢) البارودي رائد الشعر الحديث للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بالقاهرة- مصر.

ط ٢٠٠٦م، ص ٦٠

(٣) ديوان البارودي، للشاعر محمود سامي البارودي، دار العودة، بيروت، لبنان ط ١٩٩٨م،

ص ٣١٨

(٤) معروف الرصافي شاعر عراقي، شاعر الاجتماع والسياسة والوطن، ولد سنة ١٨٥٧م وتوفي

سنة ١٩٤٥م، عرف بشاعر البؤساء، يسمى ديوانه "الرصافيات". باختصار من: الموجز في

الأدب العربي وتاريخه، لحنا الفاخوري، دار الجليل بيروت، ط ٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، المجلد

الرابع، ص ٥٧٣

(٥) ديوان الرصافي، ترح مصطفى السقا، قصيدة "سياسة لا حماسة"، دار الفكر العربي

مصر، ط ٤، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، ص ٦٥

ومقاومة الرصافي للحكم المستبد كانت شديدة، كان يتشد العدل والحرية ويتغنى بكل محاولة تقاوم الظلم والطغيان، وكان يدعو الشعب إلى تحطيم جبروت الاستبداد المذكور، يقول: [الطويل]

أَمَّا أَسَدٌ يَحْمِي الْبِلَادَ غَضَّ نَفَرٌ فَقَدْ عَاثَ فِيهَا بِالْمَظَالِمِ سَيِّدُهَا
عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَخْضَعُونَ لِدَوْلَةٍ يَسُوسُهُمُ بِالْمُوبِقَاتِ عَمِيدُهَا
وَأَعْجَبَ مِنْ ذَا أَتَاهُمْ بِرَهْبُونِهَا وَأَمْرُهَا مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ جُنُودُهَا^(١)

وانظر كيف يكشف في قصيدة "حكومة الانتداب" عن حقيقة الحكومة ويمزق نقاب القدسية والكرامة التي تنقبت به وجهها: [الكامل]

هَلْ ذِي حُكُومَتَا وَكُلُّ شُمُوخِهَا كَذَبَ وَكُلُّ صَانِعِيهَا مُتَكَلَّفُ
غَشَّتْ مَظَاهِرُهَا وَمَوَهُ وَجْهَهَا فَجَمِيعَ مَا فِيهَا بِهَارِجِ زَيْفُ^(٢)

وديوانه مليء بعشرات القصائد بلهجتة الصارخة ضد مظاهر الاستبداديين المحلي والدولي اللذين حرما الحياة الغريبة سعادتها، فعلى سبيل المثال يبين في قصيدة "حكومة الانتداب" حقيقة الدستور المزيف الذي ليس سوى خدعة دستورية لتسلية الشعب وحيلة سياسية لمنح الحكم الاستبدادي صبغة شرعية كما يكشف حقيقة المجلس الوطني، يقول: [الكامل]

عَلِمَ وَدُسْتُورُ وَمَجْلِسُ أُمَةٍ كُلُّ عَنِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ مُحَرَّفُ
أَسْمَاءَ لَيْسَ لَنَا سِوَى أَلْفَاظِهَا أَمَّا مَعَانِيهَا فَلَيْسَتْ تَعْرِفُ
مَنْ يَقْرَأَ الدُّسْتُورَ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَفَقَا لِمَكَ الْإِنْتِدَابُ مَصْنَفُ^(٣)

(١) قصيدة "تنبيه النيام"، ديوان الرصافي، ص ١٠٣

(٢) قصيدة "حكومة الانتداب"، المرجع نفسه، ص ٤٦٣

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٦٣ و ٤٦٤

وعلى هذا المنوال وبهذه الصراحة والشجاعة ثار وأثار ، ولم يابه لحظة ما للطفاة المتجبرين ، وأخذ الحكام مؤاخذه الشعرية الحاسمة كلما بدر منهم زيغ وانحراف. خاطب وزراء الحكومة ساحرا من نفوذهم التابع لغيرهم : [الكامل]

بالله يا وُزراءنا ما بالكم . إن نحن جادُناكم لم تُنصفوا
هذي كراسي الوزارة تحنكم كادت لفرط حيايتها تُقصّف
أنتم عليها والأجانب فوقكم كلُّ سُلطته عليكم مُشرف^(١)

والزهاوي^(٢) ممن يؤاخذ الحكام مؤاخذه عنيفة ويدي سخطة عليهم لتلاعبهم بكرامة شعبهم وتسلطهم على رقابهم ، يقول : [الخفيف]

نحن في دولة تداركها الله تُبيح المَحْظُور للحُكَّام
نحن قوم قضت إرادة شخص واحد أن نعيش كالأغنام^(٣)

وقصيدته "الظلم يقتلنا والقتل يحينا" تصف ما يجيش به ضميره من مشاعر الكراهة تجاه حكام البلاد ، يقول : [البسيط]

قست قلوب ولأه أئت مرسلهم كأنما الله لم يخلق بهايتنا
تراهم أغنياء عند مصلحة وفي المفسد تلقاهم شياطينا
إن الرعيّة أغنام يُحد لها عمالك المُستبدون السكاكين^(٤)

(١) قصيدة "حكومة الانتداب" ، ديوان الرصافي ، ص ٤٦٤ و ٤٦٥

(٢) جميل صدقي من محمد فيضي بن الملا أحمد بابان الزهاوي. شاعر غنى محي الفلاسفة ، من طلائع نهضة الأدب العربي الحديث. مولده ووفاته ببغداد. نظم الشعر بالعريقة والفارسية ، تقلب في مناصب علمية وتدرسية وقضائية مختلفة. وشعره كثير ، يناهز عشرة آلاف بيت ، منه "ديوان الزهاوي" تنصرف ، من : معجم تراجم الشعراء الكبير ، ج ١ ، ص ٣٢٣

(٣) ديوان الزهاوي ، للشاعر جميل صدقي الزهاوي ، المطبعة المصرية بمصر ، ط ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ، قصيدة "نحن في غفلة" ، ص ٢٩١

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٨٥ و ٢٨٦م

والشباب الشابي^(١) التونسي صوت ثوري آخر - كانت معاناته مزدوجة كذلك فإنه عاصر الاستعمار والاستبداد معا - يحيي سنة الشعراء في تحدي الاستبداد واقفا في وجهه وبكل صراحة: [المتقارب]

ألا أيُّها الظُّلُمُ المُسْتَبِدُّ حَيِّبَ الفَنَاءِ عُدُو الحَيَاةِ
سَخِرْتَ بِأَثَاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ وَكُفُّكَ مَخْضُوعِيَّةً مِنْ دِمَاءِ
وَعِشْتَ تُسَدُّسَ سَحَرِ الوجود وَتَبَدَّرَ شَوْكَ الْأَسَى فِي رُبَاهِ^(٢)

وينفخ روح الأمل ويذكي جذوة الكفاح في أمته وهي ترزح تحت أعباء
الاستعمار: [المتقارب]

إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الحَيَاةَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ القَدْرُ
وَلَا بُدَّ لَيْلٍ أَنْ يَنْجَلِيَ وَلَا بُدَّ لِلْقَيْدِ أَنْ يَكْسِرَ^(٣)

إنها أمثلة قليلة من الكثير الموجود في كتب الأدب والدواوين الشعرية، تكفي ليحكم على الأدب العربي بأنه خلال هذا الفترة كان "يعبر عن وعي الأمة العربية وأصبح وجهها من وجوه النضال، فاذا ما طالب الشعب بالحرية وقام مناضلا في وجه المستعمر كان الأدب أول عدة من عدد النضال"^(٤).

(١) هو أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي (١٩٠٩ - ١٩٣٤م) شاعر تونسي. في شعره

نفحات أندلسية مات شابا بمرض القلب له ديوان شعر مطبوع. بتصرف، من: معجم تراجم الشعراء الكبار، ج ١، ص ٣٢

(٢) قصيدة "إلى طغاة العالم"، ديوان أبي القاسم الشابي، بتقديم وشرح الأستاذ أحمد حس،

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ١٦٠

(٣) المرجع نفسه، قصيدة "إرادة الحياة"، ص ٧٠

(٤) الأدب العرسي من الانحدار إلى الازدهار، الدكتور جودت الركابي، دار الفكر بدمشق،

ط ١٩٨٢م، ص ٢٩٦

وظلت مؤاخذه الحكام الشعرية بهذه الصراحة والبسالة والشجاعة مستمرة طيلة القرن العشرين، والمآسي التي ارتكبتها الحكام في حق الشعوب في عهود مختلفة لها انعكاس مؤلم في شعرهم، وهاجموا حكاهم بأنهم مفتصبون وظالمون، وفي مهاجمتهم هذه جرأة وتحذ وتمرد، وبناء على ذلك لا يكون حكم الباحث متعسفا إذا قال إن "الأدب العربي اليوم بجميع ألوانه قد ترك الزلفى والسلطان ليتجه إلى خدمة الأمة ولم يعد أدبا بعيدا عن الإنسان وإنما أخذ يشاركه مشاركة فعالة بآماله وعواطفه وحركاته الوطنية والاجتماعية"^(١).

"والمنطقة العربية مضروبة في عمقها بجذور من الأفكار القاتلة، لكن روح الثورة التي سرت فيها نقضت تماسك أعظم تلك الجذور للاستبداد والاستعباد، ونشرت بذور الحرية والكرامة، فكان الربيع العربي، ربيع يتيح برعاية بذور الحرية والكرامة الفرصة للمبادرين لتفكيك الأفكار القاتلة، وغرس الأفكار الباعثة لإنسان النهضة"^(٢) وكان لبعض الشعراء العرب فضل كبير في إشعال نار الثورة وإخراج الشعر المأسور في بهو القصور وتقريبه إلى الشعب وريادة في منح هذا اللون صبغة شعبية حرة ونستطيع أن نقول -دون تعسف- إن الشعر العربي الحديث لم يعد وسيلة لهو وأداة تسلية للحكام.

المقاومة في الأدب الأردني

ولعل الأدب الأردني نشأ منذ بدايته في أحضان المقاومة، فمولده ومنشأه في طلال من الكبت السياسي والشعور بالسلب والحرمان والقسر^(٣) وينظرة سريعة على حركة تحرير الهند يبرز دور عدد كبير من الأدباء والشعراء بكل وضوح، ولاشك في أن العصر الذي اندلعت فيه حركة التحرير في الهند أخصب فترة للأدب الأردني بعد ما أحاط بمسلمي الهند يأس شديد بسبب هزيمتهم السياسية في المنطقة، وطلع في هذه الفترة على سماء الأدب أسماء بارزة نفخت روح الحرية والكفاح في الشعب الخامل المهزوم، وهذا

(١) الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، ص ٣٢٤

(٢) ترتيب العقل التوري، نواز عبدالباري مشعل، نسخة إلكترونية، دار ناشري للنشر الإلكتروني.

www.nashiri.net، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ١٢

(٣) "مراثي أوب"، (الأدب المقاوم)، بالأردية، ترتيب: الدكتور رشيد أحمد، "أكادى ادبيات باكستان"

(أكاديمية الأدب باكستان)، "انجمن ترقى اردو پاکستان"، سنة ١٩٩٥م، ص ٢٥

أمر طبيعي، فلا يمكن الإنكار لأهمية الكلمة والأدب في حركات التحرير.^(١) بالإضافة إلى ذلك واجه الأدب الأردني الاستعمار الغربي وحركات التغيير وظهرت الصحافة الأردنية قوية صلبة لا تلين، وظهر أدباء عظام واجهوا الغزو الثقافي الغربي بأقلامهم فأبْلَوْا بلاء حَسَنًا.^(٢) أما بعد إنشاء باكستان سنة ١٩٤٧م، فيمكن للباحث أن يقسم الأدب الأردني لمقاومة الاستبداد إلى عصرين: أحدهما عصر استيلاء الحاكم العسكري الجنرال ضياء الحق العسكري^(٣) سنة ١٩٧٧م وظلت الاستعارات والتشبيهات والرموز هي الوسائل الغالبة للتعبير عن المشاعر في ذلك العصر وذلك لسبب قلة وسائل الإعلام ووجود محاكم حرة، والعصر الثاني هو ما بعد توليه الحكم والذي تغيرت النغمة الشعرية الهادئة إلى لهجة صارخة لاشتداد وسائل الظلم وضيق الجو وشعور الشعراء بالاختناق في تلك الأجواء وحينها ظهر الأدب المقاوم كتيار أدبي مستقل إذ ظهرت أول مجموعة لها. وكانت مقاومة الشعراء والأدباء ضد الحكم العسكري سنة ١٩٧٧م أشد لأنها كانت ثورة على الدستور الذي اتفق عليه الشعب سنة ١٩٧٣م وكان شقيق رئيس الوزراء ذوالفقار علي بوتو^(٤) الجرح الأكبر الذي لم يندمل بعد رغم مضي أربعة عقود.

- (١) بتعديل من مقال: "أدب، أدب، أدب اور عمری ثقافت"، بالأردنية (الأدب والأديب ومتطلبات العصر)، للدكتور صابر حسين جليصري، منشور في مجلة "قوى زبائن" الشهرية الأردنية، تصدر من "انجمن ترقی اردو پاکستان"، العدد ١٢ لشهر ديسمبر، سنة ٢٠١٥م، مجلد ٨٧، ص ٥٤.
- (٢) الأدب الأردني الإسلامي، د. سمير عبد الحميد إبراهيم، إدارة الثقافة والستر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - السعودية، ط ١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٩.
- (٣) رئيس جمهورية باكستان، ولد ١٩٢٤م، هاجر إلى باكستان من الهند، تقلد عديدا من المناصب العسكرية، شارك حربي ١٩٦٥م و١٩٧١م وقام بانقلاب عسكري سنة ١٩٧٧م وإطاحة حكم ذوالفقار علي بوتو وأصبح الحاكم العرفي للبلاد ثم رئيسا للجمهورية في ١٤ أغسطس ١٩٧٨م وقتل في ١٧ أغسطس سنة ١٩٨٨م في انفجار طائرة عسكرية في باكستان باختصار من: تنمية الإعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ١٧٣ و ١٧٤.
- (٤) مؤسس ورعيم حزب الشعب الباكستاني، تولى منصباً وزارياً في عهد أيوب خان، وأسندت إليه رئاسة الوزراء إثر الانفصال بين ١٩٧١م و١٩٧٧م. وفي يوليو ١٩٧٧م عزل عنها باستيلاء الجيش على الحكم بقيادة الجنرال ضياء الحق، وأعدم في ٤ فبراير ١٩٧٩م. باختصار من المرجع السابق، ص ١٧١.

والجدير بالذكر أن لشعراء حركة التجديد الأدبي دورا كبيرا في كشف العدوان الاجتماعي ورفع صرخة احتجاجية على انتهاكات حقوق العمال والفلاحين والمرأة وغيرهم من الطبقات الضعيفة باسم الدين والدفاع والتقاليد المحلية المتعسفة^(١) وكانوا أكثر شعراء الأردنية حظا في باب المقاومة، وموضوعات قصائدهم في أغلب الأحوال غير ثابتة مثل الانقلاب والحرية ولذلك يتسم هذا النوع من الأدب بالتشابه والتقارب^(٢) كما تجلّى تأثير النزعة الشيوعية الماركسية بوضوح في الأدب الأردني في النصف الثاني من القرن العشرين.^(٣)

الوضع السياسي للعالمين العربي والأردني في النصف الثاني من القرن العشرين

منحة أدب المقاومة ولدت من محنة الاستبداد والواقع المرير الذي ساد البلاد خلال عهد الاستبداد، فأخيرا وقبل الخوض في صلب الموضوع يجب الإلمام بالأوضاع السياسية للعالمين العربي والأردني في النصف الثاني من القرن العشرين وهذا يدفعنا إلى فهم أسباب وبواعث الشعر الذي هو موضوع هذا البحث والقضايا التي تجلّت فيه وشدة المعاناة التي تحملها الجمهور وكان شعر المقاومة تعبيرا عنها

أما البلاد العربية في بداية القرن العشرين فكانت معظمها تعيش إما تحت ظلال الاستعمار البريطاني أو الفرنسي أو تحت أنظمة مدعومة من الاستعمار، وكانت بداية القرن بضم الاستعمار دولا جديدة إلى إمبراطوريتها وظلت البلاد العربية في النصف الأول من القرن العشرين تحارب الاستعمار أو من تسلط بمعونة الاستعمار، وتتلّى هذه الفترة بمحاولات ثورية وانقلابات عسكرية ضد القوى الاستعمارية، ذهبت ضحيتها آلاف من النفوس البريئة وضعفت بطشة القوى الاستعمارية الكبرى بها بعد الحرب

(١) "أدب الأدب في مختصر تاريخ"، بالأردنية (الموجز في تاريخ الأدب الأردني)، للدكتور سليم

أختر، "سك ميل بلشرز، لاهور"، ط ٢٠١٥م، مجلد ٨٧، ص ٤٣٦

(٢) "نعيم صدقي: علمي وأدبي خدمات"، بالأردنية، (نعيم صدقي: جهود العلمية والأدبية)، الناشر:

اداره مطبوعات سليمان، لاهور، سنة ٢٠١١م، ص ١٤٤

(٣) "باكستاني ادب، ٢٠٠٩"، بالأردنية، (الأدب الباكستاني في عام ٢٠٠٩م)، ترتيب: فريده حفيظ،

الناشر: أكاديمي ادبيات باكستان (أكاديمية الأدب باكستان)، سنة ٢٠٠٩م، ص ٢٥

العالمية الثانية التي أنهكتها وكانت بداية تراجع الاستعمار عن الدول المحتلة بعد ما أقامت أنظمة وحكومات تحافظ في غيابها على مصالحها.

وفي أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين بدأت قيود الاحتلال تضعف وتكسر، وبدأ تاريخ جديد ومرحلة جديدة من الانقلابات والثورات في العالم العربي، فمصر مثلاً تحررت من الاستعمار البريطاني سنة ١٩٢٢م وأصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ثم حكمتها الأسرة العلوية لثلاثة عقود وأخيراً بعد ثورة يوليو في عام ١٩٥٢م وبعد إطاحة الملك فاروق^(١) دخلت عهداً جديداً سنة ١٩٥٣م^(٢)، واليمن حيث أقامت الأسرة المتوكلية مملكتها منذ سنة ١٩١٨م إلى أن سقط عرشها بعد ثورة ١٩٦٢م فتحوّلت اليمن الملكية^(٣) إلى اليمن الديمقراطية^(٤)، والعراق الذي تخلص من العهد الملكي الهاشمي سنة ١٩٥٨م بعد ثورة عسكرية^(٥).

فالنصف الثاني من هذا القرن عبارة عن صراعات وانقلابات وثورات وحروب واشتباكات وأزمات كما يشير بقيام حكومات تبنت تسميات ديمقراطية أو شعبية أو جمهورية في أكثر البلاد العربية دون أن يخفف هذا التغيير من معاناة العرب، وكانت ليلتهم أشبه بالبارحة بل أقسى منها، فلم تتحقق آمال الناس، وحلت عهود استبدادية

(١) فاروق بن أحمد مؤاد بن إسماعيل (الخديوي)، آخر من حكم مصر من أسرة محمد علي، وأحر من لقب بالملك فيها، ولد في القاهرة سنة ١٩٢٠م، خلف أباه ملكاً على مصر سنة ١٩٣٦م وأرغمته ثورة ١٩٥٢م على خلع نفسه، تم إقام في رومة وتوفي هناك سنة ١٩٦٥م. بتعديل من: الأعلام لخير الدين الزركلي، الجزء الخامس، ص ١٢٨

(٢) التاريخ الإسلامي، التاريخ المعاصر، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ١٧، ص ٣٤ وما بعدها

(٣) الحكومة الملكية هي التي يتولى فيها رئيس الدولة منصبه عن طريق الوراثة ولمدة غير محدودة باعتبار أن العرش حق ذاتي له تقتضى نسله سواء سمي رئيس الدولة ملكاً أو أميراً أو سلطاناً أو إمبراطوراً. الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، ص ١٩٩

(٤) باختصار من: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، إعداد: الدكتور إسماعيل أحمد يباي ومحمود شاكر، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج ١، ص ٧٩ وما بعدها

(٥) التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، ج ١١، ص ٣٠ وما بعدها، وانظر كذلك: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج ١، ص ٢٠٤ وما بعدها

محل الاستعمار، وتسلبت على رقاب الناس حكام أحكموا سيطرتهم وعاملوا إخوانهم معاملة الرق والعبيد وظل الدم العربي يسيل ويسال في هذه الفترة دون ثمن ودون سبب. فعصور الاستبداد المحلي هي مرحلة ثانية من معاناة العرب الذين لم يستريحوا بعد من إرهاب فترة الاستعمار.

فظل العالم العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين مضطرباً كان من ظواهره البارزة انشقاق الصفوف العربية وتربع حكام مستبدين على عرش الحكم لفترات طويلة وتسلب طوائف وأسر خاصة تسوق الشعب كما تشاء وفقدان دستور يعمل به وفق روحه وعيش الفرد العربي الحر في ظلال من الخوف والذعر وسلب حق حرية التعبير عن الرأي وثورات فاشلة وأخرى ناجحة من أجل تحقيق الأحلام الضالة. كل ذلك أثر على نفسية الفرد العربي وتجلت مآسيها في الشعر العربي أشد الوضوح وخلف لنا مآسي فردية واجتماعية مؤلمة صورها الشعراء الأحرار في قصائدهم الحرة وظلت مأساة الأمة العربية خلال هذه الفترة مزدوجة فإنها من جهة تعاني وجود عدو محتل بصورة إسرائيل على صدره ومن جهة ثانية تتحمل قهر حكامها المستبدين وقسورهم.

أما باكستان، فقد أنشئت في منتصف القرن العشرين سنة ١٩٤٧م وكانت مركز آمال للملايين المسلمين الذين عاشوا حياة النذل والهوان منذ سقوط الدولة المغولية، وشهدت أثناء إنشائها مجزرة آلاف من المسلمين على أيدي الهنادكة والسيخ كما واجهت مشكلة المهاجرين القادمين نحو البلد الجديد تاركين وراءهم كل ما يملكون من متاع وأثاث ومن سوء الحظ لم يمنح القدر فرصة طويلة لمؤسسها محمد علي جناح^(١) ليحقق ما حلم به المسلمون وهم يعبرون بحارا من الدم والنار من أجله. توفي جناح سنة ١٩٤٨م

(١) محمد علي جناح (١٨٧٦ - ١٩٤٨م) مؤسس دولة باكستان الإسلامية بعد انفصالها عن الهند، ولد بكراتشي، محام قاد حزب الرابطة الإسلامية بعد تركه لحزب المؤتمر الهندي وركز على إعطاء دور أكبر للمسلمين في الحياة السياسية الهندية ثم سادى بالاستقلال التام عن الهند. اعتبر الزعيم الأول للرابطة الإسلامية. توفي بعد سنة من إنشاء باكستان في ١١ من سبتمبر سنة ١٩٤٨م بتصرف من: أشهر القادة السياسيين، إعداد تركي صاهر، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٩٢م، من ص ٤٥ وما بعدها. وانظر: التاريخ الإسلامي، ج ١٩، ص ٤٨، وانظر: اسلامي النايكليري يا، بالارديسة (الموسوعة الإسلامية)، سيد قاسم محمود، القبصل، لاهور، ط ٨، ٢٠١٠م، ص ١٣٢١ وما بعدها.

والدولة الوليدة تعاني من مشاكل باهظة على رأسها المشكلة المالية ومشكلة المهاجرين وعدم توفر دستور لتسيير الأمور. ومنحت وفاة القائد الأعظم في هذه الأوضاع القاسية وقبل أن يوضع دستور قومي ثم استشهاد لياقت علي خان^(١) بعده بفترة قليلة فرصة سانحة لذوي الرغبات الشخصية من السياسيين والضباط العسكريين ليستغلوا ثروة البلاد لمصالحهم الشخصية وظلت القيادة العسكرية تحاول توجيه المجرى السياسي نحو أهداف خاصة^(٢) كما دبرت مكاييد دولية ضد هذه الدولة الوليدة لجعلها دولة فاشلة فسلطت عليها حرب بعد أخرى في فترة قصيرة جدا.

وزاد الوضع سوءا القرارات القضائية المتعسفة الصادرة من المحاكم الباكستانية والتي منحت للجيش الباكستاني رخصة مطلقة لاحتلاله كرسي الحكم ومهدت السبيل لانقسام البلد إلى جزئين في السنوات القادمة، ومن الطبيعي أن الظلم لا يلد إلا ظلما^(٣) فتركت المآسي الوطنية التي شهدتها البلاد في الحكمين العسكريين الأول والثاني^(٤) أثارا مرة على ذاكرة الشعب لم تندمل جروحها رغم مضي عقود أشقها انفصال البلد إلى جزئين سنة ١٩٧١م ووقوع تسعين ألف جندي باكستاني في بطشة العدو اللدود أسرى.

(١) هو زعيم سياسي باكستاني من مؤسسي الدولة، ولد في أكتوبر ١٨٩٥، وقيل: ١٨٩٦م، بمدينة كارسال، شرق البنجاب درس من جامعة عليكرة في الهند، وجامعة أكسفورد في المملكة المتحدة قام لياقت علي خان بمساعدة محمد علي جناح في حملته التي طالبت بإنشاء دولة مستقلة للهندوس المسلمين، وكان أول من يشغل منصب وزير الدفاع ووزير المالية في الهند، ثم شغل منصب أول رئيس وزراء لباكستان، ونمت شعبيته وفوزه بعد وفاة محمد علي جناح. وكانت سياسته الخارجية منحازة للولايات المتحدة والغرب. واجه خلال فترة تواجده في الرئاسة العديد من حركات الاضطرابات الداخلية كما مجت حكومته من محاولة انقلاب دبرتها حركات يسارية وشيوعية. استشهد ١٦ أكتوبر ١٩٥١م أثناء اجتماع سياسي حاشد في مدينة راولبندي. انظر: Indian Muslims & partition of India, by S.M Ikram, Atlantic publishers & distributors, New Delhi, India, 1992, page 472-493

(٢) تاريخ سے کچھ نہیں لکھا، بالاردية (لم نتطع شيئا من التاريخ)، محمد أصغر خان، أوكسفورد، ط ٢، ٢٠٠٥م، ص ٧ و ٨

(٣) "جمہوریت کے شہداء اور غازی"، بالاردية (الشهداء والغزاة في سبيل الديمقراطية)، داؤد أحمد،

نئی روشنی پبلی کیشنز آف پاکستان، ملتان، یو یو ٢٠١١م، ص ٣٥

(٤) كان أول انقلاب عسكري بقيادة أيوب خان وامتد من ١٩٥٨م إلى ١٩٦٩م وكان الثاني بقيادة الجنرال ضياء من ١٩٧٧م إلى ١٩٨٥م

وكان من أسباب انشقاق البلد تفاوت المستوى الاقتصادي والاجتماعي بين سكان الجزئين^(١) ومعاملة التجار والصناع والضباط المسؤولين الرسميين من الباكستان الغربية بسكان البنغال بباكستان الشرقية - إذ نظروا إليهم نظرة احتقار ودناءة وكأنهم مواطنون بدرجة ثانية^(٢) ولعل دور تفاوت الوضع المالي والمستوى الاقتصادي في انفصال الباكستان عن الهند ثم في انفصال البنغال عن الباكستان كان أكثر وأقوى من دور أى نظرية دينية أو سياسية أو مواهرة دولية.^(٣)

ويلغ الأمر منتهى القساوة بالحكم العسكري سنة ١٩٧٧م وبإطاحة رئيس الوزراء والزعيم السياسي ذوالفقار علي بوتو وشنقه صباح ٤ أبريل ١٩٧٩م،^(٤) وضاعت أرض الوطن على المعارضين لوأد الحركة المعارضة للحكومة العسكرية فأُسِرَ آلاف من الزعماء والناشطين السياسيين وتلقوا أنواع التعذيب المختلفة من الجلد والأسر والحبس والنفي والصلب، كل ذلك علنا وعلى الشوارع ليكون عبرة للآخرين.^(٥) وظل أمر البلاد السياسي مضطربا بتدخل الجيش الباكستاني وعزله الحكومات الشعبية وتوليها زمام الحكم على إكراه وشهد البلد انقلابا عسكريا ثالثا سنة ١٩٩٩م بعد إطاحة حكومة ديمقراطية متحبة.

(١) "پاکستان کے سیاسی حقائق"، بالأردية (الحقائق السياسية لباكستان)، اطهر نديم، "بک ہوم"،

لاہور، ط ٢٠٠٦م، ص ١١٣

(٢) "مسلم لیگ کادور حکومت"، بالأردية (العهد الحكومي لحزب الرابطة الإسلامية)، للدكتور

صفدر محمود، "سنگ میل پبلشرز، لاہور"، ط ٢٠١٤م، ص ٢٢٦

(٣) "پاکستان کیسے بنا؟"، بالأردية (کیف تأسست باكستان)، زاہد شوہدری، ادارہ مطالعہ تاریخ،

لاہور، ط ٢٠١٢م، ص ١٥

(٤) Benazir Bhutto, daughter of the East، بالإنجليزية (بیناظیر بوتو: بنت الشرق)، بیاطیر

بوتو، الناشر: ہیمش ہملن، الولايات المتحدة، ١٩٨٨م، ص ٣

(٥) "اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ"، بالأردية (الموجز في تاريخ الأدب الأردی)، للدكتور سليم

أختر، "سنگ میل پبلشرز، لاہور"، ط ٢٠١٥م، مجلد ٨٧، ص ٤٣٦

ورغم أن "للعلماء منزلة عظيمة في قلوب الجماهير وأنهم هم الحكام على الحقيقة فهم أمراء الأمراء وهم قدوة الحاكم والمحكوم"^(١) إلا أن "الحكم العسكري الثاني اختلف عن الحكم العسكري الأول بمساعدة ومشاركة أغلبية الأحزاب الدينية في سلطة الحكم المستبد بشكل وزارات ومناصب رسمية"^(٢) الأمر الذي خلق نوعاً من الفجوة بين الشعراء والطبقة الدينية وتجلت آثارها بشدة في الشعر المقاوم.

ونظرة سريعة على الأحداث السياسية الباكستانية تخبر بأن البلد عاش لمدة مديدة تقارب نصف عمرها تحت الحكم العسكري وكان ذلك أكبر سبب في الاضطراب السياسي المستمر وتخلّفها عن بقية البلاد المجاورة. وإطاحة الجيش بالحكومات المنتخبة ومحاولاته لإبعاد القادة السياسيين الحقيقيين عن مسرح السياسة ونصب دمي سياسية مقامهم وتسلبت أسراً على مناصب الحكم وتلاعبه بالدستور الذي اتفق عليه الشعب سنة ١٩٧٣م ثم أعمال العنف باسم إقامة الحدود الشرعية كان ضحيتها المعارضون للحكم العسكري كل ذلك هيأ موضوعات مؤثرة وحية لشعراء مقاومة الاستبداد فرسموا مآسي هذه الفترة رسماً مؤثراً قوياً.

ومن أهم الموضوعات التي تجلست في القصائد الأردنية في تلك الفترة جروح أعمال العنف وقت إنشاء باكستان ومعاناة الهجرة واضطراب النظام السياسي وتتابع عهود الاستبداد العسكرية^(٣) ويعتبر الحكم العسكري لسنة ١٩٧٧م وشنق بوتو أكبر عامل في ظهور أعمال جديدة أدبية نثراً وشعراً تعجز مجلدات عن ضمها.^(٤) فمهما اخترع من تأويل لتبرير الحكومات العسكرية فلا مفر من حقيقة ثابتة وهي أن "إصلاح المجتمع عملية

(١) أهل الحل والعقد صفاتهم ووطناتهم، د عبدالله بن إبراهيم الطريقي، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ص ٣٧

(٢) "الكث، جمهوريت، مارشل لاء"، (الانتخابات والجمهورية والحكم العسكري) بالأردنية، أفضل توصيف، نكاشات، لاهور، ندوة الطبع، ص ٨٢

(٣) من مقال "پاکستانی ادب، مباحث اور رجحانات"، (الأدب الباكستاني: تياراته وميوله)، بالأردنية، للدكتور غفور شاه، منشور في مجلة "جديد ادب" الأردنية، عدد ٤، يوليو إلى ديسمبر ٢٠٠٥م، ص ٤٠

(٤) من مقال "پاکستانی ادب کے نمایاں رجحانات" "أبرز ميول الأدب الباكستاني"، بالأردنية، للأستاذ رشيد أمجد، منشور في مجلة "جديد ادب" الأردنية، عدد ٦، يوليو إلى ديسمبر ٢٠٠٦م،

حساسة ومعقدة في وقت واحد، قد يزيد استخدام القوة والعصا الأحوال الفاسدة فساداً فلا يمكن الإصلاح بالحكم العسكري في أي حال من الأحوال، وثبت أن اللجوء إلى الحكم العسكري -ولو بإرادة إيجابية- كان خطوة فاشلة^(١) لأن الحكم العسكري يسعى في أول فرصة لتقليب الأمور في كل مجال بشكل سريع وتطبيق إصلاحات غير أن الأمر لا يدوم إلا لفترة قليلة ثم تنقلب الأحوال من السيئ إلى الأسوأ للاضطراب الناتج بهذه الإصلاحات التي لا يسبقها تخطيط أو تفكير^(٢).

ولمأساة الاستبداد الجاثم على أرض البلاد الإسلامية جانب آخر، وهو البون الشاسع فيما يتعلق بسلوك الحكام وفكر العوام، ولا فرق بين العالم العربي والشعب الباكستاني فيه فـ"إن العالم الإسلامي حائر بين شعوب مسلمة بسيطة في عقليتها ودينها وحكومات لم تشرح صدور رجالها لهذا الدين ولم تطاوعهم نفوسهم على العمل به ولكنهم يصرون على أن يحكموا هذه الشعوب التي تؤمن بهذا الدين، ولا يرون حياتهم وشرفهم إلا في البقاء في الحكومة، ولا يرون محلاً في الحياة إلا الزعامة والحكومة، ولا موضوعاً في العالم إلا المجتمع الإسلامي الذي ولدوا ونشأوا فيه، فالشعوب في تعب منهم وهم منها في بلاء وعناء"^(٣). ولا يلد هذا التفاوت الفكري والتباعد الفعلي إلا ثورات واضطرابات لأن "العالم الإسلامي حائر بين شباب ثائر ودم فائر وذهن متوقد وأزهار تريد أن تفتح، وبين قيادة شائخة شائبة قد أفلست في العقلية والحياة، وحرمت الابتكار والإبداع والشجاعة والمغامرة"^(٤).

(١) تعديّل، "پاکستان میں آئین کی تدوین"، (تدوین الدستور الباكستاني)، مالاردية، للأستاذ

خورشيد أحمد، مكتبة معاوية، كراتشي، ط ١، بدون سنة الطبع، ص ٢٥٦ و ٢٥٧

(٢) "شہاب نامہ"، (ذکریات شہاب)، بالاردية، قدرت الله شہاب، سٹک میل پبلی کیشنز، لاہور،

ط ٦، ٢٠١٥ م، ص ٥٠٧

(٣) الإسلام والحكم، لأبي الحسن الندوي، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع،

القاهرة، مصر، ط ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ص ٧

(٤) المرجع نفسه، ص ٨

الباب الأول

مقاومة الاستبداد لدى الشعراء العرب في النصف الثاني من القرن العشرين

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول:

شعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء العرب
في النصف الثاني من القرن العشرين

الفصل الثاني:

تحليل السمات الموضوعية والفنية
لشعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء العرب



الفصل الأول

شعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء العرب
في النصف الثاني من القرن العشرين

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشاعر محمد محمود الزبيري (من اليمن)

المبحث الثاني: الشاعر هاشم الرفاعي (من مصر)

المبحث الثالث: الشاعر أحمد مطر (من العراق)



المبحث الأول الشاعر محمد محمود الزبيري (من اليمن)

يعتبر الشاعر اليمني أبو الأحرار محمد محمود الزبيري^(١) أعلى صوت ثوري ضد الاستبداد الذي حل بأرض اليمن. قضى حياة مليئة بكفاح سياسي مصحوبة بمقاومة شعرية مؤثرة. وقف معظم شعره لقضيته الكبرى: حرية بلاده وشعبه، فأوجد لنفسه مكانة متميزة في الشعر العربي اليمني،^(٢) وهو رائد الحركة الإصلاحية اليمنية وداعية السلام والحرية والعدالة في تاريخ اليمن المعاصر.^(٣) علق اسمه بذاكرة التاريخ مقرونا بأول معارضة لحكم الإمامة في اليمن ثم انقلاب ١٩٤٨ م وبأول عمل صحفي حر في اليمن ثم إحداث انقلاب ١٩٥٥ م.^(٤)

وليس الزبيري شاعرا فحسب ولا هو مناضل فحسب بل هو كذلك صحفي وزعيم وطني وروائي وكاتب وشهيد.^(٥) عارض الحكومة اليمنية، فانتقل إلى عدن، ولما قامت الثورة الدستورية سنة ١٩٤٨ م، تعين وزيرا للمعارف، وعندما سقطت الثورة بقي مطاردا في

(١) محمد بن محمود الزبيري، سياسي، شاعر ناثر، من صنعاء، ولد سنة ١٩١٠ م، وله ديواوين، وهي: "ثورة في الشعر" و"صلاة في الجحيم"، و"نكتة ظلام". اغتيل سنة ١٩٦٥ م، انظر: معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، (النسخة الإلكترونية) لمحمد خير رمضان يوسف، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ٧٠٨

(٢) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، إعداد: هيئة المعجم، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط ١، ٢٠٠٨ م، ج ١٩، ص ٩٣

(٣) انظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، إبراهيم أحمد المحففي، دار الكلمة للطباعة والنشر التوزيع، صنعاء، الجمهورية اليمنية والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م، ج ١، ص ٧٣٦

(٤) تعلم في دارالعلوم بالقاهرة، أسر في عهد الإمام يحيى، وأصدر صحيفة "صوت اليمن" داعيا إلى الثورة حتى قتل الإمام يحيى سنة ١٩٤٨ م إلا أن أنه الإمام أحمد قضى على الثورة فرحل إلى مصر عين وزيرا بعد ثورة ١٩٦٢ م ثم نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للتوجيه والإعلام واستقال من كل هذا واعتزل العمل. قتل في الشمال الشرقي على يد قاتل مجهول. يتصرف من: الأعلام، لحير الدين الزركلي، ج ٧، ص ٩١. وانظر كذلك: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص ٧٣٦

(٥) ديوان الزبيري لمحمد محمود الزبيري، مقدمة الدكتور عبدالعزيز المقالح، دار العودة، بيروت،

الباكستان وغيرها ولما قامت الثورة المصرية انتقل إلى مصر واستأنف النضال، حتى قيام الجمهورية، واغتيل سنة ١٩٦٥ م.^(١)

”تفردت قصائده المدافعة عن المظلومين المنددة بالظالمين“^(٢) وعظمته تتمثل في الذوبان الكامل في الوطن وربط مشاعره بمشاعر شعبه حتى نال شعره من الذبوع والانتشار وفي فترات الظلم والاضطهاد بصفة خاصة ما لم ينله شعر شاعر معاصر، ورغم مضي سنوات من استشهاده فما زال صوته يتردد عاليا كالنهر يشق طريقه في أعمال الأجيال الطالعة.^(٣)

يعتبر الزيربي شاعرا إسلاميا^(٤) ومن أجل شعراء ركب المقاومة، قال قصائد رائعة أثارت حماس الجمهور وحفيظة المستبدين في وقت واحد، كما وقف عمليا مواقف بطولية ليرد العزة المسلوبة إلى كل يمني، وقدم لأهل اليمن مثالا عاليا للكفاح والنضال، كما أحدث انقلابا روحيا في أعماق الجماهير بعد إيقاظهم من سبات عميق.

يصور شعره المقاوم صورة اليمن في تلك الفترة وخاصة من الأربعينيات إلى الستينيات من القرن الماضي كما يكشف عن أحوال حياته المغامرة التي انتهت باغتياله. وهو يدرك أهمية دوره وما يحدث شعره من أثر بالغ في نفوس المستبدين وفي الوقت نفسه يخفف آلام المضطهدين: [مجزوء الكامل]

أَنَا شَـوْكَةٌ فِي حَلَقِ
طُغْيَانٍ يَمُوتُ لَهَا أَنْيْنُ
أَنَا بَلْسَمٌ أَبْدَأُ أَسْرِيرُ
مِنْ الْجَحْرِ يَحْمِلُ إِلَى الطُّغْيَانِ^(٥)

(١) الأعلام، ج ٧، ص ٩١

(٢) معجم الباطين لشعراء العربية، ج ١٩، ص ٩٣

(٣) بتصرف، مقدمة ديوان الزيربي، عبدالعزيز المقالح، ص ٤٧

(٤) علاقة الأدب بشخصية الأمة لعبد الرحمن بن صالح العثماوي، مكتبة العبيكان، ط ١، سنة

٢٠٠٢ م، ص ٥٤

(٥) قصيدة متاب وعتاب، ديوان ثورة النمر، ص ١٧١

وكان الشاعر محمد محمود الزبيري في مقدم ركب القافلة التي هبات الأجواء ومهدت السبل لقلع جذور حكم الأسرة الإمامية وإقامة حكومة ديمقراطية على أرض اليمن. تحدى الزبيري علنا السلطة اليمنية القاهرة المتألهة في عنفوان قوتها ونفوذها الرهيب وبذل في سبيل ذلك النضال حياته كلها من الصراع والآلام والتشرد والغربة غير مبال بالمخاطر الرهيبة ومؤمنا بأن الحرية نعمة ربانية للخلق جميعا، ولا يحق لأحد أن يسلب حرية إنسان بأي دليل وأذاب الزبيري حقا حياته في شعره كما ذاب شعره في حياته حتى لا يمكن الفصل بينهما.^(١) وأخرج اليمن من عزلتها وأزمتها بشعره وبكلمته، رافضا كل أنواع العروض والمغريات لأنه يؤمن بأنه: [البسيط]

وليس يُجدي دَفِينَا، أنْ حَفَرْتَهُ
مُزْدَانَةَ طَفَحَت بِالعُطَر والعُود^(٢)

ينم شعره على الرجاء والعزيمة الثابتة والإرادة الصادقة والنية السليمة. ولعل شعره الذي فاض بأفكاره الحرة الثورية وأثر في أعماق الشعب اليمني البئيس فأثاره من سباته العميق وكذلك حياته المليئة بالكفاح العملي وتضحياته بشكل السجن والنفي والاستشهاد وصموده أمام السلطان الجائر في أحلك الليالي وأشدّها اسودادا لعل كل ذلك يسوغ للباحث أي بحث أن يضع اسمه على رأس قائمة شعراء اليمن الثوريين والمقاومين. واختياره طريق المقاومة لم يك عفوا بل كان بإرادة منه وقصد وهو واع لخطورة الأمر وصعوبة المعاملة، وليس من شيمة العباد الأحرار الخضوع للمتجبرين والرضى على التهاون والحياة تحت سيطرة الطغاة: [المتقارب]

أنفنا الإقامة في أمّة
تُداس بأقدام أربابها
وسرنا لنقلت من خزنها
كرامها، ونخلص من عابها

(١) مقدمة ديوان الزبيري، ص ١٣

(٢) قصيدة إلى التهيد الموشكي، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٢٨٨

وكم حية تنطوي حولنا فَنَسْلُ مَنْ بَيْنَ أُنْيَابِهَا^(١)

ولكون شعره سجلاً تاريخياً ووثيقة قيمة للعصر الذي قيل فيه يقتضي وقفة طويلة لمعرفة حقائق أدبية نافعة. فديوانه "ثورة الشعر" و"صلاة في الجحيم" لهما وسداهما من المقاومة والثورة على الشقاء والاستبداد اللذين عانى منهما اليمن في العقود الثلاثة المتوسطة من القرن العشرين. ويضم ديوانه تلك القصائد الثورية التي قوض بها أركان دولة جابرة قالها جذورها وقالبا سقفها على عرشها بعد محاولات شعرية سابقة بهدف الإصلاح والتذكير. وكفى عناوين ديوانيه "ثورة الشعر" و"صلاة في الجحيم" دليلاً على ما يحتويانه من المضمون والرسالة والحرفة واللوعة والثورة، زد على ذلك عناوين القصائد التي ضمهما الديوانان، فالعناوين مثلاً "بوادر الثورة" و"خطبة الموت" و"مصرع الضمير" و"صرخة إلى التائبين" و"الأمن الزائف" و"كفر وإيمان" و"مثاب وعتاب" و"هل يخاف الشعب من نفسه" و"إلى وطني" و"هل من مزيد" و"شعب متربص" و"لا تحرقونا بنارككم" كل هذه العناوين تشكل في أول وهلة جوا مليئاً بصور ومناظر ومواقف اضطهاد الحكام وأساليب حكمهم الحائر وبؤس الفقراء وشقاء الأبرياء وتعذيب اليمنيين الأحرار ويقابلنا فيها الشاعر كبطل يركب مخاطر المعركة دون مبال بهول المناظر.

وثورته العلنية على الطغيان والاستبداد متكررة في ديوانه بأساليب مختلفة، فيكررها في قصيدة "كفر وإيمان" قائلاً: [المتقارب]

تَمَرَّدُ قَلْبِي عَلَى الظَّالِمِينَ
وَدُنِيَاهُمْ الْفُظْظَةُ الْغَائِيَّةُ^(٢)

وفي نفس القصيدة يجدد إعلان حربه على الطغيان قائلاً: [المتقارب]

كَفَرْتُ بِعَهْدِ الطُّغَاةِ الْبُغَاةِ
وَمَا زُخْرَفُوهُ وَمَا زَيَّفُوهُ

^(١) قصيدة نهاية التجربة، ديوان ثورة الشعر، ص ٩٩

^(٢) قصيدة كفر وإيمان، المرجع نفسه، ص ١٠٣

وَأَكْبَرْتُ نَفْسِي عَنْ أَنْ أَكُونُ
عَبْدًا لَطَاغِيَّةٍ تَوَجَّهَ
وَعَنْ أَنْ يَرَانِي شُعْبِي الَّذِي
يُعَذِّبُ عَوْنًا لِمَنْ عَذَّبُوهُ
أَأَجْثُو عَلَى رُكْنِي خَاشِعًا؟
لِجَنَّةٍ طَاغِيَّةٍ خَنَطُوهُ^(١)

وتكشف قراءة سريعة في ديوانيه أساليب الحكم التي تبناها الإمام يحيى وابنه أحمد
ويصور واقع المعذبين المرميين في غياهب السجون الإمامية وكما يبدي مشاعر المواطن اليمني
الأبى الحر ويكشف الستار عن الخيل التي احتال بها لإخضاع أعناقهم ويطلعنا على درجة
الشقاء الذي ابتلي به الشعب اليمني في تلك الفترة وجعل شعره وسيلة ليتحدى به استبداد
الحكم الإمامي في اليمن ونجح بشعره في تقويض دعائم حكم الطغاة.

واختلف أمره عن بقية بني شعبه فلم يشأ لنفسه أن يدفن رأسه في المقبرة الموحشة
التي دفن فيها الشعب ويعيش حياة دود القبور والتي تعيش على أكل الجيف وامتصاص
الدماء بل أثر الأثق الأصعب فتمرد على الطغيان والضميم قائلا: [المقارب]

وَتَأْبَى الْحَيَاةَ، إِذَا دُنُسَتْ
بِعَفَفِ الطُّغَاةِ وَإِرْهَابِهِمَا^(٢)

وكانت مقاومة وفاء بالعهد الذي عقده بوطنه الذي حبه فوق حب كل شيء:

[مجزوء الكامل]

أَنَا عِشْتُ فِي شُعْبِي طَوَالَ
الْعُمُرِ تَحْكُمُنِي يَمِينُ
أَعْطَيْتُهُمْ فِي عُنْفِهِمْ
السُّنَّ لِلْوَطَنِ الْأَمِينِ

(١) قصيدة كفر وإيمان، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٤

(٢) قصيدة نهاية التجربة، المرجع نفسه، ص ٩٨

روحى وإن خلقت عبـر
الكنون فى وطنى سـجـين^(١)

وليس شعره يخلو من وظيفة بل يدلي الشاعر بدلوه فى توحيد صفوف الأمة وإحيائها

بشعره : [البسيط]

أصبو إلى أمـتى حباً وأبعثها
بعثاً وأبـنى ذلها بالشعر بُنياناً
أصوغ للعمى منه أعيناً نزعـت
عنهم وأنسجه للصم آذاناً
وما حملت يراعى خالقاً بيدي
إلا ليصنع أجبالاً وأوطاناً
يخاله الملك السقاح مقصـلة
فى عنقه ويراه الشعب ميزاناً^(٢)

وهو من جانب معتز فخور بتأثير شعره ويدرك أهمية ما يقوله : [البسيط]

علت بروحى هـموم الشعب وارتفعت
بها إلى فوق ما قد كنت أبنيه
وخولتني الملايين السبي قـلت
حق القصاص على الجـلاد أمـضيه^(٣)

ومن جانب آخر يدرك ما يوقع شعره من طعنات قاسية فى صدور الطفلة وكيف

يكشف خبث باطنهم ممزقا ستار القداسة عن وجههم : [البسيط]

عندي لشر طغاة الأرض محـكمة
شعري بها شر قـاضى فى نقاضيه

(١) قصيدة "متاب وعتاب" ، ديوان ثورة الشعر، ص ١٧٣ و ١٧٤

(٢) قصيدة إلى وطني، المرجع نفسه، ص ٢٣٢

(٣) قصيدة "رثاء شعب" ، ديوان صلاة فى الحميم، ص ٣٨١

أَدْعُو لَهَا كُلَّ جَبَّارٍ وَأَسْجُدْهُ
مِنْ عَرْشِهِ تَحْتَ عِبَادٍ مِنْ مَسَاوِيهِ
يُحْنِي لِي الصَّبْرُ الْمَعْبُودَ هَامَةً
إِذَا رَفَعَتْ لِي صَوْتِي أَنْادِيهِ^(١)

إضافة إلى دور شعره المؤثر يفتخر بشعره لصدق فحواء والذي يحدث نشوة عجيبة في
الأرواح والأجساد: [البسيط]

كَأَسَا مِنْ الشَّعْرِ لَوْ تَسْقَى الشَّمْسُ بِهَا
تَرْتَحِتُ وَمَشَى التَّارِيخُ سَكْرَانًا^(٢)

وهو متواصل الحرب على الظلم أينما كان، ولا فرق بينه وبين الاستبداد
والاستعمار: [البسيط]

وَأَجْمَعُ الدُّمُوعَ طُوفَانًا أُزِيلُ بِهِ
حُكْمَ الشَّرُورِ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْفِيهِ
أَحَارِبُ الظُّلْمَ مَهْمَا كَانَ طَائِعُهُ
الْبَرَّاقَ أَوْ كَيْفَمَا كَانَتْ أَسَامِيهِ^(٣)

وهو عندما اختار لنفسه حياة النضال والكفاح عالى الهمة رابط الجأش: [المقارب]

سَتَعْلَمُ أَمْتُنَا أَنَّنَا
رَكِينَا الْخُطُوبِ خَائِنَا بِهَا
فَإِنْ نَحْنُ فُزْنَا فَيَا طَائِعَا
تَذِلْ الصُّعَابَ لَطْلَابِهَا^(٤)

(١) قصيدة "رثاء شع" ، ديوان صلاة في الحميم، ص ٢٨١ و ٢٨٢

(٢) قصيدة إلى وطني، ديوان ثورة الشعر، ص ٢٢٣

(٣) قصيدة "رثاء شع" ، ديوان صلاة في الحميم، ص ٢٨٣

(٤) قصيدة نهاية التجربة، ديوان ثورة الشعر، ص ٩٨

وديوانه يقدم لنا صوراً بشعة لألوان التعذيب التي كان يتلقاها بعض الشعب إبان الحكم الإمامي، ومن أبشعها أنه كان "يؤتى أحياناً باليتامى الذين ذبح آبائهم فيرغمهم الجلادون على البصق في وجوه آبائهم وهم جثث مطروحة على الأرض، وأحياناً يرغمونهم على أن يدوسوا هذه الجثث".^(١) ويصور الشاعر الزبيري هذه الصورة البشعة المؤلمة قائلاً:

[المتقارب]

وَذَا لِلْيَتَامَى يَهْزُ السُّيَاطُ
لِتَعْبَثَ بِالْجُثَثِ الرَّاقِدَةِ
وَكَمْ مِنْ وَلِيدٍ خَذَارِ الْحِمَامِ
رَأَى نَفْسَهُ صَافِعاً وَالْإِذَّةَ^(٢)

ويأبى بشدة أي نوع من المشاومة مع الطاغية المستبد الذي أهرق دماء إخوانه ويستنهض المحروم الجائع للكفاح والنضال وتغيير الوضع الذي آمن به بحكم القدر موجهها رسالته التورية إلى الجيل الجديد وثروة المستقبل شباب اليمن ويقرر أن الحياة بدون الحرية والعيش تحت وطأة الاستبداد حياة أدنى من حياة الأنعام درجة: [الرمل]

يَا شَبَابَ الْجِيلِ يَا أَبْطَالَه
أَتَنَامُونَ عَلَى وَخْزِ الْإِبْرِ
أَتَظْلُمُونَ عَيْدَ اللَّعْصَا
أَتُرِيدُونَ لَنَا عَيْشَ الْبَقَرِ^(٣)

وليست ثورته على الطغيان ومقاومته الاستبداد بغرض نيل منافع مادية بل ما هي إلا بحكم الوفاء بشعبه الأبى المارد الذي هو واحد من أبنائه، وهو يوفي بعهده مع إخوانه الشهداء الذين أرواحهم تراقبه وليس الغدر من شيمته وهو شديد الصلة بالكيان الشعبي لا يفارقه

(١) قصيدة كفر وإيمان، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٧

(٢) المرجع نفسه

(٣) قصيدة "افتتاح دار الجمعية اليمنية الكبرى"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٩٣

بأي ثمن وبأي قيمة وكان شخصيته اندمجت في شعبه تماماً وتنازل عن همومه الشخصية
ليشارك شعبه في أفراحه وأتراحه : [المتقارب]

وعِشْتُ مَعَ الشَّعْبِ فِي حُطْبِهِ
الْمَرِيرِ وَالْأَمْسِ الْحَاطَةِ^(١)

وصلة الزبيري بشعبه صلة مزدوجة، صلة التأثر والتأثير، فهو وإن ينتمي إليه غير
راض بوضعه الذي يعيشه ولا يسعى لتغييره : [المتقارب]

أُثِيرَ كَوَامِنَ أَعْمَاقِهِ
وَأَوْقِظَ عِزَّتَهُ النَّائِمَةَ
وَأَغْرَزُو دِيَّاجِيرَ أَغْوَارِهِ
فَأَشْرَفُوا بِهَا الرُّؤْيَا الْحَالِمَةَ
وَأَطْرَدَ أَشْجَارَ كَابُوسِهِ
الرَّهِيْبِ وَأَهْوَالَ الْجَائِمَةِ^(٢)

هو لسان شعبه وترجمانه : [المتقارب]

أَنَا ابْنُ لِسْعِي أَنَا حَقْدُهُ
الرَّهِيْبُ أَنَا شِعْرُهُ أَنَا فُؤُهُ^(٣)

وشعبه - وقد أزهقته عبودية عقود - يحاصره أعداؤه ليقسموا أشلاءه :

[المتقارب]

وَأَمْنَتِ بِالشَّعْبِ حَتَّى وَقَدْ
رَأَى الْوَرَى جُتَّةَ هَامِدِهِ
تَدَاعَى حَوَالِيَهُ أَغْدَاؤُهُ
لِيَقْتَسِمُوهُ عَلَى الْمَائِدَةِ^(٤)

(١) قصيدة "كفر وإيمان"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٣

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٣

(٣) المرجع نفسه، ص ١٠٤

(٤) المرجع نفسه، ص ١٠٦

ومن سنة الله في الأرض أنه يظل المستبد يتعرج في طغيانه فيؤديه تماديه إلى الهلاك،
فالشاعر رغم ضعف حيلة شعبه البائس شديد الإيقان بمصرع الطاغية مهما طال زمنه:
[البسيط]

الشَّعْبُ أَعْظَمُ بَطْشًا يَوْمَ صَخْوَتِهِ
مِنْ قَاتِلِيهِ، وَأَدَهَى مِنْ دَوَاهِيهِ
يَغْفُو لِكَي تَخْذَعِ الطَّغْيَانُ غَفْوَتِهِ
وَكَي يُجَنِّ جُنُونًا مِنْ مَخَازِيهِ
وَكَي يَسِيرَ خَيْثًا صُوبَ مَصْرَعِهِ
وَكَي يَخْرُوشِيكَ فِي مَهَاوِيهِ^(١)

ومحرض الحاكم على جمع الأموال في المصارف بينما يموت الجمهور جوعا وهو لاه
في عالم آخر: [الخفيف]

يَتَبَاكِي تَسْوَلًا بِاسْمِ شَعْبٍ
أَرْضُهُ بِالْكُنُوزِ مَلَأَى غَنِيَّتُهُ
يَجْمَعُ الْمَالَ لِلْجِيَاعِ فَلَا يُشْبِعُ
إِلَّا الْخِزَانَةَ الْمَصْرُوفَةَ^(٢)

ويستبشر ببوارد الثورة الكامنة في أعماق نفس الشعب بعد ما طفح الكيل لديه:
[الرملي]

هَآهوَ الشَّعْبُ صَحَا مِنْ خَطْبِهِ
بَيْنَمَا الطَّغْيَانُ يَسْتَقْبِلُ خَطْبَهُ^(٣)

كما يواجه سهامه الشعرية صوب من كان عون المستبد وسنده في طغيانه، وهي
الطائفة التي تسعى لإقامة حصار منيع حول المستبد يحول بينه وبين شعبه فيقيم في دائرة ضيقة

(١) قصيدة "رتاء شعب"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٨١

(٢) قصيدة "خطبة الموت"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٣٨ و ١٣٩

(٣) قصيدة "بوارد الثورة"، المرجع نفسه، ص ١١٣

وتخذه برسمه عالماً مثالياً يختلف عن العالم الحقيقي البئيس مطلقاً، فلا ينظر المستبد إلا بعينها ولا يفكر إلا بعقلها وبذلك ينزل إلى هوة الهلاك خطوة خطوة: [الخفيف]

أَيُّهَا الرَّاqَصُونَ فَوْقَ حُطَامِ الشَّعْبِ
وَالشَّعْبُ صَّابِرٌ يَتَجَلَّدُ
أَيُّهَا الضَّاحِكُونَ وَالشَّعْبُ يَبْكِي
أَيُّهَا الرَّاْفَهُونَ وَالشَّعْبُ يَجْلِدُ
أَيُّهَا الْكَاْفِرُونَ بِالْحَقِّ إِنَّ الْحَقَّ
رَغَمَ الْكُفْرَانِ يَقْوَى وَيَشْتَدُّ^(١)

ومهما يكن الأمر فلا بد من أن يلقي المستبد والفئة الناصرة له مصيرهما من الذل

والهلاك: [الخفيف]

وَرَبَطْتُمْ مَصْرَكُمْ بِطَغَاةٍ
يَسْتَنْزِلُونَكُمْ إِلَهُكُمْ مُؤَكَّد
وَجَلَبْتُمْ لِلشَّعْبِ غُلُولاً يَعِيدُ الشَّعْبَ
لِلْقَهْقَرَى عَصُوراً وَيُرْتَدُّ^(٢)

وليس بوسع الطغاة مهما نكلوا به وقيدوه بالسلاسل أن يقتلوا مشاعر الحرية والإباء

الجائشة في قلوب الخلق فكما لا يمكن أن تبسم الجروح بمشهد السيوف والخناجر فذلك لا

يمكن أن تحمد أنفاس المستبد العليلة نار مشاعر البؤساء: [الخفيف]

وظَنَنْتُمْ بِأَنْ سَتَنْطَفِئُ الشَّمْسُ
إِذَا مَا أَرغَى عَلَيْهَا وَأَزْبَدَ
وَحَسِبْتُمْ بِأَنْ رُوحَ الْعَالَمِينَ
بِأَنْفَاسِهِ الْعَلِيلَةِ تُخْمَدُ^(٣)

(١) قصيدة "الأمن الزائف"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٢٧ و ١٢٨

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٨ و ١٢٩

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٩

وسنة الله في الكون أن الظلم مصرعه وخيم مهما طال ليله ولا ينجو من بطشة الجبار

المتكبر المتعال : [الخفيف]

يَوْمُهُ قَادِمٌ فَوَيْلٌ لِمَنْ وَاجَّهَهُ
يَوْمَ الْحِسَابِ غَيْرُ مُزَوَّدٍ
عَجِيئاً لِلْجَبَّانِ يَسْتَمْنِجُ الظُّلُمَ
أَمَاناً وَلِلشَّعْبِ أَبْقَى وَأَخْلَد^(١)

وقد يبدو مضطرباً قلقاً عندما لا يتلقى من شعبه رداً حاسماً وإجابة فورية على دعوة

الثورة ويعبر عن ذلك : [الطويل]

أَيُّبِي فِرَاقَ الدُّلِّ شَعْبٌ؟ فَهَلُّوا
إِذَا يَاطِفَاءُ وَابْطِشُوا وَتَحَكَّمُوا
يَقُولُونَ هَذَا الشَّعْبُ عَبْدٌ تَلْدُهُ
السَّيَاطُ وَيُعْطِيهِ الْهَبَاءُ عُلْقُمُ
فَإِنْ كَتَبَهُ يَاشَعْبُ فَاغْرَحْ بَعْدَكَ
الَّذِي أَنْتَ فِيهِ مُسْتَضَامٌ وَمُرْغَمٌ^(٢)

ومن مظاهر الاستبداد السيئة تقديس الحاكم المستبد بدرجة تقريبه من درجة

الألوهية، ويستهزئ الشاعر بمن ألهمه. ومن دأب المستبد أن أول ما يستغلونه هو الدين فيرتدون برذائهم لإخفاء خبث باطنهم وإياحة جورهم فيستباح له إهراق دم الأبرياء بحجة الحفاظ على كرامة الدين وسلب أموالهم وكرامتهم وبحجة تقوية رسالته السامية وعانى اليمن من هذا بأشد أشكاله إلى أن اكتسبت أوامر الإمام يحيى صبغة شرعية دينية لا يمكن الانحراف عنها. [الخفيف]

يَسْتَفِيلُ الْإِسْلَامَ حَتَّى كَأَنَّ الدِّينَ
يَبْدُو كَسُلْعَةٍ أُخْمِدَتْ بِهِ

(١) قصيدة "الأمن الزائف"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٣٠

(٢) قصيدة "هل يخاف الشعب من نفسه"، المرجع نفسه، ص ١٣٢

وَكُنَّا الشَّرْعَ الشَّرِيفَ كَمَا شَاءَتْ
 أُمَانِيَّةٌ لِلْمَخْـازِي مَطِيَّةٌ
 وَكُنَّا الْإِلَهَ حَاشَاهُ فِي صَالَةِ
 عُنْفِيَّةٍ بِمَاهِيَّةٍ
 وَكُنَّا الطُّغْيَانَ وَالْقَتْلَ وَالسُّلْبَ
 فَتَوْنُ مِنَ الْعُلَى قُدْسِيَّةٌ^(١)

بينما هم يلعبون بأوامر الدين ويرون نشر تعليمه خطراً على حكمهم: (الكامل)

إِنَّ الْإِمَامَةَ عِصْمَةٌ
 عَظُمَى تَجِلُّ عَنْ التَّكْثِيرِ
 وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ كُفْرٌ
 بِالْعَلِيِّكَ وَبِالْوَزِيرِ^(٢)

والدين بريء من هؤلاء وأساليهم البشعة القبيحة مهما تظاهروا بالصلاح والتقوى

ومهما أبدوا حبهم إياه: [الخفيف]

لَيْسَ فِي الدِّينِ أَنْ تُقِيمَ عَلَيَّ ضَمِيمٌ
 وَتُحْزِنِي جِبَاهُنَا لِلدُّنْيَةِ
 لَيْسَ فِي الدِّينِ أَنْ تُؤَلِّهَ طُغْيَاناً
 وَتُعَنِّوْا لِلسُّلْطَةِ الْبَرْبَرِيَّةِ
 لَيْسَ فِي الدِّينِ أَنْ تُقَدِّسَ جَلَاداً
 وَيُمْنَاهُ مِنْ دِمَانَا رَوِيَّةً
 لَعَنَ اللَّهُ كُلَّ ظُلْمٍ وَجَوْرٍ
 لَعْنَةً فِي كِتَابِهِ سَرْمَدِيَّةٌ^(٣)

(١) قصيدة "حطة الموت"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٤١ و١٤٢

(٢) قصيدة "مصرع الضمير"، ديوان صلاة في الحميم، ص ٢٨٤ و٢٨٥

(٣) قصيدة "خطبة الموت"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٤٣

ويلوح للشاعر بحر من دماء الأبرياء في جبين هؤلاء الذين يتظاهرون بالصلاح

والتقوى والتعبد: [الكامل]

وَلَرُبَّ جِبَارٍ يَفْشُكُ بِالصَّلَاةِ وَيَجْتَهِدُ
وَيَقُولُ عَبْدٌ وَمُو دُونَكَ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ عَبْدُ
وَإِذَا رَأَى مَنْ يَعْبُدُونَكَ تُارِ مِنْهُ لَكَ الْحَسَدُ
نَسَبَ الْجُحُودَ إِلَى الْأَفَاضِلِ وَمُو أَوَّلُ مَنْ جَحَدَ
تَبْكِي دِمَاءَ الْأَبْرِيَاءِ بِرَاخَتِيهِ إِذَا سَجَدَ^(١)

فالحرية والكرامة وتبني الرأي حقوق أساسية لكل بشر بحكم الدين الخفيف، ولا

يسمح الإسلام أن يسيطر فرد أو أسرة على رقاب الناس بحجة دينية: [الخفيف]

لَيْسَ فِي الدِّينِ أَنْ نَكُونَ بِمَا رَأَى
وَلَا عِزَّةٌ وَلَا حُرِّيَّةٌ^(٢)

ولا يقوم بهذا التسويف إلا علماء السوء الذين يساومون على كرامة الدين بدراهم

معدودة: [الخفيف]

فَلَيُمَتَّ مَنْ يُضْفِي عَلَى الظَّالِمِ الطَّاغِي
رِدَاءَ الْجَبَلِ وَالْقُدْسِ^(٣)

ويستهزئ بتجلد الشعب وكأنه ميت لا يشعر بوخز ولسع، تملك عيوسا غير أنها لا

تنتفع بحاسة البصر ويتخيل أن فطرة الذئب تغيرت فيرجو منه الأمان: [الطويل]

وَلَا تَتَخَوَّفُ مِنْ أَشِعَّةِ أَتْجُمُ
فَلَيْسَ لِأَعْمَى فِي السَّمَوَاتِ أَتْجُمُ

(١) قصيدة "تلكوى"، ديوان صلاة في الحميم، ص ٣٩٩

(٢) قصيدة "خطة الموت"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٤٦

(٣) المرجع نفسه، ص ١٤٣

وَلَا تَرْتَقِبْ فُجْرًا فَحَوْلَكَ ظُلْمَةٌ
تَقُوصُ بِهَا كُلُّ النُّجُومِ وَتُظْلِمُ
وَكُنْ أَمْنًا مِنْ لُسْعَةِ النَّحْلِ إِنَّهُ
سَيُخَمِّكَ ذَيْبٌ أَوْ يُدَاوِيكَ أَرْقَمٌ^(١)

وفي القصيدة سخرية لاذعة بتلك العقلية المشلولة التي تتصور الحاكم الذي خلق من تراب شيئا يفوق الطبيعة، فكأنه كائن استثنى من سنة الموت والحياة ويملك قدرات خارقة يتفرد بها دون سائر الخلق: [الخفيف]

وَالْمَنْعُ الْمَسْخُورُ لَا يَنْقُذُ الْخَنْجَرَ فِيهِ
وَلَا الرَّصَصَ صَاصُ الْمَسَدِ
وَالثُّجَاعُ الرَّهِيْبُ يَنْهَزِمُ الْجَيْشُ
بِلَحْظٍ مِنْ نَاطِرِهِ وَيَرْتَدُّ^(٢)

بل أكثر من هذا يظنونهم يشارك الله سبحانه وتعالى في بعض صفاته فكأنه خصه الله بفضل خاص منه دون سائر العباد: [الخفيف]

فِي يَدَيْهِ الْأَرْزَاقُ يُنَحِّهَا مَنْ
شَاءَ مِنْ شَعْبِهِ فَيُعْثِي وَيَسْخَدُ
وَهُوَ إِنْ شَاءَ يَمْنَعُ الرِّزْقَ عَنْ عَبْدٍ
فَيُعْثِيَا عَنْ جِيلَةٍ وَيُشَرِّدُ
يَتَحَدَّى نَجْمًا فَيَسْخِهُ فَخُمًا
وَيُعْلِي صَخْرًا فَيُصْبِحُ فَرْقَدًا^(٣)

وتهدي هذه العقلية المشلولة بأصحابها إلى عقيدة وهي أن بقاء الشعب مرهون بوجود الطغاة وأنهم أصحاب جلاله شرعية فيعتبر الخضوع لكلماته انقيادا لأوامر الدين ويعتبر الاختلاف عنه إنكارا لمبادئ الدين، فمن مكاييد المستبدين في كل عصر ومصر أنهم

(١) قصيدة "هل يخاف الشعب من نفسه"، ديوان ثورة الشعب، ص ١٣٢ و ١٣٣

(٢) قصيدة "الأمن الزائف"، المرجع نفسه، ص ١٢٣

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٣ و ١٢٤

يرسمون حول أنفسهم هالة التقديس الديني لكي لا تعصى أوامرهم فتصبح كلماتهم شريعة
وديانة : [الخفيف]

وَهُوَ رُوحُ فِي الشَّعْبِ لَوْ تَهْجُرُ الشَّعْبَ
تَلَا شَيْءَ كَجَيْفَةٍ وَتَبَدَّدَ
وَهُوَ الْبَدِينُ وَالشَّرِيعَةُ لَوْ قَارَقَهُ
شَيْءٌ بَيْنَا لَأَلْحَدَ وَارْتَدَّ^(١)

ألا يعني وصفنا إياه بهذه الصفات العظيمة أننا نراه إلها تشخص ونجسد ونمثل في
دنيانا بشكل حاكم : [الخفيف]

وَلِنَسَلِمَ بِأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ
وَلِنَقُلْ إِنَّهُ إِلَهٌ نَجَسَّدَ^(٢)

ويكثر الزبيري في ديوانه من ذكر أساليب التعذيب التي كان الحاكم يجرها على
معارضيه دون رحمة ، ولما فشلت أولى محاولات تغيير سدة الحكم ضاقت على الأحرار
أرض اليمن بما رحبت وتلقوا من التعذيب فوق ما يتصوره الإنسان : [الخفيف]
وَالْقُبُوطُ الْوَحْشِيُّ يَفْتَرَسُ الْأَحْرَارَ
فِي ظُلْمَةِ السُّجُونِ الْبَعِيدَةِ^(٣)

ويتهكم بأنواع البطش والتنكيل التي بلا بها الحكم الإمامي جماعة الأحرار فيسخر
منها ويرى أنها لا تجدى ولا تنفع في إخماد الثورة ، فالإبساء والتجاعة هما التيمتان
الأساسيتان لشعبه : [الخفيف]

لَا سُيُوفٌ تُذِلُّنَا ، لَا سُجُونٌ
تُضْنَعُ الرِّقُّ فِي دِمَانَا الْأَيَّامِ^(٤)

(١) قصيدة "الأمن الزائف" ، ديوان ثورة الشعر ، ص ١٢٣

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٥

(٣) قصيدة "تعب متربص" ، المرجع نفسه ، ص ١٢٠

(٤) قصيدة "خطبة الموت" ، المرجع نفسه ، ص ١٤٨

ولم تعد أساليب التعذيب العتيقة قادرة على إخماد جذوة الثورة التي ألبها اضطهاد

سنوات : [الخفيف]

لَيْسَ قَطَعَ الرَّؤُوسِ مُطْفِئُ نَارٍ
مِنْ جُنُونٍ تَحْتَ الرَّمَادِ خِيَّه
وَسُجُونِ الإِرْهَابِ وَالْبَطْشِ وَالرَّقِّ
عَقَّاقِيرَ بَالِيَّاتٍ غَيَّه^(١)

إلا أن الضربة الأخيرة في هذا العراق هي ضربة الشعب وهي فوق كل ضربة وأكثر

تأثيراً من أي سلاح قديم أو حديث : [الخفيف]

ضَرْبَةٌ مِنْ إِرَادَةِ الشَّعْبِ بِالسُّوْطِ
تُذِلُّ الْقَنَابِلَ الدَّرِيَّةَ^(٢)

ومن المستحيل أن ينجو المستبد من بطش الشعب الذي أذاقه أشد أنواع الظلم فلن

يجد في الكون الشاسع مأوى يلجأ إليه وسيتابعه مصيره أينما حل وذهب : [الخفيف]

فَتَأْتُهُ وَتُخَذِّمُكَ فَوْقَ الشَّمْسِ
فَوْقَ الْعِلْيَاءِ فَوْقَ الْبَرِّيَّةِ
وَتُخَذِّمُ سُلْماً مِنَ الْأَنْجَمِ الزَّهَرِ
وَتُعْلِمُ مِنْ أَكْبَادِ بَنَاتِهِ
وَتَعْمُرُ وَأَبْعَثْ لَنَا هَوْلَ عَيْنَيْكَ
خِلَالَ الْأَشْيَعَةِ الْكَوْنِيَّةِ
حَيْثُمَا تَخْتَفِي سَيُذَرِّكُ الشَّعْبُ
وَلَوْ فِي الْكَوَاكِبِ الرُّوسِيَّةِ^(٣)

(١) قصيدة "حطة الموت"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٤٦

(٢) المرجع نفسه

(٣) المرجع نفسه، ص ١٤٩

والاستبداد يستمد عونه من داخل البلاد ومن خارجها، أما من الخارج، فتجد القوى الدولية الكبيرة في الحاكم المستبد خير عميل يحفظ مصالحها في البلاد الإسلامية والتاريخ شاهد على دأبها أنها تشد أزر المستبد وتتجاهل ما يرتكبه من أعمال القتل والتدمير لحقن صوت المعارضة: [الخفيف]

وَتَوَعَّدُ مَا شِئْتَ وَأَقْتُلْ وَدَمَّرْ
وَأَسْتَعِنَ بِالْجَحَافِلِ الدُّوَلِ
لَنْ يُوقِيَكَ غَضَبَ الشَّعْبِ إِلَّا الشَّعْبُ
إِنْ سِرْتَ فِي الطَّرِيقِ السَّوِيَّةِ^(١)

أما من داخل الشعب فليس الاستبداد فردا واحدا بل هي حالة نفسية تعترى عددا كبيرا من النفوس الرخيصة الدنيئة تتجمع حول المستبد طمعا في مصالح مادية بسيطة، ففي قصيدة "مغفرة الشعب" يث الشاعر متاعره تجاه هذه الطائفة المؤازرة للاستبداد. والقصيدة خطاب مباشر إلى الفئة الناصرة له وإلى الذين يقدسون فروض التقديس والتمجيد والطاعة الدلية والانقياد المطلق الأحمق لأبشع ضروب الكائنات البشرية فيطالبهم الشاعر في مستهل قصيدة بنزع أوراق التلغيف والصراحة بما يريدونه الذي يتمثل في تأليههم بشرا: [الرملي]

أَعْلَنُوا فِي الْأَرْضِ أَنَّ الشَّعْبَ
قَدْ أَصْبَحَ عَبْدًا
لَمْ يَجْعَلْهُ مِنْ وَكُنْ
(يُعْبَدُ دُونَ اللَّهِ) بُدًّا^(٢)

ومن طبيعة هذه الفئة المتعلقة أنها لا تقدم لها من الأخبار إلا ما يسر المستبد ولا

تقري مسامعه إلا ما يرضى به وإن كان كذبا وخرافة: [الرملي]

وَأَجْعَلُوا كُلَّ دَمٍ يَسْفِكُهُ
فَقْطَرًا وَمَجْزَأًا
وَأَصْنَعُوا مِنْ لَعْنَةِ الشَّعْبِ
لَهُ شُكْرًا وَحَمْدًا
وَأَسْدِلُوا مِنْ حِجَابِ التَّضَلُّلِ
فِي عَيْنِيهِ سَدًّا^(٣)

(١) قصيدة "خطبة الموت"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٤٩

(٢) قصيدة "مغفرة الشعب". المرجع نفسه، ص ١٥٢

(٣) المرجع نفسه، ص ١٥٤ و ١٥٥

هناك أسر ترى الحكم منذ الولادة من حقها الموروث، وليس الشعب في نظراتها سوى حشرات، فمن المستحيل أن يرى هؤلاء إلى الشعب نظرة مساواة: [الخفيف]

لَا يُسَلِّمُ الْأَطْفَالَ إِنْ حَسَنَّا بُونَا
سَلْعًا لِلْمَلْهَةِ وَالتَّبْدِيدِ
قَدْ عَبَدْنَا هُمْ صِغَارًا وَهَيْهَاتَ
لَنَا أَنْ نَكُونَ غَيْرَ الْعَبِيدِ
مُنْذُ كَانُوا أَجْنَّةَ فَهْمٍ إِمَّا
مُلُوكًا أَوْ أَوْلِيَاءَ عَهْدٍ
يَرْتُونَ الشُّعُوبَ إِرْثًا رَخِصًا
دُونَ كَدٍّ وَدُونَ بَذْلِ جُهِودٍ
كَيْفَ يَأْتِيهِمُ الشُّعُورُ بَأَنَّا
أَدْمِيُونَ مِثْلَهُمْ فِي الْوُجُودِ
نَحْنُ لَسْنَا فِي وَغْيِهِمْ غَيْرَ مِيرَاثِ
تَلْقَوُهُ مِنْ كِرَامِ الْجُدُودِ^(١)

وقصيدة "لا تحرقونا بنارككم" خليط من مشاعر متناقضة تتضارب في نفس الشاعر فهي تجمع بين قلق الشاعر على رضى شعبه بالذل والهوان وتقويض أمره إلى حاكم يعامله بقسوة ومن جانب آخر، يبين أمل الشاعر في أفول نجم الاستبداد مهما اشتدت ألوان الظلم ففي نهاية المطاف لن ينجو المقتصب من بطش الشعب المستكين، أما الشعب فيصوره قاتلا: [المقارب]

رَصِينَا بَأْنَا عَيْدُ الْإِمَامِ
وَأَنَّا كَمَا شَاءَ عُمِّي وَصُومِ
نُكَّيْلُ أَقْدَامَا بِالْقُيُودِ
وَنَعْقِلُ أَفْوَاهَنَا بِاللَّجْمِ

^(١) قصيدة "من أحرار اليمن إلى أحرار العراق"، ديوان ثورة الشعر، ديوان ٢١٦ و ٢١٧

وَنُقَرِّشْ مَضْرَجَنَا بِالْقَبَاءِ
وَنَقْتُلِعْ مِنْ عَيْشِنَا بِالْحُلْمِ
فَمَاذَا عَلَيْنَا لَوْ أَنَّا نَعْمِيشُ
أَعْمَارَنَا فِي السُّدْجَى الْمُدْلَهَمِ^(١)

فالتهمك اللاذع جلي بآد في هذه الأبيات لمن أخضع رأسه لأمر الحكم الإمامي
ويصور مستوى الإفلاس الفكري الذي وصل إليه الشعب، ونفس الفكرة متكررة في قوله:
[المقارب]

وَفِي الْحَشَرَاتِ.. لَنَا أَسْوَةٌ
تُزْمِدُنَا فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ
وَفِي عَالَمِ الدُّودِ عَيْشٌ هَزِيءٌ
هَبَطْنَا إِلَى مُسْتَوَاهِ الْأَغْرَرِ
وَلَوْ نُسْتَطِيعُ التَّزُولَ الْبَعِيدَ
نَزَلْنَا لِمُسْتَوَاتِ الْحَجَرِ
تُرِيدُونَ وَيَحْكُمُونَ - أَنْ تُثْبُورَ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا كَدُودُ الْقُبُورِ^(٢)

فمهما تردى بالشعب حاله فلا بد أن يفيق من سباته يوما ما، ويبطش بطشه الأليم
بمن تسلط على رقباه وجثم على صدره: [المقارب]

نُعَشِّشُ فِي هَامَةِ عَشَّشَاتِ
بِهَاقِلِنَا كِبَرِيَاءِ الْغُرُورِ
سَنَرْتُقِبْ مَضْرَعِ أَبْطَالِكُمْ
طَوِيلًا وَإِنَّا لَشَعْبٌ صُيُورِ^(٣)

(١) قصيدة "لا تحرقونا بنارككم"، ديوان ثورة الشعر، ص ١١٣ و ١١٤

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٤ و ١١٥

(٣) المرجع نفسه، ص ١١٥

وسبقت ثورته الشعرية محاولات لإصلاح الحاكم، فخطابه الشاعر في عدد من القصائد رجاء أن يصلح ما فسد من النظام غير أنها فشلت بل أثارت غضب الإمام.

وقصيدة "صرخة إلى النائمين" أولى محاولات لبث روح في شعب رضي بالذل والهوان بعد ما طال عهده بهما وفقد بصيص أمل، يصور فيها الشاعر معاناة الشعب اليمني وحالته البائسة ومرارة حياته وقساوة أساليب الحكم الإمامي ويشجع الشعب على عدم الخوف من السيوف الكليلة التي يخشاها ظاناً أنها بتارة: [الكامل]

نَخْشَى سُيُوفَ الظُّلَمِ وَهِيَ كَلِيلَةٌ
وَتَقْدُسُ الْأَصْنَامُ وَهِيَ حَطَامُ
وَتَذِلُّ أُمَّتُنَا لِفَرْدٍ وَاحِدٍ
لَا تُسْتَقَادُ لِمِثْلِهِ الْأَنْعَامُ^(١)

ويشكو معاملة شعبه للحاكم، فهو الذي يسمح لأبرهة بالدخول في الكعبة ويجعل من الرجل العادي الذي لا يساوي شروى نقيير حاكماً قوياً يقسو عليه قساوة فرعون، ويشكو الزبيري غدر الحاكم وخيانه قائلاً: [الكامل]

تُسَلِّدِي لِي أَمْوَالَنَا وَنَفُوسَنَا
وَيَرَى بَأْسًا خَائِنُونَ لِئَامُ
تَبْنِي لِي عَرْشاً يَسُودُ فَيْبِنِي
سِجْنًا، تُهَانُ بِظُلْمِهِ وَنُضَامُ
تَحْنُو الرُّؤُوسُ لَهُ خُشُوعاً ظُلُمًا
وَتَنْوِي مِنْ أَصْفَادِهِ الْأَقْدَامُ
كَمْ سَبَّحْتَهُ أَلْسِنَ، فَتَجَرَّعْتَ
مِنْهُ مَذَاقَ الْمَوْتِ وَهُوَ زُؤَامُ
كَمْ مِنْ أَبِي وَاسِيِ الْإِمَامِ بِرُوحِهِ
مَاتَتْ جِيَاعاً بَعْدَهُ الْآيَاتُ^(٢)

(١) قصيدة "صرخة إلى النائمين"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٢٩٩

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٩٨

ويعتص الحاكم ثروات البلد بكل وقاحة غير مبال بفقر الشعب، ويشير الزبيري إلى خيائته المالية في الأموال الرسمية: [الكامل]

يَعْتَصُّ ثَرَوَةً شَعْبِيَّةً وَيُمِشُّهُ
جُوعاً، لَيْسَ مِنْ آلِهِ الْأَعْلَامُ
طَعْنَاتُهُ قُدْسِيَّةٌ، نَزَلَتْ بِهَا
بَرَكَاتُ وَالْآيَاتُ وَالْأَحْكَامُ
عَمَلُ الْوَرَى فِي رَأْيِهِ كُفْرٌ، وَمَا
بَأْتِيهِ فَهُوَ شَرِيعَةٌ وَنَظَامٌ^(١)

ويذكرهم بهوقفته الطويلة - بماضيهم المجيد وتاريخهم التليد وكيف أقام أجدادهم ملكاً لا ينازع ودولة لا تخالف: [الكامل]

أَبْنَاءُ قَحْطَانٍ عَيْدٌ بَعْدَ مَا
عَبَدْتُهُمُ الزُّعَمَاءُ وَالْحُكَّامُ
كَانَتْ سُيُوفُهُمْ تُؤَدِّبُ كُلَّ جَبَّارٍ
بَغِيرِ السَّيْفِ لَيْسَ يُقَامُ
كَانُوا الْأَبَاءَ وَكَانَتْ الدُّنْيَا لَهُمْ
وَالْمُلْكُ وَالرَّايَاتُ وَالْأَعْلَامُ^(٢)

ويدي حيرته على شعب ماضيه حافل بإنجازات فريدة ومفاخر عظيمة كيف آل أمره إلى هذا الحال السيء، ويصف أحوال اليمن وشقاء اليمنيين وبؤس حالتهم ومرارة عيشهم: [الكامل]

مَاذَا دَهَى قَحْطَانُ؟ فِي لَحْظَاتِهِمْ
بُؤْسٌ، وَفِي كَلِمَاتِهِمْ آلامٌ؟
جَهْلٌ وَأَمْرَاضٌ وَظُلْمٌ فَادِحٌ
وَمَخَافَةٌ، وَمَجَاعَةٌ، وَإِمَامٌ؟^(٣)

(١) قصيدة "صرخة إلى النائم"، ديوان صلاة في الحميم، ص ٢٩٩ و ٣٠٠

(٢) المرجع نفسه

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٠٢

لم يخل رمن من الأرملة الغابرة إلا ولأهل اليمن فيها مفخرة، وأراضي البلاد العربية
والعممية شاهدة على مناخرهم وإنجازاتهم وسجل التاريخ مليء بما قدموا من خدمات
حليمة في مجالات البناء والتحصنة والحرب: [الكامل]

بروا يتررب والعراق فتشيدوا
مُنْكَأ كَبِيرَ الشَّانِ لَيْسَ يُرَامُ
وَهُمُ الْأَلَى اقْتَحَمُوا عَلَى أَسْنَانِهَا
أَسْوَارَهَا فَتَحَكَّمُوا وَأَقَامُوا
وَهُمْ يَمُتُّونَ كَالْحُرُوبِ صَوَارِمِ
وَهُمْ يُبَيِّنُ الْعُرُوشَ دَعَامِ^(١)

ويصف أساليب حكم الإمامي التي ضاقت به حياة اليميين فالمحاكم تأسر الأحرار
ورجال الأمر محووا إحداه قتل المعارضين دون محاكمة، وعيون الاستخبارات تترقبهم حتى
في ديارهم: [الكامل]

وَأَسَّسَ بَيْنَ مُكَّالٍ فِي رَحْلِهِ
فِي دَوْ فِي مَعَهُ الْبَلِيغَ لِحَامِ
أَوْ حَاتِفَ لَمْ يَدْرَ مَا يَتَنَاهِ
مَعَهُمْ أَسْجَنُ الدَّهْرِ، أَمْ إَعْدَامُ؟
وَالْإِحْتِمَالُ جَرِيْمَةٌ أَزَلِيَّةٌ
وَالْعِلْمُ إِلَهٌ، وَالْكَلامُ حَرَامُ
وَأَمْرٌ يَهْرُبُ مِنْ أَيْسِهِ وَأُمْرٌ
وَكَيْفَ أَنْ وَصَلَهُمَا لَهُ إِجْرَامُ^(٢)

وكان الخيثر الوضي الذي واحه أن يدافع عن بني وطه أصبح طائفة تنهب أموال
الناس بأي طريقة تشاء. [الكامل]

^(١) فصيحة "صرحة إلى الدمين" ديوان صلاة في الحميم، ص ٣٠٠ و ٣٠١

^(٢) المرجع نفسه ص ٣٠٢ و ٣٠٣

وَالْجَيْشُ يَحْتَلُّ الْبِلَادَ وَمَالَهُ
فِي غَيْرِ أَكْوَاحِ الضَّعِيفِ مَقَامٌ
يَسْطُرُ وَيَنْهَبُ مَا يَشَاءُ، كَأَنَّمَا
هُوَ لِلْحَلِيفَةِ مَعُولٌ هَدَامٌ^(١)

وقصيدة "العجوز وعسكري الإمام" تصوير مؤلم للحد الأقصى الذي بلغه جنود الإمام في ابتزاز الأموال باسم الضرائب وجاءت القصيدة بشكل لقاء بين عسكري من جنود الإمام وامرأة عجوز فقيرة لا تملك من متاع الدنيا غير كوخها ولا تملك لتقدم للحمدي القاسي ما يطلبه من باب إكرام الصيف أولا ويطلبها ثانيا بضرائب متعسفة وعدم عجرت المرأة عن سد طلبها قام بهدم الكوخ على رأسها بحجة أنها تكذب: [الكامل]

مَاذَا يَرِيدُونَ مِنْ جُوعِي وَمَسْغَبَتِي
إِنِّي لَكَالْحَمَلِ الْمَشْوِيِّ يَبْنُهُمْ
يَطْلُبُونَ رِكَازَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِهَا
إِلَّا الْحَمَامُ وَإِلَّا الْحَجَرُ وَالرَّخَمُ
أَمْ حَزِينَةُ الْكَوْحِ لَا كَانَتْ جَوَانِبُهُ
السُّودَاءُ وَلَا نَهَضَتْ فِي ظِلِّهِ قَدَمٌ^(٢)

وليس الجنود فحسب، بل تسلط أفراد أسرة الإمام الحاكمة على رقاب الناس واستعبدوهم فلا خيار لهم إلا الانقياد لأوامرهم عدلا كانت أم ظلما: [الكامل]

وَالشُّعْفُ فِي طَلِّ السُّيُوفِ مُمَزَّقُ الْـ
أَوْصَالِ، مُصْطَهَدُ الْجَنَابِ يُضَامُ
وَعَلَيْهِ إِمَّا أَنْ يُغَادِرَ أَرْضَهُ
هَرَبًا وَإِلَّا فَالْحَيَاةُ حِمَامٌ

(١) قصيدة "صرخة إلى النائم". ديوان صلاة في الحميم. ص ٣٠٣

(٢) قصيدة "العجوز وعسكري الإمام". المرحع نفسه. ص ٤٣٥

تُسْرُوا بِأَنْحَاءِ السَّيْلَادِ وَدَمَّـرُوا
عُمْرَانَهُمْ ، فَكَأَنَّهُمْ أَلْغَمَامُ^(١)

ففي هذا الوضع يرى الكفاح من أجل الحقوق فريضة على الشعب والسكوت عن
الجهل بالحق جريمة، فلا يكتسب الطاغى قوته إلا بخضوع الشعب ويظل يحرمهم حقوقهم ما
داموا لا يرفعون شكواهم : [الكامل]

يَا قَوْمُ هَبُّوا لِلْكَفَّاحِ وَنَاضِلُوا
إِنَّ الْمَغَامَ عَنِ السَّلَامِ حَرَامُ
تَسْتَلِيمُونَ إِلَى قُتَاةٍ مَا لَهُمْ
خُلُقٌ وَلَا شَرَعٌ وَلَا أَحْكَامُ
لَنْ يَبْرَحَ الطُّغْيَانُ زَيْبًا ضَارِيًا
مَادَامَ يَعْرِفُ أَنَّكُمْ أَغْنَامُ^(٢)

وتحمل المظالم واختيار الصمت عند حدوثها وغيض البصر عنها جريمة بشاعتها فوق
المظالم : [الكامل]

وَإِذَا سَكَتَ وَقَدْ أَصَابَتْ فَأَنْتَمَا
تِلْكَ الْمُصَيِّبَةُ تَكْبِيَةُ خَرَسَاءِ^(٣)

ويستهزئ الشعب الذي يزرع تحت وطأة الاستبداد ليجمع قواه ويفصح عن شعوره
بالآلام : [الكامل]

فَتَكَلَّمُوا كَيْمًا يُصَدِّقُ أَنَّكُمْ
بَشَرٌ ، وَيُسْـَٔرُ أَنْتَهُ ظَلَمٌ
وَتَحَرَّكُوا كَيْ لَا يَظُنُّ بِأَنَّكُمْ
مَوْتَى ، وَيَخْشَبُ أَنَّكُمْ أَصْنَامُ

(١) قصيدة "صرخة إلى النائمين" ، ديوان صلاة في الجحيم ، ص ٣٠٣

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠٤

(٣) قصيدة "صخرة" ، ديوان ثورة الشعر ، ص ٢٣٠

طَارَ الْوَرَى مُتَابِقِينَ وَمَا لَكُمْ
فِي السَّبْقِ أَجْنَحَةً وَلَا أَقْدَامٌ^(١)

ومهما اشتدت ألوان الضيم والقسر ومهما ضيقوا الحياة الفردية والاجتماعية في البلد يرى الشاعر أن مصرع المتجبر قريب غير بعيد: [الكامل]

سُيْحَانِ بَنُونَ، فَقَدْ دَنَا لِحَسَابِهِمْ
يَوْمٌ يَسُوءُ الْخَائِتِينَ ظِلَامٌ
وَسَيَنْدَمُ الْمُتَزَلُّفُونَ نَدَامَةً الـ
وَوَكَيْيَ يَوْمٌ تُحْطِطُ بِهِمُ الْأَصْنَامُ^(٢)

وفي مرحلة من مراحل حياته حذره بعض أقربائه من الجهر بأرائه الثورية وطالبوه الالتزام بالصمت والسكوت فرفض ذلك لأن تحمل الآلام بمثابة موت القلب النابض وتهكم بنصائحهم قائلا: [مجزوء الكامل]

مُتٌ فِي ضُلُوعِكَ يَا ضَمِيرَ
وَادْفَنْ حَيَاتِكَ فِي الصُّدُورِ
إِيَّاكَ وَالْإِحْسَاسَ فَالذُّبِّيَا
الْعَرِيضَةَ لِلصُّخُورِ
لَا تَطْمَئِنَّ إِلَى الْعَدَالَةِ
فَهِيَ فِي بُهْتَانٍ وَزُورِ
لَا تُنْسَبَنَّ إِلَى الثَّقَافَةِ
فَهِيَ دَاعِيَةُ الثُّبُورِ^(٣)

(١) قصيدة "صرخة إلى النائم"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٠٥

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٠٧

(٣) قصيدة "مصرع الضمير"، المرجع نفسه، ص ٢٨٣

أما معايير العقل والفكر فلا بد أن تكون تابعة لأهواء الحاكم، ويجب أن لا يستاء الحاكم من كلمة الحرية الصادرة من الشاعر، وبذلك تختلف معايير المتعلقين الذين يسودون في عهد الطاغية المستبد: [المجزوء الكامل]

حَطَّـمَ دِمَاغُكَ إِنَّـهُ
شَرَّ بَرَأْسِكَ مُسْتَطِير
مَزَّقَ فُؤَادَكَ إِنَّـهُ
يُوْذِي الْخَلِيفَةَ وَالْأَمِير
لَا تَنْطِقَنَّ الْحَقَّ
فَهُوَ خُرَافَةُ الْعَصْرِ الْغَرِير^(١)

يغضبي الناس أعيينهم ويكذبون الواقع ويعيشون في عالم غير عالمهم الحقيقي:

[الكامل]

آه..... لِمَضَنُّ رَعِ أُمِّـةٍ
دَفِنْتَ وَمَا بَرَحْتَ تَسِير^(٢)

ويسعى الحكام تخدير الشعب بحفقات الأوهام والخرافات ليقى حكمهم دون أن

يتحداه أحد: [الكامل]

لَا تَتْرَكُوا قَلَمًا يُسَاطِرُ أَوْ دِمَاغًا يَسْتَتِير
لَا تَأْمَنُوا الْعَقْلَ الْمُفَكَّرَ فَهُوَ خَوَّانٌ كَفُور
لَا تَتَشُورُوا الْعِرْفَانَ، إِلَّا فِي الْمَبَادِي وَالْقُشُور
فَالْعِلْمُ يَكْتَشِفُ الزَّوَايَا وَالْخَبَايَا وَالسُّتُور
وَدَعُوا لَنَا شَعْبًا نُحَنِّطُهُ بِأَوْهَامِ الْعُصُور
وَنُذَيِّقُهُ نَوْمًا يَغْطِي بِهِ إِلَى يَوْمِ النُّشُور^(٣)

(١) قصيدة مصرع الصمير، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٢٨٣

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٨٤

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٨٥

بل كان يؤمن بأن إظهار الشكوى الشخصية قد يهب المعارضين نوعاً من السرور
ويشجعهم على إلحاق أذى أكثر بالأحرار: [الخفيف]

كَفَكَفِ الدَّمْعَ وَاعْتَصِمِ بِالْعَزَاءِ
لَيْسَ فِي الْحَرْبِ فُرْصَةٌ لِلْبُكَاءِ
قَدْ تَصَدَّيْتُ لِلْجِهَادِ فَلَا تَأْبَهُ
لَنْبَلٍ يَأْتِيكَ فِي الْهَيْجَاءِ
وَتَعَرَّضْتَ لِلزُّمَانِ، فَلَا تَجْزَعْ
لِإِحْدَى أَيَّامِهِ السُّوْدَاءِ^(١)

وكان شديد الحرص على إخفاء الهموم الشخصية وعدم الإفصاح عن الآلام التي
يتحملونها في سبيل كفاحهم ضد الحكومة المستبدة رغم أن الحزن على الأحوال فطرة إنسانية
غير أنها قد تتحول إلى نقاط ضعف تعرقل المسير نحو الهدف المنشود: [الخفيف]

خَفِيتُ أَنْ يَزْعِمَ الطُّغَاةُ بَأْنَا
صَلَعْنَا لِمَحَنَةٍ أَوْ يَسَاءِ
يَبْدَأَنَّ الرُّثَاءَ حَتْمٌ وَأَنَّ الْحُزْنَ
حَقُّ الْمَسْوُومِ عَلَى الْأَحْيَاءِ
فَابْكُهَا مَا اسْتَطَعْتَ وَحَدِّدْ وَأَمْلَأْ
سَاحَةَ الْقَبْرِ مِنْ دُمُوعِ الْوَفَاءِ^(٢)

ويشجع رفاقه على تناسي الهموم الذاتية وإدماجها في آلام الأمة البائسة: [الخفيف]

وَتَذَكَّرْ مَصِيرَ أُمَّتِكَ الْكُبْرَى
عَلَى هُوَّةِ الرَّدَى وَالْفَسَاءِ
أَيُّ قَبْرِ يُؤْوِي رُفَاتَ بَيْنِهَا
أَيُّ دَمْعٍ يَفْقِي لَهُمُ بِالْعَزَاءِ^(٣)

ويشجعهم على الاستمانة بالصبر: [الخفيف]

(١) قصيدة "طلبة الشهداء"، ديوان صلاة في الحميم، ص ٣٣١

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٣٤

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٣٧

تَجَلَّدَا أَيُّهَا الْأَحْرَارُ إِنَّ لَكُمْ
وَقَرًا عَزِيزًا عَلَيْنَا مَا دَفَقْنَا
إِنَّا وَهِنًا شَبَابَ الْعُمَرِ لِلْوَطَنِ الدَّائِمِي
وَأِنْقَسَا إِذْ عَطَشْنَا وَغَرَقْنَا
لَا بُدَّ أَنْ تُذَرِكُوا يَوْمَ الْخُلَاصِ وَمَا
بُدَّ لَنَا أَنْ نُلَاقِي مَا طَلَبْنَا^(١)

ومن صور التعذيب التي كان من حظ الأحرار أنهم "شدت أعناقهم بالسلاسل وطاف بهم زبانية الطفأة مافة أيام طويلة، وكانوا يسيرون في الطرقات الوعرة وبين الجبال والشعاب مشيا على أقدامهم والسياط من ورائهم والأغلال في رقابهم تشد بعضهم إلى بعض. وقد عاشوا هذه الأغلال حياة موحدة وعذابا موحدا، ونوما وتبولا وتحركا وسكونا كل ذلك موحدا".^(٢) وقصيدته "قيد جماعي" تقدم بعض المناظر المؤسفة لهذه النماذج المنكرة لتعذيب الأحرار:

[البسيط]

طَوَّقُوهُمْ جَمِيعًا ضَمْنَ سِلْسِلَةٍ
مِنَ الْحَدِيدِ يَهْوِلُ النَّاسُ مَرَّاهُ
يَكُتِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمُتَكَبِّهِ
وَتَلْتَفِّي أَرْجُلُ مِنْهُمْ وَأَفْوَاهُ
إِذَا تَحَرَّكَ فِيهِمْ وَاحِدٌ صَرَّخُوا
وَأَسْتَفْحَلَتْ فِيهِمُ الْآلَامُ وَالْآهُ
كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ خَطْبٌ لِصَاحِبِهِ
يُؤْذِيهِ وَهُوَ بَرِيءٌ حِينَ آذَاهُ^(٣)

(١) قصيدة "قيد جماعي"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٤٢

(٢) من تقديم الشاعر لقصيدته "قيد جماعي"، المرجع نفسه، ص ٣٣٨

(٣) المرجع نفسه

ويندد بأرباب الفصاحة والبلاغة وفرس ميدان الخطابة الذين يسعون دوما لإرضاء
الحاكم مغمضي عيونهم عن خطواته الظالمة وحرصا على اكتساب مصالح مادية مؤقتة:
[الكامل]

لَا يَخْشَوْنَ السُّلْطَانَ إِلَّا أَنَّهُ
عِنْدَ الْأَمِيرِ ذَرَاهِمٌ وَطَعَامٌ
كَتَبُوا وَمَا هَذَا الَّذِي يَمَقُّ إِلَهُم
إِلَّا وَبَاءَ فِي النِّهْيِ وَسَقَامٌ
سَامُوا الصَّحَائِفَ أَنْ تُثَوِّءَ بِجَفَاءٍ
نَفَحَتْ فَظُّوا أَنَّهُمَا إِلَهُامٌ
يَتَشَدَّقُونَ فَتَشْخَرُ الْفُضْحَى بِهِمْ
وَيَحْرُرُونَ فَتَضْحَكُ الْأَقْلَامُ^(١)

وفي قصيدة "كفر وإيمان" يقارن بين الشاة التي تفوض نفسها إلى الجزار بمجرد برسيم
وتغفل عن صفقة ثمنها وعن المديّة التي تصقل لذبحها وليس على الشاة عيب إذا لم تنج من
بطشة الجزار لأنها لم توهب العقل الذي ينعم الإنسان به ويشبه مسيره ومصيره بمسير شاة
ومصيرها: [المتقارب]

هِيَ الشَّاةُ تَتَّبِعُ جَزَارَهَا
وَتَنْسَى بَرَسِيمَهَا
تُبَاعُ وَتُشْرَى مِنَ الدَّابِّحِينَ
وَتَجْهَلُ فِي الْبَيْعِ أَسْعَارَهَا
يُجَرِّجُهَا الْجَبَلُ فِي غَنَمِهَا
الذَّلِيلُ فَتُخْسِرُهُ غَارَهَا
تَرَى مُدِيَّةَ الذَّبْحِ مَصْقُولَةً
تُضَيِّءُ فَتُكْشِرُ أَنْوَارَهَا^(٢)

(١) قصيدة "صرخة إلى النائم"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٠٦

(٢) قصيدة "كفر وإيمان"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٢

غير أن الشاعر لا يرضى بأي ثمن قليل أو كثير ولا ينخدع بالعروض التي يخدع بها
الحاكم المستبد شعبه : [المتقارب]

هِيَ الشُّعَاةُ لَكِنِّي لَآدِمِي
أَكْبِرُ نَفْسِي عَنْ السَّائِمَةِ
تَمَرَّدَ قَلْبِي عَلَى الظُّلَمِ
وَدُثِّيَاهُمُ الْفُظَّةُ الْفَاشِيَةُ^(١)

وكذلك يدرك الشاعر فريسة الطاغية المستبد فلا ينخدع ببعض مظاهر الرخاء في
عصره ويأبى أن يغبر جبينه بسجدة في قدميه في أي حال من الأحوال : [المتقارب]

كَفَرْتُ بِمَهْدِ الطُّغَاةِ الْبُغَاةِ
وَمَا زُخْرَفُوهُ وَمَا زَيَّنُّوهُ
وَأَكْبَرْتُ نَفْسِي عَنْ أَنْ أَكُونُ
عَبْدًا لِطَاغِيَةٍ تَوَجُّوهُ
وَعَنْ أَنْ يَرَانِي شُعْبِي الْفُلُوي
يُعَذِّبُ عَوْنًا لِمَنْ عَذَّبُوهُ
أَأَجُتُّو عَلَى رُكْنِي خَاشِعًا
لِجُنَّةِ طَاغِيَةٍ حَطَّوهُ^(٢)

فهو وطيء الصلة بشعبه ولا يرضى بأي انتماء إلى الطاغية الذي ينكره بشدة :
[المتقارب]

أَنَا ابْنُ لَشُعْبِي أَنَا حَقُّهُ
الرَّهِيْبُ أَنَا شِعْرُهُ أَنَا فُؤُهُ
أَتَعْنُو لِطَاغِيَةٍ جَبَّهْتِي؟
فَمَنْ هُوَ؟ مَنْ أَضْلُهُ؟ مَنْ أَبُوهُ؟^(٣)

(١) قصيدة كفر وإيمان، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٣

(٢) المرجع نفسه

(٣) المرجع نفسه، ص ١٠٤

وهو عالي الهمة قوي الإرادة ليسلك درب المقاومة والمناضلة دون إمكانية التصالح
مع قاتل بني جلدته : [المقارب]

سَأَمْضِي عَيْدًا فَلَا أَنْثِي
وَأَحِبًّا كَرَّمًا فَلَا أَنْحِي
وَأَرْفَع نَحْوَ السَّمَاءِ جَبْهَتِي
كَمَا ارْتَفَعَتْ جَبْهَةُ الْمُؤْمِنِ^(١)

وأنى له أن يتصالح مع مَنْ تلطخت يده بدماء الشهداء الأبرياء لأن التصالح معه خيانة
كبرى بدمائهم الطاهرة وعار لن يحوه تأويل : [المقارب]

أَمْوَتْ خَمِيصًا ! وَلَا أَقْبِلُ الْفُتَا
مِنَ الْقَاتِلِ الْمَحْسَنِ
أَطْعَمُ مَنْ قَاتَلَ أُمَّتِي
أَرَى الدَّمَ فِي كَفِّهِ الْمُشْتَرِكِ؟
يُقَدِّمُ لِي طَعْمَ تَرْلُو شَهِيدٍ
مِنْ إِخْوَتِي لَحْمُهُ أَوْ يَنْتِي^(٢)

ولا يمكن أن تخفى هذه الخيانة على العالم وسيكشفها الشهداء وتشهد بها دماؤهم:
[المقارب]

تَكَادُ اللَّقِيمَاتُ مِنْ لَحْمِهِ
تَقُولُ لَا كِلَاهَا خُنْتَنِي!
فَلَا تَبْضُتْ نَخْوَةً فِي دَمِي
وَلَا غَزَنِي شَرَفُ الْمُوَطِنِ
إِذَا جِئْتُ عَنْ مَبْدَنِي أَوْ رَضِيتُ
يَعِيشُ مِنَ الْعَارِ مُسْتَهْجَنُ^(٣)

(١) قصيدة كفر وإيمان، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٥

(٢) المرجع نفسه

(٣) المرجع نفسه

وظل الزيربي يستفيق الحاكم من غفوته ويستعيد وعيه من غفلته لعله يرد إلى الشعب
المسكين حريته وكرامته ، فمن أمثلة مطالبته الحاكم رد الكرامة الشعبية المسلوبة قوله :
[الخفيف]

أَطْلِقِ الشَّعْبَ مِنْ إِسَارٍ وَمَكْنِهِ
مِنْ الْحُكْمِ فِي الْخُطُوبِ الْعَصِيَّةِ
وَأَعْطِهِ حَقَّهُ وَرُدِّ إِلَيْهِ
دُونَ بُلْطَاءِ حَيَاتِهِ الْمَلْفِيَّةِ^(١)

وعاش محمود الزيربي في منفاه في باكستان حيث طابت له الحياة غير أن ذكريات
الوطن تعاوده وكانت الأخبار التي تناقل عن بطش المستبدين برفاقه تحدث اضطرابا داخليا
لا يطاق وظلت قصائده في المنفى مشحونة بذكريات وطنه وسجلها قائلا : [المقارب]

خُذُوا كُلَّ دَنِيَاكُمْ وَاثْرُكُمَا
فُواذِي حُرًّا وَحِيدًا غَرِيبًا
فَبِأَيِّ أَضْحَى خَمُكُم دَوْلَةً
وَأِنْ خِلْتُمُونِي طَرِيدًا سَلِيلًا^(٢)

وثارت قشارة شعره وهو يحن إلى الوطن الجريح في غربته المؤلمة ، فصور خلجات
نفسه على لسان طائر : ويضفي إيقاعه الحزين وموسيقاه الناعمة لونا متميزا من الكآبة
والاضطراب : [مجزوء الرمل]

أَنَا طَيْرٌ... حُطُّمُ الْمَقْدُورِ
...عُشِّي وَجَنِّي
وَرَمَانِي فِي نَثَارِ
مِنْ دُمُوعِي وَتَوَاحِي
وَحُطُّامِ مَنْ بَقَايَا
وَطَنِي غَيْرِ صَاحِ

(١) قصيدة "خطة الموت" ، ديوان ثورة الشعر ، ص ١٤٦

(٢) قصيدة لحظات الإشراف الفني ، ديوان صلاة في الجحيم ، ص ٢٤٥

دَهَبَتْ أَهْـأَيَّ السُّـوْدَاءِ
...أَدْرَاجَ الرِّيحِ ^(١)

وَيَصُورُ عَزَلَتَهَا الَّتِي يَسْتَوْحِشُهَا قَائِلًا : [مَجْزُوءَ الرَّمْلِ]
لَمْ أَجِدْ سَمْعًا فَأَفْرَغْتُ
...أَنْسِيَنِي فِي جَرَّاحِي ^(٢)

ويتقلب حزنا وأسى على بعد الوطن، ويصور الوطن اليماني مرارا وليس اليمن المتجلي في شعره إلا بآئس النظرات وحزين الكلمات والظهور المنحية والسجن والجوع والإرهاب. [البسيط]

أَرْضُ الْجُدُودِ الَّتِي فِيهَا دَمٌ عَبَقَ
مِنْ رِيحِهَا لَمْ تَعُدْ مِثْلًا وَرَثَاهُ
تَسِيرُ فِيهَا عَيِيدًا أَوْ تُغَادِرُهَا
أَذْلَةً يَا بُؤْسَ قَدْ لَقَيْتَاهُ ^(٣)

ومنذ بداية عهده بالشعر كان يوجه إلى الحكام العرب شعرا يطالبهم فيها بتوحيد صفوفهم وسد الفجوة المتسعة بينهم وأخذ خطوات رشيدة: [البسيط]

يَا قَادَةَ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ قَاطِبَةً
قُومُوا فَقَدْ طَالَ بَعْدُ الصُّبْحُ نَوْمُكُمْ
شِيدُوا لَنَا فِي سَمَوَاتِ الْعُلَى حَرَمًا
نُطَوِّفُ حَوْلَ ثُرَيَّاهُ وَنُسْتَلِمُ ^(٤)

وينادي إلى التحرر من القوى الغربية الكبيرة ويذكر بني شعبه وحكامه بمعاييرها المزدوجة التي لا تعرف عدلا ولا رحمة: [البسيط]

(١) قصيدة حنين الطائر، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٢٢١

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢٢

(٣) قصيدة قيد جماعي، المرجع نفسه، ص ٢٤٣

(٤) قصيدة في سبيل فلسطين، المرجع نفسه، ص ٢٥٨

حَتَّى مَتَى تُشَتِّكِي مِنْهُمْ وَتُسْأَلُهُمْ
رَفَعَ الْعَذَابَ فَمَا رَقُّوا وَلَا رَجُمُوا
لَهُمْ عَلَيْنَا قَوَائِنُ وَلَيْسَ لَنَا
إِلَّا الرُّضُوحُ لِمَا قَالُوا وَمَا التَّزْمُوهُ^(١)

ولا يطمئن بما يعلق الشعب آماله على القوى العالمية الكبيرة فيخاطبه بلهجة تنم من

مرارة وشكوى: [البسيط]

هَلْ مِنْ صَدَاقَتِكُمْ لِلْعَرَبِ أَنْتُمْ
تُعَزِّقُونَ بِمَخَاضِ الْفَدْرِ عَهْدَهُمْ؟
هَلْ مِنْ خَفَاوَتِكُمْ بِالْعَرَبِ أَنْتُمْ
تَسْتَعْذِرُونَ بِمَا ذَنْبَ عَذَابِهِمْ؟^(٢)

ويدعو إلى توحيد صفوف العرب لاستعادة المجد المفقود: [البسيط]

إِنَّ الْعُرُوبَةَ جِسْمٌ إِنْ يَشُنَّ بِهِ
عُضْوٌ تَدَاعَتْ لَهُ الْأَعْضَاءُ تَتَقَمَّ
إِنْ يَضْطَهِدُ بَعْضُهُ فَالْكُلُّ مُضْطَهِدٌ
أَوْ يَهْتَظُّمُ جِزْوُهُ فَالْكُلُّ مُهْتَظُّمٌ^(٣)

ويتهكم بالعدالة المزعومة التي يتبناها شعارا: [البسيط]

وَكَيْفَ نُرْجُو انْتِصَامًا فِي مُحَاكَمَةٍ
وَقَدْ تَمَّالًا فِيهَا الْخِصْمُ وَالْحَكَمُ
ظَلَمْتُمُ الْعَرَبَ لِلصَّاهِيُونَ وَتَحَكَّمْتُمْ
أَيُّنَ الدَّهَاءِ وَأَيُّنَ الْعَذْلُ وَالشُّيْمُ^(٤)

(١) قصيدة في سيل فلسطين، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٢٥٩

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٦١ و ٢٦٢

(٣) المرجع نفسه

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٦١ و ٢٦٢

ويتجلى بوضوح أن شعر الزبيري في مقاومة الاستبداد يتسم بالمجاهرة والصراحة وتفقده النغمة الهادئة السمة الأساسية للشعر في أغلب الأحوال وإن لم تكن شرطاً لها، وما يبرره هو هول الوضع الذي عاش فيه مع شعبه والقدر الذي بلغه الاضطهاد ولم تكن النغمة الهادئة تلائم لتعبير عن خلجات نفسه الجريحة، زد على ذلك أنه وقف نفسات طويلة في قصائد طوال ولعله لم يجد في قصارها متنفساً للإفصاح عما تعاوده مشاعر وعواطف وما يسيطر على البلاد من بؤس وشقاء وخوف وهمجية.

وكان يسأل الله بدلاً من أن يبعث الملائكة أو يرسل الصواعق أو يفجر البراكين أن يبعث الكرامة النائمة في نفس الشعب وأن يفجر الثورة من أعماقه وأن يمنحه الإيمان بنفسه لتحرير نفسه وأن يعطيه القدرة على الاستماع إلى كلمة الله الثورية الصارمة في الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)

ولا يبدو الزبيري من خلال قصائده كسير القلب ضعيف العزم غلبه فتور أو يأس وكذلك كان شأنه في حياته الحقيقية بدءاً من عنفوان شبابه ومروراً بكهولته وانتهاءً إلى موته شهيداً، فإذا ما ذكر محن حياته والرزاييا التي بلّاه الزمان بها لم يذكر شكوى شخصية: [السيط]

مَا زَالَ يُرْهِقُنِي مِنْ لُؤْمٍ فُطِنْتُهُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ بَعْدَ ذِيْبٍ وَتَشْرِيدٍ
فَمَا يُقَالُ بِلَنِي إِلَّا بَعْرُكَ كَتَمْتُهُ
وَلَا يُحَدِّثُنِي إِلَّا بَتَّهِيدٍ
وَهَكَذَا لَمْ يَزَلْ دَهْرِي يُطَارِدُنِي
إِلَى الْحِجَازِ إِلَى مِصْرَ إِلَى مِصْرٍ^(٢)

بل نظر إلى الخطوب والرزاييا النازلة به نظرة مختلفة تماماً عن النظرة الإنسانية العادية فيرى أنها نافعة لإزكاء الجذوة الشعرية لدى الشعراء: [الكامل]

(١) سورة الرعد، رقم الآية ١١

(٢) قصيدة إلى الشهيد الموشكى، ديوان ثورة الشعر، ص ٢٩٠

وَلَسِنَّ شَكُوتُ فَمَا جَزَعْتُ وَإِنَّمَا
 لُفَّةُ الْمُصَاصِ مَنَاحَةٌ وَيُكَاءُ
 وَمِنْ الْخُطُوبِ مَنَاصِبُ قَبَاضَةٍ
 يَمْتَنَحُهَا الْخُطْبَاءُ وَالشُّعْرَاءُ^(١)

ولعل المادة الوفيرة لشعر المقاومة والتي يدخر بها كل قصيدة من ديوانيه والمعاني السامية الجميلة التي جاء بها والكفاح العملي الشخصي الذي سجله التاريخ وتضحيته بشبابه وحياته من أجل مقاومة الاستبداد لعل ذلك يكفي لوضع اسم محمد محمود الزيربي على رأس قائمة الشعراء المقاومين العرب في هذه الحقبة الزمنية التي يتناولها هذا البحث بدون نزاع واختلاف.

ونهاية الحديث عن الشاعر الزيربي تستدعي الوقوف عن نهاية حياة الشاعر وأسبابها، فقد قتله رصاص أطلق من مسدس كان بيد قاتل مجهول الأمر الذي أدى إلى إثارة تساؤلات عن سبب مقتله، ولا يكون من المبالغة لو قيل إن من أكبر أسبابه شعره المقاوم وطبيعته الثائرة التي بفضلها كان يثور ثورة عنيفة ويثير شعبه المفلس فكرا، يقول:

إِزْحَفِي كَالطُّوفَانِ يَأْتِي ثَوْرَةَ الشَّعْبِ
 إِلَيْنَا وَدَمِّ دِمِي كَالرُّغُودِ
 طَهَّرِي جَوَّتَنَا مِنَ الْمَوْتِ وَالصُّمْتِ
 وَمُزِّي لَنَا بَقَايَا لُحُودِ
 إِخْوَةَ نَحْنُ فِي الْقِيُودِ فَهَيْبَا
 لِنَكُنْ إِخْوَةَ بَحْلُوعِ الْقِيُودِ^(٢)

(١) قصيدة صخرة، ديوان ثورة الشعر، ص ٢٣٠

(٢) قصيدة إلى الشهيد الموشكي، المرجع نفسه، ص ٢٩٠

المبحث الثاني هاشم الرفاعي

الشاعر الشاب الشهيد هاشم الرفاعي^(١) (١٩٣٥م - ١٩٥٩م) من أولئك الشعراء الذين لم يمنحهم القدر فرصة كافية وطويت صفحة حياتهم بسرعة مثل الشاعر التونسي الشابي^(٢) ورغم ذلك ما قالوه كان شديد التأثير. اغتيل وهو في السن الرابعة والعشرين من عمره في منازعة بقريته. ولنبوغه في سن مبكرة نال اهتمام مدرسيه وزملائه وكذلك المسؤولين الرسميين. والأمر هذا أدى إلى إقامة رعاية هادفة ومراقبة حاسمة عليه. كما احتفى به الحكم آنذاك حرصاً في استخدام موهبته الشعرية لتهيئة الرأي العام في حقه. فالشاعر الشاب كان يعيش حياة متناقضة، فهو في جانب يستدعي لإلقاء المدائح الرسمية لتمجيد من يكرهه أشد كراهة ومن جانب آخر كان يعيش بين الشباب الذين ألتهم آمال الأمة المتحطمة بسبب الطغيان وشهوة التسلط. لقد رأى كيف يساق الناس بلا ذنب إلى المحاكم لسمعوا هناك الأحكام المقررة سابقاً وينكل بهم ولم تسنح له الظروف في ذلك الوقت لنشر هذه القصائد وما تسرب منها كان يروى بدون ذكر قائلها.

وهو لا يبدو في أغلب الأحوال يرمز ويلوح بل يصرح ليفصح عن طغيان السائدين على الشعب وإهدارهم لحرياتهم. وآراؤه وأفكاره ومواقفه إزاء الأوضاع واضحة تمام الوضوح لصراحته في شعره ويصعب له كبت مشاعره فلا يضر ولا يستر شيئاً من عواطفه "والوهج الديني لا يخبو في آفاق التجارب الشعرية التي ارتادها هاشم الرفاعي ولا ينقطع الخطب الإسلامي، فهو شاعر مسلم نشأ في بيئة دينية تعبق بشذا الإسلام وروحانيته"^(٣)

حضر المهرجانات الأدبية والحفلات الشعرية فكان مركز الأنظار من بين الشعراء، ونال شعره قبولا عظيماً عند شبان الصحوة الإسلامية. ولم ينحصر الرفاعي في دائرة الأدب فحسب، بل كان كفاحه العلمي ضد الحكام المستبدين يصحب مقاومته الشعرية.

(١) هو: سيد بن جامع بن هاشم بن مصطفى الرفاعي. كان ينتمي إلى أسرة دينية وعلمية. ديوان هاشم الرفاعي، جمع وتحقيق: محمد حسين بريقش، مكتبة المنار، الأردن، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ص ١٥ "من أهل مصر، درس في كلية دار العلوم بالقاهرة وقتل في قرية إنشاص بمصر، من آثاره: ديوان شعر" انظر: معجم المؤلفين، تراجم مصنف الكتب العربية، تأليف عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط ١ / سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ج ٤، ص ٥١ وانظر كذلك: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر

والعشرين، ح ٢١، ص ٤٦٥

(٢) سقت ترجمته في ص ٣٥.

(٣) الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، د صابر عبدالدايم، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط ١،

قائد المظاهرات واستقبل الرصاصات على صدره كما فصل من المعهد^(١) الذي يدرس فيه مرتين ثلثا لشعره. وكان "في تجاربه الشعرية الدينية يحاول استنهاض العزائم حتى تعود الأمة الإسلامية كما كانت في عهدا الذهبي قوة عزيزة المنال لها صورتها وهيتها ومكانتها".^(٢)

وقراءة سريعة في ديوانه المطبوع تشهد بنموغ شاعر عظيم. ومر بتجربة مختلفة عن كثير من الشعراء إذ اضطر إلى أن يعيش حياة أدبية مزدوجة وديوانه "جراح مصر" هو ذلك العمل الشعري الذي يفصح عن اختلاجات الشاعر في عهد الرئيس المصري آنذاك والمأساة التي حلت بمعارضتي الحكومة ومطالبها بحرية الرأي عن التعبير، ويقال إن الشاعر قالها سرا ولم ينشرها باسمه في حياته وكان أخوه هو الذي نشرها بعد قتله ولم يفعلوا ذلك إلا خوفا بتكليف الحكام به وإلحاق أضرار بأسرته ويضم الديوان المذكور عشر قصائد تصف الأوضاع في عهد جمال وتصور المأساة التي ابتلى بها الشعب المصري في تلك الفترة. ولا تخلو قصائده الأخرى المنشورة في بقية ديوانه غير هذه القصائد العشر من قلقه وعدم ارتياحه على يؤس الأحوال وشقاء الشعب.

وعناوين قصائده هي التي تدل على ثورته الشعرية والعملية، فالعناوين مثل "جلاد كنانة" و"جلاد مصر" و"مصريين احتلالين" و"زفرة" و"أغنية أم" و"رسالة في ليلة التنفيذ" و"وصية لاجئ" وغيرها لها دلالتها الواضحة علي ما فيها من محتوى ومضمون وخير ما يلخص فكره الشعري هو بيته: [الكامل]

كُلُّ الَّذِي أَدْرِيهِ أَنْ تَجْرُعِي
كَأْسَ الْمَذَلَّةِ لَيْسَ فِي إِمْكَانِي^(٣)

فمقاومة الظلم فطرته التي نشأ عليها: [الطويل]

(١) فصل منه مرة قبل ثورة سنة ١٩٤٩ م لمشاركته في المظاهرات ضد الملك فاروق وفصل ثانيا سنة

١٩٥٤ م لخروجه في المظاهرات

(٢) الأدب الإسلامي بين الطرية والتطبيق، ص ٣٢٣

(٣) قصيدة "رسالة في ليلة التنفيذ"، ديوان هاشم الرفاعي، جمع وتحقيق: محمد حسن بريعتس،

مكتبة المار، الرقاء، الأردن، ط ٢، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٣٦٠

وَعِثْتُ بِدَفْعِ الضَّئِيمِ وَالذُّلِّ مَغْرَمًا
وَأَبْذَلَ فِيهِ الرُّوحَ لَوْ وَجِبَ الْبِذْلُ^(١)

وفعلا بذل حياته وروحه وفنه في مقاومة الضيم وإزالة الهوان الذي كان متمثلاً طيلة حياته بصورة الحكم المستبد طول حكم الملك فاروق والرئيس جمال عبدالناصر إلى أن أصيب الشاعر بطعنة خنجر غادر وبذلك صدق ما قال: [الكامل]

أَمْوَى الْحَيَاةَ كَرِيمَةً لَا قَيْدَ لَا
إِرْهَابَ لَا اسْتِخْفَافَ بِالْإِنْسَانِ
فَإِذَا سَقَطَتْ سَقَطَتْ أَجْمَلُ عِزَّتِي
يَغْلِي دُمُ الْأَحْسَرَارِ فِي شَرِّيَانِي^(٢)

وظل يقول الشعر وتعاوده آمال فجر بسام وصبح منير ليطيب له الحياة على أرض الوطن ويتمنى لو تخلت من وجود هؤلاء الذين يمهدون للمستبد سبله: [الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ نَعِيشُنَّ مَرَّةً
وَلَيْسَ لِبَطْشِ الْحَاكِمِينَ وَجُودُ
وَهَلْ تُدْرِكُ الْيَوْمَ الَّذِي تَرْتَقَى بِهِ
وَلَمْ يَبْدُ مِنَّا لِلطُّغَاةِ سُجُودُ^(٣)

ثورة الرفاعي الشعرية لم تكن لدواع شخصية أو لأسباب ذاتية بل كانت رد فعل لأسباب خارجية والظروف الاجتماعية السائدة آنذاك. فتح هاشم الرفاعي عينيه في عهد الملك فاروق فلاحته له صور بشعة للفساد السياسي والاجتماعي المنتشر في تلك الفترة، فلم تعد للفرد العاقل حرية وللنفس الزكية كرامة، بل يعامل في موطنه معاملة بدرجة دون الحيوانات فيأبى الشاعر الاستسلام أمام هذا الوضع: [الكامل]

(١) قصيدة "صورة نفسية"، ديوان الرفاعي، ص ٢١٦

(٢) قصيدة "رسالة في ليلة التنفيد"، المرجع نفسه، ص ٣٦٠

(٣) قصيدة "في الربيع"، المرجع نفسه، ص ٤٠١

يَا فِتْيَةَ النَّيْلِ الْمَمْجُودِ إِنَّنَا
نَأْبَى وَنَرْفُضُ أَنْ نُسَاقَ قَطِيعاً^(١)

وشهد السنوات الأخيرة من العهد الملكي آنذاك أحداثاً مؤلمة، منها أن خرج طلاب الجامعة متظاهرين في مدينة كوبري عباس فكانوا ضحية إما للفرق وإما للرصاص المسدد إليهم بأمر الحاكم فعبّر عن أحزان الشعب قائلاً: [الكامل]

يَا مِصْرُ قَدْ عَاقَتْ بِأَرْضِكَ عَصِيَّةٌ
يَاسُمُ الصُّبْيَانَةِ وَالْحِمَايَةِ أَفْسَدُوا
قَتَلُوا شَبَابَ الْجَامِعَاتِ وَجَنَدَلُوا
فِي التَّهَرُّمِ مِنْ يَمِيَاهِهِ يَسْتَنَجِدُ^(٢)

ويصور معاناة مصر والمصريين في ذلك العهد وكيف أسيلت دماء الأبرياء في الشوارع والأماكن العامة كما ضاقت السجون لكثرة من أوغل فيها: [الكامل]

حَكَمَ الْبَغْيَاءُ فَمَا رَأَيْتُ بَعْهَدَهُمْ
غَيْرَ الرِّصَاصِ إِلَى الصَّدُورِ يُسَدُّ^(٣)

وأنى له أن يسكت عن هذا الظلم، ووجه إلى الملك خطاباً مباشرًا يسأله عن حرية هؤلاء الأبرياء والعلة التي أباحت له إهراق دمائهم الزكية الطاهرة: [الكامل]

سَأَلْتُ دِمَاءَ الْأَبْرِيَاءِ ذِكْرَهُ
ظَلَمُوا فَسُخِّفُوا أَيُّهَا الْمُسْتَبِيدُ
مَاذَا جَنُّوا حَتَّى أَرَقَّتْ دِمَاءُهُمْ
وَبِأَيِّ حَقٍّ فِي الْمَضَاجِعِ وَسُدُّوا

(١) قصيدة "عقيدة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣١

(٢) قصيدة "بين عهدين"، المرجع نفسه، ص ١٣٢

(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٢

فَلَكُمْ بِنَادِقٍ أَحْرَقْتَ كُبْدًا وَكَمْ
أَحْزَنْتُ أُمًّا وَأَنْكَوَى بِكَ وَالِدَ
أُخْرَسْتَ صَوْتَ الْحَقِّ بِالسُّجْنِ الَّذِي
ضَنَاقَتْ جَوَانِبُهُ بِمَنْ قَدْ شُرِّدُوا^(١)

فتورته الشعرية رد فعل للأوضاع السيئة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ولتضييق حق الحياة على الأحرار في عهد الملك فاروق الذي سلب الحريات الفردية والسياسية وكان هاشم ملك روحا ثائرة فأبى أن يقبل الضيم والاضطهاد فأثت ثورته على الاستبداد والتأمر منذ بداية شعره وفي وقت كان الحكم الاستبدادي لا يتحده أحد مخافة الأضرار: [المجث]

يَا ثَوْرَةً فِي ضُلُوعِي
وَمَا لَهَا مِنْ هُجُوعٍ
إِلَامَ أَقْضَى حَيَاتِي
فِي ذَلِيلَةٍ وَخُضُوعٍ؟^(٢)

والحرية التامة لكل فرد ومواطن هي الحلم الذي كان يعيش من أجل تحقيقه وكثيرا ما يتخيل بتحقيق ما يتمنى وعلى رأسه طلوع غد باسم سعيد على أرض الوطن وأن عصر الاضطهاد تولى بمخازيه ومفاظعه وأن للمواطن المصري ليملك نفسه بعد نهوضه من سباته المديد وقد أنعم عليه بفكرة التحرر من برائن الاستبداد كما وجد في نفسه الأية همة ليتحده بصوت جهوري:

إِنِّي خَطَمْتُ قُيُودِي
إِنِّي مَلَلْتُ رُكُوعِي

(١) قصيدة "بين عهدين"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٢

(٢) قصيدة "صيحة البعث"، المرجع نفسه، ص ١٤٩

تِلْكَ الْمُهِودُ تَوَلَّوْا
وَمَا لَهَا مِنْ رُجُوعٍ؟^(١)

ولا يمكن للمصريين أن ينسوا قضية الأسلحة الفاسدة التي ذهب ضحيتها الجيش المصري في حرب مصر وإسرائيل عام ١٩٤٨م، وقد ثبت بعد تفتيش بأن الحاشية الملكية وعملاءهم كانوا متورطين في هذه الجريمة التي أذاقت الجيش المصري مرارة الهزيمة في الحرب المذكورة وهاشم الرفاعي نظم مشاعر وحسرات جندي مصري باسل ويده بندقية فاسدة في قصيدة "صيحة البعث" وهو جندي خرج في ميدان المعركة لينتقم من الجيش اليهودي الذي أودى بالشيوخ الكبار والأطفال الصغار وكاد أن يسقي عدوه كأساً من الهلاك الذريع فإذا به يفاجأ مفاجأة مدهشة:

أَكْثَادُ أَسْـَٔقِيهِ كَأَسْـَٔا
مِنْ الْهَلَاكِ الْـَٔرِيعِ
لَوْ لَا الْـَٔذِي قَدْ دَهَّـَٔانِي
يَوْمَ الْقَـََٔالِ الْمُرِيعِ
إِذْ جِيءَ لِي سَـَٔالَاحِ
مُحْطَـَٔمٌ وَدُرُوعٌ^(٢)

وهكذا ذوى شباب ذلك الجندي الباسل ولقي ربه شهيدا وهو يتحسر على الفساد الشنيع الذي سرى في شرايين كل مجال في الوطن حتى رجال الدفاع.

و زال عناء المصريين وفك قيد جحيمهم بانقضاء عهد الملك فاروق بعد ثورة ناجحة سنة ١٩٥٢م، واستقبل المصريون والعرب جميعا ثورة الأحرار بكل فرح وسعادة وعلقوا آمالهم بالحكم الجديد ظانين أن عصر التعسف قد مضى، وأن للنفوس الجريحة أن تتدواى جروحها وأن زمن الظلم لن يعود: [الكامل]

(١) قصيدة "صيحة البعث"، ديوان الرفاعي، ص ١٥٠

(٢) المرجع نفسه

لا أرجع الرحمن أياماً مضت
كانت علينا بالشُّقاء تُدور^(١)

وكانت الثورة المذكورة على النظام الملكي وتولية سدة الحكم نبأ عظيم استقبله مصر والشعوب العربية كلها بفرحة غامرة ظنا أن آمالهم ستتحقق قريباً وكان الشاعر هاشم الرفاعي ممن صفق لها^(٢) ولكن لم تدم هذه السعادة لفترة طويلة، ولم تجد الثورة فرصة مناسبة لتحقيق آمال المصريين، إذ تقلبت الأمور السياسية بسرعة غير متوقعة وعزل نجيب عن الرئاسة. ويستشيط غضباً في قصيدة "بين احتلالين" على مخازي الحاكم آنذاك ويتحداه بخطاب مباشر ويذكره بسنة الله في عباده وهي أن المستبد مصيره وخيم مهما طال عهده واستد غضبه فهو يحرم القبول عند الله والعزة من قلوب الناس: [الكامل]

عُنْدِيَا جَمَالُ يَمَا تَشَاءُ مُظْفَرَا
إِنَّ الطُّغْيَانَ قَصِيرَةُ الْآجَالِ
وَاطْلِمَ كَمَا تَهْوَى فَظَلْمُكَ سَائِغٌ
لَا تَسْتَكَينَ لِـيُـوَادِرِ الزُّلْـمِ زَالِ
فَاغْنَمِ مِنَ اللَّذَّاتِ حَظًّا وَافِرَا
قَدْ أَذْنَتِ شَمْسٌ لَكُمْ بِرُزْوَالِ
وَمَدَى الْحَيَاةِ فِي الْقُبُورِ عَلَيَكُمْ
سَتَظَلُّ تَهْمِي لَعْنَةُ الْأَجْيَالِ^(٣)

وعندما وجد فرصاً كثيرة للالتقاء بكبار الحكوميين وأدرك خلالها حقائق قد تخفى على مواطن عادي كره الحكام أشد كراهة واشتدت مشاعره خاصة بعد ما انكشفت له حقيقة الطائفة الحاكمة باحتكاكه المباشر بها وزادت اللهب تلك المخازي التي ارتكبتها الحكام بشقاء دون أن يكون له حسيب أو رقيب، فيخاطبه بلهجة شديدة قاتلاً: [الكامل]

(١) قصيدة "توزيع الملكية"، ديوان الرفاعي، ص ١٥٧

(٢) قصيدة "صوت التحرير"، المرجع نفسه، ص ١٥٢

(٣) قصيدة بين احتلالين، المرجع نفسه، ص ٣٩٤

جَلَادَ مِصْرَ وَيَا كَبِيرَ بُغَايَهَا
مَهْلًا فَأَيَّامُ الْخُلَاصِ دَوَانِي
مِنْ أَيِّ غَابَ قَدْ أَتَيْتَ بِشُرْعَةٍ
مَا إِنْ يَسَاسُ بِهَا سِوَى الْحَيَوَانِ^(١)

وله براعته في كشف خطوات الحاكم المستبد لتزييف الحقائق فهو غير منخدع بظاهر الأشياء. زينت مسرحية سياسية باسم الانتخابات التي أسفرت فيما بعد عن نتائج مدهشة وأجبر الشعب على اختيار الحاكم المتآمر دون أن يكون له خيار آخر غيره وكان خطابه مباشرا نحو الحاكم الطاغوي الذي يذيق الأحرار من شعبه أقصى أنواع التعذيب ويحرم شعبه في العالم الجديد حق الحرية ويحاول رده إلى عهد الرق القديم: [الكامل]

أَنْزَلَ بِهَذَا الشَّعْبِ كُلَّ مَـوَانٍ
وَأَعَادَ عَنْهُمُودَ الرِّقِّ لِلْأَذْفَانِ
وَأَقْتُلَ بِهِ مَا اسْتَطَعَتْ كُلُّ كَرَامَةٍ
وَأَفْرِضْ عَلَيْهِ شَرْيْعَةَ الْقُرْصَانِ^(٢)

وسبب هذه المظالم والمجازر غدت مصر الجميلة سجنا كبيرا محكم الأقفال ومجزرة كبيرة ارتسمت على كل جدار من جدرانها قصة حمراء، فلا فرق بين عهد الاستعمار البريطاني الذي ولى وبين العهد الجديد بعد الثورة: [الكامل]

مَا عُدْتُ يَا أَرْضَ الْكِنَانَةِ مَوْطِنًا
لِلْخُرْبُلِ قَدْ صُرْتُ دَارَ نَكَالٍ
قَدْ حَوَّرَبَ الْأَحْرَارَ فِي أَرْزَاقِهِمْ
مَنْ ظَالِمٌ فِي الظُّلَمِ لَيْسَ يِيَالِي^(٣)

(١) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٨

(٢) قصيدة بين احتلالين، المرجع نفسه، ص ٣٩٤

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٩٤

وديوان الرفاعي يرسم مظاهر بؤس الشعب المصري بكل وضوح فهو شعب ملقى في سجون مُقيّدا بالأصفاد مثقل الكواهل ومطأطأ الرقاب قد حرم حرية الإبانة عن الرأي واعتبر الاختلاف عن رأي الحكومة جريمة لا يستحق صاحبها رحمة واختنقت أصوات الأقلام وقرر مدح الحكام بقصائد ومقالات مزيفة الغرض الأدبي الوحيد الذي يسمح له بالنشر والطباعة : [الكامل]

هُم أَخْرَسُوا الْأَصْوَاتَ حَتَّى أَتَتْ
بَائِسَاتُ تَكْتُمُ رَنَّةَ الْإِغْوَالِ
هُم حَطَّمُوا الْأَقْلَامَ وَمَا تَرَكُوا لَنَا
عَبِيرَ النَّفَاقِ يَغِيْثُهُ الْهَطُّ
بُكُوا عِيُونَ الْبَغْيِ فِينَا وَاشْتَرَوْا
بَعْضَ النُّفُوسِ حَقِيرَةً بِالْمَالِ^(١)

وإذا كان الرفاعي يصف معاناة شعبه بهذه الصور المؤثرة فإنه في نفس الوقت لا يبرره من حلول حكم الاستبداد عليه والواقع المؤلم فهو المستول عن طغيان حاكمه وفساده فيلقي باللائمة على شعبه : [الكامل]

مَا نَالَ شَعْبَ النِّيلِ أَضْحَى هَادِئًا
أَتَرَاهُ قَدْ أَلْفَ الْحَيَاةَ ذَلِيلًا^(٢)

وشكواه متواصلة من شعبه المقتنع بالأهوال راض بالهوان غير ساع للتغيير ، فتارة نراه يحاول استعادة وعيه واستنهاضه من سباته بأسئلته المرة : [الكامل]

فَأِلَى مَتَى هَذَا الْخُسُوعُ وَإِنَّهُ
جُرْمٌ أَضَاعَ حَقُوقَ مِصْرَ جَمِيعًا
لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ الْمُؤْمَلْ أُمَّةٌ
قَدْ قُطِّعَتْ أَوْصَالُهَا تَقْطِيعًا^(٣)

(١) قصيدة "بين احتلالين" ، ديوان الرفاعي ، ص ٣٩٤

(٢) قصيدة "جهاد صائح" ، المرجع نفسه ، ص ١٤٠

(٣) قصيدة "عقيدة" ، المرجع نفسه ، ص ١٣١

وتارة يبدو ساخطا عليه وتتضاعف معاناته لما يرى الشعب الذي يضرب ظهره بالسياط مرارا
يرضى عما يجري له مؤمنا بأنه قدره الذي قدره الله له. [البسيط]

قَدْ أَغْمَضَ الْقَوْمُ أَجْفَانَنَا مُقَرَّحَةً
عَلَى الْهَوَانِ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ
شَعْبٌ تَلِيدٌ لَهُ أَسْيَافٌ قَاتِلَةٌ
حُمُرًا وَتَطْرِيبُهُ تَرْزِيمَةُ الصَّفَدِ
وَقَدْ أَرَاهُ وَسْوَطُ الدُّلِّ يُلْهِبُهُ
فَلَا يُجَسُّ وَلَا يَرْتُئِي لِمُضْطَهَدٍ^(١)

ولولا تصبر الشعب ورضاه بالهوان ولولا الفتور الذي أصاب جل أفراده لكان أعز الشعوب
كما سجله التاريخ في ماضيه المجيد: [الكامل]

يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الدَّلِيلَةُ رُوحُهُ
مَإِذَا هَوَانُكَ مَضْرَبُ الْأَمْثَالِ
فِيمِ التَّطْلُعِ لِلْكَرَامَةِ وَالْعُلَا
هَلْ تَعْرِفُ الْهَيْجَاءَ ذَاتُ حِجَالٍ^(٢)

وعلى هذا المنوال هناك مادة شعرية كثيرة تصور الحالة النفسية التي اعتري الشاعر
بيدي فيها سخطه على شعبه المخمول ويعاتبه، ويتهاونه أمره لم يعد يرغب في الحياة
فالشعور بالمذلة والهوان والحرمان هي المشاعر الأساسية التي سيطرت على أعصاب الشاعر
برمتها، رغم أن بلاده عاشت عزيزة كريمة في الماضي القريب والبعيد: [الكامل]

(١) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص ٤١٦

(٢) قصيدة "مصريين احتلالين"، المرجع نفسه، ص ٣٩٥

فَالْإِلَامُ نَحْضَعُ أَوْ نَلِينُ لِعُصْبَةٍ
يَا مِصْرُ فِي الْأَغْلَالِ قَدْ وَضَعُوكَ
إِنَّا لَنَأْيَى أَنْ نَعِيشَ أَذْلًا
وَيَظْلِلُ وادي النيل كَالْمَمْلُوكِ
لَا خَيْرَ فِي عَيْشِ امْرِئٍ مُسْتَضْعَفٍ
يَلْقَى الْحَيَاةَ بَعْزَمَةَ الْمَفْكُوكِ^(١)

والآيات المذكورة تحمل فكرة الشاعر السياسية فهو لا يبرر الشعب من مسئولية الواقع المؤلم فهو المسئول عن طغيان حاكمه وفساده فيلقي باللائمة على شعبه : [الكامل]

هُوَ لَعْنَةُ نَزَلَتْ عَلَى قَوْمِي ، وَمَا
زَالُوا عَلَيَّ رَغَمَ الْهَوَانِ يَا مِصْرُ^(٢)

وقد يبلغ قلق الشاعر مداه فيستوحش الشاعر بوطنه الذي سادت كل السلطات التشريعية والقانونية والإدارية للحاكم المتآمر الطاغوي فلم تعد أجواء الوطن للشاعر نقية صالحة للعيش وكذلك يستفز من شعبه الذي في حالة شبه الرضا بما ألقى عليه ومن وبال : [البسيط]

لَا مِصْرُ دَارِي وَلَا هَذَا الرَّبِّي بَلَدِي
إِنِّي مِنَ الْحَقِّ فِيهَا قَدْ نَفَضْتُ يَدِي^(٣)

ويشخص داء التفرق الذي تسرب إلي جذور دوح الوطن فتساقط أشجارها وتجف أغصانها فيحرم أهلها الظل والثمار : [الكامل]

فَدَعُوا التَّفَرُّقَ وَالتَّشَقَّاقَ وَهَيَّئُوا
لِلنَّيْلِ عِزًّا كَالْقَدِيمِ رَفِيعًا

(١) قصيدة "مصر الجريحة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٥

(٢) قصيدة "جمال عاد من باندويج"، المرجع نفسه، ص ٤٠٥

(٣) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، المرجع نفسه، ص ٤١٦

إِن الْقُلُوبَ مَتَى تَوَحَّدَ رَأْيُهَا
كَأَنَّتْ لَهُ حِصْنًا أَعَزُّ مِنْعَا^(١)

وللرفاعي براعته في عرض مضمونه الشعري في صورة جذابة، ومن أمثلته ما صور واقع مصر المؤلم في صورة بارعة. ففي قصيدة "مصر الجريحة" في ليلة من الليالي القمرية وفي وسط حديقة متضوعة العبير راع الشاعر شيخ أسود فدنا منه فإذا به حسناء حزينة وقد أرهقها البكاء والأنين وغلبها اليأس والحزن فيقترب منها سائلا: [الكامل]

مَنْ أَنْتَ يَا أَخْتَاهُ؟ قَالَتْ: يَا فَتَى
إِنِّي أَنَا "مِصْرُ" الَّتِي تَتَوَجَّعُ
أَبْكِي عَلَى مَجْدِي وَأَنْدُبُ عِزَّتِي
هَذَانِ فَقَدْ هُمُ مِصْرُكَ مُجْتَرَعُ
يَا وَيْحَ قَوْمِي قَدْ أَضَاعُوا دِينَهُمْ
فَإِذَا بِهِمْ شَعْبٌ ذَلِيلٌ خَائِعٌ^(٢)

يسمع الشاعر شكواها المرأة الصادقة ويصني إلى تفجعها لمآسي بلدها وإلى ندبها مجدها الضائع بهدوء وسكوت ثم يسليها بأنه مهما انتشر الفساد وسادت الرذيلة ومهما ضاقت الأجواء بأهل مصر فإن الواقع سيتغير بفضل أولى الهمم العالية والعزيمة الصامدة الذين يقفون في طريق سيل الاستبداد: [الكامل]

إِنْ كَانَ سَاءَ لَكَ أَنْ أَرْضَكَ قَدْ غَدَتْ
مَرَعَى بِهِ ذُنُوبُ الْغَوَايَةِ يَرْتَمِعُ
فَهَذَاكَ جُنْدٌ قَامَ يَسْمَعِي جَاهِلِدًا
فِي الدِّينِ يَقْتُلُوعُ الْفَسَادَ وَيَنْزِعُ
لِلَّهِ دُرُّ الْقِسْمِ إِنْ نُفُوسَهُمْ
لَتَشْرِعُ بِالْحَقِّ الْيَقِينِ وَتَنْبَعُ^(٣)

(١) قصيدة "عقيدة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣١

(٢) قصيدة "مصر الجريحة"، المرجع نفسه، ص ١٣٤

(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٤

وما جرى في السجون المصرية والمعتقلات الرسمية من بطش وتعذيب أخذ حيزا كبيرا من قصائد هاشم الرفاعي وهو في عدة قصائد يرسم لنا مناظر بشعة بصور مؤثرة ليفصح عن معشار ما تجشمه الأحرار من مصائب ومشقات وما ارتكبه السلطات الرسمية من انتهاكات حرمة الأحرار. [الكامل]

سُلِّتْ سُيُوفُ الْبَغْيِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
وَأَمْضَتْهُمْ كَأْسُ الْعَذَابِ الْمَتَرَعِ
فَتَحَمَّلُوا أَلَمَ الْأَذَى بِسَالَةٍ
وَبِهَمَّةٍ قَعَسَاءَ لَا تَتَضَعُّعِ
وَلَوْ أَطْلَعْتَ لَدَى الْعَنَاءِ عَلَيْهِمْ
لَرَأَيْتَ مَا يُدْمِي الْفُؤَادَ وَيَنْزِعُ^(١)

وغدت أرض مصر ضيقة على كل أبي حر، ويصور بعض أنواع التعذيب الذي يتلقاه المساكين في السجون إذ يقول: [الكامل]

النَّيْلُ يَشْكُو وَالْقُلُوبُ مَرَاجِلُ
وَالشَّعْبُ مُمْتَلِئُ النَّفْسِ ضَرَامَا
وَالسَّجَنُ يَفْعُرُ فِاهَ لَأَسْتَقْبَالِنَا
وَالسُّوْطُ فَوْقَ ظُهُورِنَا أَحْكَامَا^(٢)

واستقر الأمر إلى أن كل مواطن أبي شريف أصبح مجرما: [الكامل]

فَفَتَى الْعَقِيدَةَ مُنْخَنَ بِسَجْرَاجِهِ
وَالشَّيْخُ يُضْرَبُ بِالسَّيَاطِ وَيَقْصَرُ
وَلَقَدْ أَذَاقَهُمُ الطُّغَاةَ مِنَ الْأَذَى
لَوْ نَا يَشِيْبُ لَهُ الْوَلِيدُ وَيَهْلَعُ^(٣)

(١) قصيدة "مصر الجريحة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٤

(٢) قصيدة "حمال عاد من ماندويح"، المرجع نفسه، ص ٤٠٥

(٣) قصيدة "مصر الجريحة"، المرجع نفسه، ص ١٣٥

ومن بين المعتذبين في السجون من أطلق سراحه بعد فترة تشبه العيش في الجحيم ،
ومنهم من اندثر واختفى في زنزانه دون أن يكون لصوته صدى يسمع ، ومنهم من خرج منها
معدما وقصيدته المشهورة "رسالة في ليلة التنفيذ" تصور خلجات نفس محكوم بالإعدام في
آخر ليلة من حياته وهو ملقى في السجن ينتظر مصرعه على جلاذ وقد ساد الجو هدوء قاتل
وتمر الذكريات في وجدانه فيخاطب فيها أباه : [الكامل]

أَبَتَاهُ مَاذَا قَدْ يَخُطُّ بَنَانِي
وَالْحَبْلُ وَالْجِلْدُ يَنْتَظِرَانِ
هَذَا الْكِتَابُ إِلَيْكَ مِنْ زَنْزَانَةٍ
مَقْرُورَةٍ صَخْرِيَةِ الْجِدْرَانِ
لَمْ تَبْقَ إِلَّا لَيْلَةٌ أَحْيَا بِهَا
وَأَجْسُرُ أَنْ ظَلَامَهَا أَكْفَانِي^(١)

وكذلك قصيدة "خواطر ثائرة" عبارة عما اختلجت بها نفس الشاعر بعد محاصرة
سبعين جنديا بيته في ليلة من أحلك الليالي لاغتيال عميد أسرته وجده وسجل أحداث تلك
الليلة قائلا : [البسيط]

هَاتِ الْحُسَامَ وَوَدِّعْ هَذِهِ الدِّيَارَا
فَالْخَطْبُ أَشْعَلُ فِي أَحْشَائِي النَّارَا
بِالْأَمْسِ هُدَدْنَا بِالسَّجْنِ وَأَسْفَا
وَالْيَوْمَ حَاصِرٌ بَغِيَا هَذِهِ الدَّارَا^(٢)

والصورة التي رسمها لمصر صورة محزنة مقلقة ، فأرض مصر التي تملك تاريخا فريدا
وثقافة عتيقة ومفاخر عظيمة تبدو في هذه الصورة وقد سادها شظف العيش ويعم أرجاءها
الفقر وينتشر فيها الجهل ، يقول :

(١) قصيدة "رسالة في ليلة التنفيذ" ، ديوان الرفاعي ، ص ٣٥٨

(٢) قصيدة "خواطر ثائرة" ، المرجع نفسه ، ص ٣٤٥

الْجَهْلُ يَضْرِبُ فِي الْقَرْيِ أَطْنَابَهُ
وَالْفَقْرُ فِي شَتَّى الْمَنَازِلِ يُقْبِعُ
وَالْأَجْتَبَى لَمَّا رَأَى أَنَا ذَوْلَهُ
لَا تُثْنِي عَن ضَعْفِهِمَا أَوْ تَقْلَعُ
فَسَطَا عَلَيْنَا شَرُّ سَطَوِ مِثْلَمَا
يَسْطُو عَلَى الْحَمَلَانِ ذُنُوبٌ جَائِعٌ^(١)

ومن سمات الرفاعي البادية أنه رغم قسوة الظروف لم يصبه وهن ولم تفر عزيمته
ولم تضعف صلته بمبدأ الحرية بل ظل ينهل من مناهل الصبر راجيا آملا : [الكامل]

لَكِنَّمَا الظُّلْمَاءُ يَتْلُوهُمَا ضُحَى
وَاللَّيْلُ يَعْقِبُهُ ضِيَاءُ سَاطِعِ
وَالْحَقُّ بِالتَّصَرُّعِ الْمُسِينِ مُتَوَجِّعِ
أَبَدًا وَإِنْ كُتِرَ الْبَلَاءُ الْوَاقِعِ^(٢)

التجلد والتصبر من أجل الحرية هما شيمة كل مواطن حر ولم يفلت من يد الشاعر
خيطة الصبر بل ظل يتمسك بها أشد تمسك : [الكامل]

إِنَّ التَّصَبُّرَ دَأْبُنَا حَتَّى إِذَا
لَمْ يَبْقَ فِي قُوسِ التَّصَبُّرِ مَنْزِعِ
أَلْفَيْنَا أَسَدًا يَخِرُّ أَمَامَهَا
عِزُّ الْجَبَابِرَةِ الْعِظَامِ وَيَرْكَعِ
أَرْوَاحُنَا يَوْمَ الْجِهَادِ لَكَ الْفِدَا
عَنْ بَذْلِهَا يَا مِصْرُ لَا نَتَرَجَّعُ^(٣)

(١) قصيدة "مصر الجريحة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٥

(٢) المرجع نفسه

(٣) المرجع نفسه

ورغم الظروف القاسية ظل متفائلا غير منقطع الرجاء ووطيد الأمل يرقب في الأفق
الأحمر طلوع فجر بسام : [الكامل]

قَدْ تُشْرِقُ الشَّمْسُ بَعْدَ الْغَمَامِ
وَيَعْتَدِلُ الْجَوُّ بَعْدَ الْمَطَرِ^(١)

ولم يكن السعي للتحرر والدعوة إلى مبادئ الحرية والعدل عملا سهلا في الظروف
التي عاشها الشاعر الرفاعي غير أنه بدأ في هذه الأجواء المليئة بالخوف يتهيا لرفع راية الحق
وإعلاء كلمة العدل ويستعد للثورة على الحكم المستبد، والذي يؤدي الشاعر إلى اختيار هذا
الباب من التعبير هو الفطرة السليمة التي تقتضي من كل إنسان أن يجهر بالحق مهما قست
الظروف وتكدرت الأحوال فالانقياد للمخاوف والمساومة على مبادئ الحرية والعدل
والحقوق الإنسانية بمثابة قتل الفكر الذي هو أغلى متاع يملكه الشاعر ولا يتميز الشاعر عن
بقية البشر إلا بإحساسه الفريد وبفكره السليم وإن من أقربائه من يمنعه إشفاقا عليه : [البسيط]

وقائل لسي ينهاني وينصحني :
السَّجَنُ بَاتَ قَرِيبًا مِنْكَ فَأَتَّوِدُ
إِنْ كُنْتَ ذَا شَمَمٍ فِي مَعْشَرٍ جَنَحُوا
لِلذُّلِّ فَاجْنَحْ لَهُ.. تَرْكُنْ إِلَى رَشَدٍ
فَقُلْتُ : فِكْرِي ، إِحْسَاسِي... أَأَقْتُلُهُ؟
هَذَا الَّذِي لَمْ يَدُرْ يَا قَوْمُ فِي خَلْدِي^(٢)

وكان يدرك أن المستبد قد ينجح في البطش بالشاعر الأبي وإلقائه وراء قضبان السجن
أو نفيه من أرض الوطن الحبيب أو إلحاق أضرار مادية ونفسية به حسبما روى التاريخ في كل
عصر ومصر غير أن ذلك لا يفتر من عزيمته الشاعر الحر ولا يقنعه بالتنازل عن رفعة كلمة الحق

^(١) قصيدة "ذكريات عام ضائع"، ديوان الرفاعي، ص ٤١٥

^(٢) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، المرجع نفسه، ص ٤١٦ و ٤١٧

والانقياد لأوامر الظالم الباطلة لأن المستبد رغم كل ما مضى لا يستطيع أسر فكره وشعره فهو يبدو على أهبة وعدة لتحمل كل ألوان المعاناة ثمنا لكرامة الكلمة : [البسيط]

لَنْ يَحْبِسُوا الرُّوحَ عَنْ سِحْرِ انْطِلَاقِهَا
إِنْ يَسْجُنُونِي.. وَلَنْ يَشَقَّى سَوَى جَسَدِي
نَطَقْتُ بِالشَّعْرِ أَلَامًا مَصْـوَرَةً
وَعُودَتِ أَضْرِبُ فِي يَأْسٍ يَدَا يَدٍ^(١)

ولما أحكمت الحكومة الاستبدادية سيطرتها على الإذاعة فلا يث منها إلا ما لا يعارضها من قريب ولا من بعيد ولا يتمتع بحرية التعبير إلا هؤلاء الأدباء والمفكرون الذين يسخرون فنهم لتمجيد الحكام ، ولما حدث هذا سخر منها قائلا : [الكامل]

كَفَّلُوا لِكُلِّ مُوَاطِنٍ حُرِيَّةَ
فِي الرَّأْيِ إِنْ أَتَى عَلَى الطُّغْيَانِ
أَمَّا الإِذَاعَةُ فَهِيَ بَوَاقُ دُعَايَةِ
عَادَاتِ بَدَاءِ السُّوقِ لِلْأَذَانِ
مُلَّتْ بِكُلِّ مَخْدَرٍ وَمُضَلَّلٍ
مِنْ مَنَاعِ الْأَخْبَارِ وَالْأَلْحَانِ^(٢)

ومن الألوان التي لجأ إليها الشاعر هاشم الرفاعي لون التهكم والسخرية من الحاكم الذي تسلط على رقاب الشعب دون إرادة منه وبدون أن يترك له خيارا آخر غيره. والقضية هذه تكررت في مصر مرارا حيث أسفرت نتائج الانتخابات عن تأييد شعبي بنسبة لا تقبلها العقول ولا يصدقها الواقع وهذا لا يحدث فعلا إلا إذا أنتسب الاستبداد مخالفه في جميع سلطات الدولة القضائية والقانونية والسياسية. [البسيط]

(١) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية" ، ديوان الرفاعي ، ص ٤١٧

(٢) قصيدة "خلاد الكنانة" ، المرجع نفسه ، ص ٣٩٧

وَقَالَ جَلادُهُ يَوْمًا يُدَاعِيهِ
إِخْتَرْتُ رَيْسَكَ لَا تَرْهَبُ أَذَى أَحَدٍ
رِئَاسَتِي إِنْ تُرِدْهُمْ أَنْتَ كَانَتْ بَهَا
وَلَا سِوَايَ لَهَا إِنْ أَنْتَ لَمْ تُرِدْ^(١)

وشكوى الرفاعي من بؤس الأحوال وشقاء الأبناء المصريين متكررة في قصائده المختلفة وما آلمه هو أن آمال المصريين كانت معلقة بالطائفة التي أخذت مهام الحكم بعد الثورة غير أنها سرعان ما تناسست هموم الشعب حرصاً على إحكام سيطرتهم واعتبروا الرأي المختلف خروجاً عليهم: [الكامل]

الشَّعْبُ مَشْدُودُ الْإِسَارِ مُكْمَّمٌ
يَشْكُو الْقَيْدَ وَمَالَهُ مِنْ وَالٍ
وَلَقَدْ ظَنَنْتُنَا أَنْفَا فِي عَهْدِهِمْ
سَتُزَيِّجُ عَنْنَا مُرْهَقَ الْأَقْصَالِ
حَتَّى تَكْشُفَ لِلْبِلَادِ خِدَاعَهُمْ
هَيْهَاتَ لِلظُّلُمِ أَنْ رَيَّ الْآلَ^(٢)

ومن كوارث الأمة العربية قتل الآباء وأطفالهم الصغار لا يعلمون سبب مصرعهم أو إلقاءهم في غياهب السجون المخفية وتعذيبهم هناك أشد أنواع العذاب وتبقى زوجاتهم - وهن يقضين حياة أسوأ من الأرمال - ولا يستطيع إنسان أن يشعر بأحاسيسهن المتكونة من الانتظار المؤلم والخوف على حياة أزواجهن وفشلهن في الإجابة على أسئلة الأولاد وهن يحاولن تسلية أولادهن بوعود كاذبة بمجيء آبائهم. والشاعر هاشم الرفاعي صور منظراً من هذه المناظر المؤلمة في قصيدة طويلة باسم "أغنية أم" والقصيدة هذه تصور محنة المنتمين إلى الحركات الإسلامية في البلاد المختلفة في العراق ومصر وغيرهما من البلدان وهي عبارة عن

(١) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص ٤١٦

(٢) قصيدة "بين احتلالين"، المرجع نفسه، ص ٣٩٣

أغنية أم لولدها الذي أعدم أبوه. ينظر الولد القلق إلى أمه الحزينة بنظرات تستفسرها عن حقيقة مأساة أبيه: [الكامل]

وهناك تسألني كثيرا عن أبيك وكيف غاب
هذا سؤال يا صغيري قد أعد له الجواب^(١)

وتحاول الأم أن تخفي عن ابنها حكاية يغلي بأسطرها الشقاء وتهدهه قائلة: [الكامل]

لنم لا تشاركني المـرارة والوعـس
فلسوف أرضعك الجراح مع اللبن^(٢)

وفعلا تتأجج القصيدة التي تصور مشاعر تلك الأم البيسة بمشاعر الحزن والانتقام والحسرة معا، فهي بعد ما مرت بمأساة هزت كيائها وجعلت حياتها جحيما تعد ابنها ليسلك الدرب الذي سلكه أبوه وتحكي حكايتها لابنها: [الكامل]

أما حكايتنا فمن لـون الحكايات القديمة
تلك التي يمضي بها التاريخ دامية ألـمة
الحاكم الجبار والبطش المـسلح والجريمة
وشريعة لم تعترف بالرأي أو شرف الخصومة
ما عاد في ثوبها الحضارة الإنسان قيمة^(٣)

والحكاية تلخص فعلا مأساة الشعوب العربية باختصار، حاكم جبار وبطش بلا محاكمة وجريمة حرة وشريعة مصطنعة والحكاية هذه تستمر في كل بلد عربي باختلاف الأشخاص والتواريخ وما من حكومة إلا تسعى أول ما تسعى إلى فرض حطر على حرية التعبير عن الرأي بحيلة أو أخرى فيعيش الفرد والمجتمع في ضباب الخوف والذعر: [الكامل]

(١) قصيدة "أغنية أم"، ديوان الرفاعي، ص ٣٨٥

(٢) المرجع نفسه

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٨٦

حَتَّى صَدَى الْهَمَسَاتِ غَشَاءَ الْوَهْنِ
لَا تَنْطِقُوا، إِنَّ الْجَسَدَ لَـهُ أُذُنٌ
وَتَخَذُلُوا، وَالظَّالِمُونَ نِعَالُهُمْ فَوْقَ الْجَبَاءِ
كَشِيَاءِ جَزَارٍ، وَهَلْ تَسْتَكْرِ الذَّبْحَ الشَّيَاءَ؟^(١)

ولا يأتي عهد استبدادي إلا وتظهر محاكم مزيفة، ومن آفات المجتمع أن المحاكم - وهي الوسيلة الوحيدة للعدل - تخضع لأوامر الحاكم ويؤدي القضاة دور الكتيبة الأولى المحافظة على مصالح المستبد فلا يجد المظلوم ملجأ ولا مأوى. والقضاة الرسميون أو قضاة البلاط هم الذين يبيعون للحاكم الجبار كل ما ينوي من بطش وتعذيب ونفي وتخويف ويهبون لخطواتها صبغة قانونية، يقول هاشم الرفاعي: [الكامل]

الْحُرُّ يُعْرِفُ مَا تُرِيدُ الْمَحْكَمَةُ
وَقَضَايَاهُ سَلْفًا قَدْ ارْتَشَفُوا دَمَهُ
لَا تُرْتَجِي دَفْعًا لِيُهْتَنَ رَمَاهُ بِهِ الطُّغَاةُ
الْمُجْرِمُونَ الْجَالِسُونَ عَلَى كُرَاسِي الْقَضَاةِ
حَكَمُوا بِمَا شَاءُوا وَسَرِيقَ أَبُوكَ فِي أَصْبَفَاةِ
قَدْ كَانَ يَرْجُو رَحْمَةً لِلنَّاسِ مِنْ جَلَادِهِ^(٢)

ويسخر بالذئاب المتمثلين قضاة ليزبحوا الأبرياء بختمهم وبأحكامهم التي قد أعدت سلفا قبل بدء المحاكمة، ويتجمع سخط الرفاعي على هذا الجنس من القضاة الذين يمنحون لكل جريمة من جرائم الحاكم البشعة الفظة صبغة قانونية ويثور عليهم ثورة صريحة:

فِيهَا الْقَضَاةُ وَهُمْ الْخُصُومُ
لَعْدَالَةٍ مُخْتَلَّةِ الْمِرْزَانِ^(٣)

(١) قصيدة "أعنية أم"، ديوان الرفاعي، ص ٣٨٧

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٨٧

(٣) قصيدة "جلاد الكتانة"، المرجع نفسه، ص ٣٩٦

وبلغت الرقابة البوليسية أقصى درجات المراقبة فعجز الجميع حتى الضعفاء والبؤساء عن الجهر
بشكوى الجوع والعطش : [الكامل]

كَمْ جَائِعٌ قَدْ خَافَ جَلَادًا لَهُ
فَأَسْرَ بِالشَّكْوَى إِلَى عُرِيَانِ
وَمُعَذِّبٍ سَمِعَ الدُّجَى أَنَاتِهِ
مُتَعَلِّلًا بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ^(١)

تفرض قيود على كل ألسنة تخالف أو تعترض كما تتاح حرية مطلقة لألسنة تؤيد
وتخالف، وتسخر وسائل الإعلام لتزييف الحقائق وتجميل القبح. ومن الوسائل التي يتخذها
المستبد لإخفاء حقيقته تقديم شخصيته كشخصية عظيمة تحمل في سجلها إنجازات رائعة
ومفاخر لم يسبق لها نظير وتنتشر قصص موضوعة ووقائع مزيفة عن مواقف وبطولة المستبد
عن حب الوطن وحب المعاني السامية وهو منها بريء كل براءة : [الكامل]

لَا تُضْغِ يَا وَلَدِي إِلَى مَا لَفَقُوهُ وَرَدَّدُوهُ
مِنْ أَنَّهُمْ قَامُوا إِلَى الْوِطَنِ الذَّلِيلِ فَحَرَّرُوهُ
لَوْ كَانَ حَقًّا دَاكِ مَا جَارُوا عَلَيْهِ وَكَبَّلُوهُ
وَلَا رَمَوْا بِالْحَرِّ فِي كَهْفِ الْعَذَابِ لِيَقْتُلُوهُ^(٢)

كما يسدل ستار مصبوغ بصبغة دينية ليلعب المستبد وراءه لعبته التي تحرم ما أحله الله
وتحلل ما حرمه الله، ويساعده في هذا الباب تلك الطائفة التي تنتهز الدين حرصا في اكتساب
مصالح مادية دنيوية. والاصطباغ بصبغة دينية لتضليل الرأي العام واكتساب القداسة الدينية
هو أول هدف يسعى إليه المستبد، لأن تقديس المستبد تقديسا دينيا يمنح كلمته حرمة دينية
يعجز العامة عن تصور مخالفتها ويسهل على النظام المستبد القبض على مخالفيه بحجة
شرعية، ويساعده في ذلك علماء السوء : [الكامل]

(١) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٨

(٢) قصيدة "أغنية أم"، المرجع نفسه، ص ٣٨٨

هَذَا الَّذِي كَتَبُوهُ مَسْمُومُ الْمَذَاقِ
لَمْ يَتَّقِ مَسْمُومًا سِوَى صَوْتِ الثَّفَاقِ
وَصَوْتِ الَّذِينَ يُقَدِّسُونَ الْفَرْدَ مِنْ دُونِ الْإِلَهِ
وَيُسَبِّحُونَ بِحَمْدِهِ وَيَقْدُمُونَ لَهُ الصَّلَاةَ^(١)

وللحاكم المصري الراحل جمال عبد الناصر حظ كبير في قصائده العشرة ونظم عنه وعن محازبه وفظائمه أبياتا عديدة ويبدو فيها كمستبد قاهر جبار، بلغ أقصى حدود الظلم حتى اعتبره الشاعر "جلادا" فعنون إحدى قصائده بـ "جلاد الكنانة" كما تكرر ذكر الجلاد في قصائده مرارا ولا يعني به إلا الرئيس جمال ومنه قوله: [البسيط]

وَقَالَ جَلَّادُهُ يَوْمًا يُدَاعِيهِ
اخْتَرِ رَئِيسَكَ لَا تَرْهَبْ أَذَى أَحَدٍ^(٢)

وكذلك خطابه يدل على غضبه المتمردة على الطاغية المستبد: [الكامل]

جَلَّادُ مِصْرَ وَيَا كَبِيرَ بُغَايَتِهَا
مَهْلًا فَأَيَّامَ الْخَلَّاصِ دَوَانِي^(٣)

ويشكو وضع البلاد في فترته: [الكامل]

أَنَا يَا أَخِي فِي النَّيْلِ وَالظُّلْمِ الْمُخَيِّمِ وَالْجُرَاحِ
فِي ظُلْمَةِ الْإِرْهَابِ أَخِيَا تَحْتَ تَهْدِيدِ السُّلَاحِ
مُتَلَهِّفًا لِلْفَجْرِ فَجَرَ النُّورِ أَحْلُمُ بِالصَّبَاحِ
وَالشَّعْبُ مَجْرُوحُ الْإِبَاءِ يُعِضُّهُ وَخَزُّ الرَّمَاكِ^(٤)

(١) قصيدة "أغنية أم"، ديوان الرفاعي، ص ٢٨٨

(٢) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، المرجع نفسه، ص ٤١٦

(٣) قصيدة "جلاد مصر"، المرجع نفسه، ص ٣٩٨

(٤) قصيدة "زفرة"، المرجع نفسه، ص ٤٠٢

والفترة التي ساد مصرَ فترة قاسية ، هي فترة جلبت أقصى الشقاء وجرت أشد البلاء على أهل البلاد ، وحاول الحاكم إعادة الأذهان إلى عهد الرق ، وعاش الناس تحت الرعاية الحاسمة للشرطة حاولت إقامة حصار منيع حول الأفكار الحرة والنفوس الأبية كما عطلت المحاكم عين أداء دورها فالشاعر يشهها بالجحيم ، بل تجاوزت أساليب ظلم الحكم كل الحدود ولعله ارتكب جرائم بشعة لم يحرف غير المسلمين أن يرتكبوها : [الطويل]

وَدُقْنَا مِنَ الْإِرْهَابِ مَا لَا يَنْوُقُهُ
وَلَوْ مَرَّةً عِنْدَ الْخُدُودِ يَهُودُ
وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ يَنْتَهِي لِاحْتِمَالِهِ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسُدْ بِهِ خُدُودُ^(١)

أما الادعاءات الموهمة والشعارات المزيفة التي تبتاها المحاكم المستبد لتطويل حكمه فلا يقتنع بها الشاعر لأن الواقع لا يصدقه : [بحر زو الكامل]

لَمْ نَرْضَ هَذَا الْهَوَانَ بِنَا وَلَسْنَا بِالْعَبِيدِ
قَدْ ضَقَّتْ ذُرْعَايَا أَخِي بِالْمَجْدِ وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ^(٢)

وكذلك مظاهر التمدن والأعمال التي قام بها جمال عبد الناصر فهي لا تساوي شيئاً بعد ما حرم الشعب حريته ووطأ كرامته : [الكامل]

إِنَّ السَّجِينَ إِذَا ارْتَدَى مِنْ سُودَسْ
فِي الْقَيْدِ لَا يَرْتَأِي لِّلْسُجَّانِ^(٣)

فهو غير مستعد ليقبل الاستبداد ولو أتى ببعض الثمرات ، لأن المعركة هذه معركة بين الحق والباطل لا يمكن محو الفارق بينهما ، يقول : [الكامل]

(١) قصيدة " في الربيع " ، ديوان الرفاعي ، ص ٤١

(٢) قصيدة " رفرة " ، المرجع نفسه ، ص ٤٠٢

(٣) قصيدة " حلال مصر " ، المرجع نفسه ، ص ٣٩٨

لَا يَسْتَوِي هَـذِي وَبَغْيِي إِنَّمَا
بَيْنَ الْهَـذِي وَالْبَغْيِي فَرْقٌ شَاسِعٌ^(١)

ومن القضايا المهمة التي تستفز منها النفوس في الحكم العسكري احتلال الضباط العسكريين معظم المناصب في الدوائر المختلفة الذي يؤدي إلى انتشار الضعف في جميع القطاعات ويعيش العمال المدنيون في حالة يأس وفتور، وأكبر ما يلحق من الأضرار بالبلاد هو ضياع مؤهلات الجيش في غير مجاله فيضعف في مهمته الأولى وهي الدفاع عن الوطن كما تسرب في كائنها أمراض خلقية تجر على البلاد بلاء تلو بلاء، ونقده الرفاعي نقدا لاذعا: [الكامل]

شَغَلَ الْكِمَاءُ الْغُرُّ كُلَّ وَظِيفَةٍ
وَتَسَلَّمُوا فِي النَّيْلِ كُلَّ عَيْنَانِ
حَتَّى كَأَنَّ يَعْصِرَ كُلَّ كَفَّاءَةٍ
فَصَّصَتْ عَلَى أَبْطَالِهَا الْفُرْسَانُ^(٢)

ولعبة الانتخابات وتشكيل برلمان تابع لإشارة المستبد هي من أوائل اللعب التي تلعب ليمنح حكمه المستبد صبغة ديمقراطية وليس هاشم الرفاعي لينخدع بظاهر الأمور، ويكشف عن حقيقة البرلمان الذي ليس من دوره إلا التصفيق لهفوات الحاكم المستبد والإشادة بكل ما يقول ويفعل، يقول: [الكامل]

هَامُ كَمَا تَهْوَى - فَحَرَّكْهُمْ - دُمَى
لَا يَفْتَحُونَ بَغِيرَ مَا تَهْوَى فَمَا
إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَدْ جُمِعُوا
لِيُصَافَّقُوا إِنْ سَلَّتْ أَنْ تَكَلَّمَ^(٣)

(١) قصيدة "مصر الجريحة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٥

(٢) قصيدة "حلال مصر"، المرجع نفسه، ص ٣٩٨

(٣) قصيدة "نواب الأمة"، المرجع نفسه، ص ٤١٨

ورغم كل هذه الظروف القاسية وما يجري في الشوارع والسجون والمعتقلات من إجراءات التخويف والتعذيب والتنكيل والتشريد لا تضعف لهجة الشاعر هاشم الرفاعي ضد الاستبداد فهو وطيد الآمال بأن السكوت المرعب المخيم على أجواء مصر بداية لظهور ضجة شعبية كبيرة: [الكامل]

لَا يُغْرِتْكُمْ ————— وَابْضُرْب رِقَابَنَا
هَذَا السَّكُونُ فَإِنَّهُ لَأَوَانٌ
وَمِنَ الْعَوَاصِفِ مَا يَكُونُ هُبُوبُهَا
بَعْدَ الْهَدْوِ وَرَاحَةِ الرُّبَانِ
وَتَتَابِعُ الْقَطَرَاتِ يَنْزِلُ بَعْدَهُ
سَيْلٌ يَلِيهِ تَدْفُقُ الطُّوفَانُ^(١)

ومن سمات شعره كذلك أنه رغم كل المعاناة يجدد وفاء برسالته وبمكره: [الطويل]

سَتَغْلِي عَنَّا الْعَارُ يَوْمًا بِقُضْبَةٍ
لَهَا مِنْ دِمَاءِ الثَّائِرِينَ وَقُودُ^(٢)

وفي وطنه قد انتاب الشاعر الشعور بضيق الحياة واختناق صوته وأسر فكره ويشعر بأنه يجبر على تسخير فنه لخدمة الحكام الجائرين: [مجزوء الكامل]

أَظَلُّ أَمْضِي فِي الْحَيَاةِ بِلَا لِسَانٍ أَوْ فَمٍ
أَبْكِي عَلَى حُرِّيَّتِي بِالدَّمْعِ يَقْطُرُ وَالدَّمِ
وَأَعِشْ عِيشَ الذِّلِّ عِيشَ الْعَبْدِ عِيشَ الْأَبْكَمِ
أَلْقَى الْهَوَانَ وَأُنْحَنَى لِلْمُسْتَبِدِّ الْمَجْرَمِ^(٣)

والقصيدة كلها بهذه اللهجة القوية والصريحة تلهب نار العزيمة وتشد الهمة ويدفع السامع إلى كفاح المستبد كفاحاً عيفاً

(١) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٩

(٢) قصيدة "في الربيع"، المرجع نفسه، ص ٤٠١

(٣) قصيدة "زفرة"، المرجع نفسه، ص ٤٠٢

كما أولى الرفاعي قضايا الطبقات المضطهدة مثل الفلاحين والعمال اهتماما خاصا في شعره، ووفق للخطوات الإصلاحية للحكومة في مجال الزراعة وتوزيع الأراضي على الفقراء والبؤساء في قصيدة "توزيع الملكية"^(١) ولم يكتف اهتمامه ببلده مصر بل تجاوزه إلى البلاد العربية الأخرى كالجرائز والصومال وفلسطين فأفرد لها ولقضاياها عددا من القصائد فمنها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر قصيدة "فلسطين"^(٢) للتضامن مع أهل فلسطين وقصيدة "محنة اليمن"^(٣) على الاضطرابات السياسية الداخلية التي هزت كيانهما وقصيدة "دماء في السودان"^(٤) لمذبحة دامية هناك سنة ١٩٥٤م بمؤامرة استعمارية وقصيدة "الحزائر الثائرة"^(٥) تأييدا لكفاح الجزائريين الأحرار آنذاك وقصيدة "رسالة من أفريقيا"^(٦) تضامنا مع المكافحين الأفريقيين الساعين نحو الحرية من برائن الاستعمار وقصيدة "أغنية صومالية"^(٧) تنويها بالصوماليين المناضلين من أجل الحرية والوحدة بعد ما مزقهما الاستعمار أشلاء متفرقة. ولما ضاقت الأرض العربية على كثير من أبنائها رغم سعتها ورحابتها نتيجة بطش الحكام بمخالفينها فعاشوا فترة طويلة أو قصيرة من حياتهم لاجئين تائهين في بلاد أخرى. يتحملون أنعس الآلام. والشاعر هاشم الرفاعي وصف مشاعرهم أدق وصف في قصيدته، أولاهما "غرام لاجئ" وثانيتهما "وصية لاجئ"^(٨).

ويمثل شعر الرفاعي ذلك الكم الكبير من الشعر الثوري المقاوم الذي أجل نشره من أجل اتقاء مخاطر من تعرض له من الطغاة المستبدن وأعوانهم أو ظل ينشر دون ذكر قائله، فتناقلته الألسنة دون ذكر قائلها.

(١) قصيدة "توزيع الملكية"، ديوان الرفاعي، ص ١٥٧

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٣٩

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٤٠

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٥٠

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٦٤

(٦) المرجع نفسه، ص ٣٦٨

(٧) المرجع نفسه، ص ٣٧٢

(٨) المرجع نفسه، ص ٣٧٨

المبحث الثالث أحمد مطر

الشاعر أحمد مطر^(١) صوت ثوري مدوي في العالم العربي منذ أربعة عقود باستمرار يرسم معاناة الشعوب العربية بأدق تفاصيلها ويهجو الأنظمة الحاكمة المستبدة بلهجة صارخة وساخرة وصور بالغة في الهجاء والنقد، صاغ من شعره سيفه الذي يشق به صدر الطغاة المستبدين. شعره مرآة صافية تعكس لنا صوراً واضحة للمآسي الاستبداد القابع على الأراضي العربية دون تغيير وتحريف ومنظار قوي بيدي لنا ما اختفى من العيون ومجهر صياد يفتش ما في باطن الأحداث والوقائع من حقائق ومرسم جميل يرسم لنا عالماً مثالياً ينبغي أن يكون الشعب العربي عليه.

نُفي من الكويت لآرائه المليئة بعدم الارتياح لوضع الشعب العربي بصفة عامة قد ثار بها المسئولون، ولما ضاقت به أرض البلاد العربية أمن له العيش بلندن حيث بقيم منذ ثلاثة عقود أخيرة.^(٢) عمل في مجال الصحافة واستقال لشعوره باختناق نفسه في أجوائها الضيقة. والحرية هي الفكرة الوحيدة التي تسود دواوينه كلها، وذلك سمي حقاً "شاعر الحرية" وسماه آخرون بـ "ملك الشعراء". ولكشف خبايا الاستبداد ورزاياه أكثر في شعره استخدام صور ساخرة وعبارات بالغة في الهجاء وتناوله لقضايا لم يجرؤ أحد غير مطر على إثارتها والتنبيه إليها، فهناك من سماه "شاعراً ساخراً" دون أن يحيط هذا اللقب من قيمة شعره. فالحكم على الشاعر أحمد مطر بالمبالغة في النقد والاستهزاء بالحكام لا يخلو من الصدق لوجود عشرات بل مئات الأمثلة الشعرية لذلك، غير أنه لا يمكن للقارئ إهمال هذه الصور والتهاون بها بمجرد هذا الحكم لأنها صور تفيض بالحقائق المؤلمة التي لا يمكن لأحد رفضها والهروب منها وتحاول الحكومات المستبدة دائماً إخفائها، وخاصة فيها غير قليل من القضايا التي لم يجرؤ أحد غير مطر في الجهر بها بجرأة مثالية.

(١) أحمد مطر، شاعر عراقي معاصر، ولد في البصرة في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، وهو مستقر حالياً في لندن بعد سلسلة النفي التي واجهها بسبب شعره المعارض الذي تميز به حتى الآن انظر: موسوعة أمراء الشعر العربي، لمحمد موسى الوحش، دار دجلة للنشر والتوزيع،

ط ٢٠٠٨م، ص ١٠٩

(٢) موسوعة أمراء الشعر العربي، ص ١٠٩

يتسم شعره بالمباشرة ودواوينه بمثابة لائحة الاتهامات على الحكام المستبدين وأعدائهم وأنصارهم ومحكمة شعرية للشعوب المرتضية بأبشع ألوان الظلم والعبودية. واتخذ وضع العالم العربي والحالة النفسية التي يعيشها الفرد العربي والمآسي التي يخلفها الاستبداد مادة لشعره الثوري المقاوم، وانفرد عن بقية معاصريه بكشف جوانب دقيقة أهمها الآخرون، وتوفر دواوينه السبعة المشهورة باللافتات مادة وفيرة لمن أراد معرفة الحالة النفسية التي عاشها العرب فردا وشعبا، والمعاناة التي تحملوها في القرن الأخير.

أيا كان الأمر فلا شك في أنه مبدع في تصوير أوضاع العالم العربي بصور صادقة متكونة من رموز لا تهدف في أغلب الأحوال لأشخاص معينين، أما أقصى درجات السخرية التي بلغها أحمد فيفسر بأنه رد فعل مساو لأقصى درجات الشقاء الذي يعاني منه أباء الوطن العربي بأكمله فليس شعره إلا رد فعل لهذه البلايا والرزايا التي ابتلي بها شعبه العربي:

أنا لا أكتب الأشعار
فالأشعار تكتبني
أريد الصمت كي أحييا
ولكن الذي ألقاه ينطقني^(١)

ويرى من فريضة الشعر أن يخلق في النفوس أمواج الثورة ويمنحها فكرة التحرر من القيود، فالشعر الذي لا يهز الكيان ولا يمنح أعماق الفرد ثورة وفكرة لا يصلح ليقال له شعرا:

كفرتُ بالشعر الذي
لا يُوقِفُ الظلمَ ولا يُحرِّكُ الضمائرُ
لَعَنْتُ كُلَّ كَلِمَةٍ

(١) قصيدة "دعوة على جثمان الحرية"، لافتات ١، للشاعر أحمد مطر، منتدى سور الأريكية، لندن،

لَمْ تَنْطَلِقْ مِنْ بَعْدِهَا مَسِيرَةً
وَلَمْ يَخْطُ الشَّعْبُ فِي آثَارِهَا مَصِيرَهُ.^(١)

ومنبع طاقته دموع الأمهات المسكينات وأنات الآباء المنكوبين، فأناتهم ودموعهن
وهبته ثورة شعرية، يقول:

أنا شاعر حُرٌّ أعاني
من حُرقة الآباء أفتبسُ المعاني
ومِدَادُ أشعاري تقاطر
من دُموع الأمهات
فَمَتَى سَتُوحِي بِالْهَوَى شَفَّةَ الْهَوَانِ
وَمَتَى سَتَطْلُعُ وَرْدَةُ الْأَمَالِ
فِي تِلْكَ الدَّوَاةِ^(٢)

ويرى أحمد مطر أن زمانه لم يعد يصلح لفن الشاعر الذي يغازل الجاربات في
حدائق الحب ويرسم صورا للحب والعشق أو يصوغ قصائده لإلقائها في بهو القصور
وشرفاتها ليسلي بها طائفة الحكم ويسد بها جوعه منعزلا عن الواقع القاسي الأليم:

لَعْنَتْ كُلَّ شَاعِرٍ
يُغَاذِلُ الشَّفَاةَ وَالْأَثْدَاءَ وَالضَّفَائِرَ
فِي زَمَنِ الْكِلَابِ وَالْمَخَافِرِ
وَلَا يَرَى فَوْهَةً بُنْدُوقِيَّةً
حِينَ يَرَى الشَّفَاةَ مُسْتَحِيرَةً
وَلَا يَرَى رُمَانَةً نَاصِفَةً
حِينَ يَرَى الْأَثْدَاءَ مُسْتَدِيرَةً^(٣)

(١) قصيدة "جنة"، لافتات ١، ص ٧

(٢) قصيدة "البيات"، لافتات ٢، للشاعر أحمد مطر، منتدى سور الأريكية، لندن، ط ١٩٨٧م ص ٣٦

(٣) قصيدة "جنة"، لافتات ١، ص ٧

الواقع العربي المتردي هو الدافع الوحيد لصرخته المتعالية وزفرته الثورية واتخذ شعره أداة كفاح ونضال ضد المستولين عن هذا الواقع الذي تحولت فيه أرض الوطن إلى منطقة لا تقل عن الجحيم قساوة وشقاء، فقد ضاع رجاء سكانها ومات الإباء عند حكامها، والفرد العربي لشدة اليأس الذي غلبه يكاد لا يشعر بحرارة الحياة وبحرية الإرادة:

المعجزات كلها في بدني
حي أنا لكن جلدي كفني
أسير حيث أشتهي لكنني
أسير

ويلقانا الفرد العربي مكبلاً مصفداً معذباً وتجرحه كأس أحلى له من مرارة العيش، ينتابه في كل أوانه شعور بحصار قائم حوله، يقول:

الإعدام أخف عقاب
يتلقاه الفرد العربي
أهناك أقسى من هذا؟
طبعاً
فالأقسى من هذا

أن يحيا في الوطن العربي^(١)

والمواطن العربي يفضل فيها الموت على الحياة التي يعيشها، وهو مضطر - كما جاء في قصيدة "استغاثة" - إلى أن يستغيث بعزرائيل لينعم عليه بقبض روحه وتخليصه من معاناة الحياة على أرض الوطن العربي، وفي قصيدة "مؤهلات" تصور مدى الحرية الذي تحظى به الحيوانات وهو أكثر بكثير مما يتمتع بها الفرد العربي، وكثير لديه الإحساس بأن الفرد العربي يعيش حياة أدنى من حياة الحيوانات ويتجلى ذلك في عديد من القصائد فمثلاً يقارن في قصيدة "ناقص الأوصاف" بين الخراف وبين البشر الذين يعيشون في الوطن العربي، يقول:

(١) قصيدة "أقسى من الإعدام"، لافتات ٦، للشاعر أحمد مطر، منتدى سور الأزيكية، لندن، ط ١٩٩٦م،

لكن يظل بيتنا وبينها اختلاف

نحن بلا أروية

وهي طوال عمرها ترفل بالأصواف

نحن بلا أحذية

وهي بكل موسم تستبدل الأظلاف

وهي لقاء ذلها.. تنفغو ولا تخاف

ونحن حتى صمتنا من صوته يخاف

وهي قبيل ذبحها

تفوز بالأعلاف

ونحن حتى جوعنا

يحيا على الكفاف

هل نستحق، يا ترى، تسمية الخراف؟^(١)

ولهذا الانهيار الفكري ولشقاء الفرد العربي المكبل المقيد بلغ بالشاعر الأمر إلى أنه

يطالب الحكام بأن يمنحوا له درجة الحيوانات، يقول:

يا أيها الولاة

نريد أن نكون حيوانات

نريد أن نكون حيوانات^(٢)

فكل فرد من أبناء البلد العربي في شعر أحمد مطر معتقل الصوت منزوع الشفاء

منحني الرأس يعدم عشرات من أمثاله بمجرد اشتباه، وغدا القانون معدوم الضمير، ومحت

الرقابة البوليسية المطلقة العنان من أجواء البلد صفاءها وضيقها على كل ذي شرف فغدت

الحرية حلما لا يسمح بأن يحلم به

نهربُ للمرأة من وجوهنا

^(١) قصيدة "ناقص الأوصاف"، لافتات ٦، ص ٦٤

^(٢) قصيدة "مؤهلات"، لافتات ٢، ص ١١٥

ونكسرُ المرأة

خوفَ المداهمات

نهربُ من هروبنا

مخافةً اعتقاننا

بتهمة الحياة^(١)

وقصيدته "لا أقسم بهذا البلد"^(٢) صورة لقتل روح الشعب وشدة أسره، فلا فرق بين الميت الذي يزار والحي الذي يزور، فكلاهما حرما الحياة، فالمنايا دائرة في البلاد جائعة وضامة وتبحث عن كسرة روح وعن دم وعن أدمع وحتى عن الشعور. ويتجلى الضجر القابع في ذهن الشاعر في بعض الأحيان بشكل اكتئاب ونفور من وطنه الحبيب الذي كان يعديه بكل ما يملكه غير أنه بعد ما قد دنسته أيدي حكامها لم يعد مركز حبه كما كان، يقول في قصيدة "يقط الوطن":

إن لم يكن بنا كرما آمنا

ولم يكن محترما

ولم يكن حرا

فلا عشنا

ولا عاشَ الوطن^(٣)

وللدرجة السخيفة والدنيئة التي وصل إليها الإنسان العربي وسط الأمم المتحضرة والمتقدمة يعترى الشاعر إحساس آخر وهو أن العروبة أصبحت عقوبة وبهتاناً وعارا في وقت واحد، كما غدت عرضة لاستهزاء الشعوب، وسحر بالعروبة في قصيدة "هوية"^(٤) فالمجتمع العربي بأكمله في شعر أحمد مطر فقد الكرامة التي رأى جنتها ملفاة على مزبلة:

(١) قصيدة "مؤهلات"، لافتات ٢، ص ١١٥

(٢) قصيدة "لا أقسم بهذا البلد"، لافتات ٣، لأحمد مطر، منتدى سور، لندن، ط ١٩٨٩م ص ١١٢

(٣) قصيدة "يقط الوطن"، المرجع نفسه، ص ١١٥.

(٤) قصيدة "هوية"، لافتات ٤، لأحمد مطر، منتدى سور الأزيكية، لندن، ط ١٩٩٢م ص ٦٨

في مقلب الإمامة

رأيت جنة لها ملامح الأعراب

تجمعت من حولها النُشور والدُّباب

وفوقها علامة

تقول هذي جنة كانت تسمى سابقاً "كرامة"^(١)

أما مظاهر الرخاء والترف الظاهرة في بعض الدول العربية فليست - في رأيه -

سوى انخداع أهلها وإنها لا تساوي شروى فقير، فلا لذة للمباني المرتفعة والقصور الشاهقة
والسدود المشيدة بدون الحرية.

وَطَنِي أَنَا : حُرِّيَّتِي

لَيْسَ التُّرَابُ أَوْ الْمَبَانِي

أَنَا لَا أَدَافِعُ عَنْ كِيَانِ حِجَارَةٍ

لَكِنْ أَدَافِعُ عَنْ كِيَانِي"^(٢)

هذا على مستوى الفرد، ولا يختلف الأمر على مستوى الشعب فقد أصبح قطيعاً

يسبق بإرادة غيره، لا يختلف إحساساً وشعوراً عما طرد من جنة الوطن ليعيش في جحيم
المنفى، فكانه جنة متحركة برجيله، يقول :

قَطِيعٌ نَحْنُ وَالْجِزَارُ رَاعِيْنَا

وَمَنْفِيْنَا نَمْشِي فِي أَرْضَيْنَا

وَنَحْمِلُ نَعْتَنَا قَسْرًا بِأَيْدِينَا

وَنَعْرِبُ عَنْ تَعَاذِينَا لَنَا فِينَا"^(٣)

فالشعب العربي مجروح الجسد متمزق الروح مملوك الحرية ومعدوم الفكر، لا

يشعر بوخز الذل وطعنة الهوان، بلغ به الإفلاس الفكري منتهاه :

(١) قصيدة "جنة"، لافتات ١، ص ٧

(٢) قصيدة "هذا هو الوطن" لافتات ٥، لافتات ٥، لأحمد مطر، مندى سور، لندن، ط ١٩٩٤م ص ٤٦

(٣) قصيدة "عزاء على بطاقة تهته"، لافتات ١، ص ١٣٤

وطني ما زال ملقى
 مهملا فوق الرصيف
 غارقا في سكرات الموت
 والوالي هو السكين
 والشعب نزيف^(١)

ومعاناة العرب مستمرة وشاملة تحيط بجميع البلدان العربية دون استثناء ، يفقدون الحرية والكرامة ولعل حظهم في باب الحرية أحط من مستوى عيش الحيوانات :

حقا ، أيها الناس
 لماذا نهدر الأنفاس في قيل وقال؟
 نحن في أوطاننا أسرى على أية حال
 يستوي الكباش لدينا والغزال
 فبلاد العرب قد كانت وحتى اليوم هذا لا تزال
 تحت نير الاحتلال
 من حدود المسجد الأقصى إلى البيت الحلال^(٢)

ودواوين مطر تنبئ عن حزن يغشى أفئدة الشعب العربي والقهر الذي يرتعد منه الفكر والخوف الذي يعم الناس جميعا في زمن الاستبداد ، ويفسر أحمد مطر الحزن القابع في العالم العربي والمحيط بأهله صغارا وكبارا شبابا وشيوخا ونساء ورجالا تفسيراً خاصا ، ففي قصيدة "حزن على الحزن" سأل الشاعر الحزن ألا يشكو الوهن والتعب لأنه يطوف في أرجاء الوطن العربي ويحل كل دار ليدخل في قلوب العرب وعيونهم ووجوههم في مناسبات مختلفة كالكنف وتشيع الجنائز ورفع الموتى وغيرها ، فأجابه الحزن بأنه كثيرا ما فكر في الرحيل عن العالم العربي غير أن حب الوطن وقف حاجزا دون إرادته هو قابع على أرضه لا يغادرها :

(١) قصيدة "الطفل الأعمى" ، لافتات ٢ ، ص ٦٣

(٢) قصيدة "أقزام طوال" ، المرجع نفسه ، ص ١٠١ ، ونفس الفكرة تكررت في قصيدة "نهاية المشروع" ، لافتات ٢ ، ص ٩٢

-أيها الحزنُ الذي يغشى بلادي
 أنا من أجلك يغشاني الحزنُ
 أنتَ في كل مكانٍ
 أنتَ في كل زمنٍ.
 دائرٌ تخدمُ كل الناسِ
 مِن غيرِ ثمنٍ.
 عَجَباً منك .. ألا تشكو الوهنُ ؟!

وكذلك غدا حال القهر الذي بدأ يخاف القهر :

أكاد لشدة القهر
 أطن القهر في أوطاننا
 يشكو من القهر
 ولي عذري
 لأني أنقي خيري
 لكى أنجو من الشر
 فأنكر خالق الناس
 ليأمن خائق الناس^(١)

ويكثر أحمد مطر من وصف أجواء الخوف المحيطة به ، فلا يكاد يتحرر منه في يقظته
 ولا في غفوته ويرصده في عمله ولا يستطيع التخلص منه في لحظة من لحظاته لأنه متواصل
 الصحبة معه لا يفارقه :

يتبعني في الدرب
 ففي بلاد العرب
 كلَّ خيالٍ بدعةٌ
 وكل فكرٍ جنحةٌ
 وكل صوتٍ ذنبٌ^(٢)

(١) قصيدة "الصحوي الثمالة" ، لائتات ١ ، ص ٥١

(٢) قصيدة "الهارب" ، لائتات ٢ ، ص ٥٤

وصياغة شعر حر حقيقي في أجواء البلاد العربية مهمة صعبة إذ يراقب الشاعر هيئات ودوائر رسمية مراقبة دقيقة وقد تحدد مدى الحرية التي يحظى بها الشاعر في اختيار الموضوعات والكلمات والعناوين والمناسبات لقصائده، فقصيدة "القصيدة المقبولة"^(١) ترسم لنا مدى مطالبة الدوائر الرسمية بالتعديلات اللفظية والتعبيرية في القصيدة، وكيف نصحته بأن تخلو قصائده من كلمات مثل الثورة:

إحذف (الثَّورَة)

فالأوطانُ في أفضل حال!

إحذف (الثَّروَة) والأشباة

ما كل الذي يُعرف، يا هذا، يُقال^(٢)!

ومما قال في قضية الرقابة:

ومن حذري

أمارس دائما حرية التعبير

في سري

وأخشى أن يبوح السر

بالسر

أشك بحر أنفاسي

فلا أدنيه من ثغري^(٣)

وليس من السهل السير في هذه الأجواء المخيفة أن يعزف قيثارة شعرد بهذا المنوال، وهو على وعي بزيف الزمن وخطورة السبيل التي يسلكها:

سبعون طعنة هنا موصولة النزف

تبدي ... ولا تخفي

(١) قصيدة "القصيدة المقبولة"، لافتات ٤، ص ٢٨

(٢) قصيدة صاحبة الجهالة، لافتات ٣، ص ١١٦

(٣) قصيدة "الصحو في الثمالة" من ديوان لافتات ١، ص ٥١

تفتال خوف الموت في الخوف

سميتها قصائدي

وسمها يا قارئ حنفي^(١)

وقصائده مليئة بالصعوبات التي يواجهها الشعراء ثنا لكرامة الكلمة، ففي قصيدة
 "إشاعات مغرصة"^(٢) وقصيدة "مجماعة الشبعان"^(٣) وقصيدة "أوراق"^(٤) وقصيدة "مادئ"^(٥)
 الكتابة العربية^(٦) وقصيدة "البلبل والوردة"^(٧) ذكر مدى المشقة التي يواجهها الشعراء
 للمحافظة على فنهم.

وله رؤيته الخاصة في شأن مشاركة الشعراء في الأمور السياسية، فهي لم تعد شجرة
 ممنوعة للشاعر بل قد يصبح مشاركته فيها فريضة يفرضها عليه حب الوطن وبقاؤه:

قبل لي: لا تتدخل في السياسة

تبدو المبنى وقالوا:

أبعدوا عنه أساسه

أيها السادة عَفُوا

كيف لا يهتزُّ جسم

عندما يفقد رأسه^(٨)

(١) لافتات ١، ص ٥

(٢) لافتات ٢، ص ١٠٦

(٣) قصيدة "مجماعة الشبعان"، ديوان لافتات ٥، ص ٨٠

(٤) قصيدة "أوراق"، لافتات ٤، ص ٤١

(٥) قصيدة "مبادئ الكتابة العربية"، المرجع نفسه، ص ٦٦

(٦) قصيدة "البلبل والوردة"، لافتات ٥، ص ٢٢

(٧) قصيدة "قطع علاقة" من ديوان لافتات ١، ص ١٠

وتتضمن قصيدة "حوار على باب المنفى"^(١) تلك الشجون والأوهام التي سيطرت على ذهن الشاعر والاحتمالات التي سمعها من أفواه من يقابلونه محاولين تهدئة ثورته وتخفيف لهجته اللاذعة المرة حناناً به وإشفاقاً عليه ، قالوا له :

لقد جَاوَزْتَ حَدَّ الْقَوْلِ يَا مَطْرُ
ألا تدري بأنك شاعر يَطْرُ
تصوغُ الحرفَ سَكِيناً
وبالسَّكِينِ تَنْتَحِرُ؟^(٢)

وخوفوه بأنه ستلحق به أضرار لن يتمكن من التعويض عنها في حياته :

سيأكل عُمْرَكَ المنفى
وتلقى القَهْرَ والعُسْفَا
وترقبُ ساعةَ الميلادِ يوماً
وفي الميلادِ تُحتَضَرُ^(٣)

ورداً على هذه الاحتمالات بدا مستعداً لأي نوع من التضحية من أجل كلمته وهو يقاوم قوة السيف بيد الطغاة موقناً بأن الحرف سينتصر وأن السيف رغم حدة سينهزم وسيندثر :

ذاك أَنَّ الحرفَ قَبْلَ الموتِ يَنْتَصِرُ
وعندَ الموتِ يَنْتَصِرُ
وبعدَ الموتِ يَنْتَصِرُ
وإنَّ السَّيْفَ مهما طَالَ يَنْكَسِرُ
وَيَصْدَأُ .. ثُمَّ يَنْدَثِرُ^(٤)

(١) قصيدة "حوار علي باب المنفى" ، لافتات ٢ ، ص ١٩٦

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٩٥

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٩٤

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٩٧

والعظة والعبرة في نهاية المطاف بالموتة التي يموتها الإنسان، يعيش البعض عمرا مديدا مليئا بذل وهوان ويموتون موتة قذرة ويعيش البعض عمرا قصيرا مليئا بعز وإباء فيعيشون موتة طيبة كريمة.

ولكنني بصدق
أنتقي موتاً نقياً
والذي بالكذب يحيا
ميتاً أيضاً
ولكن موتة قذرة^(١)

وقصيدته "حديث الحمام" عبارة عن حديث صياد مع أسراب حمام يعرض عليها قفصاً بأسلاك ريش نعام وسقف من ذهب كما زينت أرضها بشمع ورخام ويتدلى في وسطه أرجوحة ضوء تبهر العيون وتتوفر فيها كل ما يحتاج إليه الحمام من ماء وطعام ويطلب منها الصياد دخول القفص والعيش فيها هنيئاً مريئاً، ولكنها يفاجأ برد أسراب الحمام التي تقول:

قالت الأسراب:
لكن به حرية مُعْتَقَلَة
أيها الصياد شكراً
تُصبح الجنة ناراً
حين تغدو مُقَفَّلَة
ثم طارت حُرَّة
لكن أسراب الحمام
حينما حدثتها بالسوء صياد النظام
دخلت في قفص الإذعان حتى الموت
مين أجل وسام!^(٢)

^(١) قصيدة "حوار علي باب المفق"، لافتات ٢، ص ١٩٨

^(٢) قصيدة "حديث الحمام" ديوان لافتات ٥، ص ٣٤

وهكذا ينعى الشاعر أحمد مطر هؤلاء الذين يرضون ببيع حريتهم بمقابل أرخص من قلامة ظفر ولا يقتصر هذا الأمر على أفراد بل يتجاوز إلى طوائف وطبقات وأحزاب مختلفة تنتمي إلى المجالات المختلفة كالصحافة والإعلام والدين والسياسة والاقتصاد وغيرها وقد تعرض الشاعر لكل منها في شتى قصائده كاشفا حقيقة مواقفهم ومزقا نقاب القدسية والجلال من وجوههم.

ويسخر من الصحافة التي لا يعنىها سوى اختلاق أساطير وقصص لتمجيد الحكام وما يتعبون أنفسهم في خدمة شعبهم ليل نهار وليس لأحد حق النشر في الصحيفة من لم يكتب لمدح الولاة قصيدة لطيفة، والشاعر أحمد مطر يرفض كل رفضه بهذه الصحافة السخيفة :

فلتأكلي ما شئت، لكني أنا
مهما استبدَّ الجوعُ بي
أرفضُ أكلَ الجيفةِ
أيتها الصحيفة^(١)

ووسائل الإعلام الرسمية كانت الوسيلة الوحيدة لمن يقطن معظم البلاد العربية لمعرفة الأخبار والأحوال، وكانت ولا تزال في الحقيقة بوق دعاية كاذبة مزيفة، ويعتبر الشعب الضعيف كل تصريح صادر منها الحقيقة الصحيحة دون أن يتعرض لها باستفسار أو اعتراض، يقول أحمد مطر وهو يصف مبلغ ثقة الناس بالإذاعة الرسمية، يقول:

لُعن الشعبُ الذي
ينفي وجود الله
إن لم تثبت الله بيانات الإذاعة^(٢)

(١) قصيدة "حيثيات الاستقالة"، لافئات ٣، ص ٧٣

(٢) قصيدة "شيطان الأثير"، المرجع نفسه، ص ٨٧

وتأثير وسائل الإعلام على الأذهان والقلوب ليس أقل من تأثير تخدير الطبيب على المريض ، فهي بمثابة تخدير الشعب ليفقد وعيه وفكره ، كما يقول في قصيدة "استراحة"^(١) :

تريد أن تمارس النضال

تعال..

كل كثير مسكر قليله حرام

فأعلن الصيام عن إذاعة النظام

وأعلن الصيام عن صحافة النظام

وأعلن التوبة ألف مرة

عن خطب الحكام

واستغفر الله على عمر مضى

صدقت فيه مرة وسائل الإعلام...^(٢)

فدور الإعلام منحصر في اختلاق أساطير المجد والكرم لذوي العرش ووصف الحقائق على غير حقيقتها وبيث ما يخدع العقل ويميت الروح ويقتل الفكر ، يقول :

إعلامنا إعدامنا

يركلنا

يشتتنا

يصبق في وجوهنا

وما بأيدينا سوى أن نشكر الإحسان

أليس شيئا رائعا

أن يصفع المرء على قفاه بالألوان^(٣)

(١) قصيدة "استراحة"، لافتات ٣، ص ١٠٤

(٢) قصيدة "كيف تتعلم النضال" ، المرجع نفسه، ص ١٢٩ ، وكذلك وصف الصحافة السلطانية في عدد من قصائده ، منها : قصيدة "كيف تأتينا النظافة ، ديوان لافتات ٦ ، ص ١٨ ، وقصيدة "ليلة" قصيدة "ليلة" ، ديوان لافتات ٦ ، ص ٩٦

(٣) قصيدة "صاحب الضخامة" ، لافتات ٤ ، ص ١١٦

وممن يلعب دور عملاء الاستبداد معظم القضاة الجالسين في المحاكم الرسمية، ويوجه سهامه الشعرية نحو المحاكم التي تصبح عوناً للمستبد فتمنح جرائمه البشعة صبغة شرعية قانونية وتبطل بالأحرار وتمنح سلطة مطلقة للأشرار، ويصبح العدل فيها سلعة يشتريها المستبد بأسعاره التي يحددها بنفسه، وكشف الشاعر حقيقة القرارات التي تصدرها هذه المحاكم في عدة قصائد، فمثلاً في قصيدة "يحيا العدل" يصور مأساة شاب حبس بتهمة ساذجة، يقول الشاعر:

حبسوه

قبل أن يتهموه

عذبوه

قبل أن يستجوبوه^(١)

وبهذا بدأت محاكمة مواطن بريء وشمل تعذيبه كل ألوان التعذيب الممكنة من إطفاء السيجارة في مقلتيه وقص شفتيه وأخيراً شُنق المسكين لأنه لم يعترف بما أرادوا منه غير أن المأساة لم تنته بموته، بل:

بعد شهر برأوه

أدركوا أن الفتى

ليس هو المطلوب أصلاً

بل أخوه^(٢)

فأسرعوا إلى بيت أخيه غير أن الأخ الثاني نجح من شرهم وتعذيبهم، لأنه كان قد مات حزناً على موت أخيه وهكذا تدمرت الأسرة بكاملها دون أن يرحمها أحد. ومعاناة المظلومين تتضاعف لما يرى أن جميع سلطات الدولة تشد أزر غيرها في الظلم والاضطهاد، فلا يجدي رفع الشكاوى إلى المحاكم:

(١) قصيدة "يحيا العدل"، لافتات ٢، ص ٨٠

(٢) المرجع نفسه، ص ٨١

أيها اللص الصغير
ياكل الشرطي والقاضي
على مائدة اللص الكبير
فيما ذا تستجير؟
ولمن تشكو؟
ألقانون... والقانون معدوم الضمير؟
أإلى خوفٍ بغير
تشتكي ظلم البعير؟^(١)

فغياب محاكم العدل أو طاعتها لإشارات أصابع الحكام ومنحها جرائمه الفظيعة
صبغة شرعية قانونية ورد طلبات المظلومين كل ذلك يجعل القوانين والمحاكم عرضة للسحرية
والاستهزاء، يقول:

أي قيمة
للقوانين العظيمة
وهي قفاز حريري
لذي الكف الأثيمة
وأداة للجريمة^(٢)

وغدا الدستور لعبة يلعب بها الحكام كما يشاءون:

يقول حبري ودمي
"لا تندعش"

من يملك القانون في أوطاننا
هو الذي يملك حق عزفه^(٣)

(١) قصيدة "موازنة"، لافتات ٢، ص ١٢٤

(٢) قصيدة "تحت الصفر"، لافتات ٤، ص ٥٨

(٣) قصيدة "عدالة" من ديوان لافتات ١، ص ١٦

وكذلك يتمرد الشاعر أحمد مطر على طائفة منافقة تستغل الدين الخفيف لإباحة زلات المستبد ومنحها قداسة دينية وتحاول دوما الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة لأهدافها المذمومة، وسخط أحمد جلي باد على المتظاهرين بالدين وليسوا في حقيقة الأمر سوى حفاظ النظام المستبد، فمثلا صور في قصيدة "واعظ السلطان"^(١) كيف يهتم علماء البلاط بموضوعات تتعلق بالعبادة دون موضوعات وطنية واجتماعية خوفا من أن يشور الحماس والغيرة في النفوس، والقصيدة وصف الخطبة ألقاها أحد علماء البلاط، يقول الشاعر:

حدثنا الإمام
في خطبة الجمعة
عن فضائل النظام
والصبر والطاعة والصيام^(٢)

ولا يعني بالنظام إلا إخضاع الرؤوس لأمر الطاغية المستبد والصبر على ما يلقونه من مأس وفظائع ولا يريد بالصيام إلا الزهد الذي يقعد عن الكفاح والنضال، غير أن الشاعر لم يقع في فريسته الوعظية، فيقول:

ولكنه لم يذكر الجهاد في خطبته
وحين ذكرناه
قال لنا: عليكم السلام^(٣)

وبين في قصيدة "الحلم"^(٤) كيف يقنع علماء البلاط الشعب بقبول الحكم الاستبدادي مستخدمين حججهم بمبادئ الإيمان بالقدر وطاعة أولى الأمر والالتزام بالصبر.

(١) قصيدة "واعظ السلطان"، لافتات ٦، ص ٦٠

(٢) المرجع نفسه

(٣) المرجع نفسه

(٤) قصيدة "الجار والمجرور"، لافتات ٢، ٩٨

وممن مزق أحمد مطر نقابه المسدل على وجهه شعراء البلاط الذين يختلفون أساطير
المجد والعز للحكام المستبدين فمؤاخذتهم موضوع مثير في شعر أحمد مطر وشعره حرب على
هؤلاء الشعراء الذين يرمون بماسة الشعر في مزبلة التزييف والتضليل فيعلو وجوههم الخزي
وقلوبهم ليست سوى بيوت دعارة وبغاء، وقيمة شعرهم ليست أكثر ممن يخلق أنساب
اللقطاء، ولا يفرق بين هذا الجنس من الشعراء وبين الشعراء الأحرار إلا باختيارهم، يقول:

وكل ذنبي أنني آمنت بالشعر

وما آمنت بالشعير

في زمن الحمير^(١)

وفي هذا الزمن لا يسهل ممارسة فن الشعر، لأن الشعر الحر يتطلب من صاحبه ثمنا
وتضحية وصمودا وثباتا، تنقلب الأكفان دفاتر والأكباد حبرا، يقول:

في زمن الأحياء الموتى

تنقلب الأكفان دفاتر

والأكباد محابر

والشعر يسد الأبواب

فلا شعراء سوى الشهداء^(٢)

قد تكون الحياة التي باع معظم الشعراء أنفسهم من أجلها أرخص من بيت واحد
يمنح بني آدم الشعور والفكر والحرية، يقول في قصيدة "بيت المقدس":

يا قدس يا سيدتي معذرة فليس لي يدان

وليس لي أسلحة وليس لي ميدان

كل الذي أملكه لسان

(١) قصيدة "الحي الميت" من ديوان لافتات ١، ص ١٠١

(٢) قصيدة "لا نامت عين الحبناء" المرجع نفسه، ص ٨٠

والنطق يا سيدتي أسعاره باهظة والموت بالمجان

سيدتي أخرجتني ، فالعمر سعر كلمة واحدة وليس لي عمران^(١)

فكل من الشاعر الأبى الحر والشاعر الرسمي الرخيص يعيش عيشه ، أحدهما يرسف في الأغلال ويحاصره الجنود ، والثاني يرقع نعل الوالي بالوزن والقافية والعروض ، والنظام لا يسمح للشاعر بأي قصيدة تؤجج نار الثورة أو تشع نور الأمل وتمنح الشعب النائم شعور التحرر من سلاسل العبودية ، وقدم في قصيدة "الأرمد والكحال" نموذجاً للأبيات التي لا تחדش أمن الدولة ومصالحها وفق شرائط النظام للشعر ، فكل قصيدة خلت من روح الثورة وفكر الحرية صالحة للتسر والإشاد وتضمن سلامة لصاحبه ، يقدم لنا نموذجاً لتلك القصيدة الرسمية ، يقول :

هل ، إذا ، بش ، كما

قد ، عسى ، لا ، إنما

من ، إلى ، في ، ربما

هكذا سلمك الله قل الشعر

لتبقى سالماً

هكذا لن تشهق الأرض

ولن تهوى السما

وهكذا لن تصبح الأوراق أكفانا

ولا الحبر دماً^(٢)

وفاق أحمد غيره من معاصريه في تصوير ما لاقته أجساد الأبرياء وأذهانهم من تعذيب جسدي وروحي ونفسي ، فقد أولى الشاعر قضية المعذبين في السجون والمعتقلات والأبرياء اهتمامه الخاص في شعره ، فهم الذين تحملوا ما لا يطاق بمجرد اشتباه ، ففي "سين جيم" عرض أحوال رجل لاقى على أيدي المفتشين ما لاقى من ضرب وظلم وبصق فهم

(١) قصيدة "بين يدي القدس" من ديوان لافتات ١ ، ص ١٠٢

(٢) قصيدة "الأرمد والكحال" ، المرجع نفسه ، ص ٨٥

بعد ما نزعوا جلده ونبشوا عظمه سألوه عن اسمه، فبم رد؟ يصور الشاعر تلك اللحظة قائلا:

ما اسمي؟
حقا ما اسمي
وأخذت أفكر ساعات
وتذكرت أخيرا أنني
لا أتذكر ما اسمي؟^(١)

وكارثة أخرى هي مأساة المفقودين، فالعالم العربي مر -وما زال يمر إلى اليوم- بمأساة اختطاف المواطنين على يد رجال الأمن وهذه الظاهرة حدثت بكثرة حيث لا يوجد حي إلا وفيه قصص مؤسفة لأفراد اختطفوا دون أن يبقى لهم أثر يذكر، لم يدركهم الشقاء إلا لأنهم أخرجوا مشاعر الحكام بمطالبتهم ببعض حقوقهم، وتصور قصيدة "مفقودات" حكاية لأحد هؤلاء وكان صديقا للشاعر، ومرة زار الرئيس مدينته وسمح للناس بأن يطلبوا منه ما يريدون ويحتاجون إليه وأن يفصحوا عما في داخلهم بكل حرية، ويحكي الشاعر قصة ذلك اليوم:

فقال صاحبي حسن:
يا سيدي
أين الرغيف واللبن؟
وأين تأمين السكن؟
وأين توفير المهن؟
وأين من
يوفر الدواء للفقير دوماً ثمناً؟
يا سيدي

(١) قصيدة "سبي جيم"، لافتات ٣، ص ٧٨، وقصيدة "يحيا العدل" (لافتات ٢، ص ٨٠) تتضمن

أفكارا تشبه هذه الأفكار

لَمْ تَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً أَبَداً^(١)

ارتبك الرئيس متحيراً بأسئلة حسن ولم يكذب يصدق ما يسمعه من حالة يرثى لها،
غير أنه سمعها بكل وقار وطمأنينة وبعد ما انتهى حسن من إلقاء ما يريد جالس:

قال الرئيسُ في حَزَنٍ:
أَحْرَقَ رَبِّي جَسَدِي
أَكُلُ هَذَا حَاصِلٌ فِي بَلَدِي
شُكْرًا عَلَى صِدْقِكَ فِي تَنْبِيهِنَا يَا وَلَدِي
سَوْفَ تَرَى الْخَيْرَ غَدًا^(٢)

ويستمر الشاعر في رواية هذه الحكاية، وتمرس سنة كاملة على هذا الحوار بين الرئيس
ومجاهرة صديقه حسن بمطالباته أمامه وحدث خلالها ما حدث. وبعد سنة كاملة أعاد الرئيس
زيارة هذه البلدة ثانياً واستدعى الناس بالإفصاح عما يختلج في صدورهم دون خوف، فلم
يقف أحد من الناس، يقول الشاعر:

لَمْ يَشْكُلِ النَّاسُ
فَقُمْتُ مُعْلِنًا:
أَيْنَ الرِّغْفُ وَاللَّبَنُ؟
وَأَيْنَ تَأْمِينُ السَّكَنِ؟
وَأَيْنَ تَوْفِيرُ الْمِهْنِ؟
وَأَيْنَ مَنْ
يُوفِّرُ الدَّوَاءَ لِلْفَقِيرِ دَوْمًا ثَمَنُ؟
مَعْفِرَةٌ يَا سَيِّدِي
وَأَيْنَ صَاحِبِي (حَسَنُ)؟^(٣)

(١) قصيدة "مفقودات"، لافتات ٣، ص ١٨

(٢) المرجع نفسه، ص ١٨ و ١٩

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠ و ٢١

والقصيدة هذه ببساطتها تصف لنا الفساد الإداري المتسرب بشتى أشكاله في سلطات النظام الحاكم السائد في العالم العربي فلم يعد يسمح للناس بمطالبة الحقوق الأساسية لهم ومطالبتهم بها بمثابة الخروج على الحاكم والثورة ضده كما تكشف مدى النفاق والمداورة التي يعامل بها الحكام رعيتهم البائسة والمستوى الدنيء الذي اتخذته السلطات الأمنية معيارا لتحديد صيدهم من بين أبناء الشعب.

وفي عديد من قصائده وصف أحمد مطر تلك الأجواء التي يتشرب فيها المراقبون والجواسيس والمخبرون ووراءهم جواسيس ومراقبون وجواسيس وبذلك تحول الشعب كله إلى رجال المخابرات ويفضل هذه المخابرات أصبح الفكر بدعة والخيال ثورة والصوت ذنبا وحتى الصدى في الفضاء الرحب لم يعد حرا. وقصيدة "مواعيد" تصور شدة الرقابة البوليسية والحرية التي تتمتع بها في القبض على المواطنين والتجسس في أمورهم، يقول أحمد مطر:

أنا لا أدري متى أمضي
ولا أين، ولا كيف،
فلطفنا لا تسلمي،
واسأل الدولة عني
فهى أدري بى مني^(١)

وتوفر قصائد مطر مادة وفيرة عن المخابرات وما ترتكبه من انتهاكات حقوق الإنسان في العالم العربي منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر قصيدة "أمير المخبرين" وقصيدة "الريب" وقصيدة "صدمة"^(٢) وقصيدة "النتكتم"^(٣) وقصيدة "ازدحام"^(٤) وقصيدة "مزايا وعيوب" وقصيدة "المتهم"^(٥) وقصيدة "هناك أيضا"^(٦) وقصيدة "الواحد في الكل"^(٧) وقصيدة

(١) قصيدة "مواعيد"، لافتات ٣، ص ٣١

(٢) قصيدة "صدمة"، لافتات ١، ص ١٢٣

(٣) قصيدة "حوار وطني"، ديوان لافتات ٥، ص ٨٦

(٤) قصيدة "صلعة"، لافتات ١، ص ١٢٣

(٥) لافتات ٣، ص ١٧

(٦) لافتات ٥، ص ١٢٨

(٧) قصيدة "الواحد في الكل"، لافتات ٦، ص ١٥٠

وقصيدة "الوصايا"^(١) وقصيدة "علامات على الطريق"^(٢) وقصيدة "الدليل"^(٣) وقصيدة "بلاد الكتمان"^(٤) وقصيدة "البؤساء"^(٥). ولم ينج حتى الأطفال الصغار من بطش الرقابة البوليسية وأصابتهم دون ترحم، ففي قصيدة "قضاء"^(٦) وقصيدة "المشبه"^(٧) يصور الشاعر معاناة الأطفال الصغار على أيدي المخابرات.

وفي قصيدة "صاحبة الجهالة" يصور الوضع الناتج عن الرقابة الجاثمة على صدر الشعراء والأدباء في العالم العربي وكيف سلبت حريتهم وحتى في اختيار كلمات هادئة دون كلمات ثائرة ومثيرة خشية أن لا توجع نار الثورة في قلوب الجماهير، يقول فيها أنه مرة أمسك بالقلم والأوراق ليكتب مقالا عن مآسي الاحتلال وأبطال المقاومة فجاءني مسئول وبدأ يغير كلمات بكلمات أخرى بحجج واهية خشية إثارة الانفعال لدى العوام وإحراج قلوب الحكام ومن بعض ما طالبه بتعديلها:

احذف (الأغزل)

فالأغزل تحريض على غزل السلاطين

وتعريض بخطط الانعزال!

احذف (المدفع) ..

كي تدفع عنك الاعتقال.

نحن في مرحلة السلم

وقد حرم في السلم القتال^(٨)

(١) لافتات ٢، ص ١٧٥

(٢) لافتات ١، ص ١٢٤

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٩

(٤) لافتات ٢، ص ٤٦

(٥) المرجع نفسه، ص ٧١

(٦) لافتات ٣، ص ٤٢

(٧) المرجع نفسه، ص ٦٥

(٨) قصيدة صاحبة الجهالة، المرجع نفسه، ص ١١٦

والمآسي نبعت من فقدان العدل بمعناه الصحيح ، فالعدل هو المعيار الأساسي -وهو مفقود في الأنظمة العربية- الذي يمنح الحكم وقاره وهيئته بغض النظر عن نوع الحكم من الملوكية والرياسة والسلطنة ، يقول :

كن أيا كان

من جنس الإنس أو الجن
لا أسأل عن شكل السلطة
أسأل عن عدل السلطان^(١)

ولا يستقيم أمر الأفراد والمجتمعات إلا بمعيار العدل ، ولا يمكن التعويض عن حسارة العدل بأي مظهر من مظاهر التقى والصالح :

لن تقوى عندي بالتقوى
ويقينك عندي بهتان
إن لم يعتدل الميزان.
شجرة ظلم تنسف وزنك
لو أن صلاتك أطنان
الإيمان الظالم كافر
والكفر العادل إيمان
هذا ما كتب الرحمن^(٢)

ويستشيط الشاعر أحمد مطر غضبا عند الحديث عن حكام البلاد المسلمين بصفة عامة وعن الحكام العرب والأسلوب الاستبدادي الذي يحكمون به سيطرتهم على الشعب العربي المتمزق دويلات بصفة خاصة دون أن يبالي بوخامة المصير ردا على هذه المخالفة ، وتجلت الأحاسيس التي تفيض بها العالم الداخلي للشعب العربي حقدا وغضا على سلوك

^(١) قصيدة "هات العدل" ، ديوان لافتات ٥ ، ص ٥٦

^(٢) المرجع نفسه

الحكام بشكل صور شعرية صادقة في شعره، وربما لم يغفل جانباً من جوانب هذه القضية إلا وأبداهما في قصيدة من قصائدها، يقول عن حقيقة الحكام في قصيدة "الموازنة":

الذي يسطو لدى الجوع
على نُقْمَتِهِ... لصٌ حقير!
والذي يسطو على الحكم
وبيت المال والأرض
أمير^(١)

وهو في صلة مستمرة بالحاكم صلة متواصلة غير منقطعة يراها الشاعر من منظوره الخاص، وماذا يحدث عندما يحدث خلاف بينهما، يقول في قصيدة "تفاهم":

أنا أقول كلمة
وهو يقول كلمة
وإنه من بعد أن يقولها
يسير
وإنني من بعد أن أقولها
أسير!^(٢)

والشعر عنده في هذا الباب كثير، أثار الأمور صغيرها وكبيرها بكل شدة وكان قاسياً أشد القساوة في محاكمته الشعرية للحكام فما من أمر صغير أو كبير يحدث قلقاً في نفوس العرب ويملؤها كرها صامتاً إلا ورسم لها صوراً لكي يمزق رداء القدسية والكرامة التي يخفي بها الحكام مساوئهم ونخازينهم. ومن هذه القصائد قصيدة "رب ساعدهم علينا"^(٣) وقصيدة "عزاء على بطاقة تهنئة"^(٤) وقصيدة "احتمالات" وقصيدة "ربما"^(٥) وقصيدة "نمور من

(١) لافتات ٢، ص ١٢٤

(٢) قصيدة "تفاهم"، لافتات ٤، ص ٢٦

(٣) لافتات ٣، ص ٥٣

(٤) لافتات ١، ص ١٣٤

(٥) لافتات ٢، ص ٤٣

خشب^(١) وقصيدة "رحلة علاج"^(٢) وتبين قصيدة "إنصاف الأنصاف" كيفية استهلاك
الحكام ثروات البلد وأموال الشعب يقول مطر:

وأمر المؤمنين
مُنصف في قسمة المال
فَنُصف لجواريه
ونصف لذويه الحائرين
وابنه - وهو جنين -
يَنقاضي راتباً
أكبر من راتب أهلي أجمعين
في مدى عشر سنين^(٣)

ليس هذا بمستبعد في بلد أصبح الحكم فيه إرثاً ذاتياً والشعب بثرواته ملكاً شخصياً
يرثها جيل السلاطين والملوك، وليس الشعب سوى سجادة تفرش لتطأها نعال صغار الأسر
الحاكمة، يقول:

رقابنا تحت السيوف
وحتفنا فوق اللسان
ودماؤنا تجري دراهم
فوق أفخاذ الغواني
وذواتنا سجادة
لنعال أبناء الذوات^(٤)

(١) لافتات ٢، ص ٨٧

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٦

(٣) قصيدة "إنصاف الأنصاف"، لافتات ٤، ص ٨٥

(٤) قصيدة "النات"، لافتات ٢، ص ٣٧

ولا يترفع العرش ولا يتولى مناصب السلطة إلا الأمراء الذين يُلدِّهم الحكام
المستبدون دون أن يكون للشعب أدنى رأي في انتخابهم أو أدنى حق في الاختلاف عنهم،
فأحمد مطر يرفض الحاكم المتسلط بهذه الطريقة رفضاً صريحاً:

أهذا الغبي الصفيق البليد ..

إله جَدِيد ؟

أهذا الهُراء إله جَدِيد

يَقُوم فيَحْيِي له كل ظهر

وَيَمْشِي فَيَعْنُو له كل جيد

يؤنب هذا، ويلعن هذا

ويلطم هذا، ويركب هذا

ويزجي الصواعق في كل أرض

لهذا الإله ... أصغر خدي

وأعلن كفري، وأشهر حقدي^(١)

وقضية احتلال فلسطين جرح في صدر العرب لا يلتئم، وما زادها مأساة إلا جبن
حكامنا واتكأؤهم على حليف أعدائهم -أمريكا- وليست المحاولات العربية في هذا الشأن
سوى إنشاد أناشيد واستعراضات عسكرية، يقول:

مئتا مليون غملة

أكلت في ساعة جثة فيل

ولدينا مائتا مليون إنسان

ينامون على قُبْح المَذَنَّة

ويفيقون على الصبر الجميل

مارسوا الإنشاد جيلاً بعد جيل

ثم خاضوا الحرب

(١) قصيدة "نحس"، ديوان لافتات ٤، ص ٤٦

لكن

عجزوا عن قتل غلة^(١)

ويستحير الشاعر باستعانة الحكام الأحياء بصلاح الدين الميت في استعادة مجدهم
المسلوب، ويستهنئ على لسان إبليس بولاة العرب وأمرائهم الذين ينادون صلاح الدين
المستريح في قبره لتحرير القدس من براثن الصهاينة :

كم مرة في العام توفظونه

كم مرة على جدار الجبن تجلدونه

أطلب الأحياء من أمواتهم معونة

دعوا صلاح الدين في ترابه واحترموا سكونه

لأنه لو قام حقا بينكم فسوف تقتلونه^(٢)

وتمثل قصيدته "حكاية عباس"^(٣) خير ما تصور سياسة الحكام الجبانة في أمر إسرائيل
وكذلك تكتشف قصيدة "عباس يستخدم تكتيكاً جديداً"^(٤) وقصيدة "الخافر"^(٥) أسباب
نهاوتنا في هذه القضية. ويعالج أحمد مطر ضمن مقاومته - مظاهر التضاد الذي يعيشه
العالم العربي فردا ومجتمعاً وحكومة، فالشارع العربي اعتاد بإصدار بيانات وقرارات على
مأسيتهم الكبيرة وبعد المآسي يدعون بكل وقاحة نصراً مينا ويلصقون تهماً سافرة على
أعدائهم بمكايد ومؤامرات، وبذلك يخدع بعضهم بعضاً، وقصيدته "عباس يستخدم تكتيكاً
جديداً" يصور لنا كيف نخدع أنفسنا بأنفسنا، فعباس الذي يملك خنجراً ويصرف همه
للاستعداد من أجل مواجهة العدو، ودخل اللص بيته في ليلة من الليالي دون أن يزاحمه
عباس، وألزمه اللص البقاء في غرفته :

(١) قصيدة "الخافر"، لافتات ٣، ص ٨١

(٢) قصيدة "ورثة إبليس"، لافتات ١، ص ٨٩،

(٣) قصيدة "حكاية عباس"، المرجع نفسه، ص ٣٠

(٤) ديوان لافتات ٦، ص ٤٥

(٥) لافتات ٣، ص ٨١

اللص خط حوله دائرة

وأنذره

إياك أن تجتاز هذه الدائرة^(١)

ثم بدأ اللص ينهب في غرفته الثانية ما ينهب وينتهك حرمة امرأته ويرجع، وبعد خروجه من البيت يلقي عباس المسكين لاثمته عليه مكررا شعاره: "فلتسقط المؤامرة" وعندما يسأل عباس عن عدم استخدامه الخنجر الذي يحمله معه دوما أبدا يكشف انتصاره المثالي قال:

عباس، والخنجر ما حاجته

- للمعضلات القاهرة

- وغارة اللص

قطعت دابره

- جعلتُ منه مسخرة

انظر

لقد غافلته

واجتزت خط الدائرة^(٢)

وتتضاعف آلامه بالانشقاق الداخلي في صفوف العرب وهو أكبر سبب لجثوم عدوهم اليهودي على صدرهم، وحديث أحمد مطر عن هذا الانشقاق الذي نتج عن حرص الحكام على مصالحهم الشخصية متواصل، يقول:

دَوْلَةٌ مِنْ دَوْلَتَيْنِ

دَوْلَةٌ مَا بَيْنَ بَيْنِ

دَوْلَةٌ مَرْهُونَةٌ وَالْعَرْشُ دَيْنٌ.

دَوْلَةٌ لَيْسَتْ سِوَى بَثْرٍ وَنَخْلَةٍ

^(١) قصيدة "عباس يستخدم تكتيكا جديدا"، لافئات ٣، ص ٤٠ و ٣٩

^(٢) المرجع نفسه

دولة أصغرُ من عورة نَمَلَةٍ
دولة تُسْقَطُ في البَحْرِ
إذا ما حَرَكَ الحُكَّامُ رِجْلَهُ
دولة دونَ رئيسٍ
ورئيسٌ دونَ دولة^(١)

وكثيراً ما يثير أحمد مطر أسئلة بسيطة في غاية البساطة تكشف التضاد في سلوك
الحكام والمجتمع فمثلاً في قصيدة "ديوان المسائل" يقول:

إن كان البترول رخيصاً
فلماذا نقعد في الظلمة؟
وإذا كان ثميناً جداً
فلماذا لا نجهد اللقمة؟
إن كان الحاكم مستولاً
فلماذا يرفض أن يسأل؟
وإذا كان سُمُوْهُ إلى
فلماذا يَسُمُوْهُ لِلْأَسْفَلِ؟^(٢)

ومنحت الظروف القاسية السائدة على أجواء الوطن العربي الذي انقسم إلى
دويلات صغيرة وكذلك المخازي التي تنشر دوماً من دولة وأخرى منحت الشاعر فرصة ليشير
أسئلة عن حقيقة من يعيش في هذه الأراضي، وهي أسئلة تكشف التضاد المسيطر في حياة
العرب الاجتماعية والذي رغم كونه حقيقة أظهر من الشمس يرفض الحكام أن يقبلوه.

نحنُ من أين؟

إلى أين؟

وماذا؟ ولماذا؟

(١) قصيدة "نحن"، ديوان لافتات ٤، ص ٤٧

(٢) قصيدة "ديوان المسائل"، لافتات ٦، ص ٣٨ و ٣٩

نُظِمَ مُحْتَلَّةٌ حَتَّى قَفَاها
وَشُعُوبٌ عَنْ دِمَاها مُسْتَقِلَّةٌ
وَجُيُوشٌ بِالْأَعَادِي مُسْتَظِلَّةٌ
وَبِلَادٌ تُضْحِكُ الدَّمَعَ وَأَهْلَهُ^(١)

ويبيدي حيرته على من يدين جرائم الصهاينة في فلسطين وما يرتكبونه هم في بلادهم
من مخاز وفضائح لا تقل عن جرائم الصهاينة، يقول:

لو حوّلوا السّجّن إلى مدرّسةٍ
وكل أوراق الوشايات إلى
دفاتر ملوّنةٍ
لو بادّلوا دَبَابَةً بمخبزٍ
وقايضوا راجمةً بمطحنةٍ
لو جعلوا سوقَ الجوّاري وطناً
وحوّلوا الرّقّ إلى مواطنةٍ
لحقّقوا انتصارهم
في لحظةٍ واحدةٍ
على دُعاةِ الصّهينةِ

وصلة الدول المستعمرة بالاستبداد الجاثم على الأراضي العربية غير خافية على
الشاعر أحمد، وكنائنه مليئة بسهام شعرية مسمومة يمزق بها رداء الجلال والقدسية التي
ترتديها أمريكا بزعمها أنها الدولة الوحيدة لحماية الحقوق الإنسانية والحقيقة أنها أكبر سبب
في الفساد المتشتر في البلاد الإسلامية لناصرتها كل مستبد وطاغية، ومن آفة الشعب أن من
بين المسلمين من أشرب قلبه جها وفي قصيدة "جواز" يقص الشاعر محاسن مسلم قام مقامه
أمام ربه، فاعترف بذنوبه وخطاياهم ووصف كيف قضى حياته دون أن يقدمه لغده ما ينفعه
اليوم وبعد اعترافه استرحم ربه وذكر شيئاً من أعماله ربما يخلصه من عقوبة الرب اليوم
فقال:

(١) قصيدة "نحن"، ديوان لافئات ٤، ص ٤٦

لكنني

و منك كل الفضل والمنة

كنت بريئاً دائماً

من حب أمريكا

و من حب الذي يحب أمريكا

عليها وعلى آبائه اللعنة

هل لي من شفاعاة؟

قيل: ادخل الجنة^(١)

وألهب سياطه على ظهر أمريكا في عدد غير قليل من قصائده ليكشف الأعياب
أمريكا وكيف تلعب بالحكومة والمعارضة في وقت واحد لكي يبطش بالأول الثاني ويخوف
بالثاني الأول، فما مصير الضعفاء إلا ما صوره أحمد في قصيدة "الحصاد"^(٢) ولتورطها في
أبشع جرائمها ضد الإنسانية وسياستها اللئيمة أصبحت تسمية أمريكا كلمة ترادف الدعارة
والعهر، يقول في قصيدة "الغابة":

الأرض ما عادت سوى

عاهرة رسمية

قبيحة

قاسية

غنية

غنية

وباختصار بالغ:

الأرض أمريكية^(٣)

(١) قصيدة "حوار"، ديوان لافتات ٥، ص ٦٤

(٢) قصيدة "الحصاد"، لافتات ٤، ص ٥٥

(٣) قصيدة "الغابة"، لافتات ٦، ص ٥٥

وهو شديد اليأس من مجلس الأمن الذي لا يقوم إلا بحفظ مصالح الدول القوية الكبيرة، ينام على العواصف الرعدية لكنه يتحرك فوراً لحفظ مصالح الدول الكبرى، يقول:

ومجلس الأمن هو اسم

إنما

معنى المسمى:

موقف الوحشية^(١)

فإذا كان غير منخدع بشعارات هيئة الأمم المتحدة، فهو خائب الآمال كذلك من جامعة الدول العربية، التي فشلت في تحقيق إنجاز يذكر،^(٢) ويبرز التناقضات التي تعودها أعضاء الجامعة وعلى رأسها أنها لا تزال تابعة للقوى الاستعمارية الكبيرة التي كانت وطأت حرمة البلاد العربية في الماضي القريب والتي تربي أكبر عدوها إسرائيل وتحالفها، ورغم أعضائها العشرين لم تستطع أن تلعب دوراً جديراً بالذكر:

أسرتنا واحدة تجمعها أصالة ولهجة، ودم

وبيتنا عشرون غرفة به لكن كل غرفة من فوقها علم

يقول إن دخلت في غرفتنا فأنت متهم

أسرتنا كبيرة وليس من عافية أن يكبر الورم^(٣)

وكذلك رصد أحمد مطر دور الجيش في إقامة الحكم الاستبدادي وتقويته بمجهز لا يمكن أن يفوته شيء، فهو شديد الغضب على الجيش الذي يتمرد على شعبه المسكين بينما يبحث عن حيل ليفر من مواجهة العدو المحتل، يقول:

هل لدى ذلك الجيش دم؟

ألم تر كيف أغار على أهله كالذئب

وولى أمام العدى كالغنم^(٤)

(١) قصيدة "الغابة"، لافتات ٦، ص ٥٥

(٢) قصيدة "بيت وعشرون راية"، لافتات ١، ص ١١٢

(٣) المرحع نفسه

(٤) قصيدة "بلاد ما بين النهرين"، لافتات ٤، ص ١٥٤

وبعد ما يولي ظهره عند مواجهته يحاول أن يخدع الأذهان والعقول بخلق أساطير
حريرية مزيفة، فلا يكاد يصدقها لأنه أدرك حقيقتها، يقول في قصيدة "كيف تتعلم النضال"
معلنا براءة من الجيش:

ومن جيوش عقدت صفقاتها من جينا

وجربت كل سلاحها بنا

وانطلقت تشرب قهوة لدى غاصبنا

وتقرأ الفنجان كي ينبثها

بموعد القتال^(١)

فلا يبدو مستعدا ليحيي الجيش الوطني تحية إجلال وإكرام، لأنه جيش يعامل شبه
معاملة الأعداء، ولا تتجاوز مهاراته العسكرية ميادين التدريب، أما قصص البطولة
العسكرية فهي خرافات افتراها:

أي قيمة

لجيوش يستحيي من وجهها

وجه الشئمة

غاية الشئمة فيه

أنها من غير شئمة

هزمتنا في الشوارع

هزمتنا في المصانع

هزمتنا في المزارع

هزمتنا في الجوامع

ولدي زحف العدو انهزمت

قبل الهزيمة^(٢)

(١) قصيدة "كيف تتعلم النضال"، لافتات ٣، ص ١٢٣

(٢) قصيدة "تحت الصفر"، لافتات ٤، ص ٥٩ و ٦٠

ويصب أحمد مطر جام غضبه على جيشه الذي عجز عن طرد العدو اللثيم من أرض الوطن الطاهرة لتورطه في جرائمه البشعة ضد شعبه ، ويبيدي يأسه عن الجيش الذي لم يعد سوى فئة استعراض ، يقول في قصيدة "طلب انتماء للعصر الجحزي" :

نحن شعوب الزنانات الكبرى
وجيوش الاستعراضات
وملوك التفويض القبلي
وملوك الجمهوريات^(١)

ليس نقد مطر الشعرية موجهها إلى الحكام الطفاة المستبدين وأعوانهم من رجال الصحافة والأدب والدين والسياسة وغيرهم فحسب بل ألقى لائمه الشعرية على الشعوب الصامته الساكنة نفسها وطعنها بسهامه الشعرية يستهزئها وينفخ فيها روح الحرية والإباء ورغم حزنه الشديد على وضع الشعب العربي لم يكف الشاعر عن التوبيخ لشعبه وسلوكه في أمره ، بل يحمله مسئولية وضعه المؤلم ، لأن الطغيان ليس بالمصادفة وإنما الشعب يتشارك الطاغية في جريمة الطغيان وإنمائه ، يقول في قصيدة "نحن بالخدمة" :

لا يَسْتَطِيعُ واحدٌ
حُكْمَ الملايينِ إذا لمْ يَقْبَلُوا حُكْمَهُ
ويستطيعُ عندما
يكونُ في خِدْمَةِ جيشٍ وجُنْدِرمَا
ونحنُ بالخدمة .
قَبَلْتُنَا مَعْدَتُنَا .. وَرَبَّنَا اللُّقْمَةُ !
أودُّ أنْ أدعو على الطُّغْيَانِ بالثُّقْمَةِ .
لكنني
أخافُ أنْ يَقْبَلَ رَبِّي دَعْوَتِي
فَتَهْلِكَ الأُمَّةُ^(٢)

(١) قصيدة "طلب انتماء للعصر الجحزي" ، لافتات ٣ ، ص ١٥٢

(٢) قصيدة "نحن بالخدمة" ، ديوان لافتات ٦ ، ص ٩٢

فالشعب هو الذي يفوض نفسه إلى الجزار يذبحه كما يشاء، كما جاء في قصيدة "المتحرون"^(١) وقد يتأبه الشعور بأن الشعب العربي كله ارتضى واقتنع بالهوان القابع عليه، فلا يجد فيه بؤادر الثورة رغم أنه يكتوى بالنار والحديد، يقول:

لا... لن نموت أمتي

كيف نموت؟

من رأى من قبل هذا ميتاً

يموت من جديد؟^(٢)

ويبدو بأسه من شعبه بشدة حين يشكو ضياع شعره الذي يصوغه بدمه الذي يحترق أسى وحزنا على أحوال الشعب، ورغم ذلك لا يجد آذانا تصغي إليه وعقولا تعي عمقه، فقد وصل الناس إلى آخر درجة من الإفلاس الفكري واليأس الشديد، يلوم نفسه قائلاً:

تكتب الشعر لمن

والناس ما بين أصم وضرير

تكتب الشعر لمن

والناس ما زالوا مطايا للحمير؟

وشقاة

يستجيرون من الطغيان بالطاغى الأجير

وجياعا ما لهم أيد

يبوسون يد اللص الكبير؟^(٣)

وهو في حيرة من أمر شعبه الذي يتحمل كل ما يعاينه من آلام وجروح صبوراً شكوراً، فلا يختلف أمره عن الميت الذي لا يتألم بجروح السكين والسيف وقد انحط إلى درجة أسفل من درجة الحيوانات:

(١) قصيدة "المتحرون"، لافتات ٢، ص ٤٤

(٢) قصيدة "لن نموت"، ديوان لافتات ٥، ص ٤٩

(٣) قصيدة "المصير"، لافتات ٤، ص ٩٤ و ٩٥

يعوي الكلب
 إن أوجعه الضرب
 فلماذا لا يصحو الشعب
 وعلى فمه ينهض كلب
 وعلى دمه يقعي كلب^(١)

وليس الذل المتسلط على الشعب والظلام المخيم عليه إلا بفضل هو، لأنه الذي
 سمح لأبرهة بالدخول في مكنه وهدم كعبته :

الذل بساحتنا يسعى
 فلماذا نرفض أن نجبر
 ولماذا ندخل أبرهة في كعبتنا
 ونؤذن للكعبة رب^(٢)

ويحاول أحمد مطر تفسير الجبن الذي أحاط بأذهان الشعب ومعالجة الكسل الذي
 أسر جسده، فقد تحول الشعب إلى نفوس مريضة يأنف منها العار ويحجل منها العيب
 وتباهى فيها الأمراض، وحتى مرض فيها الطب، فحق له أن يعيش الوضع القاسي الذي
 يعيشه، يقول :

حق علينا السيف
 وحق الضرب
 لا ذنب لنا .. لا ذنب لنا
 نحن الذنب^(٣)

ويصور الوضع الفكري المتدهور الذي وصله الشعب العربي :

(١) قصيدة "الذنب"، لائتات ١، ص ١٠٠

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٠

(٣) المرجع نفسه، ص ٩٩

أيها الناس قفا نضحك على هذا المآل
 رأسنا ضاع فلم نحزن
 ولكنا غرقنا في الجدال
 عند فقدان النعال!^(١)

ويسبب الإفلاس الفكري وارتضاء العقل بعبودية العباد فقد الشعب شرف الإنسانية
 الذي امتاز به الإنسان عن الحيوانات، وأصبح يكره الإصلاح والمصلحين ويعتبرهم أعداءه،
 يقول:

ما عدنا غير نفايات
 نكره رائحة التطهير
 فالصبح لدينا أكفان
 والليل لدينا تابوت
 والأنجم فينا مسامير^(٢)

ولم يترك الشعب بعد ما يطعنه طعنات موقظ بل يحاول إذكاء جذوة الثورة في نفوسه
 التي تمتلئ نارا وحقدا على الحكام غير أنها كالشياه الخائفة من الأسود فلا تجرؤ على الإقدام
 والبسالة وحاول أن يكسر هالة التقديس والتمجيد حول شخصية الحاكم الهالة التي أسرت
 العقول والأذهان،

يا شعبي... ربّي يهديك
 هذا الوالي ليس إلهاً
 ما لك تخشى أن يؤذيك
 أنت الكل، هذا الوالي
 جزء من صنع أياديك^(٣)

(١) قصيدة "أقزام طوال"، لافتات ٢، ص ١٠١

(٢) قصيدة "طلب انتماء للعصر الحجري"، لافتات ٣، ص ١٥٦

(٣) قصيدة "العلة"، لافتات ٤، ص ١٥٦

ويرى من العبث أن يعلق الشعب آماله في الحرية بالحاكم، فالحرية لا تطالب وإنما تنزع وهي ليست هبة يمنحها الحاكم لمن يشاء وكيفما يشاء بل حق أساسي لكل مواطن لا يمكن أن ينزعها عنه بأي حكم قانوني أو شرعي.

ما كانت الحرية اختراعاً
أو إرث من خلفه
لكي يضمها إلى أملاكه الشخصية
إن شاء أن يمنعها عنك
زواها جانياً
أو شاء أن يمنحها .. قدمها هدية
قولي له : إني ولدت حرة
قولي له : إني أنا الحرية^(١)

ومن أبطال أحمد مطر أهل الضفة^(٢)، أولئك الأحرار الذين يغزون العدو الصهيوني الغاشم، وهم رمز البسالة والشجاعة يقف الشاعر إجلالاً لهممهم العالية، ويتجلى له فيهم نموذج يجب على جميع الشعوب المستكينة الاقتداء به، يقف بجانب أهل "الضفة" قائلاً:

أهل الضفة، أنت حق
وجميع الناس أباطيل
أنتم خاتمة الأحزان
وأنتم فاتحة القرآن
وأنتم إنجيل الإنجيل
يا من تعتصمون بحبل الله
وبأيديكم حجر من سجل^(٣)

(١) قصيدة "شاهد إثبات"، ديوان لافتات ٥، ص ٩٨

(٢) الضفة العربية تقع في فلسطين تشمل على حبال نابلس وحبال القدس وحبال الخليل وتشكل مع قطاع غزة الأراضي الفلسطينية المتبقية بعد قيام إسرائيل على بقية فلسطين عام ١٩٤٨م، كما قامت إسرائيل باحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧م تطلق إسرائيل على الضفة العربية إسم يهودا والسامرة.

(٣) قصيدة "طلب انتماء للعصر الجحري"، لافتات ٣، ص ١٤٩

ومن الطبيعي أن يميل إنسان أي إنسان بعد مظاهر القسر والتعذيب إلى العنف رداً مساوياً، وهكذا الشاعر أحمد مطر الذي قد تشتد لهجته فيدعو الإنسان المجوع المخوف المهان والمدفون في ثيابه والمشنوق من أهدايه إلى التمرد العلني العنيف فيستهضه لتحطيم أصنام الكعبة المزيفة:

بأغلظ الإيمان واجه أغلظ المآسي
بقبضتك حطم الكراسي
إما إذا لم تستطع
فجرد اللسان
قل يسقط السلطان^(١)

وكذلك يشتعل ثورة في قصيدة "موازنة" يقول:

أيها اللص الصغير
ارم شكواك إلى بش المصير
واستعر بعض سعي الجوع
واقذفه بآبار السعير
واجعل النار تُدوي
واجعل التيجان تهوي
واجعل العرش يطير
هكذا العدل يصير
في بلاد تنبح القافلة اليوم بها
والكلب يسير^(٢)

(١) قصيدة "سلاح بارد"، لافتات ٢، ص ٢٩، وكذلك دعا حمل القنابل في قصيدة تحت الأنقاض،

ص ١٤١، لافتات ٢

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٩

ويؤمن بأن الانتصار في نهاية المطاف للشعب إن أفاق من سباته المديد وحينها لا يمكن لأي طاغية مستبد أن يوقف سيله الجارف فأني للريش بفلاة أن يقاوم الرياح:

آه، لو ألقى على التاريخ نظرة
آه، لو حاول أن يدرك سره
لرأى أن الجماهير رياح
وعروش الظلم ريش
ولألقى كل فصل دموي
ينتهي دوماً بفقره
يسقط الحاكم
والشعب يعيش^(١)

وقد تراه مبدئياً غضبه على شعبه الذي لا يبرره من تهيشة الأرض لتطأها قدما الطاغية ومنحه فرصة سهلة لإخضاع رقابهم بعد ما كانت حرة، يقول:

ولماذا تنفخ جُثَّةُ
حتى ينزو .. ويُفسِّك؟
ولماذا تُثبِتُ هيئته..
حتى يُحزبك وَيَنفِكَ؟!
العلة ليست في الوالي..
العلة، يا شعبي، فيك..
لا بُدَّ لجُثَّةِ مملوكٍ
أنْ تتلَّسَّ روحَ مليكٍ
حينَ ترى أجسادَ مملوكٍ
تَحْمِلُ أرواحَ ممالك^(٢)

(١) قصيدة "موازنة"، لافتات ٢، ص ١٢٤

(٢) قصيدة "العلة"، لافتات ٤، ص ١٥٦

كما يشكو من المواطن العربي القابع في كهف الصمت في قصيدة "مواطن نموذجي"
الذي يعاني من بطش الجلاذ في معتقل من المعتقلات ويسترحم جلاذ المعتقل قائلاً:

يا أيها الجلاذ أبعذ عن يدي

هذا الصفد

ففي يدي لم تبق يد

ولم تعد في جسدي روح

ولم يبق جسدي

آيس من الجلاذ أنا

فيه عظام ونكد

فوهته مشدودة دوماً

يحبل من مسد^(١)

إلا أن الجلاذ لا يقتنع بما يقوله ويواصل في ممارسة ما أتقنه من فن التعذيب إلى أن
مات المسكين وأغلق الحكام ملفه الضخم بكلمتين: "مات لا أحد". والحق أن وجوده
وعدمه مستويان لأنه منذ ما فقد الحرية وارتضى بالهوان فقد هويته.

تجلى رؤية الشاعر أحمد مطر للشعر والشاعر في قصيدة "التكفير والثورة" فلم يعد
الشعر بالمضامين الشعرية التقليدية يصلح لينطبق عليه تعريف الشعر بروحه الحقيقي لأن
مآسي الإنسان وآلامه تقتضي أن يخضع فن الشعر لخدمة العدل في معركته ضد الظلم، وهي
الفريضة الأساسية لفن الشعر لوفشل في أدائها لفقد قيمته:

كفرت بالأقلام والدفاتر

كفرت بالفصحى التي

تحبل وهي عاقر

كفرت بالشعر الذي

لا يوقف الظلم ولا يحرك الضمائر

(١) قصيدة "مواطن نموذجي"، لافتات ٣، ص ٢٢

لَعَنْتُ كُلَّ كَلِمَةٍ

لَمْ تَنْطَلِقْ مِنْ بَعْدِهَا مَسِيرَهُ

وَلَمْ يَخُطَّ الشَّعْبُ فِي آثَارِهَا مَصِيرَهُ^(١)

والشاعر الذي يعيش في أحلامه مع حبيته في الحداثق والبساتين ويصف جمالها وأناقتهما بينما يعيش حوله الآف جوعا وقهرا لا يستحق إعجابا وثناء ولا يكون حينذاك إلا أنانيا. والمقاومة -مقاومة ألوان الظلم والاستبداد المختلفة- هو المسؤولية الأولى للشاعر في عصر القسر والاضطهاد. وما يلاحظه القارئ خلال قراءة دواوينه أن الشاعر الحر أحمد مطر متواصل الاعتزاز بنفسه الأبية وشعره الحر، فليس من يرضى أن يغني عند يزيد مالكا معدته من مائدته بل يفضل على ذلك أن يصلي جائعا خلف حسين، يعيش عيش الأحرار مثل الهواء الطلق، يحلم بأن يكون لهم عيال سعداء دون أن يتجلى في أعينهم بحر الخوف والبكاء، وهو من أجل حريته لا يبالي بمن يقف معه أو ضده، يقول في قصيدة الاختيار^(٢):

لست أهتم

بمن كان معي أو كان ضدي

لست أهتم بمن أترك بعدي

لست أهتم بمن يبكي دموعا

أو بمن يبكي دماء

ليس عندي غيرهم واحد

أن أسبق الموت إلى العيش

فأغدو من ضحايا كربلاء^(٣)

(١) قصيدة "التكفير والثورة"، لافتات ٢، ص ٧٧

(٢) قصيدة "الاختيار" من ديوان لافتات ٣، ص ٩٩

(٣) قصيدة "الاختيار" المرحع السابق، ص ١٠٣

وقيمة الإنسان بحياته والأمل الذي يملكه، ولو لا القلب النابض بالآمال لتحول الإنسان الحي إلى جثة متحركة، والأمل والرجاء أغلى ما يملكه الشاعر أحمد مطر، وهو بفضل أمله دولة لا فرد، يقول:

أنا وحدي دولة
ما دام عندي الأمل
دولة أنقى وأرقى
وستبقى
حين تفنى الدول^(١)

وهو شديد الإيقان بأن النصر في آخر المعركة مكتوب له وأنه مهما اشتد بطش معارضييه به وكثر ما يلحقون به أضرار مادية أو جسدية فإنه سيبقى حيا خالدا بفكره ورسالته فأعلى منزلة يصلها البقاء تبقى أسفل من نعله:

فإذا انتهى الشوط الأخير
وصفق الجمع المنافق
سيظل نعلي عاليا
فوق الرؤوس
إذا علا رأسي
على عقد المشانق^(٢)

ويستحيل أن يعقل فكره أحد، يقول في قصيدة "البغايا":

العقالات التي تفلح في تعجيلكم
أو عقلكم بالمال
لن تفلح في عقل جنوبي^(٣)

(١) قصيدة "الدولة الباقية"، لافتات ٤، ص ١٠٦، وكذلك اعتز في قصيدة "من المهد إلي اللحد"

لافتات ٢، ص ١٤٣، لافتات ٢

(٢) قصيدة "لن أناق"، المرجع نفسه، ص ٣٨

(٣) قصيدة "البغايا"، لافتات ٣، ص ١١٦

وقصيدة "أنهيار المملكة"^(١) تعبير عن الحالة النفسية التي اعتري الشاعر الذي مات أمسه ويومه مشدود في الجبل وغده مشلول الخطوات، ولم يكن ذلك إلا بسبب مأساة اعتقال فكره وحرته، فقلعه تبعه محاة ونور شعره تطارده ظلمة المراقبة، وحقل معانيه يغتاله منجل الاستبداد. والحرية هي الموضوع الذي تناوله أحمد مطر في كثير من قصائده ونيله الحرية هو أكبر ما يحلم به وفي الوقت نفسه حرمانه منه أكبر جرح ينزف، ووصف في قصيدة "في انتظار غودو" أسيرا يحلم في الزنزانة بالحرية ويتغنى بأناشيده ويمجد قريبا منه صبيبة مربوطة على مروحة سقفية وتثن لتعذيبها أنات تشق أكباد الرجال:

حَضَّتْهَا بِأَدْمُعِي .

قُلْتُ لَهَا : لَا تُجْزَعِي .

مَهْمَا اسْتَطَالَ قَهْرُنَا

لَا بُدَّ أَنْ تُدْرِكَنَا الْحُرِّيَّةُ

تُطْلَعْتُ إِلَيْ

ثُمَّ حَشَرَ جَنَّتْ حَشْرَجَةَ الْمَيَّةِ :

وَأَسْفَا يَا سَيِّدِي

إِنِّي أَنَا الْحُرِّيَّةُ^(٢)

وتلد الحكومة المستبدة سلسلة من الجرائم تتعرض لكل طبقة من طبقات المجتمع، ولم يقف أحمد مطر في موضوعاته الشعرية عند مظاهر القضايا الكبيرة بل دخل في أعماقها وأفصح عما سكت عنه الكثير، ففي قصيدة "نزلة" عن بشاعة أمر يتعلق بالأطفال الذين يستوردتهم الحكام العرب من البلاد الفقيرة من أجل ربطهم على ظهر الجمال في سباق الجمال، وهو أمر يعتبر عارا في جبين البلاد العربية ولا يكون حظ هؤلاء الأطفال إلا الموت أو العجز الدائم مقابل دنائير معدودة تمنح لآبائهم، والقصيدة تصور وقاحة المشاركين في هذا السباق وكيف يربط الأولاد الصغار على ظهور الجمال وأخيرا تصور كيف يلقي بعضهم حتفهم قبل أن تنتهي اللعبة. يقول:

ألف ريال

يحملها رجل النغال إلى البنغال

(١) قصيدة "البعيا"، لافتات ٣، ص ١١٦

(٢) قصيدة "في انتظار غودو"، ديوان لافتات ٦، ص ٩٧

ليجيء بشحنة أطفال
للشيخ الطيب في آل..
الشيخ يحب الأطفال^(١)

ودواوين أحمد مطر سجل شعبي مفتوح يجد فيه المدارس مآسي الأزمنة الاستبدادية بكثرة ودقة مفقودتين عند معاصريه من الشعراء، فمثلاً تحدث عن لعبة اضطهاد أموال الناس صورها في قصيدة "تصدير واستيراد"^(٢) وعن كيفية الناس وقد أصبحوا يخبر بعضهم عن بعض، في قصيدة "الناس للناس"^(٣) وعن سلب الحرية حتى في المدارس والجامعات والناهج، بصور ذلك في قصيدة "درس في الإملاء"^(٤) وعن كلمة "شرطة" باتت مرادفة لكلمة "الجريمة" قصيدة "التباس"^(٥) وعن تأثير الرقابة حتى على اختيار الكلمات يصوره في قصيدة "عاقبة الصراحة"^(٦)، وهي نموذج عن حديث بعض أفراد أسرة بعضهم. وفي قصيدة "فتوى أبي العينين"^(٧) صور كيف يستغل أنصار الاستبداد الدين لتأييد الحكم الاستبدادي، وصور مكابدة اليهود في قصيدة "الفتنة اللقيطة"، حاول أن تفهم صلة النسر بالشاعر في قصيدة "الجراح النيل"^(٨)، وصور كيف تحول السارية التي تعلق بها راية البلاد إلى مشنقة تعلق بها جثث الأحرار في قصيدة راية^(٩) ورسم ومعاينة المرأة ضحية الاستبداد في قصيدة "أحزان أصيلة"^(١٠)

وبعد هذه الجولة السريعة في الشعر الثوري لأحمد مطر الشاثر يجب ذكر سمات وخصائص يتميز بها شعر أحمد مطر. ومن أبرزها أنه أكثر من استخدام الكلمات والتعبيرات القرآنية في شعره يتجلى ذلك في قصائده وحتى في عناوينها، وعلى سبيل المثال قصيدة "إن

(١) قصيدة "نذالة"، ديوان لافتات ٥، ص ١٠٠

(٢) قصيدة "تصدير واستيراد"، المرجع نفسه، ص ٢١

(٣) قصيدة "الناس للناس"، المرجع نفسه، ص ٢٤

(٤) قصيدة "درس في الإملاء"، المرجع نفسه، ص ٥٠

(٥) قصيدة "التباس"، ديوان لافتات ٧، ص ٧٨

(٦) قصيدة "عاقبة الصراحة"، ديوان لافتات ٥، ص ١٣١

(٧) قصيدة "هات العدل"، المرجع نفسه، ص ٥٦

(٨) قصيدة "الجراح النيل"، المرجع نفسه، ص ١٣٩

(٩) لافتات ٣، ص ٥٦

(١٠) قصيدة "أحزان أصيلة"، المرجع نفسه، ص ١٣٧

الإنسان لفي خسر".^(١) وقصيدة "فباى آلاء الشعوب تكذبان"^(٢) وقصيدة "لا أقسم بهذا البلد"^(٣) ومن خصائص شعره الثوري كذلك أنه كثيراً ما يقابلنا بالمفارقة التصويرية يجمع فيها فيها الأشياء المتناقضة المختلفة ببراعة إيجاد الربط بينها، فمثلاً في قصيدة "خطاب تاريخي" يصف اجتماعاً رسمياً:

رأيت جرذاً

يخطب اليوم عن النظافة

وينذر الأوساخ بالعقاب

وحوله

يصفق الذباب!^(٤)

ومن خصائصه المتجلية كذلك أنه يستلهم معطيات التراث الإسلامي والعربي بشكل ناجح بقدر من التغيير. ومن أمثلة ذلك بعض عنوان قصائده "السلطان الرجيم" و"صاحبة الجهالة" ولجأ إلى عدة أساليب متنوعة من حوارات وألغاز وتساوؤلات كما أبدع في وصف مناظر ومواقف ليرسم بها لوحات كاملة توضح مآسي الاستبداد ومعاناة العباد. وألغازه تضع أمام قارئها وسامعها أسئلة تلفت الانتباه إلى حقائق مؤلمة لا يرفضها أحد، ومن أمثله لغزه عن التمر بينما يعني بها البلاد العربية، يقول:

تابوت قشرته حلوى

ساكنه خشب

والقشرة

زاد للرائح والغادي^(٥)

(١) لافتات ١، ص ١٢٦

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥١

(٣) لافتات ٣، ص ١٠٥

(٤) قصيدة "خطاب تاريخي"، ديوان لافتات ١، ص ١٨

(٥) قصيدة "اللغز"، المرجع نفسه، ص ١٨

كما أثار تساؤلاته البسيطة بكلمات عادية تلك الحقائق التي تعجز عن إثارتها قصائد بأكملها، فعلى سبيل المثال يشكو الغلاء السائد رغم وفرة البترول^(١) كما أبدع في وصف مناظر ومواقف يرسم بها لوحات كاملة توضح مآسي الاستبداد ولم يك اهتمامه منصبا على قضايا كبيرة بل تجاوز إلى صغير الأمور ولطيفها ودقيقها، فتأمل وهو يصف سيره على الأقدام منفردا فكيف يستغل ذلك السير البسيط ليصور شدة الرقابة البولسية ومتابعة المخابرات له ولأفكاره وأحاسيسه، يقول:

كنت أسير مفردا
أحمل أفكارى معى
ومنطقي ومسمعي
فازدحمت
من حولي الوجوه
قال لهم زعيمهم: خذوه
سألهم: ما تهمنى؟
فقال لي:
تجمع مشبوه^(٢)

وأخر سماته وأقواها أنه رغم الظروف القاسية والمآسي المؤلمة قوي الأمل بانتصاره، ورغم أن شعره مزيج الحزن والخوف والتمرد والغضب غير أنه يرى انتصاره قد اقترب أوانه، وأن الهزيمة قدر مكتوب للطاغية المستبد، يقول:

فإذا انتهى الشوط الأخير
وصفق الجمع المنافق
سيظل نعلي عاليا
فوق الرؤوس
إذا علا رأسي
على عقد المشانق^(٣)

(١) قصيدة "ديوان المسائل"، لافتات ٦، ص ٣٨ و ٣٩

(٢) قصيدة "التهمة"، لافتات ١، ص ١٧

(٣) قصيدة "لن أناق"، لافتات ٢، ص ٣٨

الفصل الثاني:

تحليل السمات الموضوعية والفنية لشعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء العرب

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:	تحليل السمات الموضوعية
المبحث الثاني:	دراسة الصور والمعاني
المبحث الثالث:	تحليل السمات الفنية



المبحث الأول: تحليل السمات الموضوعية

وصف كل من الشعراء العرب الثلاثة محمود الزبيري وهاشم الرفاعي وأحمد مطر عصور الاستبداد وأساليب الحكم الاستبدادية والمآسي التي تحملها الشعب خلالها بجرأة وصراحة مشاليتين ووقفوا شعرهم لقضيتهم الكبرى حرية بلادهم وشعبهم ولذلك علقت أسماؤهم بأذهان القراء وبذاكرة التاريخ مقرونة بالمعارضة لمظالم الحكم الاستبدادي الذي ساد الأقطار العربية في الفترات المختلفة. ورغم انتمائهم إلى بلاد مختلفة وعقود مختلفة لا يوجد فارق كبير بين ما سجلوه من آلام ومآس وجروح وما أثاروه من قضايا ومسائل، ودواوين هؤلاء الشعراء الثلاثة ملف شامل للجرائم والمخازي التي ارتكبتها الاستبداد في حق الشعوب، ووثيقة تاريخية تسجل تاريخ عصور الاستبداد دون زيغ وتحريف. وعظمتهم تتمثل في الذوبان الكامل في الوطن وربط مشاعرهم بمشاعر شعبهم حتى نال شعرهم من الذبوع والانتشار وفي فترات الظلم والاضطهاد بصفة خاصة ما لم ينله شعر شاعر آخر من معاصريهم. قد تفردت قصائدهم المدافعة عن المظلومين المنددة بالظالمين وتشكل قصائدهم المليئة بالشكوى والحزن ولهجتهم المليئة بالثورة والتمرد والغضب على المستبد تيارا أدبيا يتميز بموضوعاته وقضاياها التي تقتضي من الدارسين وقفة طويلة.

وكانت السهام الشعرية من كنانة الشعراء المقاومين مسددة نحو القوة الاستبدادية المتمثلة بأشكال مختلفة كحاكم فرد أو جماعة متسلطة أو طبقة قوية مثل الجيش أو حزب سياسي ذات نظرية معينة وندد الشعراء المقاومون الحكم المطلق من حدود الشريعة والقانون تنديدا صريحا ووصفوا جوانبه المختلفة بحيث يحاول المستبد الحصول على سلطة مطلقة دون مراقبة قضائية ويمنح نفسه قداسة دينية وشرعية ويزعم في مرحلة من مراحلها أنه بلع درجة الألوهية، ومن أجل ذلك يستغل مظاهر دينية ويصطنع بصيغة شرعية ليكتسب قدسية شرعية في قلوب الجماهير فيعتبر الانقياد لأوامره طاعة لله والاختلاف عنه معصية للحالق الجبار وبذلك تؤمن العقول الضعيفة بأن حياة الشعب رهينة بوجود الحاكم لولاه لفقد الشعب وجوده، وكان الزبيري طويل النفس في وصف شخصية المستبد المتأله. يقول:

وَهُوَ رُوحٌ فِي الشَّعْبِ لَوْ تَهْجُرُ الشَّعْبَ
تَلَا شَيْءٌ كَجَيْفَةٍ وَتَبَّ دَدٌ
وَهُوَ السَّيِّدُ وَالشُّرَيْعَةُ لَوْ فَارَقَهُ
شُعْبَانَا لَأَلْحَقَهُ دَارُ تَدَدٍ^(١)

ويسخر من سلطة المستبد التي اقتربت في زعمها الزائف من درجة الألوهية، يقول في قصيدة "الأمن الزائف" ممزقا رداء الجلال والقدسية الملقاة على المستبد بلون شعري متهمك:

إِضْرَحُوا فِي الْأَذَانِ : اللَّهُ أَحْمَدُ
وَأَجْعَلُوهُ رَبًّا سِوَى اللَّهِ يُعْبَدُ^(٢)

وتأله المستبد وادعائه القداسة الإلهية فكرة ترسخ في أذهان الجمهور وتعرض شخصية المستبد على الناس كأنه استثنيت من سنة الموت فلا خنجر ينفذ صدره ولا رصاصة تشق جلده، وله طاقات سحرية محيرة فلحظة من بصره تغلب الجيش الفاتح منهزما، ويملك أرازاقي الناس وأعمالهم يقصها ما يشاء وكما يشاء ويزيد فيها ما يريد وكما يريد، ولولاه لما بقي للشعب وجوده فالمستبد في ظاهر الأمر قوة قوية يتورط في أبشع المجازر لا يبالى بسفك دماء الأبرياء لأدنى مصالحه، غير أنها في الحقيقة شخصية ضعيفة حقيرة وقد لا يطيق أن يصبر على عبادة الناس ربهم، وتظهر لنا عند الزبيري ملامح شخصية المستبد بوضوح:

وَلَرَبِّ جَبَّارٍ يَغْشَاكَ بِالصَّلَاةِ وَيَجْتَهِدُ
وَيَقُولُ عَبْدٌ وَهُوَ دُونُكَ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ عَبْدُ
وَإِذَا رَأَى مَنْ يَعْبُدُونَكَ تُبَارِكُ مِنْهُ لَكَ الْحَسَدُ
نَسَبَ الْجَحُودَ إِلَى الْأَفَاضِلِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَحَدَ
تَكْذِبِي دِمَاءَ الْأَبْرِيَاءِ بِرَأْحَتِيهِ إِذَا سَجَدَ^(٣)

(١) قصيدة "كفر وإيمان"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٨

(٢) قصيدة "الأمن الزائف"، المرجع نفسه، ص ١٢٣

(٣) قصيدة "شكوى"، ديوان صلاة في الحميم، ص ٣٩٩

وأبرز الشعر المقاوم قضية أخرى وهي تركيز السلطة والثروة والنفوذ في أسر معدودة فيصبح الملك رهنا لديها يتوارثه جيل بعد جيل دون أن يكون لبقية الشعب أدنى حق في تقرير مصيرهم إلى درجة أن الملك يصبح حقاً أساسياً لهذه الأسر فتعامل بقية الخلق معاملة الرق والعبيد، ونجد أصوات شعراء مقاومة الاستبداد العرب قد تشابهت في هذه القضية، يقول الزبيدي شاكياً، يقول:

منذ كانوا أجنة فهم إماما
ملوكاً أو أولياء عهد
يرثون الشعب إرثاً رخيصاً
دون كد ودون بذل جهود^(١)

ولا يتربع على العرش ولا يتولى مناصب السلطة إلا الأمراء الذين يلدهم الحكام المستبدون دون أن يكون للشعب أدنى رأي في انتخابهم أو أدنى حق في الاختلاف عنهم، فأحمد مطر يرفض الحاكم المتسلط بهذه الطريقة رفضاً صريحاً ويشدد رفضه لما يرى جباه الكبار الكرام ساجدة للصيغة الصغارا من الأسر الحاكمة قد منحوا حق الملك قبل ميلادهم وتقررت مناصبهم قبل فتح عيونهم ويصور أحمد مطر في قصيدة "النبات" تغلب هذه الأسر قائلاً:

رقابنا تحت السيوف
وحفنا فوق اللسان
ودماؤنا تجري دراهم
فوق أفخاذ الغواني
وذواتنا سجادة
لنعال أبناء الذوات^(٢)

(١) قصيدة "من أحرار اليمن إلى أحرار العراق"، ديوان ثورة الشعر، ديوان ٢١٦ و ٢١٧

(٢) قصيدة "النبات"، لافتات ٢، ص ٣٧

وهذا ما جعل الرفاعي يشكو سيطرة القلة المتمثلة في الآلاف على الأغلبية المتمثلة في الملايين، إذ قال:

قَدْ أَغْمَضَ الْقَوْمُ أَجْفَانَنَا مُقَرَّحَةً
عَلَى الْهَيَّوَانِ وَإِنْ كُنَّا نَوْدِي عَدَدٌ^(١)

كما كشف الشعراء المقاومون العرب عن الخيل التي تحتال بها هذه الأسر الحاكمة لتقوية وإبقاء سيطرتهم على رقاب الناس والاحتفاظ بالسلطة والثروة في أيديها ليكون إرثا لمن يرثهم من الأجيال.

وكان تغافل الحكام عن شعبهم المستكين وانغماسهم في ملذاتهم موضوعا آخر ظهر بكل شدة في الشعر العربي المقاوم للاستبداد حاول الشعراء إيقاظ الحكام من سباتهم العميق واستعادة وعيهم ليلعبوا دورا يليق بهم، يقول الزبيدي مخاطبا الحكام العرب:

يَا قَادَةَ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ قَاطِبَةً
قَوْمُوا فَقَدْ طَالَ بَعْدُ الصُّبْحُ نَوْمَكُمْ
شِيدُوا لَنَا فِي سَمَوَاتِ الْعُلَى حُرَمَا
نَطُوفُ حَوْلَ كُرْسِيِّهِ وَنَسْتَلِمُ^(٢)

والمستبد قد قسا قلبه فلم يعد يشعر بشدة الآلام التي يذيقها بني جلدته فكم من بيت معمور خرب بفساده وكم من حياة نقية أودى بها بسيفه، ينمو جيل بعد جيل وهم تحت وطأته:

كَمْ يَظَلُّ الْإِمَامُ يَحْفَرُ لِلنَّاسِ
قُبُورًا بِكَفِّهِ الشُّعْلَاءُ
كَمْ تَقَاسِي الْيَلَادِ مِنْ قَلْبِهِ الْقَاسِي
وَتَلْقَى فِي ظِلِّهِ مَنْ شَقَاءُ^(٣)

(١) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص ٤١٦

(٢) قصيدة في سبيل فلسطين، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٢٥٨

(٣) قصيدة طليعة الشهداء، المرجع نفسه، ص ٣٣٧

ولم يستهدف الشعراء المقاومون العرب مظالم الحاكم المستبد الفرد فحسب بل أخذوا الجيش القابع على كرسي الحكم مؤاخذه صارمة لا تعرف لينا ولا مداراة، فرغم أن الجيش مركز آمال الشعب في المحن وهو السند الذي يلجأ إليه في الشدائد وحبه يأسر قلب الشعب ما دام الجيش يؤدي فريضة الدفاع عن الوطن بإخلاص غير أن أمراضا خطيرة تتسرب في شرايين الجيش بعد ما يتولى زمام الحكم وعادة لا يكون ذلك إلا بعد عزل حاكم شعبي وبعد تدبير مؤامرة ضده من أجل مصالح بعض الضباط وبذلك يتحول إلى عصابة نهب وخطف وسلب الأمر الذي يسبب غم نوع من الكراهة والنفور بين الشعب والجيش وهذا أخطر شيء لأي جيش، وصور أحمد في قصيدة "المتهم"^(١) معاناة عامة الناس على أيدي الجيش باتهامات واهية، وقصيدة "العجوز وعسكري الإمام"^(٢) للشاعر محمود الزبيري تصوير مؤلم للحد الأقصى الذي بلغه جنود الإمام في ابتزاز الأموال باسم الضرائب. وكذلك سجل شعراء الأردية شكواهم ضد الجيش على رأسها إهدار حرية الفرد بصفة خاصة، والزبيري يصف الجيش الوطني الذي واجبه أن يدافع عن بني وطنه قد أصبح طائفة تنهب أموال الناس بأي طريقة يشاء: [الكامل]

وَالْجَيْشُ يَحْتُلُّ الْبِلَادَ وَمَالَهُ
فِي غَيْرِ أَكْوَاحِ الضَّعِيفِ مَقَامُ
يَسْطُو وَيَنْهَبُ مَا يَشَاءُ، كَأَنَّمَا
هُوَ لِلْخَلِيفَةِ مَعُولٌ هَذَامٌ^(٣)

واستيلاء الضباط العسكريين على أهم المناصب الإدارية في الدوائر والمكاتب الرسمية يخلق نوعا من الحرص والطمع في نفوس الضباط كما يخلق مشاعر الحقد عليهم في نفوس العمال المدنيين، وكان الشاعر الرفاعي ينتقد مثل هذا الوضع إذ رأى أن احتلال الضباط العسكريين معظم المناصب في الدوائر المختلفة سبب انتشار الضعف في جميع القطاعات وبدأت مؤهلات الجيش تضع في غير مجاله، ونقده الرفاعي نقدا لاذعا: [الكامل]

(١) قصيدة "المتهم"، لافتات ٢، ص ٢٢

(٢) قصيدة "صرخة إلى النائمين"، ديوان صلاة في الحميم، ص ٣٠٣

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٠٣

شَغَلَ الكَمَاءُ الغُرُّ كُلَّ وَظِيفَةٍ
وَتَسَلَّمُوا فِي التَّيْلِ كُلَّ عَنَانٍ
حَتَّى كَأَن يَمُصَّرَ كُلَّ كَفَاءَةٍ
قَصَّرت على أَبْطَالِهَا الغُرَّ سَان^(١)

وكذلك رصد أحمد مطر دور الجيش في إقامة الحكم الاستبدادي وتقويته بمجهر لا يمكن أن يفوته شيء، فهو شديد الغضب على الجيش الذي يتمرد على شعبه المسكين بينما يبحث عن حيل ليفر من مواجهة العدو المحتل، يقول:

هل لدى ذلك الجيش دم؟
ألم تر كيف أغار على أهله كالذئاب
وولى أمام العدى كالغنم^(٢)

وقد سبق كيف خاطب الشعراء المقاومون الثلاثة الحكام العرب المستبدين بجرأة وصراحة مبرزين جوانب عديدة من حكمهم الجائر وواصفين شخصياتهم الغافلة الظالمة وكاشفين حقيقة حيلهم الواهية، ويمنح الشعر الوفير الذي تناول الحاكم المستبد مجالا واسعا لدراسة مفصلة

وكذلك اتخذ الشعراء الثلاثة من وضع العالم العربي والحالة النفسية التي يعيشها الفرد العربي والمآسي التي يخلفها الاستبداد مادة ثرية لشعرهم الثوري المقاوم، وأبرز ظاهرة تجلت في شعرهم هو سيطرة موجات الخوف والذعر على دواوينهم فلا يتلقى الإنسان العربي الأبوي الحر تعذيبا جسديا ونفسيا فحسب بل يعيش وكأنما أقيم حصار منيع حول فكره وعقله فيعيش دون إرادته، فالرفاعي الذي يشكو شقاء الشعب بقوله:

أَمْ ذَاكَ رَأَى الشَّعْبَ وَهُوَ مُكَبَّلٌ
فَحَيَاثُوهُ وَالْمَوْتُ يَسْتَوِيَانِ^(٣)

(١) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٨

(٢) قصيدة "بلاد ما بين النهرين"، لافتات ٤، ص ١٥٤

(٣) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٨

يمائل أحمد مطر الذي لا يرى شعبه إلا مكبلاً مصفداً معذباً بدرجة يرضى بالموت
فراراً من هذه الحياة:

الإعدام أخف عقاب
يتلقاه الفرد العربي
أ هناك أفسى من هذا؟
طبعاً
فالأفسى من هذا
أن يحيا في الوطن العربي^(١)

ومثلهما الزبيري اليمني إذ يصف بؤس أحوال شعبه ودرجة الشقاء التي ابتلي بها،
فلا يدري ما مسيره وإلى أين مصيره:

والنَّاسُ بَيْنَ مُكْبَلٍ فِي رِجْلِهِ
قَيْدٍ وَفِي فَمِهِ الْبَلِيغُ لِحَامُ
أَوْ خَائِفٍ لَمْ يَسْدِرْ مَا يَتَأَبَّه
مِنْهُمْ أَسْجُنُ الدُّهْرِ، أَمْ إِعْدَامُ؟^(٢)

فتجرع كأس الموت أحلى من مرارة العيش في العصر الاستبدادي، ولا عجب في
فرارهم من الحياة واللجوء في كهف الموت لأن الدولة الاستبدادية عبارة عن أرض يسودها
قانون الغابة فلا قيمة فيها للشرف والكرامة والحرية. والشعب في شعرهم ليس سوى قطيع
أغنام يساق دون إرادته أو إرثاً شخصياً يتوارثه جيل بعد جيل ويعيش دون أن يكون له أدنى
حق في تقرير مصيره فليس الشعب إلا أداة تسلية يلهو بها الاستبداد لتسليته متاعره
وأحاسيسه. فكل فرد من أبناء البلد العربي يحيط به خوف مستمر قد يعدم بمجرد اشتباهه، لا
يجد مأوى في القانون لأنه معدوم الضمير، وغدت الحرية حلمًا لا يسمح بأن يحلم به.
وقصائد الشعراء العرب مليئة بالصور المقلقة لمعاناة الشعب الذي يقاسي آلام الجوع والفقر

(١) قصيدة "أفسى من الإعدام"، لافتات ٦، ص ١٣٩

(٢) قصيدة "صرخة إلى النائم"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٠٣

والجهل والعبودية رغم أنه يعيش في بلد تحرر من الاستعمار منذ زمن ، يعيش الناس في جحيمهم بينما قسى قلب الحكام فلا يشعرون بشيء من آلامه ، لأنهم يعيشون في عالمهم بعيدا عن رعيّتهم الفقيرة ، وليست من المبالغة القول بأن الصور الكثيرة لظروف الشعب وأحوالهم آمالهم والتي تعج بها قصائد المقاومة تصلح لتكون موضوعا لدراسة منفصلة تكشف عن خباياها ودخائلها.

وتمثلت مظاهر الذعر والخوف السائدة في الأجواء العربية بشكل شكوى الشعراء الثلاث من الرقابة البولسية ومراقبة المخابرات وتدخلها وتجسسها حتى فى أبسط الأمور الشخصية ، فما من فرد من أي مجال من مجالات الحياة إلا وتراقبه عيون ، وبلغت هذه الظاهرة منتهاها في العالم العربي حتى بات الأقارب يتجسسون على أقاربهم ، ووصف الشعراء مثل هذه الأجواء السائدة في البلاد العربية يقول الرفاعي وهو يصور أجواء مضر:

حتى صدى الهمسات غشاه الوهن
لا تنطقوا، إنّ الجدار لـه أذن^(١)

وقد سبق في الحديث عن الشاعر أحمد مطر أنه أكثر الشعراء وصفا شدة الرقابة حتى على أفراد أسرة واحدة ، فعدا الشعب كله يتجسس على غيره ، وهذا ما جعل المواطن العربي يفر من ظلاله وهمساته ويخاف تجمعا عائليا لئلا يصبح فرصة لإيقاع تهمة عليه :

نهربُ من ظلالنا

مخافة انتهاكنا

حَظَرَ التجمعات

نهربُ للمرأة من وجوها

ونكسرُ المرأة

خوفَ المداهمات

نهربُ من هروبنا

(١) قصيدة "أغنية أم" ، ديوان الرفاعي ، ص ٣٨٧

مخافة اعتقالنا

بتهمة الحياة^(١)

ويصف الزبيري تسرب عملاء المخابرات في جميع طبقات الحياة ويصف كيف تجاوزت الدائرة الحمراء وحالت بين المرء وعائلته :

وَالْمَرْءُ يَهْرُبُ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ
وَكَأَنَّ وَصْلَهُمَا لَهُ إِجْرَامٌ^(٢)

و ظاهرة الرقابة البولسية والمراقبة الأمنية تقوى في العصر الاستبدادي لكبت أصوات الحرية وإبادة الكلمة الحرة قبل ميلادها، ولعله لا توجد طبقة من طبقات المجتمع إلا وسرت فيها عيون الحكام ورجالهم لإخماد شعلة المعارضة.

ويملك الحكم الاستبدادي موهبة الابتكار في أساليب فن التعذيب لمعارضيه، والشعر العربي المقاوم للاستبداد حافل بذكر المعذبين في زنانات السجون والمعتقلات والأماكن السرية في اليمن ومصر والعراق وغيرها من الأقطار العربية وما يستهدف المستبد من تعذيبهم إلا تخويف الشعب وإجباره على إخضاع الرأس لأوامره دون تردد ويريد بها إرجاع الإنسانية إلى عهد الرق وعبودية الإنسان لأخيه الإنسان، يقول الرفاعي :

أُنْزِلَ بِهِذَا الشُّعْبِ كُلُّ هَوَانٍ
وَأَعْدَ عَنْهُوَدَ السَّرَقِ لِلأَذْهَانِ^(٣)

ورسم الشعراء الثلاث مناظر رهيبة لتعذيب المعارضين المطالبين بالحرية في غياهب السجون وفي سوارع المدن وطرقاتها وجرى كل ذلك بإرادة علنية وبإذن خاص من الطغاة المستبدين، ومنحت السلطات الأمنية حرية مطلقة للبطش بالمعارضين وكان معيارها الوحيد كما قال أحمد مطر :

(١) قصيدة "مؤهلات"، لافتات ٢، ص ١١٥

(٢) قصيدة "صرخة إلى النائم"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٢٠٣

(٣) قصيدة بين احتلالين، ديوان الرفاعي، ص ٢٩٤

حَبْسُوهُ
قَبْلَ أَنْ يَتَّهَمُوهُ
عَذَّبُوهُ
قَبْلَ أَنْ يَسْتَجُوبُوهُ^(١)

فلا حق للمتهم ولا محكمة لسماع موقفه فكفى تغنيه بأحلام الحرية والجهر بصوت الحق ضد الباطل وصرخته الاحتجاجية دليلا قويا على جريمته. وقصيدتا الزبيدي "قيد جماعي"^(٢) و"كفر وإيمان"^(٣) مثلا تخبران ما واجهه الأحرار الأسرى من أحداث أساليب التي جربتها شرطة اليمن. وما جرى في اليمن جرى في مصر كذلك حيث امتلأت السجون بمن كان له أدنى صلة بمعارضتي النظام الاستبدادي:

وَالسَّجَنُ يَفْقَرُ فَاهُ لَا اسْتِقْبَالَنا
وَالسُّوْطُ فَوْقَ ظَهْرِنَا أَحْكَامًا^(٤)

ولم يكن الشباب وحدهم عرضة لهذا النوع من التعذيب فحسب بل لم ينج حتى كبار السن من الإيذاء والتعذيب في السجون وفي الطرقات العامة، ولشدة أنواع الظلم ولأشنع ألوان التعذيب تحول الوطن الحبيب عند الشعراء الثلاث إلى سجن أو عابية موحشة إذ يخلو من محكمة عادلة وقاض مقسط، وطن يمنح فيه لرجال الشرطة والجيش رخصة مطلقة للتكيل بمعارضيه دون مبالاة بشرعية أو دستور. ورسم شعراء مقاومة الاستبداد صورا مخزنة لأساليب التعذيب التي يمارسها رجال الاستبداد في الشوارع والأسواق والسجون والمعتقلات باسم التفيتش

وتسفر هذه الحرية المطلقة في البطش والتكيل عن مأساة أخرى أمر من التعذيب، وهي مأساة اختطاف المواطنين الأبرياء دون أن يعثر على أثر لهم والورثة المنتظرون لعودة

(١) قصيدة "بحيا العدل"، لافات ٢، ص ٨٠

(٢) ديوان صلاة في الجحيم، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٤٠

(٣) ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٧

(٤) قصيدة "جمال عاد من باندويج"، ديوان الرفاعي، ص ٤٠٥

أحبائهم لا يجدون مأوى يلجأون إليه ، فالشرطة إما غير قادرة على التفتيش في مثل هذه القضايا وإما متورطة في هذه الجريمة ومتجاهلة عن الكارثة ورافضة وقوعها ، كما تعجز المحاكم عن محاكمة ضابط برتبة متدنية أو حتى جندي عام بتهمة اختطاف المدنيين.

وأما من يقع ضحية هذه المأساة فإما أن يقضي حياته القاسية في السجون والمعتقلات السرية لفترة طويلة عرضة للتعذيب الذي لا يطاق أو يلقي على جثته وقد رميت في إحدى الشوارع أو يحظى بالعودة إلى البيت وقد اضطرب نفسيا لا يقدر أن يعيش حياة عادية. وتعيش أسر هؤلاء في حياة أمر من الموت منتظرين عودة أحبائهم وكثيرا ما يطول الانتظار دون فائدة. وتجلت هذه المأساة وآثارها في قصائد الشعراء الأحرار بكل آلامها وأحزانها وقصيدة "أغنية أم"^(١) للشاعر هاشم الرفاعي خير ما يصور هذه المأساة التي سادت العالم العربي بكثرة وتصور الأحوال المادية والنفسية لأسير المختطفين التي تمر من لحظات انتظار أشد من الموت وقلق مريب حنانا على أقاربهم الذين لا يدرون أمانوا أم ما زالوا أحياء يرزقون ويتردد بحشهم عن أحبائهم بين الأمل والرجاء. وتتأجج القصيدة بمشاعر الحزن والانتقام والحسرة معا ، وتصور كيف تمر أسر المختطفين بمأساة نهز كيائها وتجعل حياتها جحيما.

والمأساة هذه تكررت وما زالت تتكرر في كل بلد عربي باختلاف الأشخاص والتواريخ والشاعر أحمد مطر في قصيدة "الطب يضر بصحتك"^(٢) وصف تقريرا طبيا لوفاة طالب في كلية الطب وذهب ضحية لطبعه المتجسس فاختطفه رجال الأمن وبعد أيام عثر على جثته بأثر رفسات وجروح بندقية :

وبعد يوم واحد

أفرج عن جثته

بحالة أمنية :

في رأسه رفسة بندقية

(١) قصيدة "أغنية أم" ، ديوان الرفاعي ، ص ٣٨٥

(٢) لافتات ٢ ، ص ١٩

في صدره قبلة بندقية

في ظهره صورة بندقية^(١)

والتقرير الذي أصدر من المستشفى نص على أنه مات بسبب سكتة قلبية وبذلك أصبح تأويل الكارثة أمر من الكارثة نفسها، وعلى هذا المنوال ذهب المثات والآلاف ضحية للجرائم التي ترتكبها الهيئات الأمنية وظلت آهات المنكوبين تذهب سدى دون صدى.

ويسفر الزمن الاستبدادي عن كارثة إنسانية أخرى، وهي ضيق الأرض العريية على كثير من أبنائها رغم سعتها ورحابتها نتيجة بطش الحكام بمخالفاتها، ويضطر ضحاياها قضاء حياتهم لاجئين تائهين في بلاد أخرى، يتحملون انعكس الآلام، والشاعر هاشم الرفاعي وصف متاعرهم أدق وصف في قصيدته، أحدهما "غرام لاجئ" وثانيهما "وصية لاجئ" وهي عبارة عن خلجات لاجئ متشرد، يقول:

مَاسَاتِنَا مَاسَاءُ نَاسٍ أَهْرَاءٍ
وَحِكَايَةُ بَغْلِي بِأَسْطُرْهَا شَقَاءُ
حَمَلْتُ إِلَى الْآفَاقِ رَائِحَةَ الدِّمَاءِ
وَجَرِيْمَتِي كَانَتْ مُحَاوَلَةَ الْبَقَاءِ^(٢)

ويشقى الشعب كله خلال الحكم الاستبدادي ويمر بأحوال قاسية وأشد ما يتأثر بمفاسد الحكم الاستبدادي هو الطبقات الضعيفة من الفقراء والعمال والفلاحين، وشعر مقاومة الاستبداد وصف دقيق لمآسيها. تعاني طبقة الفلاحين والعمال من مشكلة رئيسة وهي أنها بعد جهد شهور وسنوات لا تجد مكافأة مناسبة لجهدا وتظل أسررتها جائعة محتاجة، فالفلاح الذي يسقي الأرض بدمائه ويرهق جسده في الشمس من أجل الحصول على الحبات يبقى يعاني من الجوع والفقر لأن يدا قوية تحرمه ما زرع يوم حصاده، وشكا الرفاعي معاناة الفلاحين على يد عصابة تتخطف رزقهم من يدهم وذلك في قصيدة "توزيع الملكية" قائلا:

(١) قصيدة "الطب يضرب بصحتك"، ص ١٩، ديوان لافتات ٢، لأحمد مطر

(٢) قصيدة "ثروة"، ديوان الرفاعي، ص ٣٤٥

أَيَّامٌ يَجْشَعُ فِي الْإِجَارَةِ مَالِيكَ
فَيَكُونُ مَنْ لَفَحَ الْغُلَاءَ أَجِيرُ
كَمْ نَظَرَ لِيْزْرَاعَةَ بَعْتُوهُ
هُضِمَتْ حَقُوقُ مُكَافِحٍ وَأَجْنُورٌ^(١)

وأشار أحمد بتساؤلاته المتحدية قضايا عامة الناس وخاصة تلك التي تؤثر في ميزانية الفقراء تأثيرا لا يطاق ، ففي قصيدة "ديوان المسائل" مثلاً يسأل عن معاناة الفقراء بسبب أسعار البترول قائلا :

إِنْ كَانَ الْبَتْرُولُ رَخِيصاً
فَلِمَاذَا نَقْعِدُ فِي الظُّلْمَةِ؟
وَإِذَا كَانَ ثَمِيناً جِداً
فَلِمَاذَا لَا نَجِدُ اللَّقْمَةَ؟^(٢)

و المرأة من أضعف الطبقات وأكثرها احتياجا إلى دعم المجتمع وإعانة الحكومة ، ومن أبشع وجوه المستبد ذلك الذي يمزق حجاب البنت ويستهتر بكرامتها ، وعبر شعراء المقاومة عن هذه المأساة الإنسانية الدنيئة بطريقة ناجحة في إثارة الخواطر والمشاعر ، يكشف أحمد مطر مدى وقاحة السلطات الرسمية في كشف جرائمهم وتغطيتها بمصطلحات أمنية ودفاعية عندما رسم معاناة بنت ترقص في باحة قصر السلطان على إيقاع طبلية وقد يراودها الحاكم بين حين وآخر ، ويستمر السلطان في مراودته إياها دقائق وساعات إلى أن انتصف الليل وأخيرا وقعت بين أحضان السلطان ، أما رجال الأمن وحراسه فماذا فعلوا ، يقول أحمد مطر :

وَالْحِرَاسُ الْمُنْتَشِرُونَ بِكُلِّ مَكَانٍ
سَدُّوا ثَغْرَاتِ الْحِيطَانِ
وَأَحَاطُوا جِداً بِالْحَفْلَةِ
كَيْ لَا يَخْدُشَ إِرْهَابِي^(٣)
أَمِنْ الدَّوْلَةِ^(٤)

(١) قصيدة "توزيع الملكية" ، ديوان الرفاعي ، ص ١٥٧

(٢) قصيدة "ديوان المسائل" ، لافئات ٦ ، ص ٣٨ و ٣٩

(٣) قصيدة "ولي الأمر والراقصة والإرهابي" ، المرجع نفسه ، ص ٦٤

وهكذا تتغير مفاهيم المصطلحات الأمنية والدفاعية والوطنية فيلعب بها المستبد كما يشاء ويستخدمها ليغطي بها جرائمه البشعة.

وضمن الشعر العربي المقاوم للاستبداد صرخات احتجاجية على وضع القيود على حرية التعبير عن الرأي، فردا ومجتمعاً. فرغم أن الاختلاف مع الحكومة ومعارضتها يعتبر حقاً أساسياً في المجتمعات المتقدمة غير أنه يعتبر ثورة على الدولة لا يعفى عنها في الحكم الاستبدادي. ويسعى المستبد لكبح الصوت المعارض له فيأسر الفكر ويحكم الفم ويحصر القلم وأشد ما يثأثر بهذا الوضع هم أهل الفكر والعقل من الأدباء والشعراء والصحفيين، وشكوى شعراء المقاومة من هذه الأجواء الضيقة الخائفة متكررة في شعرهم، ها هو الشاعر الزبيدي يرسم لنا ضباب الذعر والخوف المسيطر على أجواء اليمن:

والاجْتِمَاعُ جَرِيْمَةٌ أَزْلَمُ
وَالْعِلْمُ إِثْمٌ، وَالْكَلَامُ حَرَامٌ^(١)

وينعى الرفاعي حق التعبير المسلوب، فقد أصبح قول الحق عملاً لا يطاق وجريمة لا تغتفر وما على صاحبها إلا دفع ثمنها.

مَا عَادَ قَوْلُ الْحَقِّ غَيْرَ جَرِيْمَةٍ
تَأْتِي لِكُلِّ مُوَاطِنٍ بَوَالٌ^(٢)

وضمن الشعر المقاوم وصف ابتلاء الصحافة الصادقة في العصر الاستبدادي حيث يصعب على الصحفيين وصف الحقائق وفق الأحداث، وكشف عن خبايا هذه القضية والمعاناة التي تحملها الصحفي الصادق والمشاكل التي تواجهها الصحافة الحرة في عصر الاستبداد، يعبر هاشم الرفاعي عن هذه الأحوال في ظلال الاستبداد، يقول:

هُمْ أَخْرَسُوا الْأَصْوَاتَ حَتَّى أَتَّهَمُوا
بِأَنَّكُمْ تَكْتُمُونَ رَنَّةَ الْإِغْوَالِ

(١) قصيدة "صرخة إلى النائم"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٠٣

(٢) قصيدة بين احتلالين، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٤

هُمْ حَطَمُوا الْأَقْلَامَ وَمَا تَرَكُوا لَنَا
غَيْرَ النَّفَاقِ يَغِيْثُهُ الْهَطُّالُ^(١)

مرت الصحافة الصادقة بمحن شديدة في العصر الاستبدادي، فلم تجد أمامها سوى صورتين، إما أن تتحالف مع القوة الاستبدادية لتمتع بحريتها وإما أن تقبل مواجهة مشاكل وتحديات ثمنًا لصدقها وحريتها، وغالبًا ترضى بالصورة الأولى، فتسخر كل طاقاتها لخدمة الحكام وتزييف الحقائق من أجل إيجاد حالة القدسية المصطنعة والعظمة المزيفة حول شخصية المستبد الدنيئة، والشاعر أحمد مطر يرفض بكل قوة هذه الصحافة السخيفة التي باتت وسيلة للتكسب:

فلتأكلي ما شئت ، لكنني أنا
مهما استبدَّ الجوعُ بي
أرفضُ أكلَ الجيفةِ
أبتُها الصحيفةُ^(٢)

ويعلي الشاعر هاشم الرفاعي صرخته الاحتجاجية ضد الصحافة الخائنة إذ يقول:

هَذَا الَّذِي كَتَبُوهُ مَسْمُومُ الْمَذَاقِ
لَمْ يَتَّقِ مَسْمُومًا سِوَى صَوْتِ النَّفَاقِ^(٣)

ووصف الشعر العربي المقاوم معاناة الشعراء في عصور الاستبداد، حيث يجبر الشعراء على اختيار كلمات وأبيات لا تنفخ ثورة في نفوس الجماهير، ويوجه إليهم النظام إرشادات لصياغة قصيدة لا تحدث اضطراباً أميناً في الدولة، تقرأ كلماته قبل ميلادها وتفحص في كل حين، ويقدم أحمد مطر في قصيدة "الأرمد والحكال" نموذجاً لقصيدة تستوفي شروط الحكومة الاستبدادية الخائفة من تأثيرها، وهي النموذج الذي يضمن للشعراء حياة خالية من أي خطر إذا رضوا بالعمل به، إذ يقول:

(١) قصيدة "بين احتلالين"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٤

(٢) قصيدة "حيثيات الاستقالة"، لافتات ٣، ص ٧٣

(٣) قصيدة "أغنية أم"، ديوان الرفاعي، ص ٣٨٨

هل إذا بشس كما
 قد عسى لا إنما
 من إلى في ربما
 هكذا سلمك الله قل الشعر
 لتبقى سالما
 هكذا لن تشهق الأرض
 ولن تهوى السما
 وهكذا لن تصبح الأوراق أكفانا
 ولا الحبر دما^(١)

ولا يختار الشعراء سبيل المقاومة إلا بدافع فطرتهم السليمة التي يجهر صاحبها بالحق مهما قست الظروف وتكدرت الأحوال ولا يبقى السعي للتحرر والدعوة إلى مبادئ الحرية والعدل عملا سهلا في الظروف التي عاشها الشعراء في العصر الاستبدادي. ويحاول المستبد إخماد الثورة الشعرية وإسكات الشعراء بشتى الوسائل مثل التخويف والتهديد والتطميع والتلفيق، يكشف الزبيري عن واحد من هذه المحاولات التي كانت عبارة عن نصائح من أقربائه، وكان مما قالوا له :

حَطِّم دِمَاغَكَ إِنَّهُ
 شَرُّ بَرَأْسِكَ مُسْتَطِير
 مَزَّقْ فُوَادَكَ إِنَّهُ
 يُؤْذِي الْخَلِيفَةَ وَالْأَمِير
 لَا تَنْطِقَنَّ الْحَقَّ
 فَهُوَ خُرَافَةُ الْعَصْرِ الْغَرِير^(٢)

(١) قصيدة "الأرمد والكحال"، ديوان لافتات ١، ص ٨٥

(٢) قصيدة مصرع الضمير، ديوان صلاة في الحميم، ص ٢٨٢

وتحاول النصائح والمشورات التي يتلقاها الشعراء إقناعهم بإغماض عيونهم عما يرونه من مناظر الظلم التي تلوح أمام أعينهم وتحاول إقناعهم بأن مصطلحات العدالة والحرية والمساواة شعارات مزيفة قد ذهب زمنها فلا تنفع في الزمن الحاضر، والجمهور بها قد يسبب خطرا على سلامة الشاعر وأحبائه. يقول الرفاعي:

وقائل لبي ينهاني وينصحنني :
السُّجُنُ بات قريبا منك فأبتعد
إن كنتَ ذا شَمَمٍ في معشر جَنَحُوا
للذلِّ فأجتح له.. تركزن إلى رشَد
فقلت : فكبرى ، إخناسي... أأقتله ؟
هذا الذي لم يدرك قوم في خلدي^(١)

وكلما ازدادت الضغوط قست لهجة الشاعر ليرفض أي مساومة أو مصالحة ،
وحقيقة الأمر أن الاستبداد كان خائفا من روح الحرية التي تبثها قصائد الشعراء الأحرار
وتأثيرها البالغ في نفوس الجمهور المضطهدين ، وأحمد مطر على وعي بزيف الزمن وخطورة
السييل التي يسلكها :

سبعون طعة هنا موصولة النرف

تبدي.... ولا تخفي

تفتال خوف الموت في الخوف

سميتها قصائدي

وسمها يا قارئ حنفي^(٢)

وفي الشعر العربي المقاوم للاستبداد مؤاخذه صارمة لكل من وقف مؤيدا للاستبداد
ومناصر له ولا تكتسب دعائم الاستبداد قوة وصلابة لولا أعوانه من الأفراد والجماعات

(١) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية" ، ديوان الرفاعي ، ص ٤١٦ و ٤١٧

(٢) لافتات ١ ، ص ٥

والأحزاب السياسية والطوائف مثل الأدباء والشعراء والصحفيين والسلطات الرسمية مثل البرلمان والمخابرات والشرطة والمحاكم القضائية، فهي تساعد الاستبداد إما بقبول حكمه والارتضاء به والوقوف معه مناضلة ومؤيدة في كل خطواته وسكراته وإما بإغماض الطرفين عنه والسكوت على ظلمه والتقاعد عن الكفاح ضده.

وعلى رأس المؤيدين للاستبداد البرلمانية المزيفة التي تمنح لأهواء المستبد صبغة قانونية ودستورية، وليست الدساتير والقوانين التي يضعها هذا النوع من البرلمان سوى وسيلة لإشباع رغبات المستبدين وإخفاء جرائمهم، يقول:

أي قيمة

للقوانين العظيمة

وهي قفاز حريري

لذي الكف الأثيمة

وأداة للجريمة^(١)

وليس لهذه الكلمات المكتوبة في مجلدات الدستور مغزى ومدلول وفق ظاهرها إلا ما أرادها أربابها المستبدون:

يقول جبري ودمي

"لا تندعش،

من يملك القانون في أوطاننا،

هو الذي يملك حق عزفه"^(٢)

أما هاشم الرفاعي فيرى أن الجالس على كرسي البرلمان ليسوا سوى دمي تحركها أيدي سرية، وليس من وظيفتها سوى التصفيق لكلمات الحاكم المستبد والإشادة بكل ما يقول ويفعل، يقول:

(١) قصيدة "تحت الصفر"، لافتات ٤، ص ٥٨

(٢) قصيدة "عدالة"، ديوان لافتات ١، ص ١٦

هَاسَهُمْ كَمَا تَهْوَى - فَخَرَّكُهُمْ - دُمَى
 لَا يَفْتَحُونَ بَغِيرَ مَا تَهْوَى فَمَا
 إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَدْ جُمُّوا
 لِيَصَافَّقُوا إِنْ شِئْتَ أَنْ تَكَلِّمَنَا^(١)

ولا يمكن للمستبد أن يتخلص من المؤاخذه الداخلية لجريته الكبرى، فيظل يسعى للبحث عن وسيلة ليمنح بها حكمه الاستبدادي صبغة شرعية قانونية وليمسح عار الاستبدادية من جبينه فيزين مسرحية الانتخابات والاستفتاءات الشعبية. وكذلك ضمن الشعر العربي المقاوم وصف المحاكم الاستبدادية والقضاة الخدماء للاستبداد، وهي المحاكم التي تحرص على إصدار أوامر أسر معارضي الاستبداد وحبسهم وشنقهم أسرع ما يمكن باتهامات واهية سخيفة مفتراة، وتوفر المحاكم حينئذ لأعمال الجور والاضطهاد ختمًا قانونيًا لا يعارض. ويسخر بها هاشم الرفاعي:

الْحُرُّ يَعْرِفُ مَا تُرِيدُ الْحَكْمَةُ
 وَقَضَايَاهُ سَلَفًا قَدْ ارْتَشَفُوا دَمَهُ
 لَا تُرْتَجَى دَفْعًا لِيُهْتَبَأَ رِمَاءُ بِهِ الطُّغَاةُ
 الْمُجْرِمُونَ الْجَالِسُونَ عَلَى كُرَاسِي الْقُضَاةِ^(٢)

فأشد ما آلم الشعراء هو الدور المذموم للمحاكم القضائية وكيف أصبحت خير عون للحاكم المستبد، وقضاتها بمثابة دُمَى سلطانية لمنح استبداد الحكام صبغة قانونية وهم خير وسيلة لإلقاء معارضيهم في غياهب السجن أو شنقهم باتهامات سخيفة، وهم السبب لاختلال الميزان، يقول الرفاعي:

(١) قصيدة "نواب الأمة"، ديوان الرفاعي، ص ٤١٨

(٢) قصيدة "أغنية أم"، المرجع نفسه، ص ٣٨٧

فِيهَا الْقُضَاةُ وَهُمْ الْخُصُومُ لَعْدَالَةٍ مُخْتَلَفَةِ الْمِيزَانِ^(١)

ومن معارضي المقاومين الأحرار بعض الأحزاب التي تدعي الانتماء إلى الدين والدين منها ومن سياستها برئ، وضمن الشعر العربي المقاوم للاستبداد كشف حقيقة هذه الأحزاب والشخصيات الدينية بكل قوة وألفها وقد تقف جنباً بجانب الحاكم المستبد بكل وقاحة ويمجد المستبد فيهم خير عون لتعزيز حكمه الاستبدادي بحجج مقبسة من الدين الخفيف. وتعرض شعراء مقاومة الاستبداد لدور الأفراد والطوائف والأحزاب الذين يدعون الانتماء التيار الديني ثم ينفقون مع الاستبداد مساندين له بكل صراحة خلاف أحكام الشرع المتين، يقول الزبيري:

لَا يَخْشَوْنَ الدِّينَ إِلَّا أَتَاهُ
عُنْدَ الْأُمِيرِ ذَرَاهِمٌ وَطَعَامٌ^(٢)

وتمرد أحمد مطر شديد جداً على الطائفة التي تستغل الدين الخفيف لإياحة زلات المستبد ومنحها قداسة دينية، بين أحمد مطر في قصيدة "الحلم"^(٣) كيفية إقناع علماء البلاط الشعب إلى قبول الوضع والحكم الاستبدادي بمبدأ الصبر والإيمان بالقدر وصور في قصيدة "واعظ السلطان"^(٤) كيف يهتم علماء البلاط بموضوعات ليهملوا موضوعات أخرى قد تثير الحماس والغيرة في النفوس، والقصيدة وصف لخطبة ألقاها أحد علماء البلاط، يقول الشاعر:

حدثنا الإمام

في خطبة الجمعة

(١) قصيدة "حلال الكفاة"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٦

(٢) قصيدة صرخة إلى النائم، ديوان صلاة في الحميم، ص ٣٠٦

(٣) قصيدة "الحار والمجروح"، لافتات ٢، ص ٩٨

(٤) قصيدة "واعظ السلطان"، لافتات ٦، ص ٦٠

عن فضائل النظام

والصبر والطاعة والصيام^(١)

ويتصدى الزبيري لمثل هؤلاء الذين يقفون مع الاستبداد مساندين له ويبيدي كراهته لمثل هذه الطائفة إذ يقول :

فَلَيْمُتَ مَنْ يُضْفِي عَلَى الظَّالِمِ الطَّائِغِي
رِداءَ الْجَلالِ وَالْقُدْسِ^(٢)

وحيث المقاومة الشعبية للاستبداد كشف دور وسائل الإعلام التي تجعل الثناء على الطاغية المستبد وظيفتها الوحيدة وتمجد الشخصية الظالمة للمستبد ليل نهار، وترسم الحياة على غير حقيقتها وتقدم الجحيم الذي يعيشه الناس في عصر الاستبداد كأنه جنة مثالية وتغطي جرائمه برداء المجد والفخر وتضلل الرأي العام، هذا ما يكشف عنه الزبيري إذ يقول :

وَأَجْعَلُوا كُلَّ دَمٍ يَسْفُوكُهُ
فَخْرًا وَمَجْدًا
وَأَصْنَعُوا مِنْ لَعْنَةِ الشُّعْبِ
لَهُ شُكْرًا وَحَمْدًا
وَأَسْدِلُوا مِنْ حُجُبِ التَّضَلُّلِ
فِي عَيْنَيْهِ سِدًّا^(٣)

ولعل هذا ما جعل أحمد مطر يقرر أن تصديق منشورات الإذاعة والتلفزيون ذنب يجب على مرتكبه التوبة :

تريد أن تمارس التضال

تعال..

كل كثير مسكر... قليله حرام

(١) قصيدة "واعظ السلطان"، لافتات ٦، ص ٦٠

(٢) قصيدة "حطة الموت"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٤٣

(٣) قصيدة "مغفرة الشعب"، المرجع نفسه، ص ١٥٤ و ١٥٥

فأعلن الصيام عن إذاعة النظام
وأعلن الصيام عن صحافة النظام
وأعلن التوبة ألف مرة
عن خطب الحكام
واستغفر الله على عمر مضى
صدقته فيه مرة وسائل الإعلام...^(١)

والمعيار الوحيد لإلقاء الخطب على الإذاعة هو الثناء المطول على الطاغية المستبد وإلا
لا حق لحرية التعبير، يقول الرفاعي :

كَفَلُوا لِكُلِّ مُوَاطِنٍ حُرِيَّةَ
فِي الرَّأْيِ إِنَّ أَتَنَسَى عَلَيَّ الطُّغْيَانَ
أَمَّا الإِذَاعَةُ فَهِيَ بُوْبُوقُ دِعَابَةِ
عَادَتِ بِدَاءِ السُّوقِ لِلْأَذَانِ
مُلْتَمَسَتْ بِكُلِّ مَخْدَرٍ وَمُضَلَّلٍ
مِنْ مَنَائِعِ الْأَخْبَارِ وَالْأَلْحَانِ^(٢)

وبلغت السخرية بدور الإعلام المؤيد للاستبداد متهاها عند أحمد مطر الذي بين مدى
تأثير الإذاعة في نفوس العوام وتصديقه لها، يقول :

لُعِنَ الشَّعْبُ الَّذِي

يَنْفِي وَجُودَ اللَّهِ

إِنْ لَمْ تَثْبِتِ اللَّهُ بَيَانَاتِ الإِذَاعَةِ^(٣)

ولم ينج معشر شعراء البلاط وأدباء العرش من مؤاخذه الشعراء المقاومين العنيفة،
الجنس الأدبي الرخيص الذي يبيع حرمة قلمه وكرامة كلمته لغرض مادي بخس، مبلغ مهمهم

(١) قصيدة "كيف تتعلم الضال"، لافتات ٣، ص ١٢٩

(٢) قصيدة "جلاد الكنانة"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٧

(٣) قصيدة "شيطان الأثير"، لافتات ٣، ص ٨٧

نيل عطية من القصر، وهمهم الوحيد مدح الحاكم ولو كان طاغية، وليس الأدب عندهم سوى وسيلة لأكل فئات من مائدة المستبد:

يَتَشَذُّقُونَ فَتَشْخَرُ الْفُضْخَى بِهِمْ
وَيُخَرَّرُونَ فَتَضْحَكُ الْأَقْلَامُ
كَتَبُوا وَمَا هَذَا الَّذِي يَمَقَّالِيهِمْ
إِلَّا وَبَاءَ فِي النُّهَى وَسَقَامٌ^(١)

وكذلك انتقد الزبيري اليمني والرفاعي المصري ومطر العراقي الدول المستعمرة الكبرى التي حكمت البلاد الإسلامية ثم تركت وراءها داء الاستبداد بإرادة وتخطيط وكثر ما شكا الشعراء معونة الاستعمار العالمي للاستبداد المحلي الذي يفرضه على البلاد، كشف أحمد مطر ألاعيب أمريكا وكيفية لعبها بالحكومة والمعارضة في وقت واحد إذ يشكو ضعف الأمة الإسلامية وكيف تسوسها أمريكا سياسة الذئب بالحمل الصغير، يقول:

أَمْرِيكَ تُطْلِقُ الْكَلْبَ عَلَيْنَا
وَبِهَا مِنْ كُلِّهَا نُسْتَجِدُّ!
أَمْرِيكَ تُطْلِقُ النَّارَ لَتُنْجِنَا مِنَ الْكَلْبِ
فَيَنْجُو كُلُّهَا لَكِنَّا نُسْتَشْهَدُ
أَمْرِيكَ تُبْعِدُ الْكَلْبَ وَلَكِنْ
بِدَلَا مِنْهُ عَلَيْنَا تَقْعُدُ!
أَمْرِيكَ يَدُهَا عَلَيْنَا
لَأَنَّا مَا بِأَيْدِينَا يَدٌ^(٢)

ولا يتغافل الزبيري عن تاريخ الإنجليز السابقة ويذكرهم بما فعلوه في الماضي القريب والعبيد، يخاطب بريطانيا ويقول:

إِنْ السِّدْمَاءُ الَّتِي سَالَتْ بِمَدِينَتِكُمْ
لَمْ يَشْفِهَا مِنْكُمْ الْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ^(٣)

(١) قصيدة صرخة إلى النائم، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٠٦

(٢) قصيدة "الحصاد"، لافتات ٤، ص ٥٥

(٣) بتغيير، قصيدة في سيل فلسطين، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٢٦١ و ٢٦٢

ولتنديدهم بالقوى المستعمرة أكثر من سبب، منها أنها لم تبال بنقض المواثيق المعقودة مع البلاد العربية والإسلامية من أجل مصالحها بكل وقاحة، ولذلك لم تعد تصلح للصدقة والاتكاء عليها لأنها تتصف بصفات الغدر والخيانة ولا تسفر صداقة البلاد الإسلامية بها إلا عن أضرار شديدة ومن سياستها أنه تسلب جريتها بعد ما تنقل ظهرها بديون هائلة لإحكام سيطرتها على سياستها الداخلية والخارجية كما تحاصرهما بمساعدة عملائها في كل مجالات الحياة، وقد سبق في الحديث عن هاشم الرفاعي ما قاله في قصيدة "دماء في السودان"^(١) وقصيدة "الجزائر الشائرة"^(٢) وقصيدة "أغنية صومالية"^(٣) عن أيدي الاستعمار السرية في تدمير البلاد الإسلامية.

ومن القضايا الرئيسية التي تجلت بوضوح في شعر مقاومة الاستبداد اليأس الشديد من دور جامعة الدول العربية التي لا يقيم لها وزن في السياسة العالمية وقد فشلت في أداء دور جدير بالذكر في السياسة العربية الداخلية. وأحمد مطر في قصيدة "بيت وعشرون راية" وقصيدة "حديقة الحيوان"^(٤) وقصيدة "قمم باردة" يبدو قلقا ومتأسفا على الجامعة العربية والآمال التي يعلق العرب بها، فالبلاد العربية التي تجمعها روابط الأصالة واللهجة والدم متمزقة شرتمزق وأصابها من الهوان ما أصابها ولو شاءت الأسرة العربية لمسح هذا العار باتحاد صفوفها، يقول:

أسرتنا فريدة القيم

وجودها عدم

جحورها قمم

لكنها نعم

والكل فيها سادة لكنهم خدم

أسرنا مؤمنة تطيل من ركوعها، تطيل من سجودها

وتطلب النصر على عدوها من هيئة الأمم^(٥)

(١) ديوان الرفاعي، ص ٣٥٠

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٦٤

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٧٢

(٤) لافتات ١، ص ٩٤

(٥) قصيدة "بيت وعشرون راية"، لافتات ١، ص ١١٢

ويجد الدارس للشعر العربي المقاوم خطاب الشعراء الموجه إلى شعبهم ينم عن لوتين مضادين، أحدهما تعبير عن أسفهم وتألهم لأحواله القاسية ونعيمهم أوضاعه الحاضرة، والثاني يعبر عن شكواهم منه لجر وبال الاستبداد على نفسه بأيديه وهنا يغلبهم نوع من الغضب والعتاب فيلقون لوائهم الشعرية على شعبهم بعدما شعروا منه بأنه قد رضي بالهوان فلا يسعى لمنع المستبد عن ظلمه وقهره، يقول الزبيدي:

وَإِذَا سَكَتَ وَقَدْ أَصَبْتَ فَأَتَمَّ
تِلْكَ الْمُصَيِّبَةُ نَكْبَةً خُرُسَاءً^(١)

فالتزام الشعب بالسكوت وتحمله المظالم دون السعي لتغيير الوضع له أسباب، قد يكون ذلك بسبب الخوف من بطش القوة المستبدة فيتقاعد الشعب عن السعي للتغيير، وقد ينخدع بسياسته اللعاعة ودعايته الماكرة التي يمزج بين الدين والسياسة بطريقة توقع العقول الساذجة في ورطة من الأمر. وارتضاء الشعب بالاستبداد يمر من عدة مراحل، قد يتنازل الشعب عن حق الحرية خوفا من بطش المستبد، يقول:

نَخْشَى سُيُوفَ الظُّلَمِ وَهِيَ كَلِيلَةٌ
وَنُقَدِّسُ الْأَصْنََامَ وَهِيَ حُطَامٌ^(٢)

وقد يتكاسل الشعب نفسه في نزع حقه من برائن الظالم الذي يزيده تكاسله جرأة اغتصاب حقه، فليس الشعب مبرأ من حلول سيطرة الاستبداد عليه وهو الذي يسهل مهمة المستبد، وهذا ما جعل الزبيدي يبشر الطاغية المستبد:

أَيَّابِي فِرَاقَ الذِّلِّ شَعْبٌ؟ فَهَلُّوا
إِذَا يَاطُغَاءُ وَأَبْطَشُوا وَتَحَكَّمُوا
يَقُولُونَ هَذَا الشُّعْبُ عَبْدٌ تَلِيدُهُ
السَّيَاطُ وَيُعْطِيهِ الْهِنَاءَ عُلَقَمٌ^(٣)

(١) قصيدة "صحرة"، ديوان ثورة الشعر، ص ٢٣٠

(٢) قصيدة "صرخة إلى النائمين"، ديوان صلاة في الحميم، ص ٢٩٨

(٣) قصيدة "هل يخاف الشعب من نفسه"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٣١

ويستحير الرفاعي مثل الزيري من معاملة شعبه الذي رغم ما يثن من آلام الحكم الاستبدادي لا يسعى لتغيير الوضع فكأنه ألف الحياة ذليلاً ، يقول الرفاعي :

مَا بَالُ شَعْبِ النِيلِ أَضْحَى هَادِئاً
أَتُرَاهُ قَدْ أَلْفَ الْحَيَاةَ ذَلِيلًا^(١)

ومثلهما أحمد مطر أكثر من عتابه شعبه ويجعله مسئولية وضعه المؤلم ، لأن الطغيان ليس بالمصادفة وإنما الشعب بتكاسله يشارك الطاغية في جريمة الطغيان فخوفنا من ضياع مصالحنا هو الذي يمنح للطاغية جرأة تشديد بطشه بالشعب ، فالشعب الذي يتحمل كل ما يعانيه من آلام وجروح صبوراً شكوراً لا يختلف أمره عن الميت الذي لا يتألم بجروح السكين والسيف ، وليس الذل المتسلط على الشعب والظلام المخيم عليه إلا بفضلله هو لأنه سمح لأبرهة بالدخول في مكته وهدم كعته :

الذل بساحتنا يسعى
فلماذا نرفض أن نجبو
ولماذا ندخل أبرهة في كعبتنا
ونؤذن للكعبة رب^(٢)

ولا يفوت شعراء المقاومة وهم يصفون كل هذه الأوضاع القاسية أن يؤدوا دوراً قيادياً في إيقاظ الشعب وتنفخ نار الثورة فيه ، فمن سمات شعر المقاومة العربي أنه متواصل التحريض والتشجيع للطبقات المضطهدة البائسة لاستنهاض هممهم ولإيقاظهم من سباتهم العميق يطالبهم بتحريك شفاههم ورفع شعار الحق وقلع جذور النظام الذي يحرمهم حقوقهم الأساسية.

هذا ما حوى الشعر العربي المقاوم من قضايا وموضوعات رئيسية منها ما تتعلق بالشعوب التي عانت مآسي الاستبداد ومنها ما تتعلق بالقوة المستبدة المتمثلة بشكل أفراد وأحزاب وطبقات ومنها ما تعلقت بالمؤيدين للاستبداد ويحتوي هذا الشعر على معان وأفكار أخرى غير هذه القضايا وسيعالجها المبحث الثاني من هذا الباب.

(١) قصيدة "جهاد ضائع" ، ديوان الرفاعي ، ص ١٤٠

(٢) قصيدة "الذنب" ، لافتات ١ ، ص ٩٩

المبحث الثاني: دراسة الصور والمعاني □

ثمة معانٍ مشتركة عديدة بين الشعراء العرب الثلاثة، تجعلهم ذات لهجة مشتركة وعقلية واحدة وهي معانٍ تجلت وتكررت في دواوينهم وقصائدهم عدة مرات تلفت انتباه الدارس وتستحق من الدارس وقفة مناسبة.

فيجد الدارس للشعر العربي المقاوم أن الشعراء كثيرا ما يشكون من تكدر أجواء وطنهم الحبيب حيث يصعب على كل حر التمتع بحقوقه الأساسية، وبسبب الظروف القاسية لم يعد الفكر المبدع قادرا على إنتاج وإبداع، فعبر الشاعر مطر عن الحالة النفسية التي تعتره إذ يقول:

قطيع نحـن والجزار راعينا
ومنفـيون نمشي في أراضينا^(١)

لا تختلف عن العالم النفسي الداخلي للشاعر اليمني الزيري الذي يبدو مثقل الظهر ومرهق الشعور بسبب المشاكل المختلفة مثل الغلاء والجهل والفقر التي انتشرت بعد ما صار النظام الإداري متلولا:

ماذا دهمى قحطان؟ في لحظاتهم
بـؤس، وفي كلمـاتهم آلام؟
جهلٌ وأمراضٌ وظلمٌ فادحٌ
ومخافةٌ، ومجاعةٌ، وإمام؟^(٢)

ويشبههما الرفاعي إذ يرسم صورةً مخزنة لمصر وقد سادها شظف العيش وبعث
أرجاءها الفقر ويتنشر فيها الجهل، يقول:

(١) قصيدة "عزاء على بطاقة تهئة"، لاقنات ١، ص ١٣٤

(٢) قصيدة "صرخة إلى النائم"، ديوان صلاة في الحبحم، ص ٣٠٢

أَلْجَهْلُ يَضْرِبُ فِي الْقَرْيِ أَطْنَابَهُ
وَالْفَقْرُ فِي شَتَّى الْمَنَازِلِ يَقْبُعُ^(١)

وظلال الخوف والذعر المسيطرة على الأجواء جعلت أحمد مطر لا يعتبر المواطنين
الماشين على أرض الوطن أحياء لأنهم يعيشون دون كرامة :

في مقلب الإمامة
رأيتُ جثة لها ملامح الأعراب
تجمعت من حولها التُسُور والدُّباب
وفوقها علامة
نقول هذي جثة كانت تسمى سابقا "كرامة"^(٢)

ومن المعاني المشتركة في الشعر العربي المقاوم حالات اكتئاب الشعراء على الأوضاع
القاسية وإبداء ضجرهم على الوطن مصحوبا بنوع من التفور، فالوطن الذي يتغنى الشاعر
بأناسيده ليل نهار لم تعد صورته كما كانت في الماضي، بل تغيرت صورته الحميلة إلى
الصورة القبيحة ولم يعد وجهه الجميل يأسر قلوبهم، ولا يحدث ذلك إلا بعد ما يطول الليل
وتشتد الظلمات، تأمل قول الرفاعي الذي عنوان قصيدة من قصائده بـ "مصر الجريحة"،
يقول:

لَا مِصْرُ دَارِي وَلَا هَـذِي الرُّبَى بَلْدِي
إِنِّي مِنَ الْحَقِّ فِيهَا قَدْ نَفَضْتُ يَدِي^(٣)

ومثله أحمد مطر الذي انتابه شعور الاكتئاب بالوضع القاسي الذي يعيشه، فلم يعد
يألف الديار بعد هذا الدمار، يقول:

(١) قصيدة "مصر الجريحة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٥
(٢) قصيدة "حثة"، لافتات ١، ص ٧
(٣) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص ٤١٦

ولم يكن محترما

ولم یکن حرا

فلا عشنا

ولا عاشَ الوطن^(١)

ومن مظاهر اكتئاب الشعراء على وطنهم استخدامهم كلمات سلبية مثل الجحيم والمقتل تعبيراً عما استوحشوا أجواءهم التي امتلأت ضجيجاً وصراخاً فبعد ما ضاقت أرض مصر الرحبة على كل ذي شرف قال الرفاعي :

أَفِي مِصْرَ نَحْبَا الْيَوْمَ أَمْ فِي جَهَنَّمَ
فَقَدْ نَضْرَجَتْ مِنْهَا الْغَدَاةُ جُلُودٌ^(Y)

وكذلك توافقوا في وصف مرارة العصر الذي عاشوه، العصر الذي ينم عن مظاهر الظلم والذعر والقتل والإكراه والرقابة، سلبت فيه حريات الفرد وحرم الحقوق الإنسانية الأساسية فبعيت حياة أبخس من حياة البهائم مواجهها مشاكل الغلاء والجهل والفقر، فيشكو الزبيرى ذلك الزمن قائلا:

مَاذَا دَعَى قحطان؟ في لحظة اتهم
بُؤْس، وفي كلمة اتهم آلام؟
جَهْلٌ وأمراضٌ وظُلُمٌ فسادٌ
وَمَخَافَةٌ وَمَجَاعَةٌ وإِمَامٌ؟^(٣)

ومثله أحمد مطر الذي يشكو من سقاء عصره في قصائد عديدة، فلا يكاد يتحرر من إحساس الخوف الذي يعتريه دائما لا يفارقه في يقظته ولا في غفوته :

(١) قصيدة "يقط الوطن"، لافتات ٣، ص ١١٥

(٢) قصيدة "في الربيع"، ديوان الرفاعي، ص ٤٠١

(٢) قصيدة "صرخة إلى النائم"، ديوان صلاة في الحميم، ص ٣٠٢

يتبعني في الدرب
ففي بلاد العرب
كلّ خيال بدعة
وكل فكر جنحة
وكل صوت ذنب^(١)

ومما تماثل فيه الشعراء العرب معنويًا هو أفكارهم المتوحدة عن فريضة الشعر وأهمية
وطيفة الشعر في عصر الاستبداد، فأحمد مطر حدد تعريف الشعر في زمن الاستبداد بتحريكه
مشاعر السامع واستنهاضه للكفاح ضد الظلم إذ قال:

كفرتُ بالشُّعر الذي
لا يُوقِفُ الظُّلمَ ولا يُحرِّكُ الضُّمائرَ
لَعنتُ كلَّ كَلِمَةٍ
لَمْ تنطَلِقْ من بعدها مسيره
ولَمْ يَخُطَّ الشعبُ في آثارها مَصيرة^(٢)

فلم يعد الشعر بالمضامين الشعرية التقليدية يصلح ليقال في زمن يبرزح الإنسان تحت
أعباء الاستبداد، فمآسي الإنسان العربي وآلامه تقتضي من الشاعر العربي العدول عن هذه
الأغراض وإخضاعه لخدمة وتحقيق مبادئ العدل والمساواة والأمن في معركته ضد الظلم
والاستبداد. وكذلك يعلن الرفاعي التحول الجوهري في دوره وبراءته من دوره السابق
وتراجعته عن خدمة الملوك بكسر القيود إذ يقول:

إنني حَطَمْتُ قِيُودِي
إنني مَلَلْتُ رُكُوعِي
تلك العهود تَوَلَّتْ
ومأ لها مِن رُجُوع؟^(٣)

(١) قصيدة "الهارب"، لافتات ٢، ص ٥٤

(٢) قصيدة "التكفير والثورة"، لافتات ٢

(٣) قصيدة "صيحة البعث"، ديوان الرفاعي، ص ١٥٠

وقد أخذ اعتزاز الشعراء العرب الأحرار بشعرهم والوظيفة التي يؤديها حيزا كبيرا من شعرهم، وأدركوا أنهم لو تنازلوا عن موقفهم الحق العادل المقسط ولهجتهم الصارخة الجريئة المخلصة لفقدوا هويتهم فكان صدق مقالهم مبعث الافتخار والاعتزاز عند الجميع، لا يمكن التخلي عن الصدق الموضوعي لشعرهم لأنه بمثابة حياة الشعر وأن يشوبه زيغ فكري بمثابة قتله، يقول الرفاعي:

فقلت: فكـرى، إـحـسـاسـي... أأقتله؟
هـذا الـذي لم يـدُر يـا قـوم في خـلـدي^(١)

وأغلى ما يملكه الشاعر هو حرمة القلم وهو الذي يدافع عنها رافضا كل العروض بشكل المناصب والأموال والصلوات، فالصدق المتجلي في شعره هو المتاع الحقيقي الذي أكسب شعره الحر خلودا وقبولا، ولذلك لا يرى أحمد مطر نفسه فردا عاديا بل إنه واحد من انضم إلى القافلة الحسينية في ميدان كربلاء، يقول:

لست أهتم
من كان معي أو كان ضدي
لست أهتم بمن أترك بعدى
لست أهتم بمن يبكي دموعا
أو بمن يبكي دماء
ليس عندي غيرهم واحد
أن أسبق الموت إلى العيش
فأغدو من ضحايا كربلاء^(٢)

(١) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص ١٧.

(٢) قصيدة "الاختبار" من ديوان لافتات ٣، ص ١٠٣.

فالصدق الموضوعي والموقف الحق مبعثان للرفض الشديد الذي اشترك فيه أحمد مطر والزبيري والرفاعي، ويتجلى رفضهم التنازل عن موقفهم بكل شدة في عدة قصائد وبأساليب متعددة، فالزبيري إذ يرفض إمكانية مصالحة مع الطاغية المستبد قائلا:

أُمُوت خَمِيصاً! ولا أَقْبِل الفِثَا
تِ مِنَ الْقَاتِلِ الْمُخْرِسِ
أَطْعَمُ مِنْ قَاتِلِ أُمِّي
أَرَى الدَّمَ فِي كَفِّهِ الْمُتَيْنِ؟^(١)

يشبه الرفاعي تسخير قلمه لتمجيد الحكام وتقديسهم وأبى أن يقع في فريسة الحاكم المستبد الذي يزينها باسم المفاوضات والتصالح والتفاهم، يقول هاشم الرفاعي:

كُلُّ النَّبِيِّ أَذْرِيهِ أَنْ تَجْرُعِي
كَأْسَ الْمَذَلَّةِ لَيْسَ فِي إِمْكَانِي^(٢)

فجنوح الشاعر الحر لذل الاستبداد مخافة عقوبات وعراقيل بمثابة قتل فكره وتسعوره وهو أمر يستحيل أن يحدث برضى الشاعر، يرفضه أشد رفض إذ يقول:

لَنْ يَخْبِسُوا الرُّوحَ عَنْ سِحْرِ انْطِلَاقِهَا
إِنْ يَسْجُونِي وَلَنْ يَشْقَى سِوَى جَسَدِي^(٣)

ويبدو الشعراء الثلاثة على استعداد تام لتقديم أي نوع من التضحية من أجل المقاومة فحسب بل كانوا ممن يتقدم ليستقبل الرصاص على صدره، فما أحد من هؤلاء الشعراء إلا وقد واجه مشاكل مختلفة مر الكلام عنها أثناء الحديث عن كل منهم منفرداً وها هو الشاعر محمود الزبيري يهتف بجرأة ويعلن بشجاعة بأن السجون والسيوف باتت وسائل غير نافعة في إخضاع رقبته، يقول في قصيدة "خطبة الموت":

(١) قصيدة نهاية التجربة، ديوان ثورة الشعر، ص ٩٨
(٢) قصيدة "رسالة في ليلة التقييد"، ديوان الرفاعي، ص ٣٦٠
(٣) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، المرجع نفسه، ص ٤١٧

لَا سُوْفُ تُنْزِلُنَا، لَا سُوْجُوْنَ
تُصْنَعُ السَّرَقُ فِي دِمَانَا الْاَيُّه^(١)

ويبدو على أهبة تامة لأي نوع من التضحية غير مبال بخطر الطريق في سيره
المتواصل نحو الهدف المنشود:

سَامُضِي عَنِيْدَا فَلَا أَتْنِي
وَأَحْيَا كَرْنِمَا فَلَا أَنْخَنِي
وَأَرْفَع نَحْوَ السَّمَاءِ جَبْهَتِي
كَمَا ارْتَفَعَتْ جَبْهَةُ الْمُؤْمِنِ^(٢)

فلامبالاة الشعراء بوعورة الطريق التي اختاروها لهم جلية واضحة، فكل منهم غير
مقتنع بأن يعتد بالمتاعب التي يتحملها والعقوبات التي يواجهها والخسائر التي يتلصق بها،
فالعقوبات في سبيل الحرية بمثابة ألعاب، لا يبالي بها الشاعر الرفاعي، فالإباء بحكم الفطرة
التي ولد عليها الشاعر، يقول:

أَهْوَى الْحَيَاةَ كَرِيْمَةً لَا قِيْدَ لَا
إِرْهَابَ لَا اسْتَحْقَافَ بِالْإِنْسَانِ
فَإِذَا سَقَطْتُ سَقَطْتُ أَحْمِلْ عِزَّتِي
يَغْلِي دَمُ الْأَحْرَارِ فِي شَرِيَانِي^(٣)

وصحب صمودهم على موقفهم الحق تسكهم بحيط الأمل فهم متفاءلون بأفول نجم
الاستبداد الفاشم وطلوع صبح بسام ينفس عن كرب المظلومين ويفرج عن آلام المنكوبين
وهم رغم اشتداد الأحوال متفائلون بقرب انتصارهم فلا مجال لليأس أو القنوط باشتداد

(١) قصيدة "خطة الموت"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٤٨

(٢) قصيدة كفر وإيمان، المرجع نفسه، ص ١٠٥

(٣) قصيدة "رسالة في ليلة التنميد"، ديوان الرفاعي، ص ٣٦٠

الأوضاع وتفادي الخسائر المادية والجسدية، فالمقاومة تتطلب تضحية والتضحية تضمن نجاح المقاومة وتمنحها صلابة وقوة، يقول الرفاعي:

لكنمّا الظلماء يتلوها ضُحى
والليل يُعقبه ضياء سَاطِعٌ^(١)

ورغم الظروف القاسية ظل أحمد مطر كذلك متفائلا غير منقطع الرجاء ووطيد الأمل، وما أشد إيقانه بانتصاره في نهاية المعركة إذ يقول:

فإذا انتهى الشوط الأخير

وصفق الجمع المنافق

سيظل نعلي عاليا

فوق الرؤوس

إذا علا رأسي

على عقد المشانق^(٢)

ويوقن الزبيري كذلك أن الاستبداد وإن طال زمنه زائل لا محالة وأنه يستحيل أن يدوم ملك الظلم، ويرى يوم محاسبة الظلمة قريبا، يقول:

سَيُحَاسِبُونَ، فَقَدْ دَنَا لِحِسَابِهِمْ
يَوْمٌ يَسُوءُ الْخَائِنِينَ ظِلَامٌ
وَسَيَنْتَدِمُ الْمُتَزَلِّقُونَ نَدَامَةً الـ
وَوَتَنِي يَوْمٌ تُحَطُّمُ الْأَصْنَامُ^(٣)

ومن المعاني المشتركة عند مطر والزبيري والرفاعي أنهم اختاروا طريق المقاومة بدافع فطرتهم السليمة وثورتهم على الطغيان نبعت من قلبهم المحب للعدل والحرية والكرامة،

(١) قصيدة "مصر الجريحة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٥

(٢) قصيدة "لن أفاق"، لافتات ٢، ص ٣٨

(٣) قصيدة "صرخة إلى النائمين"، ديوان صلاة في الحميم، ص ٣٠٧

ويدافع فطرتهم السليمة رأوا مقاومتهم فريضة فطرية، يشرح الزبيري سبب تمرد علي
الظالمين قائلا:

تَمَرَّدَ قَلْبِي عَلَى الظَّالِمِينَ
وَدُنِيَاهُمْ الْفُظْةَ الْغَاشِرَةَ^(١)

ونار الثورة كانت تضطرم في نفس الشاعر الرفاعي منذ ما اطلع على مظاهر
الاستبداد منذ بداية حياته، فأبى أن يعيش هذه الحياة دون كفاح:

يَا ثَوْرَةً فِي ضُلُوعِي
وَمَالِهَا مِنْ هُجُوع
إِلَامٍ أَقْضَى حَيَاتِي
فِي ذُلٍّ وَخُضُوعٍ؟^(٢)

ومن دوافع ثورتهم ومقاومتهم دافع ديني فمقاومة مظاهر الظلم والطغيان فريضة
شرعية كما يقول الزبيري:

لَيْسَ فِي الدِّينِ أَنْ تُقِيمَ عَلَى ضَمِيمٍ
وَتُخْزِي جِبَاهَنَا لِلدُّنْيَى
لَيْسَ فِي الدِّينِ أَنْ تُؤْلَى طُغْيَانًا
وَتَعْتُلُوا لِلْأُسُلَةِ الْبَرِّئَةِ^(٣)

وتشابه مطر والزبيري والرفاعي في تحديهم المباشر لجبروت المستبد بخطاب مباشر ينم
عن غضبهم وحقدهم عليه دون رعاية أو تخفيف لمصلحة من مصالح، يجد الدارس ذلك
الأمر بشكل الكلمات الصريحة التي لا تراعي مداراة، فهذا هو الشاعر الزبيري يبين للحاشية
الأمم وأعوانه حقيقة أمرهم قائلا:

(١) قصيدة كفر وإيمان، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٣
(٢) قصيدة "صيحة العث"، ديوان الرفاعي، ص ١٤٩
(٣) قصيدة "حطة الموت"، ديوان ثورة الشعر للزبيري، ص ١٤٣

أيهما الرافضون فوق خطام الشعب
والشعب صابر يتجلد^(١)

ومثله هاشم الرفاعي إذ يمسك بتلابيب الحاكم الطاغوي ويؤاخذه مؤاخذه عنيفة صارمة في قتله الأبرياء، يقول:

سألت دماء الأبرياء دكيئة
ظلمنا فسحقاً أيها المستعبد
ماذا جنوا حتى أرققت دماءهم
وبأي حق في المضاجع وسدوا^(٢)

وكان خطاب الرفاعي للحاكم فيه كفاية لكشف حقيقته إذ يخاطبه تارة بـ "جلاد مصر" وبـ "كبير بغاتها" تارة أخرى:

جلاد مصر ويأكل خير بغاتها
مهلاً فأقام الخلالص دواني^(٣)

□

□ المبحث الثالث: تحليل السمات الفنية

تميز الشعر العربي المقاوم للاستبداد بخصائص وسمات فنية تتجلى للدارس بكل وضوح، ويفضلها يتميز هذا الموضوع عن بقية الأغراض الشعرية، وسيكون الاكتفاء بالحديث عن أهم السمات الفنية المهمة التي منحت باب المقاومة طابعاً خاصاً دون الخوص إلى الموضوعات البلاغية المعروفة حرصاً على التركيز على المهم واجتناب الإطالة غير المحمودة.

(١) قصيدة "الأمن الزائف"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٢٧

(٢) قصيدة "بين عهدين"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٢

(٣) قصيدة "جلاد مصر"، المرجع نفسه، ص ٣٩٨

أما على المستوى المعجمي فيجد الدارس لشعر المقاومة كلمات تعبر عن الخوف والذعر والحزن والقلق والاكتئاب وهي متكررة في كل صفحة من صفحات دواوين الشعراء المقاومين بكثرة لا تحتاج إلى بحث، ليس فهذا فحسب بل إنها تشكل نسبة كبيرة من المعجم الشعري الذي استخدمه الشعراء، فعلى سبيل المثال يلاحظ التأمل في الأبيات التالية لأحمد مطر الذي يقول:

ونحنُ نسلَ آدم
لسنا من الأحياءِ في أوطاننا
ولا من الأموات
نهربُ من ظلالنا
مخافةً انتهاكنا
حَظَرَ التجمعات
نهربُ للمرأة من وجوهنا
ونكسرُ المرأة
خوفَ المداهمات
نهربُ من هروينا
مخافةً اعتقالنا
بتهمة الحياة^(١)

ليدرك أن الكلمات المعبرة عن الخوف مثل "نهرب" و"انتهاكنا" و"مخافة" و"حظر" و"تهمة" و"الأحياء" و"الأموات" و"تهمة الحياة" ترسم لنا صورا عديدة ملؤها الخوف والذعر والاكتئاب والضجر والاكتئاب واليأس وغيرها من مشاعر سلبية. فالمعجم الشعري لدواوين الشعراء المقاومين يتكون من مئات الكلمات مثل الإعدام، والعقاب، والقتل والذبح والظلم والفقر والجبروت والخوف والحزن واليأس والفقر والشقاء والمجاعة والأموات والاعتقال والتعذيب والقتل والخطف والاعتقال والهلاك والأجل والانتحار والاختطاف والتهديد

(١) قصيدة "مؤهلات"، لانتات ٢، ص ١١٥

والسلاسل والأغلال والقيود والنسور والذباب والذئاب والجنّة والميت والتعت والقطيع والجزار والسكين والسيف والجروح والنزيف والأسرى والعبيد والقطيع والاختناق والضيق وغيرها من الكلمات التي تدل على الحالة النفسية الداخلية للشعراء ويعرض مدى درجة الشقاء الذي وصله الشعراء وفكرهم. ومن الكلمات التي تكررت بكثرة منها كلمات الرجاء والأمل والتفاؤل والاستبشار، وكذلك الكلمات التي تعبر عن العدل والحرية والمساواة.

أما على المستوى التركيبي فأبرز ما يلاحظه الدارس هو البساطة والوضوح دون غلبة اللون الرمزي أو الفلسفي. قد عبر الشعراء المقاومون عن معان سامية ومبادئ راقية بعبارات في غاية البساطة ذهبت شعارات وهتافات دون أن يخل ذلك بقيمة الشعر، تأمل الشاعر الزبيري وهو يكشف عن مظاهر الرخاء المؤقتة في عهد الاستبداد رافضا كل أنواع العروض والمغريات رفضا تاما، يقول:

وليسَ يُجْزِي دَفِينَا، أَنْ حَفَرْتَهُ
مُزْدَانَةَ طَفَحَتْ بِالْعِطْرِ وَالْعُودِ^(١)

وتأمل بساطة الأسلوب وجمال الصورة عند الرفاعي وهو يسخر ببعض الهبات من المستند المغتصب، يقول:

إِنْ السُّجَيْنِ إِذَا ارْتَدَى مِنْ سُندَسٍ
فِي الْقَيْدِ لَا يَرْتَحِلُ لِلْسُّجَّانِ^(٢)

وما أبسط وصف أحمد مطر لمعنى "الوطن" الذي هو عبارة عن الحرية والكرامة والعدل ولا يعني المباني والجبال والأحجار، يقول:

وَطَنِي أَنَا : حُرِّي
لَيْسَ التَّرَابُ أَوْ الْمَبَانِي
أَنَا لَا أَدْفَعُ عَنْ كِيَانِ حِجَارَةٍ
لَكِنْ أَدْفَعُ عَنْ كِيَانِي^(٣)

(١) قصيدة إلى الشهيد المونكي، ديوان صلاة في الحميم، ص ٢٨٨

(٢) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٨

(٣) قصيدة "هذا هو الوطن" ديوان لافتات ٥، ص ٤٦

ويصف أحمد مطر ببساطة سلوك الشعب في اختيار مفضلياته والإفلاس الفكري لدى الشعب، يقول:

أيها الناس قفوا نضحك على هذا المآل
رأسنا ضاع فلم نخزن ..
ولكننا غرقنا في الجدال
عند فقدان النعال!^(١)

إضافة إلى ذلك هناك تراكيب مؤثرة تميز بها شعر المقاومة عن بقية الموضوعات ومنحتها قوة وجمالاً فقتل الفكر والإحساس في قول الرفاعي: "فقلت: فكبرى، إحساسي.. أأقتله؟"^(٢) ووصف أحمد حالة شعبه وحكامه بقوله: "قطيع نحن والجزار راعينا"^(٣) ووصف الزيربي عدوه المستبد بالقاتل بالمحسن ثم رفض الشاعر قبول فئات منه في قوله: أموت خميصاً! ولا أقبل الفئات من القاتل المحسن"^(٤) كلها تراكيب منحت الأبيات قوة تؤثر في أعماق النفس وتهز العواطف البشرية هزة عنيفة وهي سمة تجلت بأشد وضوحها في شعر المقاومة وكان من الطبيعي أن يتسم هذا الموضوع الشعري بهذه السمة لأنه يخاطب الجمهور ويداوي جروحه ويثير هممه ليثور وينزع حقه المسلوب.

أما على مستوى الصور - وسيكون الحديث عنه في الباب الثالث - فلا يخلو الشعر العربي المقاوم من صور مؤثرة وقوية تؤثر في النفوس تأثيراً بالغاً، فهذا هو الرفاعي يذكر النعماء القليل مقابل الشقاء الذي يتحملة المواطن العربي في عصر الاستبداد، يقول:

إن السُّجَّين إذا ارتدى مِن سُندس
في القَيْد لا يَرْتَّاح لِلْسُّجَّان^(٥)

(١) قصيدة "أقزام طوال"، لافتات ٢، ص ١٠١

(٢) قصيدة "حمال رئيس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص ٤١٧

(٣) قصيدة "عزاء على بطاقة تهئة"، لافتات ١، ص ١٣٤

(٤) قصيدة نهاية التجربة، ديوان ثورة الشعر، ص ٩٨

(٥) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٨

وقد مضى في الحديث عن الشاعر الزبيري تصوير مؤثر ليصف شعبه المستكين والقانع بالخنوع أمام المستبد والمتقاعد عن سعي التغيير لأوضاعه القاسية فيشبهه بالشاة التي تفوض نفسها إلي الجزار بمجرد برسيم وتغفل عن صفقة ثمنها وعن المديّة التي تصقل لذبحها. فلا شك أن الشعب الذي ينخدع بالأساطير الخرافية التي يخلقها المستبد والادعاءات التي يخدعه بها يستوي تماماً الشاة التي تعجبه أنوار المديّة المصفولة وتمشي خلف جزارها من أجل وريقات غافلة عن إرادته أنه يذبحها في نهاية الأمر. وليس على الشاة عيب إذا لم تنج من بطشة الجزار لأنها لم توهب العقل الذي ينعم الإنسان به وتميز به عن جميع الخلق.

ومن سمات الشعر المقاوم أنه تآثر بالثقافة القرآنية اللفظية تأثراً بلغت انتباه القارئ، ويربط استخدام الشعراء المقاومين المفردة القرآنية أذهان القراء بالنص القرآني الكريم، فمثلاً أحمد مطر إذ قال :

آيسٌ منَ الجِلْدِ أنا
فيه عِظامٌ ونَكَذُ
فوهتُهُ مشدودةٌ دوماً
بحبلٍ منْ مَسَدٍ^(١)

وكذلك الزبيري الذي ينعي تقديس الطاغية المستبد قائلاً :

إصْرُخُوا فِي الْأَذَانِ : اللَّهُ أَحْمَدُ
وَأَجْعَلُوهُ رَبًّا سِوَى اللَّهِ يُعْبَدُ
وَأَزْعَمُوا أَنَّهُ الْخَفِيزُ عَلَى الْأَرْوَاحِ
وَالْمُسْتَعَانَ فِي كُلِّ مَقْصَدٍ^(٢)

يتجلى تأثير المفردات القرآنية بكل وضوح في شعرهم، فأبيات الشعراء الثلاثة يوجد فيها كثير من المفردات القرآنية تمنح النص الشعري نوعاً من القداسة وتكسبه نوعاً من الصدق والوقار الجميلين.

(١) قصيدة "مواطن نموذجي"، لافتات ٣، ص ٢٢

(٢) قصيدة "الأمم الزائف"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٢٣

الباب الثاني

مقاومة الاستبداد لدى الشعراء الأردنيين في النصف الثاني من القرن العشرين

ويشتمل على فصلين:

شعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء الأردنيين في النصف الثاني من القرن العشرين	الفصل الأول:
تحليل السمات الموضوعية والفنية لشعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء الأردنيين	الفصل الثاني:

الفصل الأول

شعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء الأردنيين
في النصف الثاني من القرن العشرين

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشاعر فيض أحمد فيض

المبحث الثاني: الشاعر حبيب جالب

المبحث الثالث: الشاعر أحمد فراز

المبحث الأول فيض أحمد فيض ومقاومة الاستبداد

يعتبر الشاعر الرومانسي الهادي فيض أحمد فيض^(١) أكثر الشعراء الأردنيين الرواد شهرة وذيوعاً في النصف الثاني من القرن العشرين^(٢) وأكبر شاعر أردني بعد إقبال^(٣) ولم يحظ شاعر غيره بما لقي من الحفاوة والاهتمام في تاريخ باكستان كله ولع نجمه على سماء الأدب في وقت كان شعر إقبال قد أسر العقول والعيون.^(٤) عرف بتغماته الهمسية التي جمعت بين اللون الرومانسي والعالم الحقيقي على خير وجه. وكانت النغمة الخطائية تسود القصائد الأردنية السياسية إلى بداية القرن العشرين ويرجع إلى فيض أحمد فيض الفضل في منحها لونا غزاليا.^(٥)

^(١) ولد عام ١٩١١م بمدينة سيالكوت الواقعة على الحدود الباكستانية الهندية في أسرة تعيش على الزراعة دون أن تمت لها بصلة إلى الشعر والأدب. تعلم في مدينته العلوم مبادئ العلوم الدينية واللغة العربية على أستاذ العلامة إقبال مولوي مير حسن ومولوي إبراهيم واجتاز امتحان الدراسة الثانوية العليا هناك ثم انتقل للدراسة إلى لاهور حيث حصل على شهادة بكالوريوس الشرف في اللغة العربية فضلاً عن ليسانس الشرف ثم حصل على شهادتي الماجستير في اللغة العربية واللغة الإنجليزية. وتوفي سنة ١٩٨٤م، باختصار من: "فيض احمد فيض، شخصيت اورقن" (فيض أحمد فيض: الشخصية والفن)، بالأردية، إشفاق حسين، الناشر: أكاديمي ادبيات باكستان اسلام آباد، (أكاديمية الأدب باكستان، بإسلام آباد)، ط٢، سنة ٢٠٠٨م، ص ١٣ - ١٦

^(٢) "انسايكلوبيديا ادبيات عالم"، بالأردية، (موسوعة الآداب العالمية)، مجموعة من الباحثين، إصدار: أكاديمي ادبيات باكستان اسلام آباد، (أكاديمية الأدب بباكستان، بإسلام آباد)، ط١، ١٣٠١م، ص ٩١٥

^(٣) هو إقبال بن شيخ نور محمد، ولد في سيالكوت، إحدى مدن البنجاب الغربية، في الثاني نوفمبر ١٨٧٧م. درس اللغة الفارسية والعربية إلى جانب لغته الأردية، رحل إقبال إلى أوروبا وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة ميونخ في ألمانيا، وعاد إلى وطنه ولم يشعر إلا أنه خلق للأدب الرفيع وكان وثيق الصلة بأحداث المجتمع الهندي حتى أصبح رئيساً لحزب الرابطة الإسلامية في الهند ثم العصور السارر في مؤتمر اله أباد التاريخي حيث نادى بضرورة انصاف المسلمين عن الهندوس ورأى تأسيس دولة إسلامية مقترحا لها اسم باكستان، توفي إقبال ١٩٣٨ بعد أن اشتهر بشعره وفلسفته انطوي - زندو زود، لجاويد اقبال. طبع باشتراك سگ ميل بلي كيشن لاهور، واقبال أكاديمي، لاهور، باكستان، ٢٠٠٤م ص ٢٩، ٧٣، ١٠٣، ١٢٨٣

^(٤) "فيض احمد فيض، شخصيت اورقن" بالأردية، (فيض أحمد فيض: الشخصية والفن)، ص ١٣

^(٥) بروفييسور مختار حسين في مقاله: شعر فيض المطبوع في كتاب فيض أحمد فيض، مقالات مختارة (ص ٢٧

يتميز الشاعر المقاوم فيض من غيره من معاصريه بلهجته الهادئة دون أن يشوبها أو يشينها شيء من العنف^(١) ولم يفقد في أقصى الأحوال وأمرها السيطرة على أعصابه ليعدل عن فكر رسالة السلام والوداد، فيخلو شعره مطلقاً من مظاهر العنف والدعوة إليه^(٢) رغم أنه ظل أسيراً من شهر مارس سنة ١٩٥١م إلى إبريل سنة ١٩٥٥م واضطر إلى اختيار الجلاء في عهد الجنرال ضياء الحق.^(٣)

قضى حياته شاعراً وصحفيّاً وأستاذاً وزعيماً سياسياً ومسئولاً حكومياً وعرف بشاعر المضطهدين وحقوق الإنسان وشاعر الحرية، وعدّ من رواد حركة التجديد الأدبي على المستوى العالمي. جمع بين نظرية الشعر والحياة التي قدمها في أعماله الثرية وبين الشعر الذي تنطبق عليه هذه النظرية بأجمل طريق.^(٤)

فتح عينه في أسرة غنية. عمل أبوه في بداية حياته فلاحاً وحمّالاً، ثم تحسنت أحواله فعمل سفيراً للهند في أفغانستان. ولم يمان فيض ظروفًا اقتصادية صعبة في حياته إلا لفترة بعد وفاة أبيه سنة ١٩٣٥م. ووهبت له البيئة التي عاشها في بيته ومدينته وكليته فرصاً لتنمية مواهبه الشعرية^(٥) وبعد دراسته الثانوية بـلاهور ثم إتمام دراسته الجامعية هناك قصد مدينة أمرتسر سنة ١٩٣٥م بحثاً عن وظيفة حيث عين أستاذاً وهنا انضم إلى ركب شعراء بعد ما كثرت لقاءاته بأبرز الشعراء. كما انضم إلى حركة العمال وأصبح عضواً نشيطاً لها، فوجد خلال عقد مؤتمرات ومحاضرات فرص تعامل مباشر مع طبقة العمال والفلاحين فأحس

(١) جديد اردو شاعری تاریخ اور تنقید، (الشعر الأردني الحديث: تاريخ ونقد)، بالأردنية، الأستاذ هارون

الرشيد، گرافکس، کراتشي، ط ٢٠١٠، ص ٢١٠

(٢) فیض احمد فیض، شخص اور شاعری، (فيض: الشخصية والشعر)، بالأردنية، ترتیب: أظهر نبي،

الناشر: سیمانٹ پراکاشن، دلی - الهند، بدون سنة الطبع، ص ١٢٥

(٣) "فکر فیض"، (افکار فیض)، بالأردنية، د نثار ترابی، ملٹی میڈیا فیروز، لاهور، ٢٠١٢م، ص ٦٣ و ٦٤

(٤) "فیض احمد فیض، شخصیت اور فن" بالأردنية، (فيض أحمد فیض: الشخصية والعن)، ص ١١

(٥) باختصار، "فیض احمد فیض، شخصیت اور فن" (فيض أحمد فیض: الشخصية والعن) بالأردنية، ص

بالامہم من قریب وهذه هي نقطة تحول في شعره إذ اختفى اللون الرومنسي منه وحل محله الفكر الثوري المقاوم^(۱)۔

بدأ فیض أحمد فیض شعره - دأب معظم الشعراء - رومانسی المنزع وفي موضوعات تقليدية وسرعان ما تحول إلى فیض الشاعر بعد ما تخلص من مشاعر اليأس وخيبة الأمل،^(۲) وللأمر سیان: أحدهما شخصي والثاني اجتماعي. أما السبب الشخصي فهو فشله في حبه الأول إذ أحب فتاة من أسرة عريقة لم يدركها فأصابه حزن وذهول، فوبخته إحدى قریباته وشجعتة على تناسي همومه الذاتية المؤقتة ودعته إلى الإحساس بالآلام الآخرين، يقول: "قالت لي رشید جهان: انس حبك هذا وحاول الخروج من حزنه، وانظر إلى الآلام المتعددة المنتشرة في الدنيا، وانفض كافحا من أجل حقوق من تعيش بينهم والأرض التي تمسني عليها، فما الفكر في الهموم الشخصية في هذا الوضع إلا أنانية بحثة لا تحمد" فلم يمنح اليأس يغلبه بل ظل يراقب مستقبلا زاهرا واتخذ من مظاهر البؤس والقسر والجور المنتشرة حوله مادة لصياغة شعره ورغم تحرقه على الوضع القاسي وبحته عن الإجابة للأسئلة المرة التي شغلت فكره أدرك أن الهموم الذاتية جزء من الهموم الاجتماعية،^(۳) وأشار إلى ذلك في بيته التالي:

اور بھی غم ہیں زمانے میں محبت کے سوا
راحیں اور بھی ہیں وصل کی راحت کے سوا^(۴)

(۱) فیض: ایک جائزہ (بالأردية)، (نظرة على فیض) لإشفاق حسین، الناشر: ادارہ یادگار غالب لاہور، پاکستان، ط ۱۹۷۷ م، ص ۳۴

(۲) من مقال: "فیض کی شاعری اور سنت منصور و قیس". (شاعری فیض وسنت المنصور و قیس)، آغا خالد سعید، من کتاب: "فیض کے مغربی حوالے"، (مصادر غریبة لفیض) بالأردية، ترتیب: إشفاق حسین، جنگہ پبلشرز، لاہور، ط ۱، سنة ۱۹۹۲ م، ص ۳۸۰

(۳) من مقال: فیض کا آدرش، لسید سبط حسن، من کتاب: "فیض کے مغربی حوالے"، (مصادر غریبة لفیض) بالأردية، ص ۶۶۰

(۴) قصیدہ "مجھ سے پہلی سی محبت میرے محبوب نہ مانگ" (لا تسألني مثل الحب الأول يا حبيبي) دیوان "نقش فریادی"، (نقش مستغیث)، للشاعر فیض أحمد فیض، مکتبہ کاروال، لاہور، بدون سنة الطبع، ص ۴۱

أي: "في الزمن هموم كثيرة غيرهم الحب، وفيه راحات أخرى غير راحة الوصل".

ففيض الرومانسي الذي سحر بجمال عينيها بقوله:

تیری صورت سے ہے عالم میں بہاروں کو ثبات
تیری آنکھوں کے سوا دنیا میں رکھا کیا ہے^(۱)

أي: "لا بقاء لربيع العالم إلا بجمالك، فماذا في الدنيا سوى عينيك".

فانصرف من العشق إلى الانقلاب، وسرعان ما أدرك مرارة الحياة التي يعانيتها كل من حوله ويصف جانباً منها:

جانباً بکتے ہوئے کوچ بازار میں جسم
خاک میں لتھڑے ہوئے خون میں نہلائے ہوئے
جسم نکلے ہوئے امراض کے تنوروں سے
پیپ بہتی ہوئی گلتے ہوئے ناسوروں سے^(۲)

أي: "تباع في هذه الأسواق والزقاق أجساد مجروحة وبالية ومتلوثة بالتراب ومضروحة بالدماء. أجساد كأنها خرجت من تنور الأمراض ويسيل القيقح من جروحها".

فكيف لقلبه الملتاع أن يرتاح في هذا الوضع ويحلم بوصال حبيبته:

تو گر میری بھی ہو جائے
دنیا کے غم یونہی رہیں گے
پاپ کے پھندے، ظلم کے بندھن
اپنے کہے سے ہٹ نہ سکیں گے^(۳)

(۱) قصیدہ "مجھ سے پہلی سی محبت میرے محبوب نہ مانگ" (لا تسألني الحب الأول) دیوان "نقش فریادی" (نقش

مستفیث)، ص ۴۱

(۲) المرجع منہ

(۳) قصیدہ "سوچ" (الفکر) المرجع منہ، ص ۴۳

آی: ”بقي هموم الدنيا كما هي ولو صرت لي، والمستحيل أن تحل
كلماتنا الحبل المشدود وتكسر أواصر القسر الوطيدة“.

وآمن بأن الهم الذاتي جزء من الهموم الاجتماعية فظل يسعى للجمع بينهما^(۱) وهو بعد اختيار
هذا الطريق مطمئن النفس مستريح البال وغير لائئم نفسه على الحبين الأول والثاني:

اس عشق نہ اس عشق پہ نادم ہے مگر دل
ہر داغ ہے اس داغ پہ بجز داغ ملامت^(۲)

آی: ”ليس القلب نادما على حبي الأول هذا ولا حبي الثاني ذاك،
وهناك جروح كثيرة عليه غير جروح اللوم والعذل“.

ونجحت له - بعد فشله في الحب العذري - فلسفة أقوى في الحب وعصارتها أن الحب حقيقة
أبدية وهو أساس الإنسانية ويناق كل أنواع الحرب والكره والظلم والعناد والحقد، ولا يستقر الفرد
والمجتمع إلا إذا خلا من هذه الرذائل.^(۳) ولعل هذا التغير الفكري جعله ينضم إلى حركة عمال المصانع
ثم اتحاد موظفي مكتب البريد.^(۴) وحبه هو الذي ألهمه الشعور بالآلام الإنسانية بغض النظر عن تعصب
ديني أو قومي أو عرقي وهو الذي علمه أسرار الحياة:

عاجزی سیکھی غریبوں کی حمایت سیکھی
یاس وحرمان کے، دکھ درد کے معنی سیکھے
زیردستوں کے مصائب کو سمجھنا سیکھا
سرد آہوں کے رخ زرد کے معنی سیکھے^(۵)

(۱) بتصرف من المقال: ”فیض کا آدرش“، لسید سبط حسن، من کتاب ”فیض احمد فیض، فیض صدی، منتخب
مضامین“، (فیض احمد فیض، قرن فیض ومقالات مختارة)، ترتیب: الأستاذ یوسف حسن
والدكتور روش ندیم، الناشر: مقتدرہ قومی زبان، اسلام آباد، ط ۲۰۱۰م، ص ۵۹ و ۶۱.

(۲) قصیدہ بدون عنوان، دیوان ”دست مہا“، (بد الصبا)، بالأردنية، مکتبہ کاروال، لاہور، بدون سنة
الطبع، ص ۴۳.

(۳) بتصرف من المقال: ”فیض کا آدرش“، لسید سبط حسن: المطبوع في كتاب (فیض احمد فیض، فیض
صدی، منتخب مضامین) (فیض احمد فیض، قرن فیض ومقالات مختارة)، ص ۶۳.

(۴) باحتصار، ”فیض احمد فیض، شخصیت اور فن“ بالأردنية، (فیض احمد فیض: التحصیة والفن)، ص ۶۹.

(۵) قصیدہ ”رقیب سے“ (من الرقیب)، دیوان ”نقش فریادی“ (نقش مستغیت)، ص ۴۷.

أي: ”علمني الحب الخضوع والتواضع ومساعدة الفقراء. وعلمني الحب معاني الحرمان والألم. وبه تعلمت أسلوب فهم مصائب الضعفاء وفهم الرسالة الكامنة في آهاتهم“.

لم يطق أن يصرف عينيه عن مظاهر البؤس والشقاء المنتشرة حوله بشكل الجوع والفسر واضطهاد الحقوق، فاتخذ منها مادة لشعره وتحداه في كل لحظة من لحظاته فصور في شعره مرارا:

جب کہیں بیٹھ کے روتے ہیں وہ بے کس جن کے
 اٹک آنکھوں میں بلکتے ہوئے سو جاتے ہیں
 ناتوانوں کے نوالوں پہ جھپٹتے ہیں عقاب
 بازو تولے ہوئے منڈلاتے ہوئے آتے ہیں
 جب کبھی بکتا ہے بازار میں مزدور کا گوشت
 شہر اہوں پہ غریبوں کا لہو بہتا ہے
 آگ سی سینے میں رہ رہ کے ابلتی ہے نہ پوچھ
 اپنے دل پر مجھے قابو ہی نہیں رہتا ہے^(۱)

أي: ”أرى الضعفاء الباكين الذين تجف دموعهم في العيون دون جدوى وأرى يدا قوية تنزع من المفلسين لقمة عيشهم وأرى لحم العمال يعرض للبيع في الأسواق ودم الفقراء يسيل على الشوارع لما أرى كل ذلك تتأجج نار في صدري ولا أجد نفسي قادرا على ضبط نفسي“.

ومن هنا بدأت نظراته تتغير إلى كل شيء إلى عصره الذي يعيش فيه وإلى الأرض التي يعيش عليها وإلى الفقراء الذين شعر بآلامهم لأول مرة:

^(۱) قصيدة ”رقيب سے“ (من الرقيب)، ديوان ”نقش فریادی“ (نقش منعیث)، ص ۴۷

دل کے داغ تو دکھتے تھے یوں بھی پر کم
کچھ اب کے اور ہے ہجران یار کا موسم
یہی جنوں کا یہی طوق ودار کا موسم
یہی ہے جبر یہی اختیار کا موسم^(۱)

أی: ”لم تکن جروح القلب قليلة من قبل إلا أن موسم فراق
الحبيب طلع بلون مختلف، دخلنا على هذا موسم الجنون وموسم الصليب،
وحانت ساعات القسر والاختيار“.

فألم الإنسان مبدأ شعر فيض ومنتهاه، ولم يخلقه -الألم- متيثة عمياء وإنما هو
صنعة يد إنسان آخر أو جماعة إنسانية أخرى وهنا ينبثق نور الأمل له فهو ألم يمكن معالجته
ولم يغفل فيض عن آلام إنسان العالم الثالث فيرى أن هذه الآلام ليست بسبب قحط الرجال
وإنما هي بسبب قهر الرجال.^(۲) ولذلك يدعو ضحايا الظلم إلى ثورة عنيفة ويعلن الحرب على
النظام المسبب^(۳) كل ذلك ببراعته المتميزة في صياغة أفكاره الثورية في قالب شعري يتسم
باللون الغزلي الجذاب.^(۴)

ويؤمن فيض بأن الإنسان يبقى حيا ما دام قلبه ينبض فكذلك مستحيل أن تفقد
الإنسانية حرمتها مادامت صلة الإحساس تربط بني البشر بعضهم ببعض. ويأمل أنه سيأتي
زمان يقضي على جميع أنواع الظلم التي عاشتها الإنسانية في أمسنا ولا تزال تعيش إلى يومنا
هذا.^(۵)

(۱) قصيدة ديوان ”طوق ودار کا موسم“ (موسم الأسر والصلب)، ديوان ”دست صبا“ (يد الصبا)، ص ۳۰

(۲) بتصرف من مقال - ”جب تیری سمندر یادوں میں“ (في ذكرياتك الواسعة)، لشتاق أحمد يوسفی،
من كتاب ”فيض أحمد فيض، ص ۲۵۷

(۳) ”مطالعہ فیض، امریکا و کینیڈا میں“ (دراسات فیض في أمريكا وكندا)، اشتفاق حسین، پاکستان پبلشنگ
ہاؤس، دہلی، الهند، ط ۱، ۱۹۹۴ م، ص ۱۲۸

(۴) ”فیض کی تخلیقی شخصیت“ (تخصیص فیض الإبداعیة)، د. طاهر تونسوی، سگ میل پبلی کیشنز،
لاہور، پاکستان، ۱۹۸۹ م، ص ۱۱۱

(۵) بتصرف، من مقال ”ہمارا فیض“ (فیضنا)، لخیلانی کامران، من كتاب فیض أحمد فیض، ص ۲۵۲

والسبب الثاني - وهو اجتماعي - في تحول الشاعر فيض إلى شاعر المقاومة والثورة هو أن "الهند بعد تحررها من الإنجليز نجحت في إقامة نظام جمهوري ودستوري وإبادة النظام الإقطاعي المستبد وإلغاء معظم القوانين الإنجليزية الظالمة وتنفيذ تعديلات دستورية واجتماعية تتعلق بحقوق المرأة والطبقات المضطهدة بينما لم يحظ بلده باكستان بشيء من ذلك، بل فشلوا في إعداد دستور واختيار نظام جمهوري بمعنى الكلمة بل سيطر الإقطاعيون والطبقات المستبدة على عرش الحكم فخابت آمال الجمهور التي علقوها بتحرير باكستان"^(١) وازداد الوضع سوءا بعد ما ظهر الاستبداد بشكل حكم عسكري شديد الصلة بالقوى الاستعمارية التي حارباها الناس سنوات.

والشاعر فيض من الجيل الذي شهد يزوغ فجر بسم بصورة ظهور باكستان على خريطة العالم ولكن لم تلبث السعادة أن تحولت إلى الشقاء ومرت البلاد بأتعس الأحوال بعد انفصالها عن الهند فالظروف السياسية والاقتصادية لم تستقر، وعبر عن احتجاجه الهادئ في قصيدة "صبح الحرية" (صبح آزادی) التي أثارَت نقاشا حادا في الأوساط الأدبية والحكومية:

یہ داغ داغ اجالا یہ شب گزیدہ سحر
وہ انتظار تھا جس کا یہ وہ سحر تو نہیں
یہ وہ سحر تو نہیں جس کی آرزو لے کر
چلے تھے یاد کہ مل جائے گی کہیں نہ کہیں^(٢)

أي: "إن هذا النور المتقطع والسحر المظلم ليس بالسحر الذي كنا نتظره، وهو ليس بالفجر الذي في طلبه كان قد خرج الأحاب".

رأى لهذا الوضع المؤسف المؤلم وبدت ملامح شكواه وثورته على الواقع المرير:

(١) من مقال: "فيض كى شاعرى" (شعر فيض)، لرويسور ممتاز حسين، من كتاب "فيض احمد فيض، فيض

صدى، منتخب مضامين"، (فيض احمد فيض، قرن فيض ومقالات مختارة)، ص ٢١

(٢) قصيدة "صبح آزادی" (صبح الحرية)، ديوان "دست صبا" (يد الصبا)، ص ٢١

کہاں سے آئی نگار صبا کدھر کو گئی
ابھی چراغ سر رہ کو کچھ خبر ہی نہیں
ابھی گرانی شب میں کی نہیں آئی
نجات دیدہ دل کی گھڑی نہیں آئی
چلے چلو کہ وہ منزل ابھی نہیں آئی^(۱)

ای: ”لا يدري السراج الموضوع في وسط الطريق من أين أتت
نفحات الصبا وأين اختفت؟ ولا يزال الليل مظلمًا داكنًا ولم تحن ساعة قرار
الفكر والعين بعد، فواصلوا أيها الركب سيركم فما زال المرام بعيد المثال“.

فالأوضاع المضطربة للوطن الجديد وعلامات اليأس والشفاء البادية على وجوه
المواطنين وأحوال الفقراء البائسين اليائسين وتغافل الحكام عنها كل ذلك منحہ موضوعات
لشعره. وهذه القصيدة أكسبته اهتمام مجالس الأدب والتقد به آنذاك^(۲) وهي مرآة صادقة
لعواطف تلك الأجيال الباسلة التي وقفت صامدة أمام الاستعمار الغاشم بحثًا عن حريتها
المسلوبة وفازت في كفاحها بتضحية آلاف الأنفس وبعد معاناة آلام الهجرة ولكنها سرعان ما
اختطف حريتها يد الاستبداد الماكر فخابت آمالها وتمددت ليلتها المظلمة فكان عليها أن
تخوض في حرب جديدة بعد أخرى ولكن كانت معاناتها مزدوجة لأن المنافس هذه المرة كانت
من بني جلدتها.

وبهذه القصيدة أدرك الحكام خطورة شعره ووضعت دائرة حمراء حول اسمه
وبدأت العيون تراقبه وتبحث عن حيلة للقبض عليه وأخيرا وجدت الحكومة فرصة عند
اكتشاف محاولة لثورة عسكرية في شهر مارس سنة ۱۹۵۱م، فكان فيض ضمن من اعتقلوا

(۱) قصيدة ”صبح آزادی“ (صبح الحرية)، ديوان ”دست صبا“ (يد الصبا)، ص ۲۲

(۲) من مقال: ”فیض کی شاعری“ (شعر فیض)، لبروفیسور ممتاز حسین، من کتاب ”فیض احمد فیض، فیض

صدی، منتخب مضامین“، (فیض احمد فیض، قرن فیض ومفالات مختارة)، ص ۲۰

وأجريت محاكمتهم وطبع ديوانه "دست صبا" وهو أسير وتحرر من غياهب السجن بعد أربع سنوات في شهر أبريل سنة ١٩٥٥ م.^(١) وبلغه نبأ وفاة أخيه وهو أسير.^(٢)

ويضم ديوان "زندان نامہ" (ديوان السجن) تلك القصائد التي قالها أثناء هذا الاعتقال بسجون مختلفة^(٣) وطبع بعد خروجه من السجن بقليل. وهذا الديوان من جانب عبارة عن آلامه الشخصية وهمومه الذاتية ومن جانب آخر هو تعبير دقيق ووصف بارع لحياة البؤساء والفقراء وأحوالهم وتفويض أشعاره بالأمل والرجاء واحتجاج صريح وثورة علنية ضد الحكم^(٤)

ولعل اعتقاله كان السبب في اقترابه من أحاسيس الفرد الشعبي العام فكان استقبال ديوانه "زندان نامہ" من قبل طبقة العوام أكثر من طبقة الخواص.^(٥) وهكذا تمهدت أمام الشاعر سبل الثورة والمقاومة والكفاح والنضال فانضم إلى ركب الأحرار وبدأ يشجع الركب الحر - لأنه لم يبلغ مرامه - على مواصلة سيره حفاظاً على حريته. "والناس صفان باعتبار تأثير السجن في شخصيتهم، فالأول من يخلق السجن فيه نوعاً من الجبن والفتور ويقلل من حماسه وعزمته، والثاني من يهبه أسره صلابة في موقفه أشد من الساق، وكان الشاعر فيض من هذا الجنس من الناس".^(٦) فإنه بين ما أسر في ٩ من مارس ١٩٥١ م وبين ما أطلق سراحه في أبريل ١٩٥٥ م (أي بعد أربع سنوات) كان يرحل بين سجون بمدن مختلفة^(٧) وهذه هي المرحلة التي وصلت شعر فيض بحياته الاجتماعية والسياسية اتصالاً شديداً وظل طول حياته غير منفصل عن حياته - التي عاش بدايتها في حرب ضد الاستعمار قبل تحرير

(١) باختصار، "فيض احمد فيض، شخصيت اور فن" بالأردية، (فيض أحمد فيض: الشخصية والفن)، ص ٩٤

(٢) من تقریظ لیدیوان "زندان نامہ" (رسالة السجن)، بالأردية، الراحل محمد إسحاق، مكتبة كاروان،

لاهور، بدون سنة الطبع، ص ٣٥

(٣) مقدمة ديوان "زندان نامہ" (رسالة السجن)، سيد سجاد طهیر، ص ٩

(٤) المرجع نفسه

(٥) باختصار، "فيض احمد فيض، شخصيت اور فن" بالأردية، (فيض أحمد فيض: الشخصية والفن)، ص ٩٤

(٦) "پرورش لوح و قلم، فيض: حیات اور تخلیقات" (حياة فيض وشعره)، بالأردية، تأليف: لدميلا وسيلوا،

ترجمة: أسامه فاروقي. آکسفورڈ یونیورسٹی پریس، آکسفورڈ، ط ١، ٢٠٠٧ م، ص ٩٤، ص ٢٠٣

(٧) من تقریظ لیدیوان "زندان نامہ" (رسالة السجن)، ص ١٧

الہند وعاش بقیثہا فی حرب ضد العدوان الاجتماعي^(۱)۔ ویمتبر أسره نقطة تحول مهم فی شعره لأنه عندما حرم فی السجن من القلم والورق وحتى قراءة الجرائد سنة ۱۹۵۲م حدد وجهة شعره بصراحة قائلا:

متاع لوح وقلم چھن گئی تو کیا غم ہے
کہ خون دل میں ڈبو لی ہیں انگلیاں میں نے
زبان پر مہر لگی ہے تو کیا کہ رکھ دی ہے
ہر ایک حلقہ زنجیر میں زباں میں نے^(۲)

أي: "لا أفلق بانه سلب مني قلمي ولوحي، فأنا أسطر كلماتي
بأصابعي المضرخة بدم قلبي ولا أبالي بأن لساني مختوم فإني أودعت لساني
في كل حلقة من حلقات السلسلة".

وتجلى في شعر فيض النظرية والحماس معاً، وبعد انصرافه من العشق إلى الانقلاب
جعل العشق عبادته والمقاومة فريضته، ومن ميزاته أنه لا يثير فحسب بل يوجه الثورة إلى
منحى فكري واضح، ولذلك لم يستطع الحكم أن يقف بين شعره وشعبيته لأنه تعبير صادق
عن تطلعات الشعب البائس^(۳):

ہم نے جو طرز نفاں کی ہے قفس میں ایجاد
فیض گلشن میں وہی طرز بیاں ٹھہری ہے^(۴)

أي: "أسلوب الاستغاثة الذي أبدعناه نحن في هذا القفس راح لغة
التعبير في البستان كله"

(۱) من مقال: "فیض کی شاعری" (شعر فیض)، لبروفیسور ممتاز حسین، من کتاب "فیض احمد فیض، فیض

صدی، منتخب مضامین"، (فیض احمد فیض، قرن فیض ومقالات مختارة)، ص ۲۲

(۲) قصیدہ بدون عنوان، دیوان "دست صبا" (ید الصبا)، ص ۱۵

(۳) "اردو ادب کی تحریکیں"، (الحركات الأدبية الأردنية) بالأردنية، للدكتور أسور سدید، الناشر: المجمع

ترقی اردو پاکستان، کراچی، ط ۴، ۱۹۹۹م، ص ۵۱۲

(۴) قصیدہ بدون عنوان، دیوان "دست صبا" (ید الصبا)، ص ۵۶

وقصيدته "ملاقات" (لقاء) قالها في السجن بكراتشي وهي تجمع بين شدة الآلام الداخلية وإحساس الراحة وصدق الإيقان والإيمان وقوة إرادة الإنسان^(١) وتبين العناصر التي تكون بها العالم الداخلي للشاعر:

یہ رات اس درد کا شجر ہے
جو مجھ سے، تجھ سے عظیم تر ہے
بہت یہ ہے یہ رات لیکن
اسی سیاہی میں رونما ہے
وہ نہر نول جو مری صدا ہے^(٢)

أي: "هذه الليلة شجرة آلام هي أعظم مني ومنك، ويتجلى في كثافة هذه الليلة السوداء بحر من الدماء التي سقت صرخاتي".

وهو رغم الأهوال والمخاطر شديد الثقة في طلوع صبح بسم:

یہ جو غم اس رات نے دیا ہے
یہ غم سحر کا یقین بنا ہے
یقین جو غم سے کریم تر ہے
سحر جو شب سے عظیم تر ہے^(٣)

أي: "إن الألم الذي وهبني إياه هذه الليلة هو سبب إيقاني بقرب السحر، فأيقاني أكرم من الغم والسحر الذي أنرقبه أعظم من هذه الليلة".

وأثناء محاكمته فرضت عليه عقوبات شديدة في السجن، ولم يسمح لأحد زيارته، فيصف كآنة الانعزال وحرقة القلب قائلا:

(١) بتصرف، من تقریظ لدیوان "زندال نامہ" (رسالة السجن)، بالأردية، ص ٣٥

(٢) قصيدة "ملاقات" (لقاء)، المرجع نفسه، ص ٧٢

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٣

ہم اہل قفس تھا بھی نہیں، ہر روز نسیم وطن
یادوں سے معطر آتی ہے، اشکوں سے منور جاتی ہے^(۱)

أی: ”لسنا أسارى وحدنا في السجن ، بل يأتينا نسيم الوطن معطرا
بذكریات ويعود منورا بالدموع“.

ولا يجد القارئ لشعره فتورا أو بأسا رغم ضروب التضييق والتخويف بل شعره ينم
عن الرجاء منذ البداية وظل يزداد لبيبا بعد كفاحه العملي :

واپس نہیں پھیرا کوئی فرمان جنوں کا
تھا نہیں لوٹی کبھی آواز جس کی
خیریت جان، راحت تن، صحت داماں
سب بھول گئیں مصلحتیں اہل ہوس کی^(۲)

أی: ”لا يفشل أمر العشق دائما، ولا يعود صوت الجرس خائبا،
تناسبت الخوف على ضياع النفس وحب البدن والراحة والوقاية من الآلام
المختلفة“

ويتشجع ويشجع للجهر بالحق والتضحية من أجله دون مبالاة بخوف أو

حزن:

ستم کی داستاں کشتہ دلوں کا ماجرا کہئے
جو زیر لب نہ کہتے تھے وہ سب کچھ برملا کہئے
مصر ہے مقرب راز شہیداں وفا کہئے
لگی ہے حرف ناگفتہ پر اب تعزیز بسم اللہ
سرقتل چلو بے زحمت تقصیر بسم اللہ
ہوئی پھر امتحان عشق کی تدبیر بسم اللہ^(۳)

(۱) قصیدہ بدون عنوان، دیوان ”زندال نامہ“ (رسالۃ السجن)، ص ۸۷

(۲) قصیدہ بدون عنوان، دیوان ”دست صبا“ (ید الصبا)، ص ۴۳

(۳) قصیدہ ”شورش زنجیر“ (ثورة السلسلة)، دیوان ”دست سنگ“ (ید تحت حجر)، بالأردنية، مکتبہ

آی: ”ارو قصۃ الاضطهاد وصفاً حالة القلوب الجریحة واجهر بما
صعب التمتعة به، ويطالب المحتسب بكشف سر الشهداء علنا وأقيمت
الحدود على الكلمة المرة. اسلك درب المقتل مسمياً بالله وغير مبال بخوف
فهذه بداية امتحان العشق“..

وأسلوبه في الأغلب هادئ يتسم بالنشوة وكان الشاعر يخاطب نفسه، وقد تشد

لهجته:

لاؤ سلگاؤ کوئی جوش غضب کا انگار
طیش کی آتش جزار کہاں ہے لاؤ
وہ دہکتا ہوا گلزار کہاں ہے لاؤ
جس میں گرمی بھی ہے حرکت بھی توانائی بھی^(۱)

آی: ”ہاتوا وألہبوا لہیب شدۃ الغضب ودلونی علی نار الغیظ
المتہبۃ، وأخبرونی عن الجنات المتلظیۃ التي تضم الحرارة والحركة والقوة“.

ویضفی التعبير الرومانسی الخلاب علی رسالته الانقلائیۃ والثوریۃ لونا جمیلا
فأصبح الوطن لیلی الشاعر یعیش بہمہا، وقصیدۃ ”ہم جو تاریک راہوں میں مارے گئے“ (نحن الذین
قتلوا فی الطرق المظلمۃ)، تصور لنا صلاۃ الشاعر بلیلاہ وشدة ولوعہ بہا:

تیرے ہونٹوں کے پھولوں کی چاہت میں ہم
دار کی خشک ٹہنی پہ دارے گئے
تیرے ہاتھوں کی شمعوں کی حسرت میں ہم
نیم تاریک راہوں میں مارے گئے
سولیوں پر ہمارے لبوں سے پرے
تیرے ہونٹوں کی مستی برستی رہی
تیرے ہاتھوں کی چاندی دہکتی رہی^(۲)

(۱) قصیدۃ ”درد آئے گا دے پاؤں“ (سیانی الألم دابا)، دیوان ”زندان نامہ“ (رسالۃ السجن)، ص ۹۰

(۲) قصیدۃ ”ہم جو تاریک راہوں میں مارے گئے“ (نحن الذین قتلوا فی الطرق المظلمۃ)، دیوان ”زندان

أي: ”صلبنا على الجذوع الجافة بحثا عن حمرة شفاهك، ولقينا
حتفنا في الطرقات المظلمة التي سلكتها بحثا عن الشموع بيدك، غير أن
النسوة كانت بادية على شفاهك وبياض يدك كان لامعا“.

ومن أمثلة لهجته الصارخة وثورته المتعمدة أبياته التالية المشهورة التي قالها وهو في
زنزانة السجن:

اے خاک خمینو اٹھ بیٹھو، وہ وقت قریب آ پہنچا ہے
جب تحت گرائے جائیں گے، جب تاج اچھالے جائیں گے
اب ٹوٹ گریں گی زنجیریں، اب زندانوں کی خیر نہیں
جو دریا جھوم کے اٹھے ہیں تھکوں سے نہ ٹالے جائیں گے^(۱)

أي: ”هبوا أيها الغارقون في التراب، اقتربت ساعة تقلب العروش
ونزع التيجان. ستفك السلاسل وستهدم السجون. ولن يتمكن القش الواهن
من عرقلة سيل البحر المائج“.

ويتجمع الركب المقاوم على التقدم نحو الهدف غير مبال بالمخاطر ويحذرهم من
الوقوف قبل الوصول إلى الغاية المنشودة:

کلتے بھی چلو، بڑھتے بھی چلو، بازو بھی بہت ہیں سر بھی بہت
چلتے بھی چلو کہ اب ڈیرے منزل ہی پہ ڈالے جائیں گے
اے ظلم کے ماتو لب کھولو، چپ رہنے والو چپ کب تک
کچھ حشر تو ان سے اٹھے گا، کچھ دور تو نالے جائیں گے^(۲)

أي: ”هيا تقطعوا وتقدموا وسيروا نحو الأمام، السواعد كثيرة والرؤوس
كثيرة، ولا وقوف إلا عند المرام، وأيها المضطهدون حركوا شفاهكم، إلى متى هذا
السكوت أيها الصامتون. كلامكم سيحدث قيامة وسيسمع دويه في الآفاق“.

(۱) قصیدہ ”ترانہ“ (انشودہ)، دیوان ”دست صبا“ (ید الصبا)، ص ۳۸

(۲) المرجع نفسه

لأن النضال من أجل الحرية وسام على صدر الشرفاء:

حریت آدم کی رہ سخت کے رہ گیر
فاطر میں نہیں لاتے خیال دم تیز^(۱)

أي: "لا يبالى السالكون على سبل حرية بني آدم بخوف العقوبات".

و صدق موقفه ومقاله سبب إيقانه ومبعث اعتزازه بشعره:

کب دبدر جبر سے دیتے ہیں کہ جن کے
ایمان و یقین دل میں کیے رہتے ہیں تنویر^(۲)

أي: "يستحيل أن يخضع لقوة القسر أولئك الأحرار الذين ينور الإيمان واليقين قلوبهم".

معلوم ہے ان کو کہ رہا ہو گی کسی دن
ظالم کے گراں ہاتھ سے مظلوم کی تقدیر
آخر کو سر افراز ہوا کرتے ہیں احرار
آخر کو گرا کرتی ہے ہر جور کی تعمیر^(۳)

أي: "يعلمون يوما من الأيام أنه سيتخلص قدر المظلوم من بطشة الظالم لأن العاقبة حتما للأحرار، وينهدم بناء الضيم أخيرا".

وتراه يصور وضع الخلق البئيس صورة تهز النفوس من أعماقها، والذي أقلقته وأبغض عالمه الداخلي هو أحوال بني جلدته فالأرض مليئة جورا وظلما وهذا أول باعث لفكرة الثورة لديه، فتراه يصفها مستفهما:

(۱) قصيدة "مدح" (مدح)، ديوان "شام شہریار" (امیہ مدینۃ الرفاق)، بالأردنية، مکتبہ کارواں،

لاہور، بدون سنة الطبع، ص ۹۱

(۲) المرجع نفسه

(۳) المرجع نفسه

ان دکتے ہوئے شہروں کی فراواں مخلوق
کیوں فقط مرنے کی حسرت میں جیا کرتی ہے
یہ حسین کھیت پھٹا پڑتا ہے جوین جن کا
کس لئے ان میں فقط بھوک ہوا کرتی ہے^(۱)

أي: "لماذا يعيش سكان هذه المدن المتنورة من أجل أن تموت فقط
وهذه الحقول التي تبهر العيون جمالا وبهاء لماذا لا تنبت لأهلها إلا الجوع
والإفلاس".

وشكواه ليس من الواقع الحاضر لأنه ليس إلا امتدادا للماضي الغابر الذي ربي
تقاليد متعسفة رضي بها أسلافنا فتحملوا عناء لا يطاق:

آج تک سرخ وسیہ صدیوں کے سائے تلے
آدم و حوا کی اولاد پہ کیا گزری ہے
موت اور زیت کی روزانہ صف آرائی
ہم پہ کیا گزرے گی آباء اجداد پہ کیا گزری ہے^(۲)

أي: "لا أدري كيف عاش بنو آدم وحوا في القرون السوداء
والحمراء الغابرة ولا أدري ماذا سيكون مصيرنا ومصير آبائنا في معركة الحياة
والموت المتواصلة".

وقصيدة "چند روز اور میری جان" (صبرا لأيام معدودة يا حبيبي) تصور الواقع المرير
مزيج التكون من التقاليد المتعسفة ويكشف عن عالم الشاعر الداخلي، ويتحير فيض كيف
يطبق الإنسان العيش في الواقع المر:

جسم پر قید ہے، جذبات پہ زنجیریں ہیں
فکر محبوس ہے، جذبات پہ تعزیریں ہیں
اپنی ہمت ہے کہ ہم پھر بھی جیتے جاتے ہیں^(۳)

(۱) قصيدة "موضوع سخن" (موضوع الحديث)، ديوان "نقش فریادی" (نقش مستعبد)، ص ۶۰

(۲) المرجع نفسه

(۳) قصيدة "چند روز اور میری جان" (صبرا لأيام معدودة يا حبيبي)، المرجع نفسه، ص ۵۱

”آی: ”الجسد مقید بالقيود والأفكار مقيدة بسلاسل وقد حبس الفكر
والمشاعر. فعجبا لنا كيف نعيش رغم كل هذه الأحوال“.

وطل یصف کل تلك الأحوال لیس شاکیا أم جازعا بل مفتخرا ومتفائلا، لأنها ثبت
على أفول نجم المستبد وظهور صبح یسام ينتظره المعبذون في أرض الله.

ہم پہ جو گزری سو گزری مگر شب ہجران
ہمارے اشک تری عاقبت سنوار چلے^(۱)

”آی: ”مر بنا ما مر، إلا أن دموعنا التي تسيل في ليلة الهجر ستحسن عاقبتك“.

ولا يصيبه ضعف أو فتور بسبب معاناة التعذيب أو التخويف والحبس والأسر، بل يستهزئ
بمعجز الحاكم عن أسر فكره وإخماد صوته:

قفس ہے بس میں تمہارے، تمہارے بس میں نہیں
چمن میں آتش گل کے نکھار کا موسم^(۲)

آی: ”منتہی قدرتکم هذا السجن الصغير وتعجزون عن نيل بداية
موسم الأزهار“.

ولكنه يؤمن بأنه مهما اشتدت الأحوال فلا مفر من الكفاح والنضال، وتشير قصيدة
”بول“ (انطق) همم المنكوبين وتشجعهم على الجهر بالحق لأنهم رغم كل الحدود والقيود
يملكون لسانًا وكلامًا:

بول کہ لب آزاد ہیں تیرے
بول یہ تھوڑا وقت بہت ہے
جسم و زبان کی موت سے پہلے
بول کہ سچ زندہ ہے اب تک
بول جو کچھ کہنا ہے کہہ لے^(۳)

(۱) قصیدہ بدون عنوان، دیوان ”زندال نامہ“ (رسالۃ السجن)، ص ۸۳

(۲) قصیدہ ”طوق دوار کا موسم“ (موسم الحبس والصلب)، دیوان ”دست عبا“ (دست صبا)، ص ۳۱

(۳) قصیدہ ”بول“ (تکلم)، دیوان ”نقش فریادی“، (نقوش المستفیث)، ص ۵۵

أي: "قل ولا تسكت فشفاك حرة ولا يزال للزمن بقية، قل وتكلم قبل موت الجسد واللسان، قل ولا تسكت فالحق حي خالد، لا تسكت وقل ما تشاء".

وله فلسفة جميلة في أمر الجهر بالحق ومغزاها أن لا يكف الضعيف عن الكفاح ضد المستبد قدر المستطاع، ويقلقه تفويض المضطهدين أنفسهم إلى أيدي الموت دون كفاح ونضال وكأنه تشجيع للظلم، فما عليهم إلا تحريك أيديهم لتصبح قطرات دمائهم الملقاة على عباءة الجلاد شهادة على ظلمهم:

رنگیں لہو سے پیچہ صیاد کچھ تو ہو
خون پر گواہ دامن جلاد کچھ تو ہو
جب خون بہا طلب کریں بنیاد کچھ تو ہو^(۱)

أي: "لتصطبغ قبضة الصياد بدماء الأبرياء ولتشهد عباءة الجلاد بدمائهم المهرقة ليكون ذلك أساسا لطلب القصاص".

وهو متواصل الشكوى من المحاكم والقضاة ورجال الدين الذين باعوا العدل والدين بتمن بخس، ولما بدأت المحاكم تصدر قرارات بإشارة الحكام قال:

بے ہیں اہل ہوس، مدعی بھی منصف بھی
کے وکیل کریں، کس سے منصفی چاہیں^(۲)

أي: "تولى ذوو الحرص والطمع مناصب القضاء والادعاء فمن نعله محاميا ومن نعله مصفا".

(۱) قصيدة "بنیاد کچھ تو ہو" (لیکن ہناںک اساس)، دیوان "زندانی نامہ" (رسالة السجن)، ص ۹۵

(۲) دیوان "وست صبا" (بد الصبا)، ص ۲۸۱

ونال دائما سحق الحكام والقضاة والعلماء الطبقات الثلاثة التي تتعاون دائما في
تشيت شمل من نهض من تحدى النظام المتعسف:

ہمارے دم سے ہے کوئے جنوں میں اب بھی فجل
عبائے شیخ و قبائے امیر و تاج شہی
ہمیں سے سنت منصور و قیس زندہ ہے
ہمیں سے باقی ہے گل دامنی و سج کلہی^(۱)

أي: ”بفضلنا خجل عباء الشيخ وقباء الأمير وتاج الملك ونحن الذين
نحيي سنة منصور وقيس ونحن الذين نحافظ على الطهارة والإخلاص“.

وكان في حرب مستمرة ضد كل حكم عسكري لأنه عبارة عن نهب حقوق
الشعب كافة، فلما تربع الجنرال أيوب خان على عرش الحكم تحدى حكمه علنا
قائلا:

نار میں تیری گلیوں کے اے وطن کہ جہاں
چلی ہے رسم کہ کوئی نہ سر اٹھا کے چلے
ہے اہل دل کے لئے اب یہ نظم بست و کشاد
کہ سنگ و خشت مقید ہیں اور سنگ آزاد^(۲)

أي: ”وطني، فدیت طرقاتك حیث فرض علي الجميع المشي
مطأطأ الرأس، ووضع النظام لأولي الإحساس والفكر بأن الأحجار مقيدة
والكلاب حرة“.

واعقلته الحكومة خشية أن يوجب سار الثورة ضد الحكومة التي طالبت أن
يعلن تأييدها ولكنه ظل يرفض فلبث في السجن أربعة أشهر.^(۳) وحاولت الحكومة

(۱) من قصيدة بدو عنون، ديوان ”دست صبا“ (يد الصبا)، ص ۳۵

(۲) قصيدة ”نار میں تیری گلیوں کے“ (فدیت طرقاتك أيها الوطن)، المرجع نفسه، ص ۵۳

(۳) ”فیض احمد فیض، شخصیت اور فن“ بالأردية، (فیض أحمد فیض: الشخصية والفن)، ص ۱۱۶

إقناعه على إعلان تأييده لها بعروض وإغراء وتخويف وتهديد ولكن صمد على موقفه، ويصف ما جرى من أمور التفتيش والتخويف في سجن لاهور:

ہم تختہ تنوں سے محاسبو کیا مال منال کا پوچھتے ہو
جو عمر سے ہم نے بھر پایا وہ سامنے لائے دیتے ہیں
دامن میں ہے مشت خاک جگر، ساغر میں ہے خون مسرت سے
لو ہم نے دامن جھاڑ دیا لو جام لٹائے دیتے ہیں^(۱)

أي: ”أيها القضاة، ماذا تسألوننا - نحن الفقراء - عن المال والملك، فها نحن نعرض كل ما كسبناه في حياتنا وهو: في جوفنا كبدايساوي قبضة تراب، وفي الكأس دم سرور الخمر، فها نحن نفضنا ما نملكه وها نحن قلبنا كأسنا“.

ولم يل العصر الأيوبي إلا عصر عسكري آخر، فتولى الجنرال يحيى خان زمام الحكم وقصيدة ”خورشيد محشرکی لو“ (سعیر شمس الحشر) تصور اليأس الذي غلب مشاعره بامتداد الحكم العسكري المتسلط:^(۲)

آج کے دن نہ پوچھو مرے دوستو
دور کتنے ہیں خوشیاں مٹانے کے دن^(۳)

أي: ”أيها الرفاق، لا تسألوني اليوم يا أصدقائي، فما أبعد أيام الاحتفال بالسرور“.

فالشاعر يمر بكارثة جرح روحه وآلم كل جزء من جسده وجدد جروحه التي كادت أن تندمل:

آج کا دن زبوں ہے مرے دوستو
آج کا دن تو یوں ہے مرے دوستو

(۱) من قصيدة بدون عنوان، من ديوان ”دست ترنگ“ (البدنحت المحر)، ص ۴۷

(۲) تنصرف من مقال ”ہمارا فیض“ (فیضنا)، کامران جیلانی، من کتاب (فیض احمد فیض، فیض صدی، منتخب مضامین) بالأردنية، ”فیض أحمد فیض، قرن فیض ومقالات مختارة“، ص ۲۵۲

(۳) قصيدة ”خورشيد محشرکی لو“ (لمحة شمس الحشر)، ديوان ”سرودای سینا“ (في وادی سینا)، ص ۶۹

جیسے دردِ عالم کے پرانے نشان
سب چلے سوئے دل کارواں کارواں
ہاتھ سینے پر رکھو تو ہر استخوان
سے اٹھے نالہ الاماں الاماں^(۱)

أي: "إن اليوم ومثله مثل آثار الجروح وقوافل الألم التي تسير نحو القلب وكلما وضعت اليد على الصدر وجدت العظام تستغيث للعافية".

والعملية العسكرية في البنغال بأمر الجنرال يحيى خان قضت على أواصر الأخوة القائمة بين جزئي باكستان الشرقية والغربية منذ قرون وبذرت جذور الكراهة وأفقدت ثقة البنغاليين في الحكومة فتحول الفريقان إلى عدوين بفضل خطة الحكم العسكري فسجل فيض أحمد احتجاجه على ما أجرى على شوارع البنغال وتحول البنغال إلى مجزرة، "وكان من ضمن ضحايا هذه العملية بعض أصدقائه من الأدباء والشعراء"^(۲) فصور تلك الظروف المؤلمة في قصيدة "إياك وتمزيق جسدي" (حذر کرو مرے تن سے) متكاتما مع الاخوة البنغاليين المظلومين:

مرے نزار بدن میں لبو ہی کتنا ہے
چراغ ہو کوئی روشن نہ کوئی جام بھرے
نہ اس سے آگ ہی بھڑکے نہ اس سے پیاس بجھے
مرے نگار بدن میں لبو ہی کتنا ہے
مگر وہ زہر ہلاہل بھرا ہے نس نس میں
جسے بھی چھیدو ہر اک بوند قہر افی ہے^(۳)

أي: "الدم الجاري في جسدي الضعيف لا يكفي لإشعال سراج أو ملاء كوب كما لا يكفي لإذكاء جذوة أو إطفاء ظمأ غير أن هذا الدم القليل تنم كل قطرة من قطراته عن سم قاتل كأنه نفثة أفعى".

^(۱) قصيدة "خورشید محشر کی لو" (لمحة تسمس الحشر)، دیوان "سرودی سینا" (في وادی سینا)، ص ۶۹

^(۲) من مقال: فیض احمد فیض، بالأردنية (فیض احمد احمد فیض)، للدكتور آفتاب أحمد، مستور في مجلة:

"كتاب" الأردنية الصادرة من: "ميشل بک فاؤنڈیشن، اسلام آباد"، عدد اکتوبر ۲۰۱۴ م، ص ۵۹

^(۳) قصيدة "حذر کرو مرے تن سے" (احذروا جسدي)، دیوان "سرودی سینا" (في وادی سینا)، ص ۸۲

وبعد كارثة حدوث البنغال زارها سنة ۱۹۷۴م فتجددت الجروح العميقة في قلبه وصور عالمه الداخلي وما يجيش فيها من مشاعر:

ہم کہ ٹھہرے اجنبی اتنی ملاقاتوں کے بعد
پھر بنیں گے آشنا کتنی ملاقاتوں کے بعد
کب نظر آئیں گی بے داغ سبزے کی بہار
خون کے دھبے دھلیں گے کتنی برساتوں کے بعد^(۱)

أي: "مازلنا أجنب رغم لقاءات متعددة، لا أدري متى ستسود لقاءاتنا الألفة والمودة. يا ليتني علمت متى سيتجلى لنا الربيع الأخضر وبعد كم ربيع ستندثر آثار قطرات الدم".

وعندما زينت مسرحية انتخابات سنة ۱۹۷۷م لإبعاد القادة الحقيقيين ولتسليط دمی سياسية على عرش الحكم قال:

پھر کف آلودہ زبانیں مدح و ذم کی قمچیاں
میرے ذہن و گوش کے زخموں پر برسانے لگیں
پھر نکل آئے ہوسناکوں کے قافلے
دردمند عشق پے ٹھٹھے لگانے لگے^(۲)

أي: "عادت الألسنة القذرة ترسل عصي الذم والعذل على جروح روحي وقلبي وتهيات قوافل ذوي الحرص والطمع لتسخر بالعشق الصادق".

إلا أن اللعبة فشلت وأسفرت عن ظهور حكم عسكري آخر بقيادة الجنرال ضياء الحق فأثر فيص لنفسه الخروج من البلد بعد تهديدات علنية من قبل الحكومة. وديوانه (ميرے دل مرے مسافر) يصم تلك القصائد التي قالها في عهد ضياء الحق العسكري الذي شهد مناظر

(۱) قصيدة "دھاکہ سے واپسی کے بعد" (بعد الرجوع من مدينة داکا)، ديوان "شام شہریاراں" (أمسية مدينة الرفاق)، ص ۶۴

(۲) قصيدة "درامید کے درپوزوگر" (حراس باب الرجاء)، المرجع نفسه، ص ۷۷

لم يسبق لها نظير في التاريخ الباكستاني وخاصة شفق رئيس الوزراء السابق والمعارض له
وكان له أثر جليل في نفسه :

جلا پھر صبر کا خرمن، پھر آنسوؤں کا دھواں اٹھا
ہوا پھر نذر مرمر ہر نشیمن کا ہر اک تنکا
ہوئی پھر صبح ماتم، آنسوؤں سے بھر گئے دریا
چلا پھر سوئے گردوں کا روان نالہ شب ہا
ہر اک جانب فضا میں پھر بچا کھرام یا رب ہا
اے آئی کیس سے پھر گھٹا وحشی زمانوں کی
فضا میں بجلیاں لہرائیں پھر سے تازیانوں کی
قلم ہونے لگی گردن قلم کے پاسانوں کی
کھلا نیلام ذہنوں کا لگی بولی زبانوں کی^(۱)

أي: "أحترقت قناطر الصبر وبدأ الدخان يرتفع من الدموع،
وقضت النار على كل عود من أعواد البستان قد طلع صباح النعي وفاضت
البحار بالدموع وامتلأ الفضاء ضجيجا وحلت ظلمات القرون الجاهلية.
وقطعت رؤوس المحافظين على حرمة القلم وزينت الأسواق لصفقة العقول
ومزاد الأفكار والألسنة".

ولا يتنازع اثنان في أن هذه الكارثة كانت لها تأثيرات بعيدة ليس في السياسة فحسب بل تزعزع
به وجود الدولة المتحدة كما وضع نكتة سوداء في جبين النظام القضائي الذي فشل في غسله ومحوه ولما
ضاعت عليه أجواء الوطن أثر البقاء في الخارج لمدة من الزمن فألمه فراق الأحباء والديار، فقال :

گر آج اوج پہ ہے، طالع رقیب تو کیا
یہ چار دن کی خدائی تو کوئی بات نہیں^(۲)

أي: "لا تحزن بفراق اليوم فإننا سنلتقي في الغد القريب. ولا تقلق
بعروج شمس المستند اليوم فحكمه لا بدوم إلا سويغات"

(۱) قصيدة بدون عنوان، ديوان "مرے دل مرے مسافر" (قلبي مسافر)، ص ۳۵

(۲) ديوان "دست صبا" (يد الصبا)، ص ۲۸۱

ولم يكن اهتمامه مقصوراً على حركات حقوق الطبقات المختلفة في شبه القارة
الباكستانية والهندية فقط بل أبدى تكاتفه مع كل حركات التحرير القائمة آنذاك في البلاد
المختلفة مثل البلاد الأفريقية وفلسطين وإيران وغيرها. كانت إيران في أوائل السبعينيات
تنهض لثورة شعبية فقال قصيدة رائعة^(۱) وربط جأش المكافحين ضد الدكتاتورية وهي أروع
قصائده وتتم عن تعبيرات قوية تنفخ روحاً وحياة في قلوب الجماهير:

لازم ہے کہ ہم بھی دیکھیں گے
وہ دن کہ جس کا وعدہ ہے
جو لوہے ازل پہ لکھا ہے
جب ظلم و ستم کے کوہِ گراں
روئی کی طرح اڑ جائیگے
ہم محکوموں کے پاؤں تلے
یہ دھرتی دھڑ دھڑ دھڑے گی
اور المیٰ حکم کے سراپے
جب بجلی سڑ سڑ کرے گی
جب ارض خدا کے کعبے سے
سب بت اٹھوائے جائیگے^(۲)

أي: ”حتماً ولا بد سنرى ذلك اليوم الموعود في لوح القدر يوم
تطير فيه جبال الظلم كالعن المنفوش ويوم تطأ فيه أقدام البائسين أمثالنا هذه
الأرض ويوم تقع فيه الصواعق على رؤوس الحكام الطفاة ويوم تطرد فيه
الأصنام من كعبة أرض الله“.

ویؤمن بأن الشعب سیتسعید حقہ المسلوب فی نہایۃ المعرکۃ و سیسقط حکم الاستبداد قریباً:

سب تاج اُچھالے جائیگے
سب تخت گرائے جائیگے
بس نام رہیگا اللہ کا

(۱) قصیدہ ”ایرانی طلبہ کے نام“، ”إلى الطلاب الإيرانيين“، دیوان ”دست صبا“ (ید النصا)، ص ۲۸۱

(۲) قصیدہ ”وہی دجہ ربک“ (وہی وجہ ربک) دیوان ”مرے دل مرے مسافر“ (قلبی مسافر)، ص ۴۸

جو غیب بھی ہے اور حاضر بھی
 جو منظر بھی ہے ناظر بھی
 اٹھے گا الحق کا نعرہ
 جو میں بھی ہوں اور تم بھی ہو
 اور راج کر گئی خلق خدا
 جو میں بھی ہوں اور تم بھی ہو
 لازم ہے کہ ہم بھی دیکھیں گے
 لازم ہے کہ ہم بھی دیکھیں گے^(۱)

أي: ”ويومہ ستزع التيجان من رؤوس الطفلة وتهدم عروشهم ولا
 يبقی إلا وجه ربك. وسيجهر شعار ”أنا الحق“ وما أنا وأنت إلا الحق.
 ويسود خلق الله وما هو إلا أنا وأنت.. فحتما ولابد، سنشاهد“.

في قصيدة أخرى تعاطف مع حركات التحرير آنذاك في البلاد الأخرى:
 آجاء میں نے دھول سے ماتھا اٹھا لیا
 آجاء، میں نے چھیل دی آنکھوں سے غم کی چھال
 آجاء، میں نے درد سے بازو چھڑا لیا
 آجاء، میں نے نوح دیا بے کسی کا حال^(۲)

أي: ”تعالوا، فقد رفعت جبني من تراب الذل وقشرت قشرة الهم
 عن عيني وتخلصت من قبضة الألم ومزقت ستار البؤس“.

وله أسلوب خاص في التضامن مع أهل فلسطين:

اب صدیوں کے اقرار اطاعت کو بدلے
 لازم ہے کہ انکار کا فرماں کوئی اترے^(۳)

أي: ”سينزل أمر ثوري لمحو تقليد الخنوع والطاعة الذي يسود
 منذ قرون“

(۱) قصيدة ”وینتی وجہ ربک“ (وبقی وجه ربك) دیوان ”مرے دل مرے مسافر“ (قلبي مسافري)، ص ۵۳

(۲) قصيدة ”Africa, come back“ (ارجعی یا أفریقیا)، دیوان ”زمنال نامہ“ (رسالة السجن)، ص ۹۱

(۳) قصيدة ”سر وادی سینا“ (في وادی سینا)، دیوان ”سر وادی سینا“ (في وادی سینا)، ص ۵۴

ولعله من الصعب الإحاطة بكل جوانب شعر فيض المقاوم لضخامة المادة المتوفرة ولكثرة الصور البيانية الجميلة في شعره كان ينبوعا يفيض بحب الوطن وتحديا صارخا لمن حاول تدنيس حرمة فهو بنعماته الهائلة كان يثير ضجة تذهب بقرارة عيون المستبدين. وكان ممن يؤمن بأن الكلمة تفقد حرمتها وشرفها عندما يخالفها العمل وحقا حافظ على كرامة كلماته بكفاحه ونضاله.

وجولة سريعة في حياة الشاعر فيض وشعره الثوري تكشف لنا عن نتائج منها أن اختياره المقاومة والثورة ضد الحق والجهر بكلمة الحق لم يكن رد فعل سياسي أم نتيجة حرمان شخصي بل كان إرادة منه. ورغم ما عاناه من ضغوط وعقوبات ولم تظهر على وجهه علامات الحزن أو آثار الألم بل تراه يتحدق في منافسه بنظرات مستهزئة ومؤمنة^(١) لأنه عندما يشكو شقاوة الماضي الغابر لعلى وعي تام بأن تضحيت اليوم ستور مستقبل أجياله القادمة:

ہم پہ جو گزری سو گزری مگر شب ہجر
ہمارے اٹک تری عاقبت سنوار چلے^(٢)

”أي: مر بنا ما مر، إلا أن دموعنا التي تسيل في ليلة الهجر ستحسن عاقبتك“.

فيض شاعر حرية الإنسان ويبحث عن عالم مثالي تتوفر فيه الحرية بأجمل وجهها وكان يحلم ذلك للإنسان الذي وجدته في حالة بؤس وشقاء وعناء ومحنة اختار له طريق المقاومة وهز شعره عرش الاستبداد ومنح للطبقات المضطهدة لسانا يعبر عن آلامهم ومخاوفهم قوة للجهر بموقفهم واندماجه بشعبه يظهر في إكثاره من استخدام صيغة الجمع المتكلم التي تخلق حوا يجمع بين ذات الشاعر والجمهور بدلا من صيغة المفرد التي قد تشعر نوعا من البعد بين الشاعر والجمهور.^(٣)

(١) من تقریط دیوان ”نرمال نامہ“ (رسالۃ السجن)، ص ٣٨

(٢) قصیدہ بدون عنوان، المرجع نفسه، ص ٨٣

(٣) من مقال: ”فیض کی شاعری“ (شعر فیض)، لبرویسور ممتاز حسین، من کتاب ”فیض احمد فیض، فیض صدی، منتخب مضامین“، (فیض احمد فیض، قرن فیض ومقالات مختارة)، ص ٢٩.

المبحث الثاني شاعر الشعب حبيب جالب

هو أعلى صرخة وأقوى نغمة ضد الاستبداد الجاثم على صدر دولة أقيمت باسم الإسلام الذي هو عبارة عن الأمن والعدل والسلام واحترام حقوق الإنسان كان شاعر الشعب بمعنى الكلمة، قضى حياته حافلاً بنشاط سياسي غير مبال بظروفه الشخصية القاسية وغافلاً عن أسرته وعياله وموظفاً حكام باكستان من غفلتهم.^(١)

قدم الشاعر جالب نموذجاً عملياً لشاعر أبي إذ رفض قبول أي نوع من المساعدة المالية الحكومية لئلا يطمعن في ذاته وشعره وحتى بعد وفاته^(٢) كما رد عروض حكومية لمعالجته خارج البلاد قائلاً: "كيف لي أن أتعالج في لندن ولا يتوفر لفقراء البلد قرص صداع"^(٣) وله هويته المتميزة في ركب الشعراء المقاومين الذي سرى في ريادة فيض في بداية الأمر وسرعان ما تحولت إليه

لا يجد الباحث نفسه في غنى عن وقفة طويلة مع هذا الشاعر الثوري والمقاوم العظيم الذي قاوم شعراً وعملاً، جسداً وروحاً، شباباً وشيخاً، وحياً وميتاً، "لم يتراجع عن مواقفه الجريئة ولم يرض بالصمت رغم ما تلقى من التعذيب من الشرطة السرية والمخابرات"^(٤) وحتى مات وشفته مفتوحتان.^(٥) وإن لهذه الوقفة الطويلة مع الشاعر الشاعر حبيب جالب

(١) "جديد اردو شاعری، تاریخ اور تنقید"، بالأردية، (الشعر الأردني الحديث، تاريخ ونقد)، للأستاذ

هارون الرشيد، الناشر: گرافکس، کراتشي، پاکستان، ط ٢٠١٠م، ص ٣٣٥

(٢) "جالب جی"، بالأردية، (سيرة جالب بلسان جالب)، ترتيب: طاهر أصغر، الناشر: جنگ پبلشرز،

لاهور، پاکستان، ط ١٩٩٣م، ص ١٢٩

(٣) "حبيب جالب، گھر کی گواہی"، بالأردية، ص ٢٥١

(٤) "جالب جی"، بالأردية، ص ١٥

(٥) "حبيب جالب، گھر کی گواہی"، بالأردية، (حبيب جالب - شهادة الأهل)، ترتيب: سعيد پرويز،

الناشر: مکتبہ دانیال، کراتشي، پاکستان، ط ١٩٩٤م، ص ٢٤٩

مبرراته على رأسها أنه أكثر الشعراء إنتاجاً في باب المقاومة وأشدّهم لهجة ضد الاستبداد وربما أكثرهم شهرة في هذا الباب.

ولد الشاعر الناصر حبيب جالب سنة ١٩٢٨م بقريّة ميانى أفغانان، بمركز هوشياربور، إحدى مدن بنجاب الشرقية الهنديّة حيث أكمل مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية.^(١) وشاهد في عنفوان شبابه أحداثاً سياسية وطنية وعالمية كبرى مثل الحرب العالمية الثانية وحركة انفصال باكستان عن الهند التي كانت في أوجها آنذاك فسّحت له فرصة الالتقاء بالزعماء السياسيين الكبار. وقدر له أن يذوق مرارة فراق الديار والهجرة إلى باكستان عشية إنشائها فقصد مدينة كراتشي وبدأ يعمل بمينائها وهنا اشتدت صلته بالشعراء والأدباء فشرع يقدم وينشد أشعاره في مجالس شعريّة^(٢) ولم يمض زمن طويل إلى أن أصبح الشعر مؤثراً قوياً في ظروفه الخاصة

وحدث أن حصل على وظيفة في مصنع نسيج بفضل أبيات أعجبت صاحب المصنع، ثم أثار نار غضبه بأبيات قالها أمامه، فطرده من الوظيفة.^(٣) وهكذا بدأت حياته الأدبية شديدة التأثير في حياته الواقعية، وبذلك أدرك هذا الشاعر المقاوم أنه لا بد من دفع ثمن لكل كلمة يتفوه بها.

وطل اهتمامه مقصوراً على القصيدة الغزلية وغيرها من الموضوعات التقليدية، إلا أن بركانه الشعري انفجر في حكم الجنرال أيوب العسكري^(٤) وسجل التاريخ منذ ذلك الوقت إلى وفاته سنة ١٩٩٥م مساهمته الشعرية والعملية في كل حركة شعبية وطل خلالها يتوارد السجن من حين لآخر وبقي هناك مرات كثيرة لفترات مختلفة. قضى في عهد

(١) "حبيب جالب: شخصيت اور فن"، بالأردية، (حبيب جالب: الشخصية والشعر) سعيد پرويز، الناشر: أكادى

ادبيات پاکستان اسلام آباد، (أكاديمية الأدب بباكستان، بإسلام آباد)، ط ٢، ٢٠١٠م، ص ١٣

(٢) باختصار من: "حبيب جالب: شخصيت اور فن"، بالأردية، ص ١٣

(٣) المرجع نفسه

(٤) من مقال: "حبيب جالب يابرك آواره"، (حبيب جالب أو ورقة تائهة) بالأردية. سهراب أسلم، نشر في عدد

خاص لمجلة "ماه نو" (الأردية)، الصادرة من "وزارة الإعلام"، بدون ذكر الشهر والسنة، مجلد ٨٧، ص ١٢٥

أيوب العسكري أربع سنوات ونصف في السجن، ومكث في السجن شهورا في عهد الجنرال يحيى خان وأسر لعشرة شهور في عهد ذوالفقار علي بوتو الديمقراطي، وزار السجن رابعا في عهد ضياء الحق العسكري سنة ١٩٨٤م ثم ١٩٨٥م لمدة ستة شهور. وتبلغ مدة اعتقاله بالإجمال سبع سنوات ونصف تقريبا، وتشكل قصائده التي قالها في السجن جزءا متميزا في ديوانه.^(١)

فضلا عن اعتقاله وأسرته في سجون مر في حياته بمواقف محزنة ومؤلمة جدا بسبب شعره المقاوم ضد الطغاة، منها أنه اعتقل مرة وعند عودته من المحكمة إلى السجن جاءت به الشرطة إلى بيته ويده أغلال فجعلت بنته الصغيرة في حضنه تلعب بهذه الأغلال، وكان منظرا رق له قلب كل شاهد لكنه تمالك نفسه، ولم يحزن لذلك بل على العكس من ذلك استبشر به قائلا:

اس کو شاید کھلونا گئی تھکری
میری بیٹی مجھے دیکھ کر ہنس پڑی
یہ ہنسی تھی سحر کی بشارت مجھے
یہ ہنسی دے گئی کتنی طاقت مجھے^(٢)

أي: "تبسمت بنتي عندما رأيتني وتخلت الأغلال لعبا. إنها ضحكة بشرتني بقرب السحر ومنحتني من القوة ما لا توصف".

فموقف الشاعر هذا في هذا المشهد الذي أبكى كل من حوله وتناسيه همومه الشخصية فيه يكفي لإدراك الدرجة التي وصل إليها من الثبات واليقين بصدق رسالته وشعره لكن رغم كل هذه الأحداث المؤلمة تخلو دواوينه كلها من أي شكوى شخصية

(١) "انسائيكلوبيديا ادبيات عالم"، بالأردية، (موسوعة الآداب العالمية)، مجموعة من الباحثين، إصدار: أكادى ادبيات

پاکستان اسلام آباد، (أكاديمية الأدب بباكستان، بإسلام آباد)، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٤٣٥

(٢) قصيدة "تھکری" (الأغلال)، ديوان حبيب جالب، بالأردية، للشاعر حبيب جالب، ماورا

بکس، لاهور - پاکستان، ط ٢٠٠٥م، ص ٢٧٤

ألبيت قصائده الثورية همم الضعفاء ومنحتها حماساً متوقداً من جانب وهزت عروش الطغاة الجبابة من جانب آخر^(١) فاعتبروه خطراً شديداً على حكمهم. أثر مواجهة كل أساليب التعذيب والتخويف دون الفرار واللجوء السياسي ورفض ترك أرض الوطن وقد تسودها الذئاب، كما رد بكل صراحة عروضاً كثيرة للمساعدة المالية من قبل بعض البلاد الأخرى مثل ليبيا^(٢) وظل جواز سفره مسلوباً من سنة ١٩٦٥م إلى سنة ١٩٨٨م، فلم يسافر إلى أي بلد، وأخيراً أعادته حكومة بينظير بوتو. وظل على هذه الأحوال إلى أن ألم به مرض الموت، ولم يسلم روحه إلى خالقه إلا بعد ما قال قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك اختتمت شاعريته بالمديح النبوي وقصائده أوقفته في الصف الأول من ركب العمال والفلاحين والطبقات المضطهدة في بلده وبسببها نال من الشهرة والمكانة الشعبية والأدبية ما لم ينله شاعر آخر. وبعد ما عرف لدى الشعب بشاعر الانقلاب وشاعر الشعب وغيرهما من الألقاب نال بعد موته وسام تقدير من الحكومة الباكستانية^(٣)

وقراءة سريعة في دواوينه ديوان "برگ آواره" (الورقة النائية) وديوان "سرقتل" (في المقتل) وديوان "عهد تم" (عصر القسر) وديوان "ذکر بتہ خون کا" (ذكر الدم السائل) وديوان "گوشتے میں قفس کے" (في جانب من المعتقل) وديوان "چاروں جانب ساٹا" (السُّكوت الخيم على الأطراف الأربعة) التي ضمت فيما بعد بشكل "جالب نامہ" أو "کلیات جالب" (ديوان جالب) تكتف لنا أنه بدأ مشواره الشعري رومانسي المنزع وفي موضوعات تقليدية مثل الحب والعشق وظلت هذا النزعة غالبية في ديوانيه الأول والثاني ولكن سرعان ما اختفت ليلاه وحلت مكانها ليلى الوطن، ودفعته الظروف القاسية الحالّة بالوطن إلى تناسي هذه الموضوعات والانتقال إلى موضوعات ذات صلة شديدة بالاضطهاد والاستبداد واختيار لهجة لاذعة شديدة النقد وحينها ظهر شاعراً ثائراً، وهذا بادٍ جلي من عناوين دواوينه التي تشكو

(١) "جالب، انصاف کا طالب"، بالأردية، (جالب، الباحثة عن العدل)، ترتيب: صياء ساحد، الناشر.

مکتبہ القریش، لاہور، پاکستان، ط ١٩٩٤م، ص ٣٩

(٢) "حبيب جالب: شخصیت اور فن"، بالأردية، (حبيب جالب: الشخصية والأدب)، ص ٢١

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٧

قساوة الزمن الذي عاشه الشاعر والبيئة المتكونة من الخوف والذعر والظلم والقسر، وبذلك أصبحت حياته خليط الشعر والسياسة فجاء شعره مدونة تاريخية للسياسة الباكستانية.

تنحصر فترة شعره الثوري المقاوم في ستة عقود، ثلاثة منها عسكرية وثلاثة جمهورية، وكانت حياته كفاحا متواصلا طيلة هذه العصور التي لم تتحقق فيها ما تمناه الشعب المضطهد البائس. ومن البدهي أن يذوق شاعر ثوري كجالب مرارة الحكم الديكتاتوري في كل حكم عسكري بدءا بحكم الجنرال أيوب خان الممتد لإحدى عشرة سنة ومرورا بحكم الجنرال يحيى خان المتطاوّل لسنتين وانتهاء إلى حكم الجنرال ضياء الحق المخيم على البلد لإحدى عشرة سنة إلى سنة ۱۹۸۸ م.

وأكسبته قصائده الثائرة مكانة عديمة النظير في الساحتين الأدبية والسياسية، ونقلتها صفحات الجرائد والمجلات وأنشدها المغنون والمغنيات في الأفلام ورونها ألسنة الناس وعلقت بأذهانهم ولا تزال تلك القصائد تروى وتنشد بكل قوة في المهرجانات الأدبية والسياسية لتثير الهمم وتقوي العزائم. كان جيب جالب يترصد لكل خطوة يخطوها المستبد فجاء ديوانه كاميرا يسجل كل حدث تاريخي مع تعليق شعري ولذلك يستحق أن تكون دراسة شعره عن طريق مسيرة تاريخية.

وأجل ما يوضح فلسفته الشعرية هو بيته :

تقدير کے قدموں پر سر رکھ کے پڑے رہنا

تائید ستم گر ہے چپ رہ کے ستم سہنا^(۱)

يعني: "من العبث اعتماد المرء على تقديره دون سعيه وكفاحه،

ومن معونة الظالم السكوت عن ظلمه والصبر عليه".

وإيماننا بهذا البيت كانت ثورته الشعرية التي هزت عرش حكم الجابرة في باكستان في كل عصر وزمان. وكفى شعره محللا لأفكاره فهو من الذين يرون المقاومة فريضة شعرية دون

(۱) قصيدة "مورت" (المرأة)، ديوان جالب، ص ۲۰۱

المبالاة بتهديد أو تعذيب ، وذلك يذكّرنا بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(۱) ، يقول :

ہے فرض تجھی پر کہ ہر اک عہد میں جالب
آلام اٹھائے جا، اپنی زبان نہ کر بند^(۲)

أی : ”یا جالب عليك أداء كل فريضة، فتحمل الآلام في كل عصر ولا تكف لسانك“.

وكان جالب على وعي بأن الطريق الذي اختاره فيه من الوعورة ما فيه ، وسيواجه في مسيره كل نوع من المشاكل والعراقيل إلا أنه قوي الأمل في تمسكه بالحق ، يقول :

باطل کی منہ زور ہوا سے جو کبھی نہ بجھ پائیں
وہ شمعیں روشن کر جانا سچ ہی لکھتے جانا
پل دو پل کے عیش کی خاطر کیا دینا کیا جھکنا
آخر سب کو ہے مر جانا سچ ہی لکھتے جانا^(۳)

أی : ”لا تكف أبدا عن إضاعة تلك المصاييح التي لا تنطفئ بالرياح الباطلة ولا تكف أبدا عن الجهر بالصدق والحق ، ولا تخضع من أجل عيش رغيد لا يتجاوز لحظات ستمضي بسرعة ، فقد قدر الموت للجميع ، لا تكف أبدا عن الجهر بالصدق والحق“.

ولم تكن مقاومته لألوان الاستبداد المختلفة ظاهرة فرضت نفسها على شعره كرد فعل لأحداث معينة أو ظروف خاصة وكذلك لم يكن حرمان شخصي أو حقد ذاتي من دوافعها ، وإنما كان جزءا من طبيعته الثائرة التي وجدت في الظروف الحالة بالوطن بيثة خصّة

(۱) سورة الرعد ، الآية : ۱۱

(۲) قصيدة بدون عنوان ، ديوان جالب ، ص ۲۷۶

(۳) قصيدة ”يجب أن تظل ترفع الحق“ (سچ لکھتے جانا) ، ديوان جالب ، ص ۲۷۴

لنموها، فمنذ أول فترات شعره تظهر ملامح شكواه من الاضطهاد الاجتماعي والسياسي والطائفي في قصائده الغزلية إلا أن هذه الشكاوى تحولت فيما بعد إلى هتافات صريحة:

بجلیوں کی یورش نے شاخ شاخ لرزاں ہے
کیا یہی بہاراں ہے، کیا یہی گلستاں ہے
آج بھی نگاہوں سے وحشتیں نہیں جاتیں
آج بھی نگاہوں میں کائنات ویراں ہے^(۱)

أي: ”تهتز أغصان البستان بكر البرق؟ ما أعجب هذا الربيع وما
أعجب هذا البستان. و العيون تستوحش بما تراه وخرب العالم في النفوس“.

وكان تربع الحاكم العسكري على عرش الحكم سنة ۱۹۵۸م نقطة تحول في شعره وموضوعاته، ومن هنا بدأ سيره المقاوم حين قال قصيدة ”الدستور“ ساخرا بالدستور الذي وضعته الحكومة لكسب مصالح سياسية مؤقتة ومتحديا قانون الحظر على التعبير وإبانة الرأي الذي نفذته الحكومة تخويفا وإرهابا إلا أن هذه القصيدة أول صوت عارض الحكم الديكتاتوري وكشف حقيقة دستور المصطنع فأزال رعبه متحديا قائلا:

ایسے دستور کو صبح بے نور کو
میں نہیں مانتا میں نہیں جانتا^(۲)
أي: ”مثل هذا الدستور الصبح بلا نور، لا أقبل، لا أقبل“

وهو صريح في رفضه لهذا الدستور الأعمى الذي لا يخدم إلا مصلحة الخواص وأسس على أهواء الحكام، فيعدد أسباب رفضه هذا الدستور، والجدير بالذكر أن الحكومة اضطرت لاستعادة الدستور بعد ما أصبحت أبيات هذه القصيدة تجري على ألسنة العوام، ويعدد أسباب رفضه لهذا الدستور قائلا:

(۱) قصيدة بلا عنوان. ديوان جالب، ص ۲۹

(۲) قصيدة ”دستور“ (الدستور)، المرجع نفسه، ص ۱۲۹

دیپ جس کا محلات میں ہی چلے
چند لوگوں کی خوشیوں کو لے کر چلے
وہ جو سائے کے ہر مصلحت میں چلے
ایسے دستور کو صبح بے نور کو
میں نہیں مانتا میں نہیں جانتا^(۱)

أي: ”أرفض هذا الدستور ولن أقبله لأنه لا يضيء بنوره إلا قصور الأغنياء ولا ينمو إلا تحت ظلال مصالح خاصة معينة، ولا يخدم إلا طائفة دون أخرى“.

وكانت البلاد آنذاك يحيم عليها سكوت رهيب، ففي حين عجزت الصحافة أن تتحدى الأوامر الرسمية الصادرة بشيء من الحرية وشعرت الأحزاب السياسية بضعفها أمام اللعبة الدستورية الجديدة ولم تطق أن تحرك موجات احتجاجية شعبية ضدها كان صوت الشاعر يشق فضاء هذا السكوت برفضه العلني وتحديه الصارخ دون مبالاة تهديد أو تخويف أو تعذيب:

میں بھی خائف نہیں تختہ دار سے
میں بھی منصور ہوں کہہ دو اغیار سے
کیوں ڈراتے ہو زنداں کی دیوار سے
ظلم کی بات کو، جہل کی رات کو
میں نہیں مانتا، میں نہیں جانتا^(۲)

أي: ”ألا! أبلغوا الحكام المستبدين أنني منصور هذا العصر، لا أخاف شنقا ولا صلبا، ولا تخوفوني بغياب السجن، فإني لن أقبل كلمة جائرة وليلة مظلمة“.

فأنى له أن يقبل هذا الدستور الذي لم يضعه الواضع إلا ليفرق به الشعب المتحد ويحكم به حكمه المستبد لأنه دستور أسس على التفرقة والبغض:

(۱) قصيدة ”دستور“ (الدستور)، ديوان جالب، ص ۱۲۹

(۲) المرجع نفسه، ص ۱۲۹

”دستور ہمیں بخشا ہے
نفرت ہے جس کی بنیاد“^(۱)

”آئی: ”إنه (الحاکم المستبد) سلط علينا دستورا أساسه الكره“.

ويعلمن جالب تمردہ ضد الطاغیة المستبد مفتخرا بنفسه ومخاطبا إياه

بلهجة متعمدة:

تم نے لوٹا ہے صدیوں ہمارا سکون
اب نہ ہم پر چلے گا تمہارا قسوں“^(۲)

”آئی: ”سلبتم منا راحتنا لقرون مدیدة إلا أننا لن نخضع لمشيئكم منذ
اليوم.“

وینذک صار أول صوت يعارض الحکم الديکتاتوری وأصبح لسان حال لكل
الشعب. وبفضل تأثير هذه القصيدة في قلوب الجماهير اضطر الحکم إلى استرجاع الدستور.
وسحت له فرصة لقاء مع واضع الدستور والمستشار القانوني للرئيس آنذاك، فحكى قصة
لقائه معه في قصيدته الشهيرة ”مشیر“ (المستشار) التي تصور التغافل الشعبي والتمرد الحکومي
بشكل جميل:

میں نے اس سے یہ کہا
جہل کا نچوڑ ہیں
ہر امید کی کرن
یہ خبر درست ہے
بے شعور لوگ ہیں
یہ جو دس کروڑ ہیں
ان کی فکر سو گئی
ظلمتوں میں کھو گئی
ان کی موت ہو گئی
زندگی کا روگ ہیں“^(۳)

(۱) قصیدہ ”میں گھرانے“ (عترتوں أسرة)، دیوان جالب، ص ۱۳۷

(۲) قصیدہ ”دستور“ (الدستور)، المرجع نفسه، ص ۱۲۹

(۳) قصیدہ ”مشیر“ (المستشار)، المرجع نفسه، ص ۱۴۰

أي: ”قلت له: إن هؤلاء المائة المليون عصارة الجهل، يعجزون عن التفكير، وفقدوا نور الأمل في ظلمات اليأس. وصدق من أخبرك بموتهم. إنهم لا يملكون شعورا، وهم عبء على الحياة“

وبعد هذا التهكم اللاذع بشعب يرضى بحياة الذل خوفا من بطش الحاكم يسخر من الحاكم مباشرة:

تو	خدا	کا	نور	ہے
عقل	ہے		شعور	ہے
قوم	تیرے		ساتھ	ہے
تیری	ہی		وجود	ہے
ملک	کی		نجات	ہے
تو	ہے	مہر	صبح	نو
تیرے	بعد	رات		ہے ^(۱)

أي: ”أنت نور الله، أنت العقل والفكر. والشعب معك. ولا بقاء لللد إلا بك. أنت الصبح المبسم، ولا شيء بعدك إلا الليل“.

وعندما قررت الحكومة العسكرية عقد انتخابات الرئاسة سنة ۱۹۶۴م اختارته فاطمة جناح -أخت القائد الأعظم محمد علي جناح- ليصحبها أثناء حملتها، وكان الناس يتواردون لسماع شعره^(۱) فحاولت الحكومة منعه خوفا لتأثير شعره في قلوب الجماهير وقدرته على إثارة الخواطر، فاعتقلته بتهمة محاولة اغتيال لمدة سبع سنوات، وأخيرا خرج من السجن برئنا^(۲)

(۱) قصيدة ”مثير“ (المستشار)، ديوان جالب، ص ۱۴۱

(۲) من مقال: ”حبيب جالب يبرگ آواره“، (بالأردنية)، سهراب أسلم، منشور في مجلة ”ماه“

نو“ (الأردنية)، الصادرة من لاهور، العدد ۱۹ لشهر أبريل سنة ۲۰۱۲، مجلد ۱۰، ص ۱۲۵

(۳) ”حبيب جالب: شخصيات اور فن“، بالأردنية، (حبيب جالب: الشخصية والأدب)، ص ۱۹

وكانت فاطمة جناح هي الصرح الشامخ يقف وحيدا في وجه الاستبداد الأيوبي المسيطر على البلاد، وكانت سندا لكل من أراد الصمود ضد الاستبداد وكان الاستبداد يعتبرها أكبر خطر على مصالحه، وكان الشاعر جالب يمدحها بكلماته:

ایک آواز سے ایوان لرز اٹھے ہیں
لوگ جاگے ہیں تو سلطان لرز اٹھے ہیں
آمد صبح بہاراں کی خبر سنتے ہی
ظلمت شب کے گہماں لرز اٹھے ہیں^(۱)

أى: "أهتزت أركان الحكم لصرخة وحيدة وقد اقشعر السلاطنة باليقظة الشعبية. وقد تزلزلت أقدام حراس طلعة الليل بمجيء صبح الربيع"

وظلت النخمة الخطايبية والمتحدية تتجلى بكل شدتها في قصائده ضد الحكم المستبد، القصائد الملهبة للحماسة الشعبية والتي تناسى فيها الشاعر همومه الشخصية واتخذ همومه العصرية والاجتماعية موضوعا لأشعاره فديوانه الثوري "سرمقتل" (في المقتل) يضم كل قصائده التي قالها في هذا العهد المظلم ويمكن أن تقدر شعبيته بأنه طبع أربع مرات في شهر واحد من سنة ۱۹۶۶م، وطبع سبع مرات في فترة ثلاثة أشهر من سبتمبر ۱۹۶۶ إلى نوفمبر ۱۹۶۶، وأخيرا قامت الحكومة بسلب هذا الديوان وأسر صاحبه والقبض على صاحب الدار التي طبعت الديوان وإغلاق مطبعته ومكتبته. وظل العمال والفلاحون يهتمون بطبع هذ الديوان وتوزيعه سرياً.^(۲)

ولم يكن يتحدى الحكومة العسكرية وحدها بل كان على تمام الوعي بأن هناك أسرا معينة تسيطر على ثروات البلد وخيرها وأن الأموال رهينة في أسر معدودة تنفقها في لهوها بينما حرم الفقراء لقمة عيش. وهي الأسر التي تقرر مصير الشعب وتملك أعناقها ولا يهتمها إلا مصالحها المادية وأدرك الشاعر أن انحصار الثروة المالية في أيدي معدودة هو

(۱) قصيدة "میں گھرانے" (عشرون أسرة)، ديوان جالب، ص ۱۳۷

(۲) "حبيب جالب: شخصیت اور فن"، بالأردنية، (حبيب جالب: التحصية والأدب)، ص ۱۹

السبب الأكبر لانتشار الفقر في البلد، وتعيش هذه القوى والحكومة الاستبدادية وتكتاتف لمصالحهم المادية وتذهب النفوس البريئة ضحية لهذا التحالف السري، يوجه نقدا لاذعا إلى الأسر الحاكمة في قصيدة "عاش الرئيس أيوب":

ہیں گھرانے ہیں آباد
اور کروڑوں ہیں ناشاد
آج بھی ہم پر جاری ہے
کالی صدیوں کی ہے داو^(۱)

أي: "أصاب الرخاء عشرين أسرة وحرم مئات الآلاف، ما زلنا نعيش في ليلة تغشانا من قرون سوداء".

ويصور تغافل الحكام عن فرائضهم وطمعهم في ملأ جيوبهم في قصيدة رائعة أصحاب المعالي الوزراء الكرام":

کوئی ممنون فرنگی، کوئی ڈالر کا غلام
دھڑکنیں محکوم ان کی لب پہ آزادی کا نام
ان کو کیا معلوم کس حالت میں رہتے ہیں عوام
یہ وزیران کرام^(۲)

أي: "إن هؤلاء الوزراء بعضهم مدين للإنجليز والآخرين يعبدون الدولارات، يلفظون بكلمة الحرية وقلوبهم أسيرة. لا يدركون ما آلت إليه أحوال الناس".

وكان على الليل الطويل المخيم على أرض الوطن بشكل العهد الأيوبي أن يجلي بعد تخليه عن منصب الرئاسة، ولكن ليس يسفر عن طلوع صبح بسام وإنما لتبعه ظلمة

(۱) قصيدة "ہیں گھرانے" (عشرون أسرة)، ديوان جالب، ص ۱۳۷

(۲) قصيدة "یہ وزیران کرام" (هؤلاء الوزراء الكرام)، المرجع نفسه، ص ۱۱۲

آخری بشکل رئیس یحیی خان فصارت الأحوال أسوأ ورأى حبيب جالب صورة الرئيس الجديد معلقةً على جدار لقاعة المجلس الشعري، فخطبها قائلاً:

تم سے پہلے جو شخص یہاں تخت نشین تھا
اس کو بھی اپنے خدا ہونے پر اتنا ہی یقین تھا^(۱)

أي: "إن من كان يستولي على هذا العرش قبلك، كان يؤمن مثلك بالوحيته".

وبذلك أعلن بدء معركته مع الطاغية الجديد ولم تكن إلا حلقة متصلة لمعركته مع سابقه. وكان جالب كئيب الخاطر لما أدرك ما تحمله سياسة الجنرال يحيى خان وأعوانه من أضرار ومخاطر لاتحاد البلد بباكستان الشرقية وباكستان الغربية - وخاصة باستخدام الجيش الوطني لمصالحهم الشخصية، فحضر مكتب الشرطة عارضاً نفسه للاعتقال وقائلاً: إن الصمت الآن خيانة، والبقاء خارج السجن عيب"، وقال قصيدة فيها^(۲):

محبت گولیوں سے بو رہے ہو
وطن کا چہرہ خون سے دھو رہے ہو
گماں تم کو کہ رستہ دکھا رہے ہو
یقین مجھ کو کہ منزل کھو رہے ہو^(۳)

أي: "بالرصاصات تزرعون الحب، وبالدماء تغسلون أرض الوطن، وتحسبونكم مرشدين بينما أراكم ضالين مراهم".

وكان لحدث بانو - وهي إحدى الممثلات والراقصات الشهيرات استدعيت لترقص أمام الرئيس الإيراني الذي جاء لزيارة باكستان آنذاك، فأبت بأن تفعل هذا فجيء بها وهي

(۱) قصيدة بدون عنوان، ديوان جالب، ص ۱۵۲

(۲) "حبيب جالب: شخصیت اور فن"، بالأردنية، (حبيب جالب: الشخصية والأدب)، ص ۲۰

(۳) من قصيدة "۱۹۷۱ کے خوش آشام بنگال کے نام" (إلى البنغال المترفة في سنة ۱۹۷۱)، ديوان جالب، ص ۲۱۸

مغلولة وأجبرت على الرقص أمام الحضور-^(۱) كان لهذا الحدث أثر كبير في نفسه ورق لها الشاعر وقال :

تو کہ نادائق آداب غلامی ہے ابھی
رقص زنجیر پہن کر بھی کیا جاتا ہے^(۲)

أي: ”جهلت آداب العبودية، فإنه بالإمكان الرقص مقيدا بالأغلال والقيود“.

ومعاناة الشاعر مزدوجة لما يرى غلبة القوى الاستبدادية من جانب ومن جانب آخر يرى المضطهدين فقدوا نور الأمل وغلبهم اليأس المقعد عن الكفاح، فينعى ميول المجتمع ورضاه بألوان الظلم ويستنهضهم بنغمة خطابية مباشرة يحاول فيها إيقاظ شعور الشعب الذي وحده في سبات عميق وغفلة عن حقوقها، ويدعوهم إلى معرفة أصدقائهم من أعدائهم، وقلع ذلك النظام المستبد الذي لا يخدم مصالحهم:

جس	میں	تم	نہیں	شامل
وہ	نظام	بدلو	بھی	
دوستوں	کو	پہچانو		
دشمنوں	کو	پہچانو		
دس	کروڑ	انسانوں ^(۳)		

أي: ”غيروا ذلك النظام الذي ليس لكم فيه نصيب، واعرفوا أصدقاءكم من أعدائكم يا معشر مائة مليون نفر“.

ويهزهم لإيقاظهم من سباتهم العميق المديد والسعي للخروج من مأزق العبودية للطبقات المضطهدة:

(۱) ”جالب تقي“، بالأردية، ص ۷۱

(۲) قصيدة ”نیلو“ (نیلو)، المرجع نفسه، ص ۲۰۳

(۳) قصيدة ”جمہوریت“ (الجمهورية)، المرجع نفسه، ص ۱۳۳

دس کروڑ انسانو زندگی سے بیگانو
یہ ملیں یہ جاگیریں کس کا خون پیتی ہیں
بیرکوں میں یہ فوجیں کس کے تل پہ جیتی ہیں
کاش تم کبھی سمجھو کاش تم کبھی جانو^(۱)

أي: ”يا معشر مائة مليون، يا من جهلوا حياتهم! إن من دماء من
ترنوي هذه العقارات والمصانع، وبأرزاق من تشيع هذه الجيوش بطوبها، يا
ليتكم عرفتم يوما. يا ليتكم علمتم يوما“.

ويعتقد أن السعي لنيل الحقوق فريضة إنسانية لنيل الحقوق فهي تنزع من يد الغاصب
ولا تمنح في طشت:

ملا نہیں کرتی عظمت یونہی تو
یہ ہاتھ آتی نہیں دولت یونہی تو^(۲)

أي: ”لا يدرك المجد بدون كفاح ولا تكسب الثروة بدون سعي“.
فهو وإن يرى أن الليل المظلم قد طال وكثرت مظاهر القسر إلا أنه قوي الأمل بطلوع
الصبح مهما طال:

آخری رات ہے یہ سر نہ جھکانا لوگو
حسن ادراک کی شعیں نہ بجھانا لوگو^(۳)

أي: ”أيها الناس، كاد الليل أن ينتهي، فلا تستسلموا ولا تطفئوا
مصابيح التعور“

(۱) قصيدة ”جمهورية“ (الجمهورية)، ديوان خالب، ص ۱۲۳

(۲) من قصيدة بدون عنوان، المرجع نفسه، ص ۲۷۷

(۳) قصيدة ”لوگو“ (أيها الناس)، المرجع نفسه، ص ۲۱۸

ولیس الکفاح ضد المستبد تمادیا بآیة حال من الأحوال، بل هو فريضة والتقاعس عن
الكفاح ضمان لبقاء الاستبداد:

نہیں حق چھینتے ہم غاصبوں سے
مقدر میں ہے ہر ذلت یونہی تو^(۱)
”یکتب لنا الذل عندما لا نحاول نزع حقنا من الغاصبين“.

و فی عہد ذوالفقار علی بوتو لما ساءت أحوال البلد عرض نفسه للاعتقال فكان من
الأوائل الذين أسروا مع أبرز الشخصيات السياسية الكبيرة. وأودع السجن مرة أخرى سنة
۱۹۷۶م بتهمة الخروج على الحكم، وطالت إقامته بها لأربعة عشر شهرا.^(۲)

والحكم العسكري من ۱۹۷۷م إلى ۱۹۸۸م أخضب فترات شعره الثوري المقاوم
وظلت الصلة بين شاعرنا الشاعر وبين الشرطة والسجن والمحكمة تشدد وتتجدد في عهد الجنرال
ضياء الحق الذي استولى على الحكم بعد انقلاب عسكري ضد حكومة ذوالفقار علي بوتو
وشنقه صلبا، ويفضل هذه الخطوات أنحفت الحكومة الأدب الأردني قصائد رائعة خالدة،
وأزكى جذوة شعرية لديه، وفيه بلغت شاعريته أوجها.

وظل يعيش في كفاح مستمر ومنافسة متواصلة ضد الحاكم العسكري الذي ظل
يطول عهده ويستبد حقوق الناس السياسية بحيلة أو أخرى، ففي ذلك العهد لم يمر يوم من
الأيام إلا وهناك قصة تحكي كيفية ضرب الشاعر حبيب جالب أو حبسه أو سجنه. وكانت
الجروح التي تصيبه والآلام التي يتحملها منبع قوته وطاقته، فلما ضربته الشرطة في وسط
الشارع بلاهور أثناء مظاهرة قال:

جسم پہ جو زخموں کے نشان ہیں اپنے تمنے ہیں
ملی ہے ایسی داد وفا کی کے سڑک کے بیچ^(۳)

(۱) من قصيدة بلا عنوان، ديوان جالب، ص ۲۷۷

(۲) ”حبيب جالب: شخصيت اور فن“، بالأردنية، (حبيب جالب: الشخصية والأدب)، ص ۲۱

(۳) من قصيدة بدون عنوان، ديوان جالب، ص ۳۰۲

أي : "إن هذه الجروح على أجسادنا أوسمتنا، فهل ترى أحدا نال
وسط الشارع جزاء وفائه مثلما وجدنا؟".

وكان عهد الرئيس ضياء أفسى وأقهر فترات الحكم العسكري، ورفض الشاعر
حكمه بلهجة تنم عن رفض شديد وتهكم لاذع:

صحر اكوچمن

بن كوگلشن

بادل كورد اكيال كهنا^(١)

أي : "مهيا كان، لن أصف الصحراء بستانا، ولن أصف الغابة
حديقة، ولن أسمى الغمامة رداء".

ويأبى الشاعر أن يخضع جبينه لمثل هذا الحكم:

ورثے میں ہمیں یہ غم ہے ملا

اس غم کو نیا کیا لکھنا

صر صر کو صبا ظلمت کو ضیا،

بندے کو خدا کیا لکھنا

اس ظلم و ستم کو لطف و کرم

اس دکھ کو دوا کیا لکھنا^(٢)

أي : "ورثنا هذا الغم من الآباء فكيف أسميه جديدا، فكيف أسمى الصرصر صبا،

وكيف أسمى الظلمة ضياء، وكيف أسطر العبد إلها، وكيف أسمى هذا الظلم والقسر حنانا

وفضلا، وكيف أسمى هذا الداء دواء"

ويعصور الشاعر واقع الوطن الذي اختنقت أجواؤه بريح الاستبداد وضافت على

النفس الكريمة أن تتنفس:

(١) قصيدة "ظلمت کو ضياء کیا لکھنا"، (كيف أسمى الظلمة صياء)، ديوان جالب، ص ١٨١

(٢) المرجع نفسه

حق بات پہ کوڑے اور زنداں
باطل کے شکنجے میں ہے یہ جاں
انساں ہیں کہ سبے بیٹھے ہیں
خوں خوار درندے ہیں رقصاں^(۱)

أی: ”ما جزاء الحق إلا السجن والسيوط، وتحت سيطرة الباطل تعيش النفوس، وترتعد من هذا الوضع القلوب، وتسود البلد الوحوش وترقص فيه“.

ويستوحش عصره الذي حرم السعادة ومدينته التي خربت:

ہر شام یہاں شام ویراں
آسیب زدہ رستے گھیاں
جس شہر کی دھن میں نکلے تھے
وہ شہر دل برباد کہاں^(۲)

أی: ”المساء متوحش، وكأن الطرق حلت بها قوافل الجن، أين تلك المدينة التي خرجنا عنها؟“

وفي هذه الأوضاع الرهيبة قد يتنابه الشعور بضلال الطريق والبعد عن المنزل ويبدو شاكياً من واقعه لأنه لم يتحقق فيه ما أمله الأسلاف:

وطن تھا ذہن میں زنداں نہیں تھا
چمن خوابوں کا یوں ویراں نہیں تھا
بہاروں نے دیے وہ داغ ہم کو
نظر آتا ہے مقتل باغ ہم کو^(۳)

(۱) قصیدہ بلا عنوان . دیوان جالب، ص ۱۸۲

(۲) المرجع نفسه

(۳) قصیدہ ”۱۱۳ اگست“ (۱۴ اگست)، المرجع نفسه، ص ۱۹۴

أى: ”رسمنا في أحلامنا صورة لسوطن وليس لسجن، ولم يكن
بستان أمانينا خربا كما نراه الآن، قد غدر بنا الريح، وصار البستان مجزرة
إنسانية“.

ويبدو الشاعر - الذي كان متفائلا بإنشاء باكستان - كئيب الخاطر لما يرى أرض
الوطن ذهبت فريسة مؤامرة البلاد الغربية وخاب أمله بانقياد الحكومة للأوامر الغربية:

ہوئے آقا فرنگیوں کے غلام
شب آلام نہ ہو سکی تمام^(۱)
أى: ”أصبح حكامنا عبدة للإفرنج ولم ينته ليل آلامنا بعد“.

ويصور واقعه الذي عاشه إذ اشتدت بطشة الحكام المستبدين بكل شاعر أبى،
وضاقت عليه الأرض والحياة والجو، وقد سجد لحكمه الجميع وجعل الأدباء أعلامهم سلعة
تباع وتشتري، ويصور الشاعر ذلك الوضع المؤلم المخوف:

بولئے پہ پابندی، سوچنے پہ تعزیریں
پاؤں میں غلامی کی آج بھی ہیں زنجیریں
آج حرف آخر ہے بات چند لوگوں کی
دن ہے چند لوگوں کا رات چند لوگوں کی^(۲)

أى: ”سلبت حرية التعبير، وأقيمت الحدود على التفكير، وقيدت
الأقدام بسلاسل العبودية. وتعالّت كلمة فئة دون أخرى، وسعدت طائفة
دون الكثيرين“.

وكان الحاكم المستبد حاول إثبات شرعية حكمه الاستبدادي بتزيين مسرحية
الانتخابات عام ۱۹۸۵م، وخلت يومه الشوارع والطرق من المارة والركاب احتجاجا على

(۱) قصيدة بلا عنوان . ديوان جالب، ص ۲۲۳

(۲) قصيدة ”جمهوريت“ (الديموقراطية)، المرجع نفسه، ص ۱۲۳

هذه اللعبة ولكن النتائج المعلنة في المساء أسفرت عن تأييد شعبي بنسبة كبيرة مبالغ فيها، فكشف الشاعر حبيب جالب النقاب عن حقيقة هذه السخرية الدستورية قائلا:

شهر ميس هوكا عالم تھا
جن تھا يا ريفرئثم تھا^(١)

أي: "سادت المدينة موجة وحش، أقدم جن كان ذلك أم استفتاء".

ويتهكم من أحزاب دينية وقفت مؤيدة ومناصرة للحكم العسكري وأمدته بفتاواها وتأييدها في الاستفتاء والانتخابات:

كچھ باریش ے چرے تھے
ادر ایمان کا ماتم تھا^(٢)

أي: "ظهرت وجوه ملتحية، وكان تأيينا للإيمان".

وفيه تهكم ساخر بدور أحزاب دينية قامت مؤيدة للحكم العسكري آنذاك وأصدرت فتاوى تحرض الشعب على تأييده، ويرى الشاعر أن كل من يساعد المستبد بمثابة ميت، لا روح فيه ولا حياة:

مرحومین شریک ہوئے
سچائی کا چہلم تھا^(٣)

أي: "تصوت فيه الموتى، إنها في الحقيقة كان مجلس تأييد للصدق"

وكانت قصيدة (الاستفتاء) هذه سهما مسمومة كشفت عن حقيقته بأسلوب ساخر، ولعل ما يفسر شدة لهجة الشاعر حبيب جالب ضد استبداد الحكم العسكري الذي امتد من سنة ١٩٧٧م إلى ١٩٨٥م هو ما شهدته البلاد من إجراءات تخويف وتعذيب لمعارضين

(١) قصيدة "ريفرئثم" الاستفتاء، ديوان جالب، ص ٣٢١

(٢) المرجع نفسه

(٣) المرجع نفسه

الحکومتہ بأشکال شتى مثل إقامة حدود وإجراءات تعذيب وجلد في الشوارع والحدائق العامة، وجرى كل ذلك باسم إقامة الحدود الشرعية وبالصاق تهم شرب الخمر والزنا والخروج على أمير المسلمين، ولم يكن هدف هذه العقوبات إلا معارضو الحكم العسكري، الأمر خلق بيئة من الخوف والذعر.

وعندما تهيأت فرصة سبيل عودة ابنة بوتويناظير بوتو إلى باكستان رحب بها الشاعر ترحيباً حاراً، لأنها الأمل الوحيد مقابل الاستبداد الطويل وصور مدى خوف القوى الاستبدادية منها:

ڈرتے ہیں بدوتوں والے ایک نہتی لڑکی سے
بھیلے ہیں ہمت کے اجالے ایک نہتی لڑکی سے
ڈرے ہوئے ہیں مرے ہوئے ہیں لرزیدہ لرزیدہ ہیں
ملا، تاجر، جزل، جبالے ایک نہتی لڑکی سے^(۱)

أي: "خاف الجنود الملحون من بنت منزوعة السلاح، وأضاء الكون بسببها، يكاد العلماء والتجار والضباط ومن والاهم يغمى عليهم ويغشاهم الموت خوفاً من قدوم بنت منزوعة السلاح".

وعادت إلى الوطن وتولت زمام الحكم بعد فوزها في انتخابات عام ۱۹۸۸ م، ولكن سرعان ما خاب أمل الشاعر حبيب جالب في أسلوب حكمها حيث تجمع حولها عمال الطائفة المستبدة الغاصبة، وقد تناست الحكومة المدنية الجديدة أيضاً وعودها مثل توفير لقمة العيش والبيت واللباس لكل فرد من أفراد الشعب ولم يكن الحكام المسيطرون على الشعب باسم الجمهورية ليسلموا من سهام شعرة وكذلك كان شأنه معها، وما أن أحس الشاعر مهم تمديدا لألوان الاستبداد أطلق سهامه نحوهم دون خوف، قال:

حال اب تک وہی ہیں غریبوں کے
دن پھرے ہیں فقط وزیروں کے

^(۱) قصیدہ "نہتی لڑکی" (بنت بدون سلاح)، دیوان جالب، ص ۳۴۰

مقروض ہے دیس کا ہر بلاول
پاؤں ننگے ہیں بینظیروں کے^(۱)

أبي: "ما زال الفقراء إلى يومنا يعيشون عيشتهم في الأمس القريب
ولم تصب ألوان الرخاء إلا الوزراء، إن كل "بلاول" لا يزال مدينا، وما
زالت كل بينظير حافية".

ومؤاخذته لم تكن مقصورة على طبقة الحكام فحسب بل ندد كل من وقف مؤيدا له
من الشعراء والأدباء والقضاة والصحفيين وعلماء الدين. فيصور الدور السلبي المذموم لبعض
الأدباء والشعراء المادحين للحكم العسكري، ويرى أن هناك من الأدباء من يزيد الليل ظلمة
بعد ما هانت عليهم كرامة أعلامهم، فيحاسب هذه الطائفة قائلا:

تم نے تو یہ کہا تھا اجالا کریں گے ہم
تم نے سب چراغ دلوں کے بجھادیے^(۲)

أبي: "ويلكم، قلتم: ستضيء نحن، ولكنكم أطفأتم كل مصابيح
القلوب".

ولكن أمله قوي في طلوع الصبح رغم هذا الليل الطويل:

بدل جائے گا دیکھتے دیکھتے
یہ عہد خرابی، یہ عہد ستم^(۳)

أبي: "لا بد لزمان الظلم أن يتلاشى، ولا بد لعصر الجور أن ينتهي".

وهو غير مبال بما ارتكبه من خيانة أدبية، ويستبشر وطيدَ الأمل قائلا:

(۱) قصيدة: "بینظیر" (بیناظر)، دیوان جالب، ص ۳۲۱، وبلاول هو ابنہا.

(۲) قصيدة "ادیوں کے نام" (رسالة إلى الأدباء)، المرجع نفسه، ص ۱۸۵

(۳) قصيدة بدون عنوان، المرجع نفسه، ص ۳۷۳

ہوگا طلوع کوہ کے چمچے سے آفتاب
شب مستقل رہے گی کبھی یہ نہ سوچے^(۱)

أی: ”لابد للشمس أن تشرق من وراء الجبال، وعشا أن تظن الليل
يدوم“.

ویتھکم مما یذاع فی وسائل الإعلام من برامج تمجد الحاکم المستبد لیل نہار:

ثناء بندوں کی ہم سنتے ہیں اکثر
خدا سے بھی زیادہ ریڈیو پر^(۲)

أی: ”نسمع من المذیاع ثناء العباد علی العباد أكثر من ثنائهم علی
رب العباد“.

وتصدی حبيب جالب لمعاصريه من الشعراء والأدباء من وقف منهم مؤيدا للاستبداد
ويتألم لما يرى من وقوف الشعراء علی أبواب الملوك والحكام محاولين كسب رضاهم:

ہر دور کے بھکاری شاعر ادیب سارے
بکتے بکتے قدم پہ دیکھے ادیب سارے
بیچا نہیں ہے میں نے اپنا ضمیر جالب
میں خوش نصیب شاعر اور بد نصیب سارے^(۳)

أی: ”إن الأدباء عاشوا متسولين في كل العصور، ورأيناهم يبيعون
كرامتهم، ولكنني لم أرى بشيء لصفقة صوتي، أنا الشاعر سعيد الحظ
بينما خابت أقدار غيري“.

(۱) قصیدہ ”ادیبوں کے نام“ (رسالة إلى الأدباء)، دیوان جالب، ص ۱۸۵

(۲) قصیدہ بدون عنوان، المرجع نفسه، ص ۱۹۸

(۳) قصیدہ ”میں خوش نصیب شاعر“ (أنا شاعر سعيد الحظ)، المرجع نفسه، ص ۱۶۳

ادب میں اب کہاں دل کا اجالا
ادیبوں نے قلم کو بیچ ڈالا^(۱)

أى "لم يعد الأدب يسقي القلوب بنوره، لأن الأدباء شروا
أقلامهم"

ويتألم لما يرى يضعون فنهم في خدمة الاستبداد طمعا وحرصا، فيمجدون الطاغية
المستبد ويسدلون عليه رداء الجلال والقدسية، ويصفونه على عكس ما هو عليه، يشكو منهم
ويقول:

اے میرے وطن کے فن کارو!
ظلمت پہ نہ اپنا فن دارو
یہ محل سروں کے باسی
قاتل ہیں سبھی اپنے یارو!^(۲)

أى: "يا أصحاب الفنون، لا تفدوا فنكم لمصلحة الظلام، وليس
من أهرق دماءنا إلا ساكنو هذه القصور"

اہل ستم کے طبقہ بگوشوں میں ہم نہیں
صد شکر ان ضمیر فروشوں میں ہم نہیں^(۳)

أى: "حمدا لله على أننى لسنا من جلساء الظالمين ولسنا ممن يبيع
حرية القلب".

وكان من دأب هؤلاء الأدباء والشعراء المرتزقين مدح الحكام وتجاهل ما يرتكبونه من
مظالم على الشعب البائس:

(۱) قصيدة بدون عنوان، ديوان جالب، ص ۱۹۸

(۲) قصيدة "میں خوش نصیب شاعر" (أنا الشاعر سعيد الحظ)، المرجع نفسه، ص ۲۷

(۳) قصيدة "صد شکر" (مائة شكر)، المرجع نفسه، ص ۲۴۶

ثا خواں اب بھی ہیں جو قاتلوں کے
خدایا رحم ان دانشوروں پر^(۱)

أی: ”اللهم ارحم أهل الفكر الذين يُتّون على القتلۃ“

ويفشي الشاعر حقيقة الجوائز الثمينة والألقاب الفاخرة التي ينالها الشعراء، فما هي
إلا جزاء تماديبهم في مدح المستبدین، يقول:

آمرؤں کے جو گیت گاتے رہے
وہی انعام و داد پاتے رہے^(۲)

أی: ”ما نال الجوائز والتشجيع إلا من تغنى بأناشيد تمدح الطغاة المستبدین“

ویوجہ سهامہ الشعریۃ المسمومۃ إلى المحاکم التي باتت حلیفۃ للمستبد فيقول مستهزئاً
بقضائہا:

یہ منصف بھی تو قیدی ہیں ہمیں انصاف کیا دیں گے
لکھا ہے ان کے چہرے پر جو ہم کو فیصلہ دیں گے
اتھائیں لاکھ دیواریں طلوع مہر تو ہوگا
یہ شب کے پاسان کب تک نہ ہم کو راستہ دیں گے
ہمیں تو شوق ہے اہل جنوں کے ساتھ چلنے کا
نہیں پروا ہمیں یہ اہل دانش کیا سزا دیں گے^(۳)

أی: ”هؤلاء القضاة أسرى يعجزون عن العدل في أمرنا، والقرار
الذي سيصدرونه يلوح منذ الآن في صفحة جبينهم فمهما أقاموا من جدران
وحواجز فلن يتمكنوا من منع الشمس من الطلوع. ولن يتمكن هؤلاء حراس

(۱) قصیدہ ”خدایا یہ مظالم بے گھروں پر“ (اصطہاد المشرذبین)، دیوان جالب، ص ۲۱۲

(۲) قصیدہ ”داستان دل و دینم“ (قصۃ القلب المتقطع)، المرجع نفسه، ص ۲۲۳

(۳) قصیدہ ”عورتوں کا ترانہ“ (شید النساء)، المرجع نفسه، ص ۳۰۱

الليلة الظلماء من سد طرقنا، اخترنا مسلك أهل العشق برضى وسعادة، ولا
نبالي بما يقضي علينا هؤلاء المفكرون“.

وكذلك يلقي لائمتہ الشعرية على المتظاهرين بمظهر القضاء وهم القاتلون أصلا،
ويكشف عن حقيقة المحاكم قائلا:

ہیں قتل گاہیں یہ عدل گاہیں انہیں بھلا کس طرح سرائیں
غلام عادل نہیں رہیں گے غلط سزائیں نہیں رہیں گی“

آی: ”صارت المحاكم مجازر، فكيف لنا أن نمدحها، وسيتخلص
القضاة من العبودية وستنتهي العقوبات الخاطئة“.

ومن خضع للاستبداد طائفة من علماء الدين الذين أثبتوا شرعية الاستبداد مستدلين
بأنه نصر للدين الخفيف، حيث أطلقت ألقاب دينية مثل أمير المؤمنين وغيره للمستبدين،
فالشاعر حبيب جالب عاش كتيب النفس من موقف الأحزاب الدينية ومن فتاوى العلماء
الصادرة لإباحة المحظور. يتهم من أولئك الذين ساعدوا الاستبداد بحجة أنه ضروري لحفظ
الإسلام من المخاطر، ففي قصيدة ”خطرے میں اسلام نہیں“ (ليس الإسلام معرضا للخطر)،
يقول:

خطرہ	ہے	زرداروں	کو
گرتی	ہوئی	دیواروں	کو
صدیوں	کے	پیاروں	کو
خطرہ	میں	اسلام	نہیں ^(۱)

آی: ”ليس الإسلام عرضة للخطر وإنما الخطر للرأسماليين
والجدران التي أشرفت على الانهيار وهؤلاء المرضى منذ قرون“.

(۱) قصيدة ”عورتوں کا ترانہ“ (ستید النساء)، دیوان جالب، ص ۳۰۱

(۲) قصيدة ”خطرے میں اسلام نہیں“ (ليس المعرض للخطر هو الإسلام)، المرجع نفسه، ص ۱۶۲

یتألم بشدة لما يرى علماء الدين الخفيف يتكاتفون مع المستبدین وأن فتاواهم تقوية لسيطرة الطبقات الأرستقراطية :

رضائے ایزدی تم نے کہا دین الہی کو
نہیں۔ مٹنے دیا تم نے نظام کجکلاہی کو
دیا تم نے سہارا ہر قدم پر زار شاہی کو
مگر انسانیت کے سامنے کس کا چلا فتویٰ
امیروں کی حمایت میں دیا تم نے سدا فتویٰ^(۱)

أی: ”إنکم جعلتم دین الله أهواء الحاکم، وأفسلتم محاولات محو النظام العتيق، وساعدتم النظام الرأسمالي، وراعىتم مصالح الأغنياء في فتاویکم، ولكن نسيتم أن كل فتوى تفشل أمام الفطرة الإنسانية“.

ويرى أن الخطب الدينية خلت من الروح الحقيقية واكتفينا بالعبادات ونغافلنا عن الكفاح والنضال :

بہت میں نے سنی ہے آپ کی تقریر مولانا
مگر بدلی نہیں اب تک مری تقریر مولانا^(۲)

”أيها الشيخ الواعظ، قضيت فترة طويلة وأنا أسمع ما تلقي من خطب ومواعظ، ولكن لم يتغير حتى الآن وضعي“.

لا تكفي الكلمات والمحاضرات وإنما الكفاح العملي هو الوسيلة الوحيدة لنزع الحقوق، فالحرية لا تقدم على طشت، بل تكتسب بعد عبور بحر من الدم والنار، والمطلوب الكفاح المخلص والنضال الشجاع والسير المتواصل :

(۱) قصيدة ”علمائے سوء کے نام“ (إلى علماء سوء)، ديوان جالب، ص ۱۶۵

(۲) قصيدة ”مولانا“ (حضرة الشيخ)، المرجع نفسه، ص ۱۶۶

کردوں کیوں نہیں مل کر فلسطین کیلئے لڑتے
دعا ہی سے فقط کثرت نہیں زنجیر مولانا^(۱)

آی: ”نحن عشرات الملايين، فلم لَم نقاتل أيها الواعظ من أجل
فلسطين، فالسلاسل لا تنكسر بالأدعية فقط“.

ولا يغفل حبيب جالب ساعةً عن قضايا الوطن وكانت نظرتُه الثاقبة تتابع ما تمكّره
البلاد المستعمرة ضد أرض الوطن ويرى أن سياسة البلد الخارجية التي تهمها إرضاء الغرب
تخلق بيننا وبين أصدقائنا فجوة تتسع يوما فيوما:

درس	خودی	دینے	والوں	کو
بھول	گئی	اقبال	کی	یاد
ملک	کے	دشمن	کہلاتے	ہیں
جب	ہم	کرتے	ہیں	فریاد ^(۲)

آی: ”نسي الإباء من ذكرنا بفلسفة إقبال. واتهمنا بعداوة الوطن
لأننا جهرنا بالحق“.

ولا يغفل عن دعم الاستعمار الغربي للاستبداد القابع في العالم الشرقي، ويرى أن
الحكومة الاستبدادية المحلية تستمد طاقتها وقوتها من القوى الاستعمارية الكبيرة التي تلعب
بنا معاييرها المزدوجة لتستهلك ثروات بلادنا وخيراتنا، بل يعلن صراعه المتواصل ضده:

مغرب کے چہرے پر یاد اپنے خون کی لالی ہے
لیکن اب اسکے سورج کی ناؤ ڈوبنے والی ہے
مشرق کی تقدیر میں جب تک غم کے اندھیرے ہیں
اپنی جنگ رہے گی^(۳)

(۱) قصیدہ ”مولانا“ (حضرت الشیخ)، دیوان جالب، ص ۱۶۶

(۲) قصیدہ ”میں خوش نصیب شاعر“ (انا شاعر سعید الحظ)، المرجع نفسه، ص ۲۷

(۳) قصیدہ ”اپنی جنگ رہے گی“ (سطل فی کماح)، المرجع نفسه، ص ۱۳۴

أی: "إن احمرار وجه الغرب بسبب دمائنا التي استقاها إلا أنه اقتراب أقول نجمة وسنظل نناضل ما دامت طلعات الهموم تحاصر الشرق".

ویرى مصلحة البلد في التناهي عن الإنجليز، لأنه ماكر بطبعه والتاريخ يشهد بذلك أيضا، وليس من شيعته إلا الغدر والخيانة:

انگریزوں کے پٹو کھلاؤ نا
امریکہ کے تگے سہلاؤ نا
آج تلک ان کے دھوکے کھائے ہیں
اور مگر انکے دھوکے کھاؤ نا^(۱)

أی: "لا تکتسوا سمعة عملاء الإنجليز، ولا تلعقوا أقدام أمريكا، إنهم خدعونا كثيرا، فلا تنخدعوا بهم الآن"
وینادی الشعب إلى الکفاح ضد الاستعمار وعملائه:

امریکہ کے ایجنٹوں سے ملک بچانا ہے ہم کو
گلی گلی آزادی کا دیپ جلانا ہے ہم کو^(۲)

أی: "سنسعى لتحرير البلاد من عملاء أمريكا، وسنشعل مشاعل الحرية في كل ضواحيه".

ویرى أن الاستعمار مارال يسيطر على بلادنا عن طريق الطبقة البيروقراطية التي رباها أثناء احتلاله:

نوکر شاہی اصل میں پیارے انگریزوں کی لعنت ہے
اس انگریزی لعنت کا ہر اک نقش مٹانا ہے ہم کو^(۳)

أی: "إن الطبقة البيروقراطية داء ورثناه من الحكم الإفرنجي وعلينا محو كل أثر لحكمهم".

(۱) قصیدہ "اپنی جنگ رہے گی" (کماحنا سینمر)، دیوان جالب، ص ۱۳۴

(۲) قصیدہ مذکور عنوان، المرجع نفسه، ص ۱۷۳

(۳) المرجع نفسه

ویری ال دیون عارا علی جبهه الشعب لأنها تفقده الاحترام بین الأمم والشعوب:

آزادی کے سر پہ خاک نہ ڈالو

بھیک نہ مانگو^(۱)

أي: "لا تدسوا كرامة الحرية، وكفوا عن التسول".

ويكرر المعنى نفسه في موقف آخر وخاصة بعد ما بدأ الحكام يكثرون من زياراتهم

لأمريكا والبلاد الغربية من أجل الحصول على ديون:

امریکہ سے مانگ نہ بھیک

مت کر لوگوں کی تفحیک^(۲)

أي: "لا تتسول من أمريكا، ولا تهن الشعب"

ومن الجلي أن الشاعر يعتقد أنه من أسباب ضعف الوطن الإسلامي ميل الحكام المسلمين إلى النزعة الغربية، بينما هو الأصل لكل مرض أصيب به الوطن، فكان حكامنا يداووننا بما هو داؤنا. ويرى أن موالاة الحكام المسلمين لحكام القوى الاستعمارية أكبر سبب لتدهور البلاد وتخلفها، فديوانه مليء بنقد لاذع مباشر موجه إلى الحكام المستعمرين ويعتبرهم طغاة العالم الذين لا يهمهم سوى بيع وتوزيع أدواتهم الحرية لتقوية طروفيهم الاقتصادية.

ومن الطبيعي أن تفرض قضية دور الجيش نفسها على البحث الذي يعتبر أكبر خطر على النظام الجمهوري والديمقراطي السائد في البلاد، وكان تدخل الجيش أكبر عائق لتطور النظام الديمقراطي الذي يؤمن به الشاعر وقد دأب الجيش الوطني على تخطي حدوده الدستورية والتوسع على عرش الحكم والتحكم في مصير الناس دون شرعية ممنوحة له. وبذلك تحول الجيش الذي يفديه كل مواطن أداة تسلط لطائفة مستبدة:

(۱) قصيدة "بھیک نہ مانگو" (احذروا التسول)، ديوان جالب، ص ۱۳۷

(۲) قصيدة "پاکستان کا مطلب کیا" (مادا تعني پاکستان)، المرجع نفسه، ص ۱۶۰

یہ فسانہ ہے پاسبانوں کا
چاق و چوبند نوجوانوں کا
سرحدوں کی نہ پاسبانی کی
ہم سے ہی دلو لی جوانی کی^(۱)

أی: ”مغزی قصہ هؤلاء الفتية النشاط أنهم غفلوا عن دفاع حدود الوطن وطلبوا منا الثناء على فتوتهم“.

ومن هذا المنطلق لم يرض بما حدث في البنغال وسقوطها من أكبر الكارثات التي مرت بها باكستان حين فقد الجزء الشرقي نتيجة ثورة شعبية أذكى جذوتها العدو اللبیب وتمكن من إحداث خلافات بين الجزئين الشرقي والغربي وكان لهذا الحدث وقعه العميق في نفس الشاعر ولم يرض من قبل الحكومة استخدام الجيش لإخماد الثورة لأنه يزيد حدة الأزمة ويلهب نار الغضب في نفوس الإخوان البنغاليين وحدث بالفعل ما خشيه الشاعر وأهرقت الدماء البريئة فقال:

اس نے کہا خوںخوارو!
دولت کے پرستارو
دھرتی ہے یہ ہم سب کی
اس دھرتی کو نادانوا
انگریز کے دربانو
صاحب کی عطا کردہ
جاگیر نہ تم جانو^(۲)

أی: ”قالت: أيها القاتلون، يا عبدة الأموال، ويا حجاب الإفرنج، إنها أرضنا جميعا فلا تحسبوها ملكا موهوبا لكم من الإفرنج“.

(۱) قصیدہ ”داستان دل دو نیم“ (قصہ القلب الحزین)، دیوان جالب، ص ۲۵۵

(۲) قصیدہ ”ماں“ (الأم)، المرجع نفسه، ص ۱۹۲

وظلست سولا تنزال - طبقات معينة عرضة للاضطهاد مثل العمال والفلاحين والنساء. ومن أعم أشكال الاستبداد الاضطهاد الاقتصادي وعادة تقع طبقة العمال والفلاحين ضحيته دون تفريق عصر ومصر. وظل حبيب جالب يرفع صوته لحق الطبقات التي تعيش بين رحي الطاحن، قال وهو يؤيد العمال:

یہ دھرتی ہے اصل میں پیارے مزدوروں دہقانوں کی
اس دھرتی پر چل نہ سکے گی مرضی چند گھرانوں کی^(۱)

أى: "إنها أرض العمال والفلاحين الأحياء، ولن تخضع لسيطرة
أسر معدودة".

ويجهر صوته لطبقة العمال والفلاحين، وليس الكفاح في رأيه من أجل تحرير رقبة
الفلاحين من بطشة الجبارين أمرا سهلا، بل يعاني الساعي مخالفة شديدة من الطبقات
المستبدة:

لوگ اٹھتے ہیں جب تیرے غریبوں کو جگانے
سب شہر کے زردار پہنچ جاتے ہیں تھانے
کہتے ہیں یہ دولت ہمیں بخشی ہے خدا نے
فرسودہ بہانے وہی افسانے پرانے
اے شاعر مشرق! یہی جھوٹے یہی بد ذات
پیتے ہیں لہو بندہ مزدور کا دن رات^(۲)

أى: "كلما حاول البعض إيقاظ الفقراء بشكوكهم أصحاب الثروة
إلى الشرطة مستدلين بحججهم الواهية القديمة وهي أن ثروتهم نعمة إلهية لا
يشاركها أحد باسم الإنسانية. يا شاعر الشرق (العلامة إقبال) هؤلاء
الكذابين يرتوون دماء العمال الأبرياء ليل نهار".

(۱) قصيدة بلا عنوان، ديوان جالب، ص ۱۷۵

(۲) قصيدة "يوم إقبال پر" (بمناسبة ذكرى إقبال)، المرجع نفسه، ص ۲۲۶

والوضع الذي يتحدث عنه الشاعر خيبة آمال الشهداء الذين سقوا بدمائهم الطاهرة أرض باكستان لتكون حرثاً تفتح فيه أزهار العدل والسلام والاحترام، ولكنها سرعان ما أصابته يد طاغية، وحرّم الفلاح حقه وغصب حرثه وأرضه، وبذلك خابت تلك الأحلام، فالشاعر عندما يرى اغتصاب الإقطاعيين والرأسماليين حقوق الفلاحين والعمال^(١) يدرك أنه لم يتحقق المأمول من إنشاء باكستان أي إقامة دولة إسلامية عادلة، وأن طائفة معينة بدأت تمتص ثروة البلد بعد إحكام سيطرتها على الوطن يدعو المظلومين في قصيدته "باكستان كما مطلب كيا" (ما معنى باكستان) إلى النهوض ونزع حقوقهم المسلوبة من قبضة المستبدين، يقول:

كھیت	وڈیروں	سے	لے	لو
لمیں	لٹیروں	سے	لے	لو
ملک	اندھیروں	سے	لے	لو
رہے	نہ	کوئی	عالی	جاہ
پاکستان	کا	مطلب		کیا
لا	الہ	الا		اللہ ^(٢)

أي: "انزعوا المزارع من الإقطاعيين، واسلبوا المصانع من الرأسماليين الغاصبين، لنحرر البلد من الظلام ولنكسر تسلط الكبار، فلم يكن هدف باكستان إلا "لا إله إلا الله".

ومن الطبقات المضطهدة طبقة النساء، وأولى الشاعر قضية المرأة وحقوقها المسلوبة اهتمامه الخاص، فالمرأة بصفة عامة والمرأة الهندية بصفة خاصة عاشت -وما زالت تعيش- تحت أرواح تقاليد ظالمة واستغلت حقوقها بطريقة أخرى. وتغنى الشاعر في قصائد متعددة بعظمتها، ومكانتها ورسم لنا صورة مؤثرة لوضعها المؤسف في المجتمع الشرقي والاضطهاد الذي تعاني منها في قصيدته المعنونة بـ "المرأة" ويطالبها بالكفاح ضد كل قوة طغت عليها وسلبت حقوقها. فيستنهض النساء للكفاح من أجل حقوقها:

^(١) "جالب بٹی"، بالأردية، ص ١٥

^(٢) قصيدة "یوم اقبال پر" (مناسبة ذكرى إقبال)، ديوان جالب، ص ٣٢٦

بازار ہے وہ اب تک جس میں تجھے نہ جایا
دیوار ہے وہ اب تک جس میں تجھے نہ چنایا
دیوار کو توڑیں، بازار کو آ ڈھائیں
انصاف کی خاطر ہم سڑکوں پہ نکل آئیں^(۱)

أی: "لا تزال السوق التي أجبرت فيها للرقص رائجة، والجدار الذي نصبت فيه ما زال قائما، هيا بنا نتقدم لهدم هذا الجدار وتدمير هذه السوق، هيا بنا نخرج على الشوارع من أجل العدل".

وَأجل ما يلاحظه القارئ أنه ظل في كفاحه المقاوم صافي الذهن مستقر النفس لا يشوب فكره ريب ولا يزعزع وجوده حائل، يفتخر بفنه ويعتز بدوره:

میرے ہاتھ میں قلم میرے ذہن میں اجالا
مجھے کیا دبا سکے گا ظلمتوں کا پالا
مجھے فکر امن عالم تجھے اپنی ذات کا غم
میں طلوع ہو رہا ہوں تو غروب ہو رہا ہے^(۲)

أی: "بيدي قلم، وفي فكري نور لا يقهرني من ربه الظلمات. يهمني أمن العالم وتهمك مصلحتك الشخصية. بدأت أطلع وأوشكت على الأفول".

ویقینہ بصلاح موقفه هو الذي يحرضه على دفع أي تضحية من أجل رسالته فتمكن من الوقوف في وجه المستبد دون أدنى خوف. ويلوح للشاعر المقاوم ما يؤول إليه الاستعداد من فناء، فيحرض المضطهدين على الثبات والتمسك بالصبر ويقول:

آخری رات ہے یہ سر نہ جھکانا لوگو
حسن ادراک کی شمعیں نہ بجھانا لوگو

(۱) قصیدہ "عورت" (المرأة)، دیوان جالب، ص ۲۰۱

(۲) قصیدہ "یہ وزیران کرام" (هؤلاء الوزراء الكرام)، المرجع نفسه، ص ۱۱۲

انتہا ظلم کی ہو جائے وفا والوں پر
غیر ممکن ہے محبت کو مٹانا لوگو^(۱)

أي: "إنها الليلة الأخيرة، فلا تخضعوا أيها الناس، ولا تطفئوا
حسن الإدراك وإن بلغ الظلم على أهل الوفاء متناه، إنه لا يمكن محو الحب
أيها الناس."

وهو طيلة مسيره الشعري والسياسي وثيق الأمل ويتتابه شعور قوي بأن كفاحه
سيسفر عن أفول الليل المظلم وسينجلي صبح وضوء:

نکلتے کو ہے آفتاب سحر
شب تار ہے بس کوئی اور دم
مٹا کر اندھیروں کا نام و نشان
اجالوں کی بستی بساکیں گے ہم^(۲)

أي: "أقرب بزوغ شمس السحر وسينجلي الليل المظلم، وسنقيم
قرية الأنوار والأضواء بعد ما نحو الظلمات."

وتحديه صارخ وعلني ويسخر من ذوي الظلم الذين يستهزئون ويتكبرون قائلا:

اے شب تار کے نگہبانو!
شمع عہد زیاں کے پروانو
شہر ظلمت کے ثنا خوانو
شہر ظلمات کو ثبات نہیں
اور کچھ دیر صبح پر ہنس لو
اور کچھ دیر، کوئی بات نہیں^(۳)

(۱) قصیدہ "لوگو" (ایہا الناس)، دیوان جالب، ص ۲۱۸

(۲) قصیدہ بدون عنوان، دیوان جالب، المرجع نفسه، ص ۴۴

(۳) قصیدہ "شہر ظلمت کو ثبات نہیں" (لا ثبات لمدينة الظلم)، المرجع نفسه، ص ۱۱۹

أی: ”اسمعوا یا حراس اللیلة الظلماء، ویا عشاق العهد الضائع،
و یا مداحی مدینة الظلم والظلمات، لا بقاء لمدينة الظلمات، فلتضحکوا
قلیلا علی الصبح، ولتستهزئوا به قلیلاً“.

یبدو کثیر الخاطر عندما یصف مشاكل الفقر والغلاء فی عصره دون أن یجد حاکما یعالجها:

اس زمانے کی کیا لکھوں روداد
خوف، مہنگائی، جبر و استبداد^(۱)

أی: ”مساذا أکب من حکایة هذا العصر سوى الخوف والغلاء
والفسر والاستبداد؟“.

إلا أنه وطید الأمل بطلوع صبح منیر مهما طال الزمن القاسی:

بھلے گا ظلم کا پرچم یقین آج بھی ہے
مرے خیال کی دنیا حسین آج بھی ہے^(۲)

أی: ”یقیناً أن علم الظلم سینخضع لا محالة، وعالم فکری لم
یزل حمیلاً“.

و یوقن أشد الإیقان بأن کفاحه سیفسر عما یسر المظلومین فی نهاية المعركة و یعيد علی
شفاهم بسماتهم المفقودة:

اس خزاں کو مٹائیں گے ہم ہی
نصل گل لے گے آئیں گے ہم ہی^(۳)

أی: ”نحن الذین سیمحون الخریف ونحن الذین سیمیدون الربیع“.

(۱) قصیدة ”داستان دل روئیم“ (قصۃ القلب الحزین)، دیوان حالب، ص ۲۲۵

(۲) قصیدة بدون عنوان، المرجع نفسه، ص ۱۷۵

(۳) قصیدة ”داستان دل روئیم“ (قصۃ القلب الحزین)، المرجع نفسه، ص ۲۲۶

وسر تائیر شعره یکمن فی تعبیراته السهله التي سرعان ما جرت علی ألسنة الناس
هتافات وشعارات وله میزة خاصة وهي أنه یصرح بحقیقة كبيرة فی عبارات سهله تخاطب
الشعور والفکر معا ، تأمل وهو یشیر إلى الحقوق الإنسانية الأساسية :

بات یہی ہے بنیادی
لوگوں کو ہو آزادی^(۱)

أی: ”الأساس هو أن الحرية للجميع“. أو یصور احتلال إسرائيل
على أرض فلسطين:

کل جو مہمان تھے گھر کے مالک بنے^(۲)

أی: ”احتل البيت من نزلہ ضیفاً فی أمس“. ویصور هزيمة الباطل
وانتصار الحق قائلاً:

ظلمت کہاں ٹھہری ہے اجالوں کے مقابل^(۳)

أی: ”أنی للظلمة أن تقاوم الأنوار“.

وهكذا عاش حبيب جالب شاعراً مقاوماً ثورياً، لم يدانہ الخوف من قريب أو بعيد،
وأدرك أن حب شعبه إياه بسبب صدق كلمته:

بہت مشکل مری پہچان ہوگی

بدل ڈالوں اگر میں اپنا لہجہ^(۴)

أی: ”لقدت هويتي لو غيرت لهجتي“

والسمعة الطيبة أغلى من أي ثروة مادية، ويعيش الشاعر بين شعبه ولو مات
جسدياً، بفضل صدقه وإخلاصه:

(۱) قصيدة ”پاکستان کا مطلب کیا“ (ماذا تعني باكستان)، ديوان جالب، ص ۱۶۲

(۲) قصيدة ”اے جہاں دیکھ لے“ (فلتشهد أيها العالم)، المرجع نفسه، ص ۲۰۷

(۳) قصيدة ”گوشتے میں نفس کے“ (في زاوية من المعتقل)، المرجع نفسه، ص ۲۲۷

(۴) المرجع نفسه

ہر پھول کے لب پر نام مرا چرچا ہے چمن میں عام مرا
شہرت کی یہ دولت کیا کم ہے گر پاس نہیں مال تو کیا^(۱)

أی: ”أغنائي عن كل شيء أنني أجد كل زهرة في بستان الوطن
تتهافت باسمي، أني المال أمام هذه الثروة العظيمة“؟

إلى هذا الحد كان يؤمن بعظمة دوره وعلو رسالته، عاش معتزاً بكرامة فنه مفتخراً
بسمو رسالته ومؤمناً بصدق موقفه، ويرفض دور شاعر يسخر فنه ليقبل عطايا من القصور:

رہنے کو گھر بھی مل جاتا، چاک جگر بھی سل جاتا
جالب تم بھی شعر سناتے جا کے اگر درباروں میں^(۲)

أی: ”لو كنت من وادي القصور لإسماع الأبيات لامتلكت بيتاً
ولما انشق جيبی“

ويعرف سر قوته وهو أنه من الشعب، ففنه مسخر لقضاياه:

ہر عہد میں رہا ہوں میں لوگوں کے درمیان
میری مثال دے میرا کوئی جواب لا^(۳)

أی: ”عشت طيلة العصور بين الناس، هل بإمكانك أن تأتي بمثل
لي“.

ولا يرغب في شيء بعد هذا الحب والتقدير من قبله، إنه عن تقطع رؤوسهم لكنهم
لا يخضعون أمام الجبابة، ويرضى الشاعر بهذه التضحية مسروراً:

دل کی کچھ پروا نہیں، زخم جگر کا غم نہیں
غم اگر ہے تو وطن کا، ہم کو گھر کا غم نہیں

(۱) قصیدہ بدون عنوان، دیوان جالب، ص ۴۴

(۲) قصیدہ بدون عنوان، المرجع نفسه، ص ۴۳

(۳) قصیدہ بدون عنوان، المرجع نفسه، ص ۱۶۸

اس جہاد زندگی میں ہم تو سمجھے ہیں یہی
وہ بشر ہی کیا جسے نوع بشر کا غم نہیں^(۱)

أی: ”لا أبالي بما أصاب قلبي من جروح وآلام. وما اكتشائي من
أجل بيتي وإنما من أجل أرض الوطن، ولم ندرك في كفاحنا غير حقيقة
وهي أن البشر من شعر بالآلام إخوته“.

وہو غیر مبال بما یلقى من ألوان التخويف والتهديد:

مرے جنوں کو نہ پہنا سکو گے تم زنجیر
نہ ہو سکے گا کبھی تم سے میرا ذہن اسیر^(۲)

أی: ”من المستحيل أن تأسروا لوعتي بسلاسل ومن المستحيل أن
تأسروا فكري“.

نہ دے سکے گی سہارا تمہیں کوئی تدبیر
نہا تمہارا مقدر، بقا میری تقدیر^(۳)

أی: ”من العبث اتكاؤكم على مكر وحيلة، كتب لي الخلود وكتب
عليكم القضاء“.

ومن الصعب العسير على باحث في حياة شاعر كجالب اختيار نماذج لشعر المقاومة
من شعره، فشعره - بدءاً من دواوينه وقصائده التي توحى بإيماءات الثورة والمقاومة وانتهاءً
إلى لغته وأساليبه - دعوة قوية ومدونة تاريخية وصرخة متعالية وثورة طاغية في وقت واحد.

ولعل هذه التنفيسية تكفي حق الكفاية لنحكم دون تعسف أو مبالغة بأن شعره
حدد ملامح شعر المقاومة والثورة باللغة الأردنية خلال النصف الثاني من القرن العشرين،

(۱) قصيدة ”گوشتے میں قفس کے“ (في زاوية من المعتقل)، ديوان جالب، ص ۲۲۷

(۲) قصيدة ”ضابطہ“ (القانون)، المرجع نفسه، ص ۳۲۲

(۳) المرجع نفسه

النصف المليء بالأحداث السياسية الكبرى والثورات الشعبية والأدبية التاريخية. وهذا الشعر جعله أوضح علم في مجال الشعر الأردني الثوري وتظهر فيه سمات الشعر الثوري الأردني بكل جمالها وقوتها وهو الذي منح للركب المقاوم جهة بدأت تسير إليه.

وأول ما يلمحه القارئ لشعره هو أن شعره ليس نتاج خياله وفكره وإنما يعكس ما رأى في واقعه وظروفه في قالب الأشعار^(١)، فلم يشأ لنفسه أن يفر من عالم الحقيقة البائس ويعيش في وادي الفكر المتخيل "ويكمن سر النغمة الحزن العميق في صدقه وإخلاصه"^(٢). ويتميز شعره بمعانيه المنفردة^(٣) وهو الذي حدّد أطراً معينة للشعر في باب المقاومة كان لمن خلفه أن يحذو حذوها في حدودها. فشعره تعكس لنا صورة كاملة لعصره ومجتمعه وظروفه وكلماته اشتدت ألوان الطغيان اشتدت لهجة الشاعر وكلماته بولغ في تكريم المستبد كلما تحولت لهجة الشاعر إلى التهمك ليفضحه، متهمكاً ومتحدياً ومقاوماً.

إن حب الوطن الجديد - الذي تحمل جيل الشاعر مصائب عظيمة من أجل تأسيسه وعبر بحاراً من الدماء والنيران من أجل سجدة على أرضه الطاهرة - كان ملك فؤاده وأسر قلبه، فهو أغلى شيء لديه وكرامته أشد من كرامة أي شيء آخر، فلا يرضى بأن تدنسه يد مستبد أو تصيبه عين ظالم، أو تمزق رداءها بطشة، فإنه كلما رأى انحرافاً أو عدولاً عن حاكم انفجر بركان شعره الثائر. يتابع كل حدث صغير وكبير غير وإن عنه ساعة ما يتأمل الآثار المستقبلية لها ويكشف المخاطر الدفينة فيها. وبذلك جاء شعره شعر الفرد والمجتمع والشعب والوطن في وقت واحد.

بالإضافة إلى شعره الذي أثار حماس الشعب وغضب الحكام في وقت واحد سجل التاريخ له مواقف جريئة بين أيدي الحكام ورفع كلمة الحق في وجوههم. منها أن رئيس الوزراء الإقليمي جاءه في المستشفى عائداً، فاستأذنه في أن تقوم الحكومة بإرساله إلى لندن وتنحمل كل نفقات العلاج والسفر، فرفض قائلاً: "لم نجتهد من أجل أن نساfer إلى الخارج

(١) "جيب جالب: شخصيت اور فن"، بالأردنية، (جيب جالب: الشخصية والأدب)، ص ٨٥

(٢) قصيدة "ضابطه" (القانون)، ديوان جالب، ص ٣٢٢

(٣) "جيب جالب: شخصيت اور فن"، بالأردنية، (جيب جالب: الشخصية والأدب)، ص ٨٥

ونتعالج في مستشفيات فاخرة وإخوتنا يموتون في وطنهم تألما وبحشا عن قرص وحية". وتكرر منه نفس الموقف مع رئيسة الوزراء السيدة بينظير بوتو التي قد عادته في المستشفى.

تخلو قصائده من شكوى شخصية وهذه دلالة واضحة على أن ثورته على المستبد غير ناتجة عن حرمان شخصي في حياته وليست بانتقام ذاتي من المجتمع لشيء سلبه إياه، وإنما هي ثورة محضة من أجل الحق والعدل والكرامة الديمقراطية. ومن أجل كفاحه ردّ المناصب وأرجع الأموال وضحى بماله ودمه وجسمه وحياته، بل حرم نفسه أفراحه، ولم يجعل أحدا موضع ضعف له.

فالشاعر حبيب جالب الشاعر وضع فنه وبلغته لخدمة قضية وطنه وحقوق شعبه المسلوب، وعاش في وادي الحقائق بدلا من عالم الأحلام فاتسم شعره باليسر والسهولة فكان من الطبيعي أن تذهب أشعاره هتافات سياسية وشعارات شعبية، وهذا حدث بالفعل وما زال موجودا. وقد دفعت الصراحة والمباشرة في شعره عددا كثيرا من النقاد إلى الطعن في شعره، ولكن دون أن يحيط ذلك من قيمة شعره الأدبية والسياسية. وكان ذلك عن إرادة منه، يقول: "ما وددت لنفسي أن يخلد اسمي في تاريخ الأدب، بل إن أقصى ما أتمناه هو أن أبقى حيا عزيزا في قلوب الناس."^(١) فلعله كان وجد في التقاليد المصطنعة في ذلك الوقت أسبابا تبعده عن الشعب ولم يجد فيها متنفسا إلا أن شعره لم تكن ثورة على التقاليد الأدبية بشكل من الأشكال، بل تقيد بالألوان والأساليب الشعرية الكلاسيكية.

فإذا كان شعر جالب المقاوم متسما بنزعة خطائية ولهجة صارخة حيث أثر الصراحة والمجاهرة ليعبر عما يفيض داخله من مشاعر وآلام وخواطر فإن الشاعر فيض أحمد فيض هو صاحب النزعة الرومنسية الهامسة حيث وجد في أساليب الاستعارة والكنائية متنفسا ليكافح الاستبداد. فكان شعر أولهما صرخات عالية تشق الأجواء لتعود أصداء وشعر فيض كان همسات صامتة تخاطب القلب والعقل وتحدث في الوجدان موجات من الاضطراب المحرصة على الخروج على الطغيان والاستبداد.

(١) "حبيب جالب: شخصيت اور فن"، بالأردنية، (حبيب جالب: الشخصية والأدب)، ص ٨٥

المبحث الثالث . أحمد فراز ومقاومة الاستبداد

يعتبر أحمد فراز أكثر الشعراء الأردنيين شهرة وقبولا في الربع الأخير من القرن العشرين بعد محمد إقبال وفيض أحمد فيض، انفرد عن معاصريه بمنحه للتشبيهات التقليدية والاستعارات القديمة لونا جديدا.^(١)

ويسود دواوين فراز وشعره جو ثوري محض يثير همم المظلومين ويتحدى جبروت الطغاة ويمزق نقاب القداسة والشرعية الذي يرتدونه لتحليل ما حرم وتحريم ما أحل كما توفر للباحثين مادة خصبة لعشرات البحوث في موضوع مقاومة الاستبداد من منظورات مختلفة.

ولد في ١٢ من فبراير سنة ١٩٣١م،^(٢) بمدينة كوهات، إحدى مدن إقليم خيبر بختونخواه بباكستان. بدأ حياته العملية محاضرا بجامعة بيشاور ثم قضى حياته موظفا وعاملا بدوائر أدبية وثقافية رسمية^(٣) منعزلا عن نشاط سياسي عملي جدير بالذكر ومكتفيا بيث شعره الذي ينم عن رسالة العدل والمساواة والحرية، باستثناء فترة الجنرال ضياء الحق التي أثر قضاء ثلاث سنوات منها في بلاد أوروبية.^(٤)

(١) "انسائيكلوبيديا ادبيات عالم"، بالأردية، (موسوعة الآداب العالمية)، مجموعة من الباحثين، إصدار: أكادمي ادبيات

پاکستان اسلام آباد، (أكاديمية الأدب بباكستان، بإسلام آباد)، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٨٠٩

(٢) "احمد فراز: شخصيت اور فن" (أحمد فراز: الشخصية والفن)، بالأردية، محبوب طفر، أكادمي ادبيات

پاکستان اسلام آباد، (أكاديمية الأدب بباكستان، بإسلام آباد)، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٥٨

(٣) عمل مديرا عاما لأكاديمية الأدب الباكستانية من ١٩٧٦م إلى ١٩٧٨م ثم رئيسا لها من ١٩٨٩م

إلى ١٩٩٠م وعمل مديرا تنفيذيا لبيت الثقافة المحلية من سنة ١٩٩١م إلى ١٩٩٣م وتولى منصب

الإدارة العامة لأكاديمية الكتاب الوطني من سنة ١٩٩٤م إلى سنة ٢٠٠٥م. انظر: "احمد فراز:

شخصيت اور فن" (أحمد فراز: الشخصية والفن) بالأردية، ص ١٧

(٤) "انسائيكلوبيديا ادبيات عالم"، بالأردية، (موسوعة الآداب العالمية)، ص ٤٣٥

منحته جامعة كراتشي شهادة الدكتوراه الفخرية اعترافاً بمخدماته الأدبية كما نال عدة جوائز^(١) محلية ودولية. ومنحته الحكومة الباكستانية وسام الامتياز سنة ١٩٩٤م^(٢) الذي رده لاحقاً لإظهار احتجاجه على سياسة الحكومة العسكرية في بداية القرن الواحد العشرين كما استقال من منصب الرئاسة لبيئة الكتاب الوطني، وتوفي سنة ٢٠٠٨م.^(٣)

ويتميز أحمد فراز من معاصريه بلهجته المنفردة ومواقفه الجريئة والتجديد الفني،^(٤) ولم يشأ لنفسه أن يحوم بقلبه وفكره في عالم الخيال فيرسم هناك على السحب صوراً مؤقتة بل ظل على صلة وطيدة بالأرض التي يعيش عليها والبيئة التي هوجزء منها، فكان شعره بذلك خير نموذج للرومانسية والواقعية دون أن يغلب أحدهما الآخر وبذلك اكتسب لنفسه هويتين، الأولى: شاعر الغزل وشاعر الشباب، والثاني: شاعر المقاومة وشاعر الاحتجاج. وسار اللونان في جميع دواوينه جنباً بجنب، كما سيظهر في الصفحات القادمة ويتجلى أثر اللونين في عناوين دواوينه وهي:

١. ديوان "تہاتھا" (وحيدا منعزلاً)
٢. ديوان "رد آثوب" (ألم الخراب)
٣. ديوان "تایفت" (المعدوم)،
٤. ديوان "شب خون"، (هجوم الليل)
٥. ديوان "مرے خواب ریزہ ریزہ"، (أحلامى المحطمة)
٦. ديوان "جاناں جاناں" (حبيبتی)

^(١) منها: "جائزة الدكتور محمد إقبال" التي تمنحها أكاديمية الأدب الباكستانية و"جائزة فراق الدولية" و"الجائزة الدولية للغة والأدب" التي تمنحها أكاديمية الأدب بمدينة تورنتو، و"جائزة الشرف من الولايات الأمريكية المتحدة". انظر: "أحمد فراز: شخصيت اور فن" (أحمد فراز: الشخصية والفن) بالأردية، ص ١٧

^(٢) "أحمد فراز: شخصيت اور فن" (أحمد فراز: الشخصية والفن) بالأردية، ص ٥٨

^(٣) المرجع نفسه، ص ١٧

^(٤) المرجع نفسه، ص ١٧

^(٥) من مقال: "كلام فراز کا مزاحی پہلو" (انجاء المقاومة في شعر فراز)، بالأردية، لقرة العین طارق، من مجلة: "قومی زبان"، الأردنية الصادرة من "انجمن ترقی اردو، پاکستان" (جمعية تطوير الأردية، باكستان) المجلد ٨٤، العدد ١٠، شهر أكتوبر ٢٠١٢م، ص ٤٧

۷. دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (فی طرقات صامتہ)،
۸. دیوان ”تابینہ شہر میں آئینہ“ (مرآة فی المدینة العمیاء)
۹. دیوان ”سب آوازیں میری ہیں“ (ہذہ الأصوات کلہا منی)
۱۰. دیوان ”لیکن انداز موسم“ (ما وراء الموسم)
۱۱. دیوان ”خواب گل پریشان“، (أحلام الزهور المضطربة)
۱۲. دیوان ”غزل بھانہ کروں“ (ألا أنغزل؟)^(۱)

بدأ شعره وهو تلميذ في المدرسة في فترة سبقت إنشاء باكستان بقليل. عرف بشاعر المراهقين فجرت قصائده على ألسنة الفتية والفتيات والفضل في ذلك راجع إلى سهولة اللغة والتراكيب وبراعة الصورة الشعرية التي انفرد بها عن غيره. إضافة إلى شعره الغزلي فقد دأب منذ بداية أمره على تسجيل شكواه على مظاهر الاضطهاد والفسر والجور، وحتى في أمور عائلية وشخصية بسيطة. وكان أول شعره احتجاجا على معاملة أبيه الذي أهدي إليه ملابس أرخص من الملابس التي أهداها إلى أخيه الأكبر ولم يساو بين أبنائه في توزيع الملابس.^(۲) ولم تقتنع نفسه الآية بالتقاليد العائلية السائدة في قبيلته هناك، فتراه يعاتب خطيبته التي رضيت به طاعة لأمر أبيها.

ويجري التياران الغزلي والسياسي معا في جميع دواوينه. وتفور قصائده بحب الوطن وتحمل آلام النفي والسجن من أجل كلماته ضد الاستبداد الطبقي والحكم الجائر. وعاش في حرب مستمرة ضد أنواع الظلم والقهر وخاصة تربع العسكر على عرش الحكم. وإذا كانت بداية تورته ضد الاستبداد الطبقي المنتشر في كل طريق من طرق الوطن فالبحت عن أسبابه

^(۱) ”احمد فراز: شخصیت اور فن“ (أحمد فراز: الشخصية والفن) بالأردية، ص ۱۶

^(۲) قال وهو يسجل احتجاجه على معاملة أبيه الذي اشترى ملابس العيد لأبنائه بمعايير مختلفة:

جب کہ سب کے واسطے لائے ہیں کپڑے سیل سے
لائے ہیں میرے لئے قیدی کا کبل جیل سے

أي: أني اشترى للجميع ملابس جميلة من السوق، بينما أحضر لي بطانية من السجن.

دفعه إلى الثورة على المسؤولين عن هذه الأسباب فتحول شعره إلى ثورة على الاستبداد بجميع ألوانه.

انفجر بركان شعره الثوري في أوائل الستينيات وخاصة "عندما قامت الحكومة بتعطيل البرلمان والمجلس الوطني وضائق الأرض على معارضي الحكم العسكري وألصقت تهم الخيانة والغدر بهم وساد الأجواء صمت رهيب بدرجة أن صوت الحاكم العسكري كان الصوت الوحيد الذي كان يسمع دويه".^(١)

وبداية عهد الجنرال ضياء الحق سنة ١٩٧٧م نهاية للمرحلة الأولى لشعره وبداية للمرحلة الثانية. فرغم أن دواوينه تزخر بتكاوى الشاعر من الاستبداد الاجتماعي والسياسي والديني غير أن لهجته لم تكن شديدة مثلما استندت ولذعت في المرحلة الثانية. والسبب غير خافٍ على من له أدنى إلمام بالتاريخ الباكستاني السياسي إذ جاء هذا العهد الديكتاتوري لبعض من انتسب إلى الأحزاب المعارضة له بمنظر التعذيب وألوان التخويف.

وكان فراز من الجيل الذي شهد ظهور باكستان على خارطة العالم بعد ما دفع آلاف من الأنفس البريئة ثمنًا للحرية، وكان ممن يملأ صدورهم فيض من أحلام معلقة بالحرية فكان من الطبيعي أن تكون صرختهم أشد على الفساد الذي سرى في شرايين الوطن الجديد منذ ميلاده بأشكال شتى فبدأ يرفع صوته ضد الاستبداد الاجتماعي وقام محتجا بشعره ضد اضطهاد الطبقات السفلى على يد الطبقات العليا.

ولعل مظاهر الاستبداد الاجتماعي السائدة في الوطن الجديد هي التي بعثت الشاعر فراز يرفع شكواها إلى روح مؤسس باكستان:

^(١) "مارشل لاء، آئین اور عدالتیں"، (الحكم العسكري والدستور والمحاكم)، بالأردية، مير خدا بخش

جاہ ومنصب کے طلب گاروں نے یوں ہاتھ بڑھائے
کوئی دامن بھی سلامت نہ رہا تیرے بعد^(۱)

أي: ”أيها القائد، مد الطماعون في المناصب والشهرة أيديهم
بطريقة مزقت ثياب الجميع“.

وقصيدته ”اے بھوکی مخلوق“ (أيها الخلق الجائع) أول احتجاج صريح ضد الوضع
القاسي الذي عاش فيه أبناء وطنه الأبسي، الوضع الذي لا يختلف عن عهد قبل الحرية
والقصيدة هذه تهكم ساخر بشعب بئس جائع يستعد للرقص ليحتفل بيوم الحرية رغم أن
الحرية ملوثة والإبادة مفقودة:

پھر بھی پاؤں میں زنجیریں ہاتھوں میں کٹکول
کل بھی تجھ کو حکم تھا آزادی کے بول نہ بول
آج بھی تیرے سینے پر ہے غیروں کی بندوق
اے بھوکی مخلوق^(۲)

أي: ”عجبا أمرک أيها الخلق الجائع، رغم مضي سبع سنوات على تحريك
أراك مغلول الأقدام وتحمل بيدك كأس التسول، حرمت حرية التعبير
بالأمس، واليوم أرى غيرك سل بندقيته عليك لتبقى ساكنا“.

ويتحير كيف تغلب فئة صغيرة شعبا كبيرا يتجاوز عدده ملايين فتحرم فلاحيه
وعماله حقوقهم الأساسية وتنتهب منهم خيراتهم الغالية:

میں نہ سو ہزار نہ لاکھ ہیں پورے آٹھ کروڑ
اتنے انسانوں پر لیکن چند افراد کا زور

(۱) قصیدہ ”تیرے بعد“ (بعدك)، دیوان ”شب فخن“ (محووم اللیل)، بالأردنية، للشاعر أحمد فرار،

دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۱۹۹۷م، ص ۷۹

(۲) قصیدہ ”اے بھوکی مخلوق“ (أيها الخلق الجائع)، دیوان ”تہاتہا“، (وحیداً معزلاً)، للشاعر أحمد

فرار، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۱۹۹۸م، ص ۵۸

مزدور اور کسان کے حق پر جھپٹیں کالے چور
اے بھوکی مخلوق^(۱)

أي: ”أيها الخلق الجائع عجباً أمرك، ليس مئات وآلاف، بل عددك ثمانون مليون نسمة ورغم ذلك أرى طائفة صغيرة تسلطت على هذا الجمع من الناس وأرى قطاع الطرق ينهبون أموال العمال والفلاحين“.

ويعصف الشاعر كيف يعيش أبناء وطن زراعي وأرضه الخصبة لا تنبت لهم إلا الجوع والقحط وبفضل احتكار الطبقات المستبدة يبيتون وهم جوع:

کھیت تو سونا اگلیں پھر بھی ہے ٹیید اناج
تیرے دیس میں سب کچھ اور تو غیروں کا محتاج
گوداموں کے پیٹ بھرے ہیں بوجھل ہیں صندوق
اے بھوکی مخلوق^(۲)

أي: ”عجباً لأمر الحقول التي تنبت أرضها الذهب لكنك لا تجد لك غذاء، ويتوفر كل شيء في بلدك لكنك محتاج إلى غيرك. المخازن مليئة والصناديق مثقلة ولكنك أيها الخلق جائع“.

فأي مسوغ للاحتفال بيوم الحرية واليوم الوطني في هذا الوضع المؤلم، ويتحكم بمن ينوي الاحتفال بهذه الأيام في هذه الأوضاع القاسية:

آج گرفتہ دل تو کیوں ہے تو بھی جشن منا
آنسو گر نایاب ہیں اپنے لبو کے دیے جلا
پیٹ پہ پتھر باندھ کے شب نگا ناچ دکھا^(۳)

(۱) قصیدہ ”اے بھوکی مخلوق“ (أيها الخلق الجائع)، دیوان ”تنہاتہا“ (وحیداً منعزلاً)، ص ۵۹

(۲) المرحع نفسه

(۳) المرحع نفسه

أي: ”دع عنك هذا النعي والمأثم وقم واحتفل، فإن لم تجد الدموع
لإشعال السراج فلديك دمك فأشعل السراج به، أما الجوع فانسهِ الليلة،
وقم وارقص عارياً“.

وشكوى فراز من بؤس العمال والفلاحين مستمرة ومتواصلة في شعره، ويكرر
شكوى الشقاء الذي يعانين منه مرات ومرات، فهو يقدس أهمية دورهما قائلاً:

ملوں میں چہرہ مزدور تہمتا ہے
تو کھیتوں میں کسان خون بھرتے ہیں^(۱)

أي: ”تنتور وجوه العمال في المصانع ويروى الفلاحون حقولهم
بدمائهم“. يصف معاناة الفلاح وأزمة حياته على لسانه:

ہم وہ جو کڑی دھوپ میں جسموں کو جلائیں
ہم وہ ہیں کہ صحراؤں کو گلزار بنائیں
ہم اپنا لہو خاک کے تودوں کو پلائیں
اس پر بھی گھروندے رہے ویران ہمارے^(۲)

أي: ”نحن الذين يحرقون أجسادهم تحت الشمس والذين يمنحون
الصحراء جمال البساتين والذين يسقون التراب دماءهم ورغم ذلك الجهد
المضني تبقى بيوتنا تعمرها الوحشة“.

ويرثي لحالة الفلاح الذي تحرمه بد قوۃ يوم حصاده ما زرعه وتسلب منه لقمة عيشه:

ہم روشنی لائے تھے اپنا لہو جلا کر
ہم پھول اگاتے تھے بیٹے میں تھا کر
لے جاتا مگر کوئی فصل اٹھا کر
رہتے تھے ہمیشہ تہی دامن ہمارے^(۳)

(۱) قصیدہ ”سبھی شریک سفر ہیں“ (الجميع شركاء الرحلة)، دیوان ”شب خون“ (مخوم الليل)، ص ۱۰

(۲) قصیدہ ”یہ کھیت ہمارے یہ کھلیان ہمارے“ (حقولنا ورروعتنا)، المرجع نفسه، ص ۸۴

(۳) المرجع نفسه

أي: ”كنا أضأنا النور بعد ما أحرقتا دماءنا، وزرعنا الأزهار بعد ما سقيناها عروقنا ولكن عند الحصاد نزعنا منا يد حصادنا فكنا نبقي لا تملك شيئا“.

وقصيدة ”الجوهري“ تصف حالة بؤس الفقراء وكيفية اضطرابهم وعجزهم الذي يعيشونها كما تكشف الستار عن تلك الطبقات الظالمة التي تستغل بؤسهم لمصالحهم المادية والمالية. والقصيدة هذه عبارة عن لقاء بائس مضطرب يأتي الجواهري لبيع ما يملك من مجوهرات على الفور، فالجوهري الذي أدرك أن البائع صاحب حاجة عرض له ثمن يساوي ربع ثمنه الحقيقي، فيقول المضطر ذلك مضطربا:

مجھ پر روٹن ہے کہ اس جنس گرانمایہ کو
میرے افلاس نے کم نرخ بنا رکھا ہے
دیکھ کر میری نگاہوں میں طلب کی شدت
تو نے انصاف کو نیلام چڑھا رکھا ہے^(۱)

أي: ”أيها الجوهري، أعرف أنه ما رخص هذا الجنس الغالي إلا فقري وبؤسي، وعرفت أنني مضطر ومحتاج فجعلت العدل سلعة تباع وتشترى بثمان بخس“.

کتنے مجبوروں نے بڑھتی ہوئی حاجت کیلئے
کیسے حالات میں کس نرخ یہاں بیچ دیے
کتنے ناداروں نے اس افلاس کے پکر میں
پہلے تو رہن کئے، بعد ازاں بیچ دیے^(۲)

أي: كم من بائس اضطر إلى بيع ذهبه هنا بثمان قليل جدا وكم من مفلس أودع ملكه عندك رهنا، ثم باعها مضطرا“.

(۱) قصيدة ”صراف“ (الجوهري)، ديوان ”تہاتما“ (وحيدا منعزلا)، ص ۸۴

(۲) المرجع نفسه

والمرأة هي أكبر ضحية الاستبداد الاجتماعي والعدوان الرجالي في كل عصر ومصر باختلاف الأساليب والأسباب، فهي تعيش في الجحيم الذي أعده الرجال بشكل قيود وعقوبات وفرائض تحرمه الحقوق الأساسية. ويصف الشاعر فراز معاناتها ويؤس حالها في قصائد شتى، وقصيدته المعنونة بـ "بانو" تحكى لنا قضية البنت بانو التي فقدت نفسها لأنها بالمصادفة علمت بسر يفضح أسرة المفلول المالكة فقتلتها الأسرة المالكة:

کبھی چنی مٹی دیوار میں اتار کلی
کبھی شکفتلا پتھرا کا شکار ہوئی
مگر یہ تخت یہ سلطان یہ بیگمات یہ قصر
مورخین کی نظروں میں بے گناہ رہے
بہ فیض وقت اگر کوئی راز کھل بھی گیا
زمانے والے طرفدار کجکلاہ رہے^(۱)

أي: "رجعت شکفتلا (اسم بنت) تارة ورصفت أنار کلي في الجدار
أخرى ظلمما وقسرا ولكن ظل مؤرخو العصر يبررون كلا من العرش
وصاحب العرش وأزواجه والقصر من كل ذنب وخطأ. وإذا ما حدث أن
كشف الوقت عن سر ظل الناس محايدين".

ويتضاعف ألم الشاعر بهذا الاغتيال المتعسف لما يرى مؤرخ العصر يقدرس الوالي
القاتل ويعلي من شأنه:

ستم کی آگ میں جلتے رہے عوام مگر
جہاں پناہ ہمیشہ جہاں پناہ رہے^(۲)

أي: "ظل الشعب يحترق في تنور الاضطهاد والضييم ولكن ظل
جلالة الملك ذا الجلالة".

(۱) قصيدة "بانو کے نام" (إلى بانو)، ديوان "تہاتہا" (وحيدا منعزلا)، ص ۲۴

(۲) المرجع نفسه، ص ۲۶

والشعور بالآلام الخلق البائس ووصفه بأبرع الصور وأساليب بالغة الأثر ظاهرة تتجلى بكل شدة في جميع دواوينه. فالجور قد أباد خلق الأرض، فالخلق المظلوم سواء وجوده وعدمه فلم يعد بحاجة إلى شريعة نازلة من رب السماء:

اے خدا تری مخلوق
جبر کے اندھیروں میں
دفن ہو چکی کب کی
تیرے آسمانوں سے
نامزد فرشتوں کی
اب سفارتیں کیسی^(۱)

أي: ”رب، لقد الخلق منذ قرون في مدفنه في ظلمات الاضطهاد، فلم تُرسل من السماء ملائكتك المبعوثين؟“

عدم البشر بل فقدت القرية وجودها فلم يعد من البشر من يسكنها بل حلت بها
أنات وآهات لتعمرها ولم تعد الشريعة الإلهية تنفعها لأن الشريعة تنزل للبشر وليست لغيره:

بے	وجود	بستی	میں
اب	لوگ	نہیں	رہتے
سکیاں	سکتی		ہیں
سائے	سر سراتے		ہیں
سورجوں	ستاروں		کی
اب	بشارتیں	کیسی ^(۲)	

أي: ”لم يعد الناس يسكنون القرية التي فقدت وجودها، بل تنن
فيها أنات وتهمس الظلال فما فائدة البشريات بالشمس والنجوم.“

^(۱) قصیدہ ”ناموجود“ (المعدوم)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات صامتة)، للشاعر أحمد

فراز، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۲۰۱۰م، ص ۹

^(۲) المرجع نفسه

پھر مرے مکہ سے پیغمبر
 ہجرت کر کے چلا گیا ہے
 کعبہ کے روم خوردہ بت
 اصنام طلائی
 اپنی اپنی سند پر آیتیں ہیں
 سچ کا لہو
 ان کے قدموں میں
 عنابی قالین کی صورت بچھا ہوا ہے^(۱)

أي: "مرة أخرى، هاجر الرسول من مكتي وغادرها وتربع الأصنام الذهبية على أرائكهم ودم الصدق يفتش تحت أقدامهم كسجادة وردية".

ولم يفصل أثناء مؤاخذته الطبقات المستبدة عن محاسبة عوننة المستبد من الأدباء والشعراء. وقصيدة "الشاعر" بمثابة محكمة مفتوحة لمحاكمة الشاعر في ضوء شهادة الشاعر من جانب ومن جانب آخر توجز دور شاعر بصفة عامة، إنه بدأ حياته الفنية ثم نذرنا في مدح الحكام وتقديسهم وتعظيمهم وسخر منه لأهوائهم ورغباتهم

تصف لنا القصيدة الحالة النفسية الداخلية للشاعر في هذه المرحلة وتبين لنا كيف يخدع الشاعر نفسه ومن يسمعه بزخارف القول فإنه منذ بداية أمره ورغم الإحساس بالحق يحاول إخفاءه بحيلة أو بأخرى والقصيدة ليست حكاية لشاعر أو شاعرين فحسب بل تصور طائفة شعراء السلاط والقصور ومراحل الشعر في أغلب الآداب بدءاً بمرحلة التمدح ومروراً بتكسب مصالح مادية، ونهاية إلى كونه وسيلة للإصلاح. يقول الشاعر أنه في بداية أمره:

جس آگ سے جی آج جل اٹھا ہے اچانک
 پہلے بھی مرے سینے میں بیدار ہوئی تھی

^(۱) قصيدة "دوسری ہجرت" (الہجرة الثانية)، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات صامتة)، ص ۱۰

جس کرب کی شدت سے مری روح ہے بے کل
پہلے بھی مری زیست کا آزار ہوئی تھی^(۱)

أي: "إن النار التي منحت قلبي نورا كانت قد اشتعلت جذوتها من قبل.
والألم الذي أفلقت شدته روحي اليوم كان قد سرى في جسمي من قبل كذلك".

ولكن الشاعر نجح في إخماد هذه الجذوة والضبط على هذا الألم، وبقي على أحواله
يتبه في وادي الأهواء:

وہ درد کہ ہر دور کے انسان نے جھیلا
وہ درد، میرے عشق کا معیار نہیں تھا
وہ زخم کہ ہر سینے کا ناسور بنا تھا
وہ زخم مجھے باعث آزار نہیں تھا^(۲)

أي: "ولم يكن الألم الذي تحمله الإنسان في كل زمن معيارا لمستوى العشق
الذي اخترته، والجرح الذي ألم كل صدر لم يك باعث ألم لي".

فلم يتبه إلى الصوت الذي صدر من أعماق قلبه يفيقه من سباته ويستعيد وعيه ولم
يسنجب لندائه وظل يحوم حول ذاته:

دنیا نے تڑپ کر مرے شانوں کو جھنجھوڑا
لیکن مرا احساس غم ذات میں گم تھا
آتی رہی کانوں میں المناک پکاریں
لیکن مرا دل اپنے ہی حالات میں گم تھا
میں وقت سے بیگانہ، زمانے سے بہت دور
جام دے دینا و خرابات میں گم تھا^(۳)

(۱) قصیدہ "شاعر" (شاعر)، دیوان "تہاتنہا" (وحید منیر)، ص ۹

(۲) المرجع نفسه، ص ۱۰

(۳) المرجع نفسه

أي: "هزتني الدنيا بمنكبي واستفاقتني وكانت قوة الشعور بالألم مفقودة في مصلحة الذات. وكانت صرخات مؤلمة تصطدم بمسامعي ولكن كان قلبي في شغل شاغل عنها. كنت أعيش بنفسى بعيدا عن الزمن ومنعزلا عن الوقت غارقا في عالم الخمر والكأس والعشق والأهواء".

کیف قضی ماضیہ؟ وماذا کان یهمہ؟ وکیف صرف فنہ وماذا اکسب بہ؟ یقول:

دربار کی تفریح کا ساماں تھا مرا فن
ہاتھوں میں مرے ظرف گدا، لب پہ غزل تھی
شاہوں کی ہوا خواہی مرا ذوق سخن تھا
ایوانوں کی توصیف و ثنا اوج عمل تھی
اور اس کے عوض لعل و جواہر مجھے ملے
ورنہ مرا انعام فقط تیغ اجل تھی^(۱)

أي: "كان فني أداة تسلية وطرب للقصور وساكنيه وكنت أحمل بيدي كأس التسول وشفقتاي تترنم أنواع الغزل. وكان مدح الملوك والأمراء سليقتي وكان الثناء على القصور معراج فني ومتهاه. وعوضا عن كل ذلك وكنت أحصل على جواهر ودنانير وإلا كنت أستحق ضرب عنقي".

ویصور تغافلہ عن بنی جلدتہ فی ہذہ الفترۃ الی عاشہا مغمورا مخمورا:

میں کھویا رہا جن ولایت کے جہاں میں
ہر لمحہ اگرچہ مجھے آدم نے پکارا^(۲)

أي: "بت أخوض في الحديث عن عالم الجن والملائكة على الرغم من أن آدم كان يصرخ ويناديني كل لحظة".

ولكن شغله شاغل عن سماع صرخاتهم وآهاتهم.

^(۱) قصيدة "شاعر" (شاعر)، ديوان "تہاتہا" (وحيدا منعزلا)، ص ۱۱

^(۲) المرجع نفسه

میں لکھتا رہا ہجو بغاوت منشوں کی
میں پڑھتا رہا قصرِ قشینوں کے قصیدے
ابھرا بھی اگر دل میں کوئی جذبہ سرکش
اس خوف سے چپ تھا کہ کوئی ہونٹ نہ سی دے^(۱)

أي: "كنت أهجو الثائرين وأمدح ساكني القصور، وإذا ما خطر
بيالي فكرة ثورية أخفيتها مخافة أن يختم علي شفاهي".

ہکذا کان يعيش الشاعر، فما القوة التي حرر الشاعر من هذا العالم الذي أغفله عن
عالمه الحقيقي؟ وما السبيل الذي سلكه الشاعر حتى وصل إلى ما هو عليه الآن؟ يكشف عن
هذا السر:

جس آگ سے بھرپور تھا ماحول کا سینہ
وہ آگ مرے لوح و قلم کو بھی پلا دی^(۲)

أي: "وأخيرا، تجمّع قلعي ولوحي جرعات من تلك النار المتلظية
التي كانت تسعر في صدر البيئة حولي".

وأخيرا نجح الشاعر في فك الحصار القائم حول فكره وتمزيق الغطاء الذي أعماه،
فتار ذلك الشاعر الذي كان في سبات عميق، يقول:

اور آج شکستہ ہوا ہر طوقِ طلائی
اب فن مرادِ دربار کی جاگیر نہیں ہے
اب میرا ہنر ہے مرے جمہور کی دولت
اب میرا جنوں خائفِ تعزیز نہیں ہے

^(۱) قصیدہ "شاعر" (شاعر)، دیوان "تہاتما" (وحیدا منعزلا)، ص ۱۳

^(۲) المرجع نفسه، ص ۱۴

اب دل پہ جو گزرے گی وہ بے تک کہوں گا
اب میرے قلم میں کوئی زنجیر نہیں ہے^(۱)

أي: "وأخيرا زال الطلاء الذهبي الذي سحر العيون، فلم يعد فني مسخرا للقصور وأصبح ملكا وثروة للشهب الذي أنا منهم وهم مني، ولم أعد أخاف العقوبات والبطش، وأن لي أن أصرح بما أشعر دون خوف وبجراً، لأن قلمي تحرر من السلاسل".

ومثلها قصيدته "خير مقدم" (الترحيب) التي تكشف دخائل نفس شعراء العرش ومادحي القصور والمثنيين على الملك خيره وشره، وتصف نفاق قلوبهم. ويستهزئ فيها الشاعر بأرباب البلاغة الذين مهمتهم تجميل ما هو قبيح وتقبيح ما هو جميل إرضاء للحاكم كما تكشف القصيدة طبيعة طائفة الأدباء والشعراء التي تقيم حصاراً منيعاً حول الحاكم وتسخر منها لخدمة الملوك والسادة. ومغزى القصة أنه اجتمع الأدباء ليودعوا واليهم - الذي آن له أن يرحل - بقصيدة نادرة، فاجتمعوا للتفكير فيها وكانوا يصفون عهده بـ:

اگرچہ وہ نوشیرواں کی طرح شہر میں کوکبو بھیس بدلے نہیں پھرتا تھا
مگر پھر بھی ہر سمت امن امان تھا
اگرچہ جہانگیر کی طرح اس نے
کوئی ایسی زنجیر زر قصر شاہی کے باہر نہ لٹکائی تھی
جس کی ہلکی سی جنبش بھی انصاف شاہی میں طوقاں اٹھاتی^(۲)

أي: "كان الأمن يسود رغم أنه لم يتفقد في الطرقات أحوال الرعية متخفياً مثل الملك نوشروان، وكان العدل شيعاً عهده رغم أنه لم يعلق مثل الملك جہانگیر الهندي سلسلة ذهبية علي قصره سلسلة إذا ما حركها مظلوم أثارت موجة من الاضطراب في ديوان القصر".

ہکذا كانوا يصفونه على غير حقيقته فيعلون من شأنه فوق ما يستحق، ولكن حان له الرحيل، فاجتمع جميع الأدباء وفكروا في هدية ليقدموها بمناسبة وداع هذا الوالي، وطال

(۱) قصيدة "شاعر" (شاعر)، ديوان "تنہائیا" (وحيداً منعزلاً)، ص ۱۴

(۲) قصيدة "خير مقدم" (الترحيب)، المرجع نفسه، ص ۵۵

فكرهم وأخيرا توصلوا إلى نتيجة عجيبة وتجلت لهم حقيقة صادقة. وجدوا أنهم أرباب القلم
وفراس الأدب وبإمكانهم طاقات عجيبة :

وہ چاہیں تو اپنے قلم کے اشارے سے
زروں کو ہم رتبہ مہر و مہتاب کر دیں
وہ چاہیں تو اپنے تخیل کے جادو سے
صحراؤں کے خشک سینوں کو پھولوں سے بھر دیں
وہ چاہیں تو اپنے کمال بیان سے
فقیروں کو اورنگ و افسر کا مالک بنادیں^(۱)

أي: ”إنهم إذا أرادوا منحوا ذرات التراب قيمة فجعلوها أرفع من
الشمس والقمر، وملأوا- بقوة بيانهم- صدور الصحاري الجافة
بالأزهار، وهم الذين ببطاقة كلامهم- يجعلون الفقراء سادة المسئولين
الكبار“

فلما تجلّى لهم أن الكمال ليس للوالي وإنما الكمال لهم قرر الأدباء جميعا التراجع
عن إرادتهم ورأوا صياغة القصيدة له ضياعا لوقتهم الغالي الثمين، لأنهم عباد الملك الحاضر
الجالس على العرش، ولا يهمهم أمر الغابر والغارب، فبدأوا يصرفون همهم في البحث
عن قصيدة ليرحبوا بها بالملك الجديد.

انہیں کیا کہ کوئی آئے یا کوئی جائے
کہ ان کا فریضہ تو ہے صرف آقائے حاضر کی خدمت گزاری
کہ ان کا فریضہ فقط تاج اور تخت کی ہے پرستش
تو پھر مصلحت ہے اسی میں
کہ اپنے قصیدوں سے آقائے نو کا کریں خیر مقدم^(۲)

(۱) قصیدہ ”خیر مقدم“ (الترحب)، دیوان ”تہاتہا“ (وحیداً معرلاً)، ص ۵۶

(۲) المرجع نفسه، ص ۵۷

آی: ”لا یعنیهم بحیء أحد أو مغادرة آخر، فلیس من واجبهـم إلا إرضاء السلطان المتریع على منصة الحكم والخضوع لتاجه وعرشه، فرأوا أن مصلحتهم فی ترحیب الحاكم الجدید بقصائدهم“.

وما آل أمرهم إلى هذا الحال إلا لسبب واحد وهو أنه نزع من قلوبهم الشعور بالكرامة، فلا إحساس لشيء بعد ما يموت قلب بني آدم وما أضرب شيء بالشاعر من موت قلبه:

کتنی جائگاہ ہے ضمیر کی موت
کتنا آسان ہے بے وفا ہونا
آدمی کو خدا نہ دکھلائے
آدمی کا کبھی خدا ہونا^(۱)

آی: ”ما أقسى مصرع الإحساس والشعور، وما أسهل الغدر. أسأل الله ألا يفوض أحدا إلى إنسان يتأله ويزعم نفسه إلها“.

والذي يبعث الطمأنينة في نفس الشاعر فراز ويهبه همة عالية ليسير نحو الأمام هو أنه ليس من هذا القبيل من الشعراء والأدباء فلا يرتبط وفاؤه بشيء سوى الوطن الذي يلهج لسانه بأناشيده:

دیکھو تو بیاض شعر مری
اک حرف بھی سرگلوں نہیں ہے
زنداں میں رہوں کہ اپنے گھر ہوں
اے شہر میں تیرا نقد گر ہوں^(۲)

آی: ”انظر، يخلو ديوان شعري من أي كلمة منهزمة. سواء علي بت في بيتي أم عشت في سجنی، أيا كان الأمر أرتل أناشيدك يا وطني“.

(۱) قصيدة بدون عنوان، ، ديوان ”تنہا تنہا“ (وحيدا منعزلا)، ص ۹۱

(۲) قصيدة ”اے شہر میں تیرا نقد گر ہوں“ (أناشيدك أغنى يا وطني)، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“

”في طرقات صامتة“، ص ۴۵

وہو شدید الحماس علی حرمة کلماتہ وکرامة قلمہ فقلمہ أغلی ما یلکھ من أثاث
ومتاع، وهو غیر مبال بجاه الدنیا ومالہا:

ہمیں نہ حرص، نہ مال و منال کی آرزو رہی ہے
نہ ہم کو طیل و علم نہ جاہ و جلال کی جستجو رہی ہے
بس اک قلم ہے کہ جس کی ناموس
ہم فقیروں کا کل اثاثہ ہے آبرو ہے

بس ایک سچ ہے
کہ جس کی حرمت کی آگہی سے
مرے بدن میں ترے بدن میں
مرے قلم میں ترے قلم میں
وہی لہو ہے

کہ جس سے عرفان کی نمو ہے
کہ جس سے انسان کی آبرو ہے^(۱)

أي: "لسنا ممن یطمع فی المناصب والأموال و یحرص حرصه لیتلقى
علما وحشما. بل نحن فقراء لا یملکون من الأثاث والمتاع غیر حرمة
أقلامهم. ولا نملك غیر الصدق، الصدق الذی یجری فی جسدی وجسدک
وقلمی وقلمک مثل الدم، الدم الذی ینمی المعرفة ویهب الإنسان شرفا
وکرامة".

وہذا القلم جدير بأن یكون الشاعر وفیالہ لا یخونہ فی أي حال من الأحوال.

قلم سے عہد وفا کیا ہے
قلم تو پھر سچ بولتا ہے
اتھاؤ آنکھیں کہ سچ امر ہے

^(۱) قصیدہ "ندیم چہرہ، ندیم آنکھیں" (وجہ متشوش عیون حید)، دیوان "بے آواز گلی کو چوں میں"، (فی

قلم کا وجدان معتبر ہے^(۱)

آی: ”عقدنا عهد الوفاء بأقلامنا، لأن القلم لا يعبر إلا عن الصدق، ولن يخذعك القلم أبدا والصدق هو الحق فاجهر به معنزا فخورا“.

وفراز أكبر مقاوم للحکم العسكري الذي هو طغيان علني على الدستور وغدر قبيح بالوطن واستبداد بحقوق الجمهور، رفضه الشاعر بأي لون وبأي حجة رفضا شديدا وأعلن حربه على الحکم العسكري والحاكم العسكري، فهو يعتبر أن وطنه الذي يعبر عنها فراز بكلمة ”شهر“ (مدينة) تحول من بستان إلى سجن فمجزرة فمقبرة وكأنه بين حصار منيع تملأ أجواءه أنات جريجة ويسوده صمت ميت.

فاحتلال الجيش منصب الحکم بمثابة احتلال الحارس الدار التي ربه ويستهنئ بتظاهر الحاكم العسكري بالمظهر الديني قائلا:

اب	کے	غیر	نہیں	تھا	کوئی
گھر	والے	دشمن	نکلے		
جن	کو	برسوں	دودھ	پلایا	
ان	تاگوں	کے	پھن	نکلے	
رکھالوں	کی	نیت	بدلی		
گھر	کے	مالک	بن	بیٹھے	
جو	غاصب	تھے	محسن	کٹ	تھے
صوفی	ساک	بن	بیٹھے		

آی: ”لم يهجمنا هذه المرة عدو من غيرنا، بل كان من بيننا، وبدأت الثعابين التي أروضناها سنوات تحرقنا بنفثاتها، وساءت نية الحراس

(۱) قصیدہ ”ندیم چہرہ، ندیم آنکھیں“ (وجہ ہتسوش عیون حیة)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (بی طرقات صامتہ)، ص ۵۰

(۲) قصیدہ ”شہر آشوب“ (المدينة المنذرة)، المرجع نفسه، ص ۱۱۲

فاحتلوا الدار وادعوا ملكها. وتظاهر المستبدون وأهل الغدر بأنهم زهاد ومتصوفة“.

ويتألم الشاعر بتأييد أرباب المنابر وأصحاب القضاء للعدوان العسكري وتبريره بحجج شرعية ودينية، ويسخر من دور القضاة والعلماء الذين يصطفون في قصر الحكم:

تمام صوفی و سالک سبھی شیوخ و امام
امید لطف پہ ایوان کجکلاه میں ہیں
معززین عدالت حلق اٹھانے کو
مثال سائل مہرم نشہ راہ میں ہیں^(۱)

أي: ”اجتمع في بهو الحاكم متصوفة وزهاد وأئمة وشيوخ رجاء نيل الخير من الحاكم واصطف رجال المحكمة مثل المتسولين في طريقه طمعا في أداء اليمين الدستوري“.

ولقصيدة ”الحصار“ شهرتها وميزتها من بين سائر قصائد الشاعر تستحق وقفا طويلا، وهي عبارة عن مجيء رسول من الحاكم المستبد إلى الشاعر المقاوم الأبي الحر الذي رفض لبصوغ قصائد في مدح الحاكم بل زاد الأمر على ذلك فبدأ يتحدى جيروته ويرفض قسره، فيأتيه الرسول ويهدده بأنه إذا أراد العيش والبقاء فعليه التنازل عن رسالته السامية وتفويض قلمه وقرطاسه إلى المقتل.

سو شرط یہ ہے جو جان کی اماں چاہتے ہو
تو اپنے لوح و قلم قتل گاہ میں رکھ دو^(۲)

أي: ”وأخبرني بأن ضمان حياتك مشروط بوضع قلمك وقرطاسك في المقتل“.

^(۱) قصيدة ”محاصرة“ (الحصار)، المرجع نفسه، ص ۱۱۷

^(۲) المرجع نفسه، ص ۱۱۸

فماذا كان رد الشاعر الأبي الحرب بعد ما ألقى نظرة على الشروط المضحكة التي
ضمنها خطاب الحاكم:

یہ شرط نامہ جو دیکھا تو ایلچی سے کہا
اے خبر نہیں تاریخ کیا سکھاتی ہے
کہ رات جب کسی خورشید کو شہید کرے
تو صبح اک نیا سورج تراش لاتی ہے^(۱)

أي: ”فلما رأيت وثيقة الشروط قلت للرسول: لعله لا يدري ما
يعلمنا التاريخ. يعلمنا أنه كلما يقتل الليل شمسا يلد الصبح شمسا جديدة.“

وأدرك الشاعر مدى الإفلاس الفكري لدى الحاكم المستبد، فإنه يجهل قوة سلاح
الشاعر تماما:

اے ہے سطوت شمشیر پہ گھمنڈ بہت
اے شکوہ قلم کا نہیں ہے اندازہ^(۲)

أي: ”إنه يتفاخر ويتكبر بقوة السيف، فلعله لا يعي ولا يدرك قوة
القلم.“

وهنا ينفجر بركان الشاعر الذي لا يحمل من متاع الدنيا إلا قلمه الذي صاغه سلاحا
ليدافع به عن كيان الوطن وحرمة الكلمة، ولا يستطيع وحتى في عالم التصور أن يساوم
على حرمة قلمه ولو بأرفع شيء من متاع الدنيا، يقول:

مرا قلم نہیں کردار اس محافظ کا
جو اپنے شہر کو محصور کر کے ناز کرے
مرا قلم نہیں کاسہ کسی سبک سر کا
جو غاصبوں کو قہیدوں سے سرفراز کرے

(۱) قصیدہ ”محاصرہ“ (الحصار)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (فی طرقات صامتہ)، ص ۱۱۷

(۲) المرجع نفسه، ص ۱۱۳

مرا قلم نہیں اوزار اس نقب زن کا
جو اپنے گھر ہی کی چھت میں شکاف ڈالتا ہے^(۱)

أي: "ليس قلمي عميلاً لذلك الحارس الذي يفتخر بأنه حاصر
مدينته هو. وليس قلمي أداة مدح لمن يبجل الطغاة بقصائده ويقدمهم.
وليس قلمي بأداة لذلك السارق الذي لا يثقب إلا في سقف بيته."

مرا قلم نہیں تسبیح اس مبلغ کی
جو بندگی کا ہر دم حساب رکھتا ہے
مرا قلم نہیں میزان ایسے عادل کی
جو اپنے چہرے پہ دوہرا نقاب رکھتا ہے^(۲)

أي: "وليس قلمي سبحة الواعظ الذي يعدد صالحاته ويحسب
لأعماله. وليس قلمي ميزاناً لذلك القاضي الذي يخفي وجهه وراء نقابين."

مرا قلم تو امانت ہے میرے لوگوں کی
مرا قلم تو عدالت مرے ضمیر کی ہے
اسی لئے تو جو لکھا تپاک جاں سے لکھا
جیسی تو لوچ کماں کا، زباں تیر کی ہے^(۳)

أي: "قلمي أمانة للجمهور الذي أنا منهم، وقلمي بحكمة لفكري
الذي أملكه، ولذلك ما قلت من الشعر إلا من صدق عميق وترى في شعره
ليونة الكنانة وصلابة السهم."

فالصدق والإخلاص والجرأة هي الميزات الأساسية التي يفتخر بها الشاعر ويخافها

عدوه:

(۱) قصيدة "محاصرة" (الحصار)، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں"، (فی طرقات صامتة)، ص ۱۱۹

(۲) المرجع نفسه

(۳) المرجع نفسه، ص ۱۲۰

میں کٹ گروں کہ سلامت رہوں یقین ہے مجھے
کہ یہ حصار ستم کوئی تو گرائے گا
تمام عمر کی ایذا نصیبوں کی قسم
مرے قلم کا سفر رائیگاں نہ جائے گا^(۱)

ای: ”إنتی - وإن سقطت صریحا أو عشت سلیمًا - لعلی یقین أن أحدا
سیزیل هذا الحصار القائم وإنی - رغم الحیاة الملیئة بتحمل الآلام - لعلی یقین بأن
رحلة قلمي لن تضيع سدی“.

ویرف ما عاناه من الأدباء والشعراء في ذلك العصر، يقول:

شہر کتاب ابڑ گیا، حرف برہنہ سر ہوئے
نفر ہے سرمہ در گلو، شعر وطن بدر ہوئے^(۲)

ای: ”خربت مدينة الكتاب وعريت أجساد الحروف، ونفي الشعر
من موطنه“.

وكتيرا ما يتحدث فراز في قصائده عن ”مدينة“ ويصف طرقاتها وشوارعها وأجوائها
وجمالها وماضيها وحاضرها، ويتحدث عن لياليها ونهارها، تارة يشكو حالها:

یہ کیا گلشن ہے جس گلشن میں لوگو
بہاروں کا کوئی موسم نہیں ہے^(۳)

ای: ”عجبا لهذا البستان أيها الناس، لا يحل به موسم الربيع“.

(۱) قصیدہ ”محاصرہ“ (الحصار)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (فی طرقات صامتہ)، ص ۱۱۹

(۲) قصیدہ بدون عنوان، المرجع نفسه، ص ۲۵

(۳) قصیدہ بدون عنوان، ”جاناں جاناں“، (خلیلی) للشاعر أحمد فزار، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد،

وینسی جروحہ التي تغور دما عندما يرى كل فرد من سكان المدينة مكلوم الجسد
ممزق الروح فلا جدوى من بث شكواه:

فراز، اس شہر میں کس کو دکھاؤں زخم اپنے
یہاں تو ہر کوئی مجھ سا بدن پہنے ہوئے ہے^(۱)

ای: ”یا فراز، من أریہ جروحي، فكل فرد في المدينة يلبس لباسا مثلي“.

وینسی بؤس سکانہا وتارة يرسم أحلامه المعلقة به، فحين ما يشكو ليلة حالكة حلت
به ويعني به عهد الاستبداد الجاثم على صدره يرى وهو يترقب بصيص شمس الفجر المشرق
الذي يؤمن بطلوعها على أرض هذه المدينة. فموطنه عبارة عن مدينة أو بعبارة أخرى المدينة
رمزه الشعري لوطنه الحبيب، ويتجلى في عناوين دواوينه وقصائده بكل شدة.

وصلة الشاعر بالإجلاء والنفي والتشريد قديمة قدم الشعر، وقصيدة (بن باس)
حديث عن شاعر حظي بالعودة إلى وطنه الحبيب بعد ما عانى عذاب الغربة فترة طويلة
فمشى يسافر إلى الوطن ولما اقترب من البوابة المركزية الداخلية إذا بها حراس بالبنادق
والرماح خاطبوا نغمتي بسلامهم:

لیکن میرے شہر کے سارے رستوں پر
اب باڑے لوہے کے کانٹوں کی
شہ دروازے پر کچھ پہرہ دار کھڑے ہیں
جو مجھ سے اور مجھ جیسے دل والوں کی
پہچان سے عاری
میرے ساز سے
سگینوں سے بات کریں^(۲)

^(۱) قصيدة بدو عنون، ”پس انداز موسم“، (ما وراء أسلوب الموسم) للشاعر أحمد فراز، دوست بلی

کیشنر، اسلام آباد، ط ۲۰۱۰، ص ۶۷

^(۲) قصيدة ”بن باس“ (بلا رائحة)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (فی طرقات صامتة)، ص ۲۲ و ۲۳

أي: ”كل طريق من طرق مدينتي بها سور من أشواك الحديد، ويقف
بالباب حراس ينكرونني وينكرون أمثالي من ذوي القلوب الصافية“.

ويستأذن الشاعر الحراس الواقفين بباب المدينة للدخول في البوابة، ويعرفهم بنفسه
والمصائب التي مر بها خلال غربته ورحلته من أجل وطنه ولكن:

لیکن تھے ہوئے نیروں نے
میرے جسم کو یوں برمایا
میرے ساز کو یوں ریزایا
میرا ہمکتا ہوا خون اور مرے سکتے ہوئے نغے
شہ دروازے کی دہلیز سے
رستے رستے
شہر کے اندر جا پہنچے ہیں
اور میں اپنے جسم کا لمبہ
ساز کا لاشہ
اپنے شہر کے شہ دروازے
کی دہلیز پہ چھوڑ کے
پھر انجانے شہروں کی شاہراہوں پر
مجبور سفر ہوں^(۱)

أي: ”انهالت على تلك الرياح المسددة فحطمت نغماتي، إلا أن
دمي المتقطر ونغماتي التي تئن دخلت المدينة من دهليز البوابة أما أنا فتركت
مخلفات جسدي وجثة نغماتي على دهليز البوابة المركزية واضطرت إلى بدء
رحلة نحو مدن غير معلومة“.

وأخيرا، يرد الشاعر من باب المدينة ليتيه مرة أخرى في الطرقات ملتاع النفس،
فيصف الوطن وقد تحكمه طائفة باغية:

^(۱) قصيدة ”بن باس“ (ملا رانحة)، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (في طرقات صامتة)، ص ۲۳ و ۲۴

اپنا شہر کہ حد نظر جیسے لہو کی نہر
یا منصور^(۱) و مسیح^(۲) کی سولی یا سقراط^(۳) کا زہر^(۴)

آی: ”مدینتی عبارة عن نهر الدماء أم مشنقة المنصور والمسیح أو سم سقراط“.

ولا ينخدع الشاعر ببعض مظاهر الجمال وآثار الرخاء في بعض المناطق أو في بعض المجالات، يقول:

رواں ہے قلم خوں اندرون شہر بھی دیکھ
کہ خوشنما تو بہت ہے فصیل باہر کی^(۵)

آی: ”لا تتخدع بجمال السور المحيط بأطراف المدينة، هيا تقدم وألق نظرة على بحر الدم الذي يجري في داخله“.

(۱) الحسين بن منصور الحلاج، أسو منيخ، يعد عدد البعض في كبار المتعبدين والزهاد، وعند الآخرين في رمرة الملحدین. اتهم بادعاء حلول الإلهية فيه. وكثرت الوشایات به إلى المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه، فسجن وعذب، وأحرقت جثته ثم أُلقيت في دجلة ونصب الرأس على حبر بعداد وادعى أصحابه أنه لم يقتل وإنما أُلقي شبيهه على عدو له انظر: الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ۱۳۹۸ھ/ ۱۹۷۸م، ص ۲۶۹، والأعلام لخیر الدین بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط ۱۵، مايو ۲۰۰۲ م، ۲/ ۲۶۰.

(۲) المسيح هو عيسى بن مريم عند الله ورسوله وكلمته التي ألقيها إلى مريم وروح منه، وهو من أولو العرم من الرسل، بعثه الله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الإنجيل، كما أيده بمعجرات كإحياء الموتى، وإصدار العميان بإذن الله ورفع الله إليه جسما أرادت قومه أن تقتله، فبان عيسى لم يَصَلب، ولم يقتل بأي طريقة أخرى ويُؤمن المسلمون بأن عيسى عليه السلام سيعود للأرض عندما يقترب يوم القيامة ليحقق العدالة ويهزم المسيح الدجال انظر: البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ۱، ۱۴۱۷ هـ / ۱۹۹۷ م، ج ۲، ص ۵۱۹ - ۵۲۱.

(۳) سقراط بن سقراطيس، الفيلسوف، ولد حوالي سنة ۴۷۰ ق م في مدينة اتية، مدينة العلماء والحكماء، كان زاهدا خطيبا حكيما، اقتبس الحكمة من فيثاغورس وأرسالوس، واقتصر من أصنافها على الإلهيات والأخلاقيات، واشتغل بالزهد ورياضة النفس. وتهذيب الأخلاق، وأعرض عن ملذات الدنيا، واعتزل إلى الجبل، وأقام في غاربه. ونهى سقراط الرؤساء اليونانيين عن الشوك وعادة الأوثان، فأجأوا ملوكهم إلى قتله، فحبسه الملك ارطحاشث، ثم سقاء السم. ومن أشهر أصحاب سقراط أفلاطون عاش قريبا ثمانين سنة انظر: الفهرست لابن النديم، ص ۳۴۳.

(۴) قصيدة ”فيض کے فراق میں“ (في فراق فيض)، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (في طرقات صامتة)، ص ۲۸.

(۵) قصيدة بدون عنوان، ديوان ”نایافت“ (المعدوم)، ص ۵۴.

پاس کیا تھا کہ لوٹتی دنیا
ہم تو کل بھی تھے بے سروسامان
آج دیوار کھنچ گئی ہے اگر
شہر کل بھی تھا صورت زنداں^(۱)

أي: ”ما ملکنا شیئا لتغصبه الدنيا، کنا صفر الدين أمس. حال
جدار أمامی فلا بأس، فلم تكن المدينة في الحقيقة إلا سجنًا كبيرًا“.

ورغم أنه أسير سجين لكنه على وفاء غير متزلزل بهذه المدينة:

اب ہاتھوں میں مری جھٹکری ہے
اب پاؤں میں میرے بیڑیاں ہیں
اب دست صبا ہے دست قاتل
اب ابر کرم میں بجلیاں ہیں
اب جس دوام میری قسمت
یا میرا نصیب پھانسیاں ہیں
میں اپنی خطا سے بے خبر ہوں
اے شہر میں تیرا نغمہ گر ہوں^(۲)

أي: ”ربطت يدي بالأغلال وقدمي بالقيود وأصحبت يد الصبا يد
القاتل، وبدأت سحب الرحمة تبرق فليس حظي سوى السجن المؤبد أو
الشنق. لست يا مدينتي على دراية من خطيئتي لكنني أرتل أناشيد يا
مدينتي“.

وہو كثير الشكوى ممن يقف للطغاة، مساندا له ومؤيدا له، وما أكثر شكواه من عبدة
الدراهم والدنانير والطامعين في المناصب والكراسي. ”واختلف الحكم العسكري الثاني

^(۱) قصیدہ ”پاس کیا تھا“ (ماذا كنا غمك؟)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (فی طرقات صامتة)، ص ۴۱

^(۲) ”اے شہر میں تیرا نغمہ گر ہوں“ قصیدہ (أناشيدك أغنى يا وطني)، المرجع نفسه، ص ۴۵

بمساعدة ومشاركة أغلبية الأحزاب الدينية في سلطة الحكم المستبد بشكل مصالح وزارية^(۱) فتراه قلعا بذلك أشد القلق ويفضح دور بعض من يجعل دينه حيلة لإباحة حكم الطاغی ومنح ذنوب صبة شرعية إذ قال :

قاتل اس شهر کا جب بآت رہا تھا منصب
ایک درویش بھی دیکھا اسی دربار کے بیچ^(۲)

أي: ”رأيت درویشا يقف في وسط البهو وقاتل المدينة يوزع المناصب“.

ومن بين من يوجه السهام إلى الشاعر المقاوم طائفة رخيصة من علماء الدين يحاولون النيل من كرامة الشاعر عقابا له على معارضته، فالشاعر لا يبالي به، يقول:

مجھے تو ڈر ہے کہ شیخ حرم کے ہاتھوں سے
کہیں مری طرح رسوا رسول رب بھی نہ ہوں^(۳)

أي: ”أخشى أن شيخ الحرم يسيء إلى عظمة الخالق وعزة الرسول كما أهانتني“.

وهو على وعي بأنه لا يناضل حاكم المدينة الجائر فحسب بل يساعده خطيب المنبر بحججه الواهية:

کڑی ہے جنگ کہ اب کے مقابلے پہ فراز
امیر شہر بھی ہے اور خطیب شہر بھی ہے^(۴)

(۱) ”ایکشن، جمہوریت، مارشل لاء“، (الانتخابات والجمهورية والحكم العسكري) بالأردنية، أفضل

توصيف، نشرات، لاہور، بدون سنة الطبع، ص ۸۲

(۲) قصيدة بدن عنوان، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات صامتة)، ص ۶۱

(۳) المرجع نفسه، ص ۶۴

(۴) المرجع نفسه، ص ۶۱

آی: ”معرکتی المرہ ہذا حاسمة لأن المنافسة ضد حاکم المدينة
وواعظ المنبر معا“

ویستہزئ بالحجج الواہیة التي یخترعها علماء البلاط لتزیف الواقع المریر:

فقیہ شہر جمیں پر کلاہ زر رکھے
سا رہا ہے ہمیں آتشیں مقدر کی^(۱)

آی: ”تنوحت ناصیة فقیہ المدينة بعمامة ذهبیة وتتلو علینا آیات
التقدیر“.

ولا یستغل الدین علماء البلاط فحسب بل یرتخدمه الحاکم المستبد حيلة لتبریر
مظالمه وإخماد ثورة الشعب:

امیر شہر غریبوں کو لوٹ لیتا ہے
کبھی یہ حید مذہب کبھی بنام وطن^(۲)

آی: ”ینهب والی المدينة فقراءها بحيلة الدین تارة وبحيلة الوطن تارة
أخری“.

ویؤلم الشاعر أن یرى أن المدينة قد تخلو من الأصوات بل الهمسات المخالفة للمستبد
وها یرى الجهر بالحق فریضة لا تعفی:

تمام شہر ہے شائستگی کا زہر پئے
نہ جانے کیا ہو جو دوچار بے ادب بھی نہ ہوں^(۳)

(۱) قصیدہ بدون عنوان، دیوان ”نایافت“ (المعدوم)، ص ۵۴

(۲) قصیدہ بدون عنوان، دیوان ”درد آشوب“ (الآلم المتدمر)، للشاعر أحمد فرار، دوست پبلی کیشنز،

اسلام آباد، ط ۲۰۱۲م، ص ۳۱

(۳) قصیدہ بدن عنوان، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (فی طرقات صامتة)، ص ۶۴

أي: "تخلق كل من في المدينة بخلق حسن، فماذا سيحدث لولا طائفة صغيرة من مسيني الأدب".

سارا شہر بلکے ہے
پھر بھی کیا سکتے ہے
گلیوں میں بارود کی بو
یا پھر خون مہکتا ہے^(۱)

أي: "عجبا لهذا الصمت رغم أن المدينة كلها تئن وتبكي شوارعها برائحة البارود وتتعطر بالدماء".

ويتحير من أمر البؤساء يتحملون من الآلام والمشقات فوق ما يطيقون فلا تنبس شفاههم بحرف شكوى ولا تصدر حناجرهم صرخة تألم:

خود اپنے خوں میں نہائے ہوئے ہیں مگر چپ ہیں
یہ لوگ ہیں کہ چٹائیں ہیں سرخ پتھر کی^(۲)

"إنهم اغتسلوا بدمائهم لكنهم صامتون، عجبا لهم، أبتسروهم أم صخور حمراء؟"

ومن القضايا المرعبة التي خلقت موجات من الذعر بين الجمهور وآلت المواطنين في الحكم العسكري قضية اختطاف المواطنين، وتناقلت أنباء عن غياب مفاجئ لبعض الشخصيات وإذاقتهم أمر أنواع التعذيب فوق ما يتصوره الإنسان المتمدن، كانت ضحية ذلك في معظم الأحيان من يناضل الحكم آنذاك وبعد أيام من اختطافهم كان الناس يجدون جثث هؤلاء مرماة في حقول أو طرق. وكانت أسر ضحايا هذا النوع من العذاب تعاني ألما لا يوصف:

تمام ہاؤں کے ہونٹ پتھر ہیں
اور آنکھوں میں زخم ہیں
اور دل ٹپکتے ہیں^(۳)

^(۱) قصیدہ بدون عنوان، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں"، (في طرقات صامتة)، ص ۸۱

^(۲) قصیدہ بدون عنوان، دیوان "نایافت" (المعدوم)، ص ۵۴

^(۳) قصیدہ "ہواؤں کی بشارت" (شریات من الرياح)، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں"، (في طرقات صامتة)، ص ۱۰۳

أي: ”تجرت شفاه كل الأمهات وملأت عيونهن الجروح وقلوبهن
ملتاعة“ والسبب هو:

رات کہتی ہے
ان کے بیٹوں کو
شب گئے
چند لشکری
ساتھ لے گئے تھے

تو اب تلک انکی داپسی کی کوئی خبر نہیں ہے^(۱)

أي: ”قال الليل: في آخر الليل ذهب بأبنائهن رجال من الجند، وإلى
الآن ليس هناك نيا عن عودتهم“.

ويصف الأمهات وهن في انتظار عودة أبنائهن:

یہ مائیں پتھر بنی رہیں گی
اور انکے آنسو جمیں رہیں گے
اور انکی آہیں تھیں رہیں گی
نہ جی سکیں گی
نہ مر سکیں گی^(۲)

أي: ”ستظل الأمهات متحجرة وستظل دموعهن في عيونهن
متجمدة وستظل آهاتهن متوقفة، لن يستطعن العيش ولن يملكن الموت“.

ويصف معاناة أقارب المفقودين والمعذبين في السجون والمعتقلات ومن يعثر في صباح
على جثثهم في الطرقات والحقول وعلى جوانب الشوارع:

^(۱) قصيدة ”ہواؤں کی بشارت“ (بشریات من الرياح)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (فی طرقات

صامتة)، ص ۱۰۳

^(۲) المرجع نفسه، ص ۱۰۲

ہماری ماؤں کو فراموش مت کرو
جو ایک متعین صبر کے ساتھ
ہمارا انتظار کر رہی ہیں
ہمارے ابا کو مت بھولو
جو جیلوں میں سڑ رہے ہیں^(۱)

أي: "لا تنسوا أمهاتنا اللاتي ينتظرننا بصبر متعين وآباءنا الذين
يبلون في السجون والمعتقلات".

ويشكو الشاعر حتى من مرارة البيئة الفطرية التي تسمت بالسموم التي نشرها
الظلم فلم يعد الجو نقيا كما كان، ولم يكن المطر يلذ للأعين كما سبق:

یہ کیسی زہر بھری بارشیں ہوئی ہیں اب کے
کہ میرے سارے گلابوں کا رنگ نیلا ہے
ہو کس طرح سے محبت کی گتنگو کہ ابھی
مرے لبہ سے ترا فرش و سقف گیلا ہے^(۲)

أي: "عجا للأمطار المليئة بالسم التي نزلت هذه المرة، فبات لون
كل ورودي أزرق. وكيف يمكن أن نتحدث بحب فلا يزال سقف بيتك
وعرشه مبتلا بدمي".

سبھی سر پہ سر پہ سجدہ تھے دربار میں
ہم ایسے کہاں بے ادب لوگ تھے^(۳)

(۱) قصیدہ "ہماری ماؤں کو فراموش مت کرو" (لا تنسوا أمهاتنا)، دیوان "سب آوازیں میری ہیں"، (کل

ہدہ الأصوات لي)، للشاعر أحمد فراز، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۲۰۰۶م، ص ۱۵

(۲) قصیدہ بدعنوان، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں"، (فی طرقات صامتة)، ص ۱۰۹

(۳) المرجع نفسه

”أي: ”وضع الجميع رؤوسهم على الأرض للسجدة لأنهم لم يكونوا مسيئي الأدب مثلنا“.

”ومن مأساة العالم الثالث أنه وقع تحت سيطرة الاستعمار الغربي بعد الحرب العالمية الثانية. ويستخدم الاستعمار الغربي جيوش تلك البلاد لإحكام بطشته بشعوب بلاد العالم الثالث سياسيا واقتصاديا“^(۱) وكثيرا مما يكشف فراز عن التسلط الغربي السياسي الاستعماري على رقاب الشعوب الآسيوية،^(۲) ويندد دور مجلس الأمن الذي لا يمثل سوى دور عميل مخلص لقوى الاستعمار ويوفر لهم ترسانة شرعية لارتكاب جرائمهم الدولية:

کون اس قتل گہہ ناز کے اسرار سمجھے
جس نے ہر دشمن کو پھولوں میں چھپا رکھا ہے
امن کی فاختہ اڑتی ہے نشان پر لیکن
نسل انسان کو صلیبوں پر چڑھا رکھا ہے
اس طرف نطق کی باران کرم اور ادھر
کارہ سر سے مناروں کو سجا رکھا ہے“^(۳)

”من يفهم سر هذه المجزرة التي أخفت كل خنجرها في الأزهار.
ورغم أن صورة حمامة باد على طرفتها لكنها شنت البشر على الصليب.
ترى في جانب مطر الكلمات اللطيفة وفي جانب آخر ترى منارة من رؤوس
المقتولين“.

ومن العبث الانكفاء عليه وتعليق الآمال به، لأنه لم يمنح هذا المجلس
الشعوب المظلومة لكشمير وكوريا وفيتنام وكانجو سوى جمل دعائية.

^(۱) ”رود آشوب، تقیدی جائزہ“ (نقد لیدیوان درد آشوب)، بالأردنية، سعديه طاهر، مثال پبلشرز، فيصل

آباد، ط ۱، ۲۰۰۹، ص ۲۱

^(۲) من مقال: ”کلام فراز کا مزاحمتی پہلو“ لفرقة العین طارق، من مجلة: ”قومی زبان“، الصادرة من ”انجمن

ترقی اردو، پاکستان“، المجلد ۸۴، العدد ۱۰، شهر اکتوبر ۲۰۱۲م، ص ۴۹

^(۳) قصيدة ”سلامتی کو نسل“ (مجلس الأمن)، ”نايافت“ (المعدوم)، ص ۵۰

ابنی شمشیر پہ سسکول کو ترجیح نہ دو
 دم ہو بازو میں تو ہے ضرب جنوں ہے کاری
 اس جزیرہ میں کہیں نور کا کنار نہیں
 جس کے اطراف میں ہے اک قلم خوں جاری^(۱)

”لا تفضلوا (کأس التسول) على سيفكم، لأن ضربة صادقة من يد
 قوية لا تذهب سدى، ولن ترى منارة نور في هذه الجزيرة التي يموج حولها
 بحر من الدماء“.

أحمد فراز شاك من صمت العالم المتمدن شكوى يبرز التضاد في سلوكه، فعندما
 يقف القاتل في محكمة التاريخ فترى الخلق يصق على وجهه كرها وحفدا، فيتعجب التاريخ
 من أمره ويسأل بني آدم سؤالا مرا يعجز الجميع عن الإجابة عليه:

اے مہذب جہاں کی مخلوق
 کل ترے روبرو یہی بے ضمیر قاتل
 ترے قبیلے کے بے گناہوں کو
 جب تہہ تیغ کر رہا تھا
 تو تماشاویوں کی صورت
 خموش رہے حس
 درندگی کے مظاہرے میں شریک
 کیوں دیکھتی رہی ہے^(۲)

أي: ”يا خلق العالم المتمدن، أين كنت عندما كان هذا القاتل يقتل
 بني عشيرتك وكنت تشاهد هذه المجزرة صامتا جامدا مشاركا إياه في
 وحشيته“.

(۱) قصيدة ”سلامتی کونسل“ (مجلس الأمن)، دیوان ”نایافت“ (المعدوم)، ص ۵۰

(۲) قصيدة ”ویت نام“ (ویت نام)، المرجع نفسه، ص ۱۱۷

فالسکوت علی ظلم الظالم تقویۃ لظلمه ، فلا فرق بین الطاغیۃ الظالم والمظلوم الصامت من أجل مصالح مادیة ، یشیر الشاعر سؤالا :

بتاکہ اس ظلم کیش قاتل کی تیغ براں میں
اور تری مصلحت کے تیروں میں
فرق کیا ہے؟^(۱)

أي: ”یا خلق العالم المتمدن، أخبرني ما الفرق بين سيف هذا
القاتل وبين سهام مصلحتك“.

وسود دواوین فراز وشعره جو ثوری محض یشیر همم المظلومین ویتحدی جبروت
الطغاة ویمزق نقاب القداسة والشرعية الذي یرتدونه لتحلیل ما حرم وتحريم ما أحل كما توفر
للباحثین مواد لعشرات البحوث في مقاومته الاستبداد من منظورات مختلفة. منح صدق شعره
طاقة تشكل خطرا علی حکم الجائزین فحاولوا إسكاته وإخماد ثورته ، يقول :

یہ قصہ پرانا ہے
جب بعض ہوتوں نے چاہا
کہ لفظوں کو آواز کی زندگی دیں
تو خود ان کو زہر پینا پڑا تھا
کہ اہل حکم کو یہ ڈر تھا
یہ الفاظ
آواز کی زندگی سے
کوئی داستان نہ بن جائیں^(۲)

”في قديم الزمان أرادت شفاه أن تمنح الكلمات حياة بالصوت لكنها
اضطرت إلى رشف السم لأن ذوي الحكم خافوا أن لا تولد هذه الكلمات
بحياة الأصوات قصة“

(۱) قصیدہ ”ریت نام“ (فیتنام)، دیوان ”نایافت“ (المعدوم)، ص ۵۰

(۲) قصیدہ ”رباچہ“ (تقدیم) المرجع نفسه، ص ۹

الفصل الثاني

تحليل السمات الموضوعية والفنية لشعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء الأردنيين

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:	تحليل السمات الموضوعية
المبحث الثاني:	دراسة الصور والمعاني
المبحث الثالث:	تحليل السمات الفنية

المبحث الأول: تحليل السمات الموضوعية

سرى الشعراء المقاومون الثلاث فراز وفيض وجالب ركبا متحدا قاصدا نحو هدف واضح وواعيا بوعورة الطريق ومخاطره ومستعدا لأي تضحية من أجل مقاومتهم، ويفضلهم أصبح المقاومة الشعرية الأردنية للاستبداد سجلا مفتوحا يصف مظاهر الاستبداد ومآسيه بدقة، ومجهرًا قويًا يزيل الستار عما دبر من مكاييد ضد الشعوب المستكينة في عصور الاستبداد، ووصفة ناجحة تشخص مواضع هذا الداء العضال وتصف علاجا لقمعه والتخلص منه وحثت موضوعات عديدة تتعلق بالشعوب المسكينة التي عانت مأساة الاستبداد لحقبة قصيرة أو طويلة كما كشفت عن جوانب عديدة لمدى مسئولية الشعوب نفسها في جر وبال الاستبداد على نفسها ودورها في إطالة الحكم الاستبدادي لتقاعدتها عن تغيير وضعها إما بسبب ارتضائها به طمعا في مصالح مؤقتة أو خوفا من بشطة المستبدين أو منخدعا بظاهر الأمور كما أثارَت المقاومة الشعرية درب الكفاح وطريق الأمل.

وفي الشعر الأردني المقاوم ما يتعلق بما لاقاه الشعب الباكستاني^(١) -في رأي بعض معارضيه- من مرارة الحياة ومرارة العيش على يد المستبدين الطفلة وما عاناه آلاف ممن عذبوا في السجون والزنزانات والمعتقلات في بعض العهود الديكتاتورية فوصف الشعراء أحوالهم القاسية كما كثرت صور تجلي مآسي المفقودين الذين اختطفتهم القوات الأمنية التابعة للطفلة المستبدين فذهبت آهاتهم سدى في الأجواء دون أن يعثر على أثر لهم.

ومن الموضوعات والقضايا التي ضمنها الشعر الأردني المقاوم للاستبداد قساوة أحوال اللاجئين والمشردين بسبب قهر الاستبداد وبؤس طبقات العمال والفلاحين والفقراء فكان في شعر مقاومة الاستبداد تفصيل وفير لمآسيهم

وايتليت الصحافة في العصر الاستبدادي كما واجهت مشاكل مالية وإدارية ومهنية وكذلك صعب على كل ذي فكر حرّ ورأي معارض للاستبداد من الشعراء والأدباء والمفكرين العيش بفكرهم الحرّ وتساعدنا المقاومة الشعرية على فهم كنه القوة المستبدة كانت

^(١) لا يكون من المبالغة لو قلنا إن الفترات الاستبدادية التي مرت بها باكستان لم تشهد الحدة والتدّة التي يحدها الدارس في البلاد العربية وكذلك لم تسفر الاستبداد في باكستان عن المآسي بالشكل الملحوظ في المنطقة العربية ولعل الفضل يرجع في عدم إبعاد الجيش الباكستاني السياسيين الشعبين عن مسرح السياسة بشكل كامل وإشراكهم في أمره رغم تطبيق الأحكام العسكرية. أما المعاناة فلم تعم جميع الشعب كما تهدها البلاد العربية.

فرداً أو طائفة أو أسر أو طبقات بالإضافة إلى ذلك كشف الشعر المقاوم دور القوات التي تساند الاستبداد وتساعدته وهي قوات تظهر بشكل أفراد وجماعات وطبقات ودول، فمزق الشعراء النقاب عن وجوه أفراد وشخصيات خالفت الاستبداد غدراً بالشعب والوطن كما كشفوا الدور المذموم الذي لعبته أحزاب سياسية أو طبقات معينة كالصحفيين والساسة والإعلاميين والدبلوماسيين وحتى بعض الأدباء والشعراء وكذلك لم يغفل الشعراء عن كشف الصلة القوية بين الدول المستعمرة والاستبداد المحلي. إضافة إلى ذلك اتصف الشعر الأردني المقاوم بسمات أبرزها الجرأة والصراحة والإخلاص والإرشاد، فلم يكتف الشعراء بالتعبير والإلقاء والإبانة بل قاموا بالتوجيه والإرشاد والريادة كذلك.

فأول ما يلمحه الدارس خلال دراسة الشعر الأردني المقاوم مظاهر الخوف المسيطر والذعر المنتشر والفسر السائد على أجواء البلاد بكل شدتها، وتتجلى صور عديدة تنبئ عن الأحوال النفسية والفكرية والأمنية والعملية التي سادت خلال عصور الاستبداد والتوافق المعنوي والتشابه الصوري بين الشعراء الثلاثة فيض وجالب وفراز جلي باد لا يحتاج البحث عنه إلى جهد كثير. رسم شعراء الأردنية صوراً محزنة لمعاناة شعبهم خلال فترة الاستبداد، إذ يجرب المستبد كل أساليب الظلم المبتكرة لتخويف معارضيه وكبح صوت الحرية، ويحاول إعادة أذهان شعبه الحر إلى زمن الرق وينزل عليه من أجل ذلك كل هوان، فجاء نعيهم على هذه الأحوال التي حلت بالوطن بنغمة حزينة مشتركة رسمت لنا قساوة الأوضاع في العهود الاستبدادية فجزعوا وشكوا دون أن يفلت من أيديهم خيط الأمل أو يغلبهم نوع من اليأس، والصور الكثيرة لظروف الشعب القاسية خلال فترة الاستبداد تصلح لتكون موضوعاً لدراسة أو أكثر تكشف عن خباياها ودخانها.

شعراء الأردنية المقاومون كثيرون الشكوى لما يعانيه الشعب من آلام ويتحمل من جروح ويواجه الفقر والجهل والعبودية رغم أنه يعيش في بلد تحرر من الاستعمار منذ زمن، وأحمد فراز أكثرهم شكوى وجزعا، يصور كل ذلك إذ يقول:

پھر بھی پاؤں میں زنجیریں ہاتھوں میں کھنکول
کل بھی تجھ کو حکم تھا آزادی کے بول نہ بول
آج بھی تیرے سینے پر ہے غیروں کی بندوق^(۱)

(۱) قصیدہ ”اے بھوکے مخلوق“ (ایہا الخلق الجائع)، دیوان ”تجہاتہا“ (وحیداً منفرداً)، ص ۵۸

أي: ”عجبا أمرک أيها الخلق الجائع، رغم مضي سنوات على
تحررك أراك مغلول الأقدام وتحمل بيدك كأس التسول، حرمت حرية التعبير
بالأمس، واليوم أرى غيرك سل سيفه عليك لتبقى ساكنا.“

وكذلك حبيب جالب الذي يستوحش أرض البلاد فلا يطيب له العيش في ربوعها
حيث يسود صمت مرهب وخوف مقلق، يقول جالب:

بجلیوں کی یورش سے شاخ شاخ لرزاں ہے
کیا یہی بہاراں ہے، کیا یہی گلستان ہے
آج بھی نگاہوں سے وحشتیں نہیں جاتیں
آج بھی نگاہوں میں کائنات دیراں ہے^(۱)

أي: ”تهتز أغصان البستان في الريح بسبب الطوفان الجارف
وتستوحش العيون بما تراه وخرب العالم في النفوس“.

ولقساوة الأوضاع تحولت أرض الوطن في رأي الشاعر جالس إلى سجن كبير،
وأصبحت طرقاتها مجازر دماء النفوس البريئة، يقول:

گلی گلی میں بندی خانے
چوک چوک میں مقتل ہیں^(۲)

أي: ”فتحت السجون في كل طريق، وصار كل المفترقات مجازر.“

وظلت السجون تغفر فاهها لاستقبال الأحرار في الزمن الاستبدادي ولم تبخل قط
في ضمهم إليها. ولما عاش شعراء المقاومة الأردنيون في صلة قوية بالسجون حيث أسروا كلهم
لفترات مختلفة كما سبق الحديث عن ذلك فمن البدهي أن تتجلى في شعرهم آلام ومعاناة
المعذبين في السجون وخارجها بشكل أبيات وقصائد تتكرر على التوالي وبدون انقطاع. فقد
ذاق أقسى أنواع العذاب من نجح رجال الاستبداد في البطش به وإلقائه وراء قضبان السجن

^(۱) قصيدة بلا عنوان، ديوان جالب، ص ۲۹

^(۲) قصيدة ”شہر آشوب“ (المدينة الخربة)، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۱۰

دون أن تتجاوز صرخاته حيطان السجون العالية وذهبت آهاته سدى، ورسم الشعراء أساليب التعذيب التي ابتكرها شرطة الطغاة المستبدین ووصفوا أحوال أسرهم وورثتهم وصوروا مدى الشقاء الذي ابتلي به الأحرار وما لاقى أجسادهم من جروح وآلام وشقوق. يصور الشاعر حبيب جالب ذلك الوضع المخيف وما أجرى من تعذيب في أماكن عامة باسم إقامة الحدود الإسلامية قائلا:

حق بات پہ کوڑے اور زنداں
باطل کے شکنجے میں ہے یہ جاں
انساں ہیں کہ سبے بیٹھے ہیں
خوں خوار درندے ہیں رتھال^(۱)

أي: "ما جزاء الحق إلا السجن والسيوط، وتحت سيطرة الباطل تعيش النفوس، وترتعد من هذا الوضع القلوب، وتسود البلد وترقص فيه الوحوش".

وصار تعذيب البشر في العصر الاستبدادي فنا له رجاله وأساليبه. ومظاهر الظلم والفسر التي سادت البلاد خلال تلك فترة الاستبداد حوّلت صورة الوطن الحبيب عند أحمد فراز إلى سجن يحيط به سور تلو سور أو بحر يموج دماء، وتفقد الأرض أحقية وجودها بعد ظهورها لأن البشرية انقرضت وانعدمت، فلم تبق هناك سوى أنات وآهات تبث وحشة وكآبة في أجوائها.

بے وجود ہستی میں
اب لوگ نہیں رہتے
سکياں سکتی ہیں
سائے سرسراتے ہیں^(۲)

(۱) قصیدہ بلا عنوان، دیوان جالب، ص ۱۸۲

(۲) قصیدہ "ناموجود" (المعدوم)، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۰

أبي: ”لم يعد الناس يسكن القرية التي فقدت وجودها، بل تثن فيها
أنات وتهمس الظلال“.

ووصف الشاعر الأسير فيض أحمد فيض من وراء قضبان السجن هذه القيود
الصارمة والرقابة الشديدة قائلاً:

متاع لوح وقلم چھن گئی تو کیا غم ہے
کہ خون دل میں ڈبو لی ہیں انگلیاں میں نے
زبان پر مہر لگی ہے تو کیا کہ رکھ دی ہے
ہر ایک طلحہ زنجیر میں زباں میں نے^(۱)

أبي: ”سلبوا مني قلمي ولوحي، فلا أبالي بذلك، فأسطر كلماتي
بأصابعي المضرخة بدم قلبي، ولا أبالي بأن لساني مختوم فإن كل حلقة من
حلقات السلسلة ستعبر عما أريد“.

ويسبب المناظر المرعبة لتعذيب معارضي الاستبداد في غياهب السجون وفي شوارع المدن
وطرفاتها أصبح وطن الشاعر فراز كذلك عبارة عن بحر الدماء أو مشنقة المنصور أو كأس
السم الذي تجرعه سقراط، يقول فراز:

اپنا شہر کہ حد نظر جیسے لہو کی نہر
یا منصور و مسیح کی سولی یا سقراط کا زہر^(۲)

أبي: ”مدینتی عبارة عن نهر الدماء أم مشنقة المنصور والمسیح أو
سم سقراط“.

أو سجننا يحيط به سور تلو سور:

(۱) مقطع من دیوان ”دست صبا“، (بد الصبا)، ص ۱۵

(۲) قصیدہ ”فیض کے فراق میں“ (فی فراق فیض)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (فی طرفات ملا صوت).

آج دیوار کھنچ گئی ہے اگر
شہر کل بھی تھا صورت زنداں^(۱)

أي: "حال اليوم دونني جدار، فلا بأس، فلم تكن المدينة في الحقيقة إلا سجنا كبيرا في الأمس القريب".

ولا يحل الاستبداد على أرض إلا ويحل معه الخوف والذعر والفساد، فهو عصر القسر والإكراه والإجبار، يضيق فيه العيش وتختنق فيه كل نفس أية شريفة، وتسلب الحرية ويحبس الفكر، يقول فيض:

نثار میں تیری گلیوں کے اے وطن کہ جہاں
چلی ہے رسم کہ کوئی نہ سر اٹھا کے چلے^(۲)

أي: "وطني، فدبت طرقاتك حيث فرض علي الجميع المشي مطأطأ الرأس".

ویشبہ حبیب جالب إذ یصف عصر الاستبداد شاکیا جازعا:

اس زمانے کی کیا لکھوں روداد
خوف، مہنگائی، جبر و استبداد^(۳)

أي: "ليس لدي شيء من حكاية هذا العصر سوى الخوف والفلاء والقسر والاستبداد"

ويفضل هذه الأوضاع القاسية لاح للشاعر أحمد فراز ما كتب له على لوح القدر في عصر الاستبداد، فما مصيره سوى الحبس والأسر والتشرد والجلاء، يقول:

(۱) قصیدہ "پاس کیا تھا ہمارے" (ماذا كنا نملك؟)، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات بلا صوت)، ص ۴۰

(۲) قصیدہ "نثار میں تیری گلیوں کے" (فدبت طرقاتك أيها الوطن) دیوان "دست صبا" (يد الصبا)، ص ۵۳

(۳) قصیدہ "داستان دل دو نیم" (قصة القلب الحزين)، من دیوان جالب، ص ۲۲۵

اب جس دوام میری قسمت
یا میرا نصیب پھانسیاں ہیں^(۱)

آی: ”لیس حظی سوى السجن المؤبد أو الشنق۔ لست یا مدینتی
أدری خطیثی لکننی أرتل أناشید حبک یا مدینتی“

ویرف فراز ما عاناه من الأدباء والشعراء فی ذلك العصر، یقول:

شہر کتاب اڑ گیا، حرف برہنہ سر ہوئے
نغمہ ہے سرمہ در گلو، شعر وطن بدر ہوئے^(۲)

آی: ”خریت مدینۃ الکتاب وعزیت أجساد الحروف، ونفی الشعر
من موطنہ“

وضحایا الاستبداد من أهم الموضوعات التي دار شعر المقاومة الأردني حولها
فتجلت ظروفهم القاسية بكل شدة، وعلى رأسهم المفقودون الأبرياء الذين تختطفهم
القوات الأمنية. وكارثة اختطاف المعارضين وإبعادهم عن مسرحية الواقع والظاهر تتكرر في
كل عصر استبدادي بشدة أكثر، وهي أكثر الكوارث إيلاما ولا تنبت في القلوب غير الكراهة
والحق قد على رجال الأمن والقضاء والدولة معا، تبدأ بالقبض على ذوي الفكر الحر بدون
ذنب وإجازة وتستمر باعتقالهم لشهور وسنوات دون أن يعرضوا لمحاكمة وتنتهي إما بإلقاء
جثثهم في مكان مجهول أو دفنهم في ظلمات الليل دون أن يدرك ورثتهم عن موتهم شيئا أو
عودتهم بعد فقد وعيهم وعقلهم لشدة التعذيب الذي يلقونه في السجون والمعتقلات
السرية، یصور الشاعر فرّاز بداية هذه الكارثة إذ یقول:

رات کہتی ہے
ان کے بیٹوں کو

^(۱) قصیدہ ”اے شہر میں تیرا نغمہ گرہوں“ (أناشیدك أغنی یا وطنی)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (فی طرقات

بلا صوت)، ص ۴۳

^(۲) قصیدہ بدون عنوان، المرجع نفسه، ص ۲۵

شب گئے

چند لکری

ساتھ لے گئے تھے

تو اب تک انکی داہی کی کوئی خبر نہیں ہے^(۱)

أي: "قال الليل: في آخر الليل ذهب بأبنائهن رجال من الجند، وإلى الآن ليس هناك نبأ عن عودتهم".

ولا تسفر مثل هذه العمليات - التي عادة ما تجريها قوات أمنية سرية باسم الدفاع والأمن وتلصق بضحاياها تهمة الغدر بالوطن والإرهاب - إلا عن مصرع الأبرياء المساكين وإهدار دمائهم بكل شقاء، يقول فراز:

ہمیں	میں	کوئی	صبح	سویرے
کھیت	میں	مردہ	پایا	گیا
ہمیں	سا	کوئی	دہشت	گرد
چھپ	کے	جسے	دفنایا	گیا ^(۲)

أي: "يوجد أحدنا ميتا في مزرعة، وإرهابي آخر كان يشبهنا دفن سرّياً".

لا يذهب المفقود ضحية لهذه الكارثة فحسب بل تترك على ورثة المختطف المفقود أثارا نفسية بالغة فهي تعيش حياة أقسى من الموت، وتظل جروح مفارقة الأحياء تؤلم جيلا بعد جيل، يقول أحمد فراز:

تمام ماؤں کے ہونٹ پتھر ہیں
اور آنکھوں میں زخم ہیں

(۱) قصیدہ "ہواؤں کی بشارت" (نشریات من الرياح)، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (بی طرقات ملا صوت)، ص ۱۰۱

(۲) قصیدہ "شہر آشوب" (مدیة الاضطراب)، المرجع نفسه، ص ۱۱۲

اور دل پختے ہیں^(۱)

أي: ”تجبرت شفاء كل الأمهات وملأت عيونهن الجروح وقلوبهن
ملتاعة“.

فلا حظ لهم سوى البكاء على أحبائهم منتظرين عودتهم بمشاعر تتمايل بين الشك
واليقين:

یہ مائیں پتھر بنی رہیں گی
اور انکے آنسو جے رہیں گے
اور انکی آہیں تھمی رہیں گی
نہ جی سکیں گی
نہ مر سکیں گی^(۲)

أي: ”ستظل الأمهات متحجرات وستظل دموعهن في عيونهن
متجمدة وستظل آهاتهن متوقفة، لن يستطعن العيش ولن يملكن الموت“.

ومن ضحايا الاستبداد من تضيق أرض الوطن عليه في عصر الاستبداد رغم سعتها
ورحابتها نتيجة بطش الحكام الطفافة بهم، فيضطر هؤلاء الأحرار إلى اللجوء إلى بلد آخر
وقضاء فترة قصيرة أو طويلة هناك لاجئين تائمين، يتحملون انعكس الآلام. والشاعر أحمد
فراز رسم معاناة اللاجئين والمشردين والمنفيين من البلاد في قصائده المتعددة، فمثلا في قصيدة
”بن باس“ يصف عودة شاعر إلى وطنه الحبيب بعد غربته فترة طويلة، ولما اقترب من البوابة
المركزية للمدينة إذا بها حراس بالبنادق والرماح خاطبوا نغمته بسلاحهم:

لیکن میرے شہر کے سارے رستوں پر
اب باڑے لوہے کے کانٹوں کی
شہ دروازے پر کچھ پہرہ دار کھڑے ہیں

^(۱) قصيدة ”هواؤں کی بشارت“ (بشریات الرباح)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات بلا صوت)، ص

جو مجھ سے اور مجھ جیسے دل والوں کی

پہچان سے عاری

میرے ساز سے

سنگینوں سے بات کریں^(۱)

أي: "كل طريق من طرق مدينتي بها سور من أشواك الحديد،
ويقف بالباب حراس ينكرونني وينكرون أمثالي من ذوي القلوب الصافية".

وما أوسع الفجوة بين وعي الشاعر ذي نعمة هادئة وحراس أولي سلاح شوكي،
أنكروه ولم يصغوا إلى استئذان الشاعر الذي تمنى أن يدخل باب المدينة فكان نصيبه أن يتيه
بجسده الممزق ونفسه الملتاعة وروحه الجريحة في الصحاري والغابات:

میں اپنے جسم کا لمبہ

ساز کا لاشہ

اپنے شہر کے شہ دروازے

کی دہلیز پہ چھوڑ کے

پھر انجانے شہروں کی شاہراہوں پر

مجبور سفر ہوں^(۲)

أي: "فتركت مخلفات جسدي وجثة نغماتي على دھليز البوابة
المركزية واضطرت إلى بدء رحلة نحو مدن غير معلومة".

والاستبداد السياسي يلد الاستبداد الاقتصادي الذي يتمثل في غلبة أسر معدودة على
معظم الثروات الوطنية، وبفضله يشقى الشعب كله بدون استثناء خلال الحكم الاستبدادي
إلا أن معاناة الطبقات الضعيفة مثل الفلاحين والعمال والفقراء تزدوج وتتضاعف لأن الفساد
ينتشر ويعم البلاد. والشعر الأردني المقاوم للاستبداد وصف دقيق للمعاسي التي كان ضحيتها

(۱) قصيدة "بن باس" (بلا رائحة)، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (فی طرقات بلا صوت) ص ۲۲ و ۲۳

(۲) المرجع نفسه

الطبقات البائسة مثل الفلاحين والعمال والفقراء وهو تعبير مؤثر عما يختلج في نفوسهم إزاء هذه الفظائع. وكانت أحوالهم منبعاً فياضاً لشاعرية فيض الشاعر، يقول:

عاجزی سیکھی غریبوں کی حمایت سیکھی
یاں حرمان کے، دکھ درد کے معنی سیکھے
زیر دستوں کے مصائب کو سمجھنا سیکھا
سرد آہوں کے رخِ زرد کے معنی سیکھے^(۱)

أي: "تعلمت الحب والتواضع ومساعدة الفقراء كما علمني معاني
الحرمان والألم. وبه تعلمت الأسلوب الصحيح لفهم مصائب الضعفاء وفهم
الرسالة الكامنة في آهاتهم".

ففرّاز اذ يشيد بمظمة دور العمال والفلاحين ويذكر فضلهم قائلاً:

ملوں میں چہرہ مزدور تہمتاتا ہے
تو کھیتوں میں کسان خون بہرتے ہیں^(۲)

أي: "تتور وجوه العمال في المصانع ويروى الفلاحون حقولهم
بدمائهم".

يدرك ما تعانيه طبقة الفلاحين والعمال من مشاكل على رأسها أنها بعد جهد مضن
يستغرق شهوراً وسنوات لا يجدون أجراً مناسباً لجهدهم وتظل أسرهم جائعة:

ہم روشنی لائے تھا اپنا لہو جلا کر
ہم پھول اگاتے تھے پسینے میں نہا کر

(۱) قصیدہ "رتیب ہے"، (من الرقیب) من دیوان "نقش فریادی" (نقوش مستغیث)، ص ۴۷

(۲) قصیدہ "سبھی شریک سفر ہیں" (الجميع شركاء الرحلة)، دیوان "شبِ خون" (هجوم في الليل)، ص ۱۰

لے جاتا مگر کوئی فصل اٹھا کر
رہتے تھے ہمیشہ تہی دلمان ہمارے^(۱)

أي: ”كنا أضأنا النور بعد ما أحرقنا دماءنا، وزرعنا الأزهار بعد ما
سقيناها عروقنا ولكن عند الحصاد نزع منا يد حصادنا فكنا نبقي لا نملك
قطميرا“.

و كذلك لا يختلف أمر العمال عن أمر الفلاحين، فالعامل الذي يزين المدينة بحبر دمه
يبقى بيته هو خربا غير معمور:

ہم وہ جو کڑی دھوپ میں جسموں کو جلائیں
ہم وہ ہیں کہ صحراؤں کو گلزار بنائیں
ہم اپنا لہو خاک کے تودوں کو پلائیں
اس پر بھی گھردندے رہے ویران ہمارے^(۲)

أي: ”نحن الذين يحرقون أجسادهم تحت الشمس والذين يمنحون
الصحراء جمال البساتين والذين يسقون التراب دماءهم ورغم ذلك الجهد
المضني تبقى بيوتنا تعمرها الوحشة“.

والسبب في اضطهاد حق الفلاحين والعمال هو تلك اليد القوية التي تحرمهم ما
يزرعون وما يبنون، إنها يد أسر مستبدة معدودة تلعب بأرزاقهم وأقدارهم كما تشاء،
ويسجل حبيب جالب شكواه من هذا الوضع القاسي رافضا أن يسمح لأحد اعتصاب
حقوقهم، يقول:

یہ دھرتی ہے اصل میں پیارے مزدوروں دہقانوں کی
اس دھرتی پر چل نہ سکے گی مرضی چند گھرانوں کی^(۳)

(۱) قصیدہ ”یہ کھیت ہمارے یہ کھلیان ہمارے“ (حقولنا وزروعنا) دیوان ”شب خون“ (مجموع فی اللیل)، ص ۸۴

(۲) المرجع نفسه

(۳) قصیدہ بلا عنوان، دیوان جالب، ص ۱۷۵

ای: ”إنها أرض العمال والفلاحين الأبرياء، ولن تخضع لسيطرة
أسر معدودة“.

ولعل احتكار ثروات وأموال البلد في أسر خاصة هي التي جعلت الشاعر جالب
والشاعر فراز يشکون تحالف طبقات حاکمة لا غتصاب أموال العامة بينما يعيش الفقراء
محرومين من أبسط التسهيلات المدنية الأساسية كالصحة والتعليم والنظافة وغيرها، يقول
أحمد فراز:

میں نہ سو ہزار نہ لاکھ ہیں پورے آٹھ کروڑ
اتنے انسانوں پر لیکن چند افراد کا زور^(۱)

ای: ”أيها الخلق الجائع عجبا أمرک، ليس مئات وآلاف، بل عددک
ثمانون مليون نسمة ورغم ذلك أرى طائفة صغيرة تسلطت على هذا الجمع
من الناس“.

ويعصور جالب معاناة الطبقات البائسة علي أيدي هذه الأسر الحاكمة قائلا:

میں گھرانے ہیں آباد
اور کروڑوں ہیں ناشاد^(۲)

ای: ”أصاب الرخاء عشرون أسرة وحرم مئات الآلاف، ما زلنا
نعيش في ليلة تغشانا من قرون سوداء“.

و قصیدہ ”رئیب سے“ (من الرقیب) للشاعر فیض أحمد تصف دخائل نفسه عندما
شاهد الضفعاء الباکیں وقد جفت دموهم في العیون وأدرک کیف تنزع منهم يد قویة لقمة
عیشهم، ویصف کیفیة إسالة دم الفقراء علی الشوارع، یقول:

جب کہیں بیٹھ کے روتے ہیں وہ بے کس جن کے
انک آنکھوں میں چلتے ہوئے سو جاتے ہیں

(۱) قصیدہ ”اے بھوکی مخلوق“ (أيها الخلق الجائع) دیوان ”تہاتہا“، (وحیداً منفرداً)، ص ۵۹

(۲) من قصیدہ ”میں گھرانے“ (عشرون أسرة)، دیوان جالب، ص ۱۳۷

تاوانوں کے نوالوں پہ جھپٹتے ہیں عقاب
 بازو تولے ہوئے منڈلاتے ہوئے آتے ہیں
 جب کبھی بکنا ہے بازار میں مزدور کا گوشت
 شاہراہوں پہ غریبوں کا لہو بہتا ہے^(۱)

أى: ”لما أرى الضعفاء الباكين الذين تحف دمومهم في العيون ولما
 أرى يدا قوية تنزع من المفلسين لقمة عيشهم ولما أرى لحم العمال يعرض
 للبيع في الأسواق ودم الفقراء يسيل على الشوارع لما أرى كل ذلك تتأجج نار
 في صدري ولا أجد نفسي قادرا على ضبط نفسي“.

و فی قصیدہ ”الجوہری“ اُثار الشاعر أحمد فراز قضية أخرى تبين كيف يستغل
 الطبقات الظالمة فقر الفقراء لتحرمهم ما يملكونه من متاع حقير وتبين مدى عجزهم واستغلال
 الطبقات الظالمة بؤسهم لمصالحهم المادية والمالية، لا يحدث ذلك إلا بسبب فقرهم
 واحتياجهم:

مجھ پر روشن ہے کہ اس جنس گرانمایہ کو
 میرے افلاس نے کم نرخ بنا رکھا ہے
 دیکھ کر میری نگاہوں میں طلب کی شدت
 تو نے انصاف کو نیلام چڑھا رکھا ہے^(۲)

أى: ”أيها الجوهرى، أعرف أنه ما رخص هذا الجنس الغالي إلا
 فقري وبؤسي، ورأيت علامات الاحتياج والطلب في عيني فجعلت العدل
 سلعة تباع وتشتري“.

(۱) قصیدہ ”رقیب سے“، (من الرقيب) من دیوان ”نقش فریادی“ (نفوس مستفیث)، ص ۴۷

(۲) قصیدہ ”صراف“ (الجوہری)، دیوان ”تنہاتہا“، (وحیدا منفردا)، ص ۸۴

وضمن الشعر الأردی المقاوم للاستبداد صوراً لمعاناة المرأة التي كانت ضحية للاستبداد فمثلاً ينعى حبيب جالب على بنت علمت بسر من أسرار أسرة المغول المالكة فقتلتها الأسرة المالكة لكيلا تبدي السر الخطير:

کبھی چنی گئی دیوار میں انار کلی
کبھی شکفتلا پتھرا کا شکار ہوئی
مگر یہ تخت یہ سلطان یہ بیگمات یہ قصر
مؤرخین کی نظروں میں بے گناہ رہے^(۱)

أي: ”رجمت شکفتلا تارۃ ورصفت أنار کلي في الجدران أخرى
ظلمنا وفسرنا ولكن ظل مؤرخ العصر يبرر كلا من العرش وصاحب العرش
وأزواجه والقصر من كل ذنب وخطأ. وإذا ما حدث أن كشف الوقت عن
سر ظل الناس يؤيدون صاحب الحكم“.

ومن أشجع وجوه المستبد ذلك الذي يمزق الحجاب ويستهرت كرامة البنت، وعبر شعراء المقاومة عن هذه المأساة الإنسانية الدنيئة بأسلوب قوي يثير الخواطر ويهز المشاعر. وتعاطف حبيب جالب مع راقصة استدعيت لترقص أمام رئيس بلد آخر ضيف جاء لزيارة باكستان آنذاك، فأبنت بأن تفعل هذا فجيء بها وهي مغلولة وأجبرت على الرقص أمام الحضور،^(۲) فقصيدة جالب المعنونة بـ ”الرقص“ صورت تصويراً مؤلماً ومؤثراً في وقت واحد ورسمت لنا مدى الشقاء التي تعاني منها بنات حواء في أحيان كثيرة ومدى العجز الذي يعيشه وما أصدق تعبيره إذ قال:

تو کہ ناواقف آداب غلامی ہے ابھی
رقص زنجیر پہن کر بھی کیا جاتا ہے^(۳)

(۱) قصيدة ”بالو کے نام“ (إلى بانو) ديوان ”تنہاتہا“ (وحيداً منفرداً)، ص ۲۴

(۲) لم يرو مصدر تاريخي موثوق به هذه القصة المشهورة بالتفصيل الذي يوجد في القصيدة، واشتهرت بسبب قصيدتها وعرضت في فيلم سينمائي، وقد دفع ذلك البعض إلى إنكارها على الإطلاق.

(۳) قصيدة ”نیلو“ (نيلو)، ديوان حالب، ص ۲۰۳

آی: "جھلستے - یا بانو - آداب العبودیہ، فإنہ بالإمكان الرقص مقیدا بالأغلال والقيود".

ومن أهم الموضوعات في الشعر الأردني المقاوم القيود الصارمة التي تفرض على حرية التعبير عن الرأي، فالحكومة الاستبدادية تسعى بكل وسائلها لكبح الصوت المعارض والفكر المخالف له، فتفرض قيود على الفكر ويراقب النص مثلما يراقب اللص، ويعلو الأجواء ضباب الذعر والخوف.

ورغم أن الاختلاف عن الحكومة ومعارضتها يعتبر حقاً أساسياً لكل مواطن في المجتمعات المتقدمة ويعتبر شرطاً لازماً لصلاح المجتمع والحكومة والدولة غير أنه يتحول إلى جريمة لا يعفى عنها في الحكم الاستبدادي حيث يحظر الإبانة عن الرأي المختلف والمعارض للحكومة. وشكوى شعراء المقاومة الأردنيين من هذه الأجواء الضيقة الخانقة متكررة في شعرهم، ها هو الشاعر فيض يرسم لنا ضباب الذعر والخوف ويصور مدى شدة الرقابة على الأفلام والأفكار في قوله:

نار میں تیری گلیوں کے اے وطن کہ جہاں

چلی ہے رسم کہ کوئی نہ سر اٹھا کے چلے^(۱)

آی: "وطنی، فدیت طرقاتک حیث فرض علی الجميع المشي مطأطأ الرأس".

وینعی حق التعبير المسلوب فقد أصبح قول الحق عملاً لا يطاق وجريمة لا تغتفر:

جسم پر قید ہے، جذبات پہ زنجیریں ہیں

فکر محبوس ہے، جذبات پہ تعزیریں ہیں

اپنی ہمت ہے کہ ہم پھر بھی جئے جاتے ہیں^(۲)

(۱) قصیدہ "نار میں تیری گلیوں کے"، (فدیت طرقاتک ایہا الوطن)، دیوان "دست صبا" (ید الصبا)، ص ۵۳

(۲) قصیدہ "چند روز اور مری جان" (مہلا لایام یا أعز شیء علی)، دیوان "نقش فریادی" (نقوش مستغیت)، ص

آی: ”الجسد مقید بالقیود والأفکار مقيدة بسلاسل وقد حبس الفكر والمشاعر. فعجبا لنا كيف نعيش رغم كل هذه الأحوال“.

ومثله أحمد فراز إذ يشعر بأنه يعيش في عالم قتل فيه الفكر ونزعت من الجسد روح الحركة فلم تعد المدينة تصلح للأحياء ولن يجد الجثث من يشخصها:

سارا شهر ہے مردہ خانہ
کون اس بھید کو جانے گا
ہم سارے لادراٹ لاشیں
کون ہمیں پہچانے گا^(۱)

آی: ”المدينة هذه كأنها مأمن الموتى، فمن يعلم بهذا السر. نعيش وكأننا جثث لا وريثة لهم، جثث لا نجد من يميزها بعد موتها“.

فإذا كان على الشعراء أن يدفعوا ثمن ما يقولون بأشكال شتى كالحبس والحصار والسجن والنفي والإجلاء فكذلك تمر الصحافة الحرة ويمر الصحفيون الأحرار بعصر المحن والابتلاء حيث يصعب على الصحفيين وصف الحقائق وفق الأحداث إذ يطالبهم النظام المستبد باختيار منحى وفق ما يشاء النظام المستبد وتواجه أنواعا من الضغوط المالية والإدارية والمهنية. وكشف شعراء الأردنية عن خبايا هذه القضية والمعاناة التي تحملها الصحفي الصادق والمشاكل التي تواجهها الصحافة الحرة في عصر الاستبداد وبينوا كيف تمنح للصحافة المزيفة حرية مطلقة. يصور الشاعر فيض صعوبة الصحفيين والكتاب الأحرار في أداء فريضتهم وكيف باع بعض الأدباء والمفكرين أقلامهم في مزاد الاستبداد، يقول:

قلم ہونے لگی گردن قلم کے پاسبانوں کی
کھلا نیلام ذہنوں کا لگی بولی زبانوں کی^(۲)

^(۱) قصيدة ”شہر آشوب“ (المدينة المتدمرة)، دیوان ”في طرقات بلا صوت“ (بے آواز لگی کوچوں میں)، ص ۱۱۲

^(۲) قصيدة بدون عنوان، دیوان ”مرے دل مرے مسافر“ (قلبي، مسافري)، ص ۳۵

أی: ”قطعت رؤوس المحافظین علی حرمة القلم وزینت الأسواق
لصفقة العقول ومزاد الأفكار والألسنة“.

ولا يتنازع اثنان في أن هذه الكارثة كانت لها تأثيرات بعيدة ليس في السياسة فحسب بل تزعزع به وجود الدولة المتحدة كما وضعت بصمة سوداء في جبين النظام القضائي الذي فشل في غسله وتلافيه. ويرى الشاعر حبيب جالب أن المستبد منح حرية التعبير عن الرأي كل من كان مؤيدا له:

آج حرف آخر ہے بات چند لوگوں کی
دن ہے چند لوگوں کا رات چند لوگوں کی^(۱)

أی: ”اليوم تعالت كلمة فئة دون أخرى، والنهار لطائفة والليل
لأخرى“.

وتتضاعف محنة الشاعر الحر في الفترة الاستبدادية، لأنه يواجه محاولات متنوعة لإخماد ثورته الشعرية مثل التخويف والتهديد والتطميع والتلفيق، فليس السعي للتحرر من الاستبداد والدعوة إلى مبادئ الحرية والعدل عملا سهلا في الظروف التي عاشها شعراء المقاومة، وقصيدة ”الحصار“ للشاعر أحمد فراز أحسن ما يكشف عن مثل هذه المحاولات، والقصيدة تلك عبارة عن لقاء رسول من الحاكم المستبد مع شاعر حر، يحاول أولهما إقناع الثاني بالتنازل عن أفكاره الثورية وإنذاره بمصيره الوخيم، يقول له الشاعر:

مرے غنیم نے مجھ کو پیام بھیجا ہے
کہ حلقہ زن ہیں میرے گرد لشکری اس کے
فصل شہر کے ہر برج ہر منارے پر
کماں بدست ستادہ ہیں عسکری اس کے^(۲)

(۱) قصيدة ”جمہوریت“ (الديموقراطية)، ديوان جالب، ص ۱۳۳

(۲) قصيدة ”محاصرة“ (الحصار)، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۱۳

أي: ”أرسلني عدوي رسالة إلى، أخبرني فيها أن حراسه اصطفوا حولي في دائرة، وأن جنوده الواقفون على كل فصيل ومنارة ومرج مستعدون لرمي سهامهم“.

والرسالة تتلخص في كلمة واحدة، وهي ”الموت“ ثمنًا لحرية الكلمة التي عشا يحلم بها الشاعر، ويطالبه رسول الطاغية بالتنازل عن ملكه الذي لا يملك شيئًا سواه، يقول:

سو شرط یہ ہے جو جان کی اماں چاہتے ہو
تو اپنے لوح و قلم قتل گاہ میں رکھ دو^(۱)

أي: ”وأخبرني بأن ضمان حياتك مشروط بوضع قلمك وبياضك في المقتل“.

ويشبهه الشاعر فيض إذ يصف مدى الضغوط التي يواجهها من رجال الحاكم المستبد الذي يسعون إقناعه بالسكوت، يقول:

متاع لوح و قلم چھن گئی تو کیا غم ہے
کہ خون دل میں ڈبو لی ہیں انگلیاں میں نے^(۲)

أي: ”سلب مني قلمي ولوحي، فلا أبالي بذلك، فها أنا أسطر كلماتي بأصابعي المضرخة بدم قلبي“.

والشاعر حبيب جالب يعلن في مثل هذا الوضع المخيف صموده أمام عواصف رسمية تهدده وتخوفه وتجبره على العدول عن أفكاره الثورية، يقول:

ہر فرض تجھی پر کہ ہر اک عہد میں جالب
آلام اٹھائے جا، اپنی زبان نہ کر بند^(۳)

(۱) قصيدة ”محاصرة“ (الحصار)، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۱۳

(۲) بداية ديوان ”دست صبا“ (يد الصبا)، ۱۵

(۳) قصيدة بدون عنوان، ص ۲۷۶

أى: "عليك يا جالب التجلد على الآلام دون أن تكف لسانك عن رفع الحق".

وكان شديد الرفض لهذه الضغوط التي كلما اشتدت كلما اشتد رفضه لها، وكان صوت رفضه العلني يشق السكوت الذي يعم الأجواء، يقول:

میں بھی خائف نہیں تختہ دار سے
میں بھی منصور ہوں کہہ دو اغیار سے
کیوں ڈراتے ہو زنداں کی دیوار سے
ظلم کی بات کو، جہل کی رات کو
میں نہیں مانتا، میں نہیں مانتا^(۱)

أى: "ألا! أبلغوا الحكام المستبدین أنني منصور هذا العصر، لا أخاف شتقا ولا صلبا، ولا تخوفوني غياهب السجن، فإنني لن أقبل كلمة جائرة وليلة مظلمة، ولا ولن أقبل دستورا مثل صبح حرم نورا".

خاف الاستبداد روح الحرية التي بثها قصائد الشعراء الأحرار فحاول التقليل من تأثيرها في نفوس الجمهور المضطهدين، وكلما ازدادت الضغوط قست لهجة الشاعر ليرفض أي مساومة أو مصالحة، لأن أي تنازل عن موقفه بأي دليل من الأدلة خيانة بروح الشهداء الأحرار، وخير مثالها بيت فراز الذي قال:

ہو کس طرح سے محبت کی گفتگو کہ ابھی
مرے لہو سے ترا فرش و سقف گیلا ہے^(۲)

أى: "كيف يمكن أن نتبادل حديث الحب فلا يزال سقف بيتك وعرشه مبتلا بدمي".

(۱) من قصيدة: "دستور" (الدستور)، ديوان حالب، ص ۱۲۹

(۲) قصيدة مدن عنوان، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۰۶

یتصف الاستبداد بخصائص وصفات معينة تجلت بوضوح في الشعرین العربی والأردی معا وكان تشابه شعراء اللغتين واضحا تماما في وصفهم القوة المستبدة وإبراز جوانب منها، وكما سبق تتمثل القوة المستبدة بأشكال مختلفة كأفراد وأشخاص أو جماعات وأحزاب وطبقات وأسر وتحاول بثتى الوسائل أن تحصل على سلطة مطلقة دون مراقبة قضائية وتمنح نفسها قداسة دينية وشرعية وتزعم في مرحلة من مراحلها أنها بلغت درجة الألوهية ويحتكر المستبد كل السلطات بيده ويسخرها لخدمة استبداده، ومن البدهي أن تتصادم قوته المستبدة وحرية الفكر، وتتمثل أرفع درجات قسره في تأله حيث يزعم لتكبره أنه اتصف ببعض الصفات الإلهية، ويسعى للاصطباغ بصيغة شرعية تمنحه قداسة شرعية في قلوب الجماهير فيعتبر الانقياد لأوامره طاعة لله والاختلاف عنه معصية للخالق الجبار، ويظن الشعب أن حياته رهينة بوجود الحاكم لو لا هو لفقد الشعب وجوده، ويدرك حبيب جالب الحالة النفسية المستبد والإفلاس الفكري لشعبه الذي أيقن بأن بقاءه مناط ببقاء المستبد، يقول:

تو	خدا	کا	نور	ہے
عقل	ہے	شعور	ہے	
قوم	تیرے	ساتھ	ہے	
تیری	ہی	وجود	سے	
ملک کی	نجات	ہے		
تو	ہے	مہر	صبح	نو
تیرے	بعد	رات	ہے ^(۱)	

أي: "أنت نور الله، أنت العقل والفكر، والشعب معك. ولا بقاء للبلد إلا بك. أنت الصبح المبسم، ولا شيء بعدك إلا الليل".

والمستبد شديد الاعتماد على قوته التي يحاول بها إخضاع رؤوس الأحرار غير مبال بفكرهم الحر، يقول فراز:

(۱) قصيدة "مثير" (المستنار)، ديوان جالب، ص ۱۴

اسے ہے سطوت شمشیر پہ گھمٹ بہت
اسے شکوہ قلم کا نہیں ہے اندازہ^(۱)

أي: "إنه يتفاخر ويتكبر بقوة السيف، فلعله لا يعي ولا يدرك قوة القلم".

وندد شعراء الأردية بتأله المستبد وادعائه القداسة الإلهية بأساليب مفعمة بالسخرية والتهكم، يقول الشاعر جالب:

تم سے پہلے جو شخص یہاں تخت نشین تھا
اس کو بھی اپنے خدا ہونے پر اتنا ہی یقین تھا^(۲)

أي: "إن من كان يستولي على هذا العرش قبلك، كان يؤمن مثلك بأنه إله".

كما ضمن حديثهم عن الحكام المستبدین تغافلهم وانغماسهم في ملذاتهم، ويقدم عدة صور مؤسفة للحكام وتغافلهم عن شعبه المنهوك وانغماسهم في الشهوات. يشكو حبيب جالب انغماس ذوي الحكم في ملذاتهم وتغافلهم عن أحوال الجمهور قائلا:

کوئی ممنون فرنگی، کوئی ڈالر کا غلام
دھڑکنیں محکوم ان کہیں لب پہ آزادی کا نام^(۳)

أي: "إن هؤلاء الوزراء بعضهم مدين للإنجليز والآخرين يعبدون الدولارات، يلفظون بكلمة الحرية وقلوبهم أسيرة. لا يدركون ما آلت إليه أحوال الناس".

ويأسه من الأمور جلي فلا يكاد يعلق أمنية من أمانيه بهم، لأنهم جزء من الطائفة المستبدة، يقول:

(۱) قصيدة "محاصرة" (الحصار)، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۱۳

(۲) قصيدة ص ۱۵۲

(۳) من قصيدة: "یہ وزیران کرام" (هؤلاء الوزراء الكرام)، ديوان جالب، ص ۱۱۲

شیوخ و شاہ تو ہیں خود شریک ظلم و ستم
شیوخ و شاہ سے رکھو نہ کچھ امید کرم^(۱)

أی: "إن هؤلاء الملوك والحكام من الظلمة، فلا تتوقعوا منهم كرما
وفضلا".

لأن من دیدنهم أنهم لا یبالون بالمعاناة التي يتحملها الشعب، يقول فراز:

ستم کی آگ میں جلے رہے عوام مگر
جہاں پناہ ہمیشہ جہاں پناہ رہے^(۲)

أی: "ظل الشعب يحترق في تنور الاضطهاد والضيم ولكن ظل
جلالة الملك ذا الجلالة".

وضمن الشعر الأردی المقاوم موضوع استغلال الجيش فرص الاستبداد واحتلاله
مناصب الحكم، فمن أحلى اللحظات التي يمر بها شاعر هي ما يقف فيها مع جنود الوطن
المدافعين عن أرضه الطاهرة من العدو اللدود فيعزف على قيثارته ويأتي بألحان تشدوها
الرياح، وقد ينقلب الوضع فيمر الشاعر بأمر لحظات في حياته إذ يضطر إلى الوقوف في وجه
جيشة العزيز يستقبل سهامه المسمومة على صدره ويشكو تظالعه واستبداده ويتحدى قسره
وظلمه، يقول فراز:

مرے	پاباں	مرے	نقب	زن
مرا	ملک	ملک	یتیم	ہے
مرا	دیس	میر	پاہ	کا
مرا	شہر	مال	غنیم	ہے ^(۳)

أی: "حراسي لصوصي، وبلدي مال اليتيم، ولا يملك موطني إلا
رئيس القوات، ومدينتي مال الغنائم".

(۱) قصیدہ "یزید سے ہیں نبرد آزما فلسطینی" (نضال الفلستین ضد یزید)، دیوان جالب، ص ۲۱۷

(۲) قصیدہ "بانو کے نام" (إلى بانو) دیوان "تہاتہا" (وحیدا منفردا)، المرجع نفسه، ص ۲۶

(۳) من قصیدہ "شہر نامہ" (أخبار المدينة)، دیوان "پہل انداز موسم" (وراء أحوال الموسم)، ص ۱۰۹۲

و ساد الاستبداد العسكري بكل مآسيها باكستان لفترات طويلة بين النصف الثاني من القرن العشرين، وأشد ما تألم به شعراء الأردنية هو دور الجيش واحتلاله عرش الحكم بحيلة أو أخرى وأسفرت العهود العسكرية عن نتائج صعبت على الحكومات الديمقراطية تحملها.

ورغم المكانة المرموقة للجيش ودوره في قلوب الجماهير رفض الشعراء بكل شدة الحكم العسكري بأشكاله المختلفة، تأمل حبيب جالب وهو يرفض الحكم العسكري بلهجة تنم عن رفض شديد وتهكم لاذع:

ظلمت کو ضیا، صر صر کو صبا، بندے کو خدا کیا لکھتا
پتھر کو گہر، دیوار کو در، کرگس کو ہا کیا لکھتا^(۱)

أي: "كيف أسمى الظلمات ضياء، وكيف أسمى الريح العاتية صبا، وكيف أسمى العبد إلها، وكيف أسمى الحجر درا، والجدار دارا، والغراب حماما".

وتولي الجيش مقاليد الحكم بمثابة الفدر بالوطن فلا مسوغ ولا مبرر له، وهي خيانة صريحة في الأمانة التي فوضت إليه، يقول فراز:

جن	کو	برسوں	دودھ	پلایا
ان	تاگوں	کے	پھن	نکھے
رکھوالوں	کی	نیت	بدلی	
گھر	کے	مالک	بن	بیٹھے ^(۲)

أي: "وبدأت الثعابين التي رضعناها سنوات بدأت تحرقنا بنفثاتها وساءت نية حراس الدار فاحتلوها".

(۱) قصيدة بدون عنوان، ديوان جالب، ص ۱۸۱

(۲) قصيدة "شہر آشوب" (مدينة الاضطراب)، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۰۹

وأکبر ما ینبت الکراهة والحقْد علی الجیش فی نفوس الجماهیر هو أن الجیش یحل
 جمیع الشئون والمشاکل بالسلاح ولا یملک مهارة المفاوضات السیاسیة شأن الساسة وممثلی
 الشعب الذین یبعدم الجیش عن مراكز النفوذ والسلطة، وبذلك یتورط فی أخطاء جسیمة
 تسفر عن کوارث ومآسی تاریخیة لا تندمل لمدة طویلة، یقول فراز:

وہ جو سرکشی کا ہو مرتکب
 اے تمچیوں سے زبوں کرو
 جہاں خلق شہر ہو مشتعل
 اے گولیوں سے نگوں کرو^(۱)

أي: ”اقطعوا بالناشیر کل من ارتکب جرعة الاختلاف،
 وأخضعوا خلق المدينة المتظاهرة بالرصاصات“.

بل قد یشكل خطرا علی کیان الدولة. صور حیب جالب مآسی انفصال البنغال عن
 پاکستان الناجمة عن إطلاق النیران علی الجمهور المتظاهرين قائلا:

محبت گولیوں سے بو رہے ہو
 وطن کا چہرہ خون سے دھو رہے ہو^(۲)

أي: ”بالرصاصات تزرعون الحب، وبالدماء تغسلون أرض
 الوطن، وتحسبونکم مرشدين بينما أراکم غاوين“.

فلیس استیلاء الجیش علی مناصب الحکم إلا بمثابة احتلال الحارس الدار الّتی تربیه
 وتؤویه. وسخر الشعراء من قصص البطولة وأساطیر المجد الّتی تبث من وسائل الإعلام
 فلیست ضحيتها إلا الشعب الذی غصب الجیش حریته، یقول جالب:

یہ فسانہ ہے پاسبانوں کا
 چاق وچوبند نوجوانوں کا

(۱) من قصیدة: ”شہر نامہ“ (أحار المدیة)، دیوان ”پس انداز موسم“ (وراء أحوال الموسم)، ص ۱۰۹۳

(۲) قصیدة: ”۱۹۷۱ کے خوش آشام بنگال کے نام“ (إلى البنغال المترفة فی سنة ۱۹۷۱)، دیوان جالب، ص ۲۱۸

سرحدوں کی نہ پاسبانی کی
ہم سے ہی داد لی جوانی کی^(۱)

أى: "مغزى قصة هؤلاء الفتية النشاط أنهم غفلوا عن دفاع حدود الوطن وتوقعوا منا الشاء عليهم".

وضمن الشعر الأردني المقاوم للاستبداد موضوعات وأفكار تعالج دور من يساعد الاستبداد، فما كان الاستبداد ليثبت أقدامه في شعب لو لم يجد أنصاره وأعوانه من الأفراد والجماعات والأحزاب السياسية والطوائف مثل بعض الساسة والأدباء والشعراء والصحفيين والسلطات الرسمية مثل البرلمان، والمخابرات والشرطة والمحاكم القضائية، وتأتي مساعدة هؤلاء للاستبداد بطريقتين، أولهما قبوله والارتضاء به والوقوف معه موقف المناضل له وتأنيده تأييدا علنيا في كل خطواته وسكراته. وثانيهما: إغماض الطرف عنه والسكوت على ظلمه والتقاعد عن الكفاح ضده. ويحمل النوعان من الأفراد والأحزاب والطبقات والسلطات في جرائم المستبد مسئولية لا تقل عن مسئولية المستبد نفسه ولا يصدر ذلك إلا لدواعي الحرص أو الطمع أو من بواعث الخوف. وكشف شعراء المقاومة الأحرار عن دناءة هؤلاء في مقاومتهم الشعرية فالشخصيات والأحزاب والطبقات وحتى الدول الكبيرة والمنظمات الدولية التي تساعد الاستبداد وتؤيدها من أجل اكتساب مصالح خاصة بها كانت عرضة لسهامهم الشعرية.

يحاول المستبدون أن يمنحوا حكمهم الجائر شعبية بإيجاد برلمانات مزيفة عن طريق استفتاءات وانتخابات مزيفة وينصبون دماهم الوفية بشكل أعضاء برلمان يخترع دستورا يمنح أهواء المستبدين الدنسة شرعية مطلقة ويشبع رغباتهم فوق ما يطلبون ويغطي جرائمهم بترسانة دستورية وقانونية، ولا تتجاوز رتبة تلك البرلمانات رتبة بواب مرهون بإشارة سيده يحركه كما يشاء. وتوافقت أصوات شعراء المقاومة الأردنيين في التنديد بمثل هذه الألاعيب الانتخابية والخرية البرلمانية فرفضوا مثل هذه الانتخابات والبرلمانات والدساتير، يقول جالب:

(۱) قصيدة "دستان دل وونیم" (القلب الحزين)، ديوان جالب، ص ۲۵۵

رہے جس کا محلات میں ہی چلے
چند لوگوں کی خوشیوں کو لے کر چلے
وہ جو سائے کے ہر مصلحت میں چلے
ایسے دستور کو صبح بے نور کو
میں نہیں مانتا، میں نہیں جانتا^(۱)

أي: "أرفض هذا الدستور ولن أقبله لأنه لا يضيء بنوره إلا بعض
القصور ولا ينمو إلا تحت ظلال مصالح خاصة معينة تخدم طائفة دون
أخرى".

وما أشد تهكمه بلعبة الاستفتاء العام الذي أجري في العهد العسكري الثالث
بشروط مضحكة جدا، قال:

شہر میں ہو کا عالم تھا
جن تھا یا ریفرنڈم تھا^(۲)
أي: "ساد المدينة موجة وحش، أقدوم جن كان ذلك أم استفتاء".

وضمنت المقاومة الشعرية الأردنية للاستبداد فضح دور قضاة ومحاكم حافظت على
مصالح الاستبداد بكل وقاحة، وسجل شعراء دور المحاكم المزيفة والمؤيدة للحكم الاستبدادي
فكانت أشعارهم بمثابة شهود عيان للمخازي القضائية التي ارتكبها المتربعون على منصة
القضاء فسخرُوا بأوامرهم الظالمة بآيات تنم عن السخرية والتهكم وكشفوا عن حقيقة
المحاكم المزيفة التي هي بمثابة دمي سلطانية لمنع استبداد الحكام صبغة قانونية وإباحة جورهم
والقاء معارضيتهم في غياهب السجن أو شتمهم باتهامات سخيفة، وتتحول بفضل أوامرهم
مجازر ومذابح، يقول:

(۱) قصيدة "دستور" (الدستور)، ديوان جالب، ص ۱۲۹

(۲) قصيدة: "ريفرنڈم" (الاستفتاء)، المرجع نفسه، ص ۳۲۱

ہیں قتل گاہیں یہ عدل گاہیں انہیں بھلا کس طرح سرائیں
غلام عادل نہیں رہیں گے غلط سزائیں نہیں رہیں گی^(۱)

أي: "صارت المحاكم مجازر، فكيف لنا أن نمدحها، وسيخلص
القضاة من العبودية وستنتهي العقوبات الخاطئة".

فالقضاة الجالسون على منصات القضاء أشد حرصاً من الجلاد على إقامة العقوبات
لينالوا بها إعجاب الحكام المستبدین، يقول فراز:

جلادوں سے بھی بڑھ کر
منصف وحشی پاگل ہیں^(۲)
أي: "وجن القضاة جنونا فوق جنون الجلاد".

وكذلك يشكو جالب معاملة القضاة القاسية الغير العادلة بالأحرار فهم قضاة
بمظهرهم ومجرمون بباطنهم، يلوح نقاقهم على جباههم السوداء، يقول:

یہ منصف بھی تو قیدی ہیں ہمیں انصاف کیا دیں گے
لکھا ہے ان کے چہرے پر جو ہم کو فیملہ دیں گے^(۳)

أي: "هؤلاء القضاة أسرى يعجزون عن رفع رأية العدل، والقرار
الذي سيصدرونه يلوح في صفحة جبينهم".

بينما يصفهم فراز بأنهم تولوا مهام العداوة والقضاء والحماية بأنفسهم فيحكمون
كما يشاءون، فلا رجاء في أن يأمل أمل في العدل:

(۱) قصيدة "عورتوں کا ترانہ" (نشید النساء)، دیوان حبیب جالب، ص ۳۰۱
(۲) قصيدة "شہر آشوب" (مدینۃ الاضطراب)، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (فی طرقات بلا صوت)، ص ۱۱۰
(۳) قصيدة "عورتوں کا ترانہ" (نشید النساء)، دیوان حبیب جالب، ص ۳۰۱

مری عدل گاہوں کی مصلحت
 مرے قاتلوں کی وکیل ہے
 مری خانقاہوں کی منزلت
 مری بزلی کی دلیل ہے^(۱)

أی: ”مصلحة محاکمی محامی من قتلونی، ورفعة منزلة معابدي
 دلیل علی جبنی“.

وما أصدق تعبير فيض أحمد فيض القضاء بأنهم مجرمون أصلاً لا يمكن أن
 يستقيم ميزان العدل بوجودهم ويصف الواقفين أمامهم في منصة المحكمة هم حراس العدل
 وحفاظه ولا يعاقبون إلا لجرمة وفاءهم للوطن:

پھر حشر کے سماں ہوئے ایوان ہوس میں
 بیٹھے ہیں ذوی العدل، گنہگار کھڑے ہیں
 ہاں جرم وفا دیکھئے کس کس پہ ہو ثابت
 وہ سارے خطا کار سر دار کھڑے ہیں^(۲)

أی: ”ديوان الشراصة يموج زهاء حيث يتربع ذوو العدل ويقف بين
 أيديهم المذنبون. انتظر قليلاً لترى من ثبت عليه جريمة الوفا فما نحن واقفون
 على خشبة الشنق“^(۳).

وبهذه الصراحة سجل شعراء المقاومة دور المحاكم المزيفة والمؤيدة للحكم العسكري
 فكان شعرهم بمثابة شهود عيان للمخازي القضائية التي ارتكبتها المترفعون على منصة القضاء.

ومن أعوان المستبد علماء البلاط الذين يجدون المستبد فيهم خير طائفة قادرة على إخماد
 شعلة الثورة ضده لأنها تملك مهارات خطائية لتهدئة أمواج الثورة المتلاطمة بحجج شرعية

(۱) من قصيدة: ”شہرنامہ“ (أخبار المدينة)، ديوان ”پس انداز موسم“ (وراء أحوال الموسم)، ص ۱۰۸۶

(۲) مقطع من ديوان ”دست صبا“، ”يد الصبا“ ص ۲۹

(۳) المرجع نفسه

متعسفة فہی بعد ما تطفئ بہا نارالحقد علی الحاکم المستبد تستطيع أن تمنح جور المستبد وظلمه صبغة دینة ودرجة روحانية يعتبر رفضها کفرا وخروجاً عن دائرة الإسلام.

فمن أهم الموضوعات التي ظهرت في الشعر الأردی المقاوم دور بعض الرجال والأحزاب التي تدعي الانتماء إلى الدين وتصطبغ بصبغة دینیة غیر أنها وقفت مع الحاکم المستبد بكل وقاحة لتعلب دوراً ریادیا في الدفاع عنه وترسخ مفاهیم غیر حقیقیة في أذهان الشعب عن شخصیة الحاکم المستبد وتعرضها كأنها شخصیة فوق إنسان عادی، يتصف بصفات خارقة للعادة وملکات ریائیة في بعض الأحيان وكأنما طاعة الخالق مشروطة بطاعته وعصیانه عصیان لله. وظل شعراء الأردیة المقاومین في حرب مستمرة ضد علماء البلاط یمزقون بأشعارهم نقاب القداسة التي تغطي به خبثها ويعتبر الاختلاف في رأیه إساءة إلى الدين الحنیف غیر أن فراز یجرؤ علی الاختلاف عنها بالخروج علیها علناً، یقول:

تمام شہر ہے شائگی کا زہر ہے

نہ جانے کیا ہو جو دوچار ہے ادب بھی نہ ہوں^(۱)

آی: "تخلق كل من في المدينة بخلق حسن، فماذا سيحدث لولا طائفة صغيرة من مسيئي الأدب".

وشیخ الحرم تعبیر عن بحرف الکلم عن مواضعه لیبرر المستبد من غیہ وطفیانہ، فیلقی أحمدفراز اللوم والعتاب من الاثنین، یقول:

امیر شہر کی نظر میں مفد و سرکش

خطیب شہر کے خطبوں میں کافر و مرتد^(۲)

آی: "لا یرانی والی المدينة إلا مفسدا وثوريا، أما واعظ المدينة فیعتبرني کافرا ومرتدا".

(۱) قصیدہ بدن عنوان، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات بلا صوت)، ص ۶

(۲) قصیدہ "وہ شام کیا تھی" (ما أعجب ذلك المساء)، دیوان "خواب گل پریشاں ہے" (أحلام الرهور المصطربة)،

وقد تلجأ هذه الطائفة إلى إقناع الشعب ببحور الحاکم وعدم الخروج علیه بمبدأ الإيمان بالقدر الذي يجب الإيمان به ويعتبر إنكاره كفر وزندقة، غیر أن حبیب جالب غیر مقتنع بهذا الاستدلال، فيقول:

بہت میں نے سنی ہے آپ کی تقریر مولانا
مگر بدل نہیں اب تک مری تقدیر مولانا^(۱)

”أيها الشيخ الواعظ، مضت فترة طويلة وأنا أسمع ما تلقى من خطب ومواعظ، ولكنها لم تغير شيئاً مما قدر لي.“

ولماذا يرى فراز قوافل العلماء نحوم حول قصر الحکام منتظرين هبة وعطية من الطاغية المستبد متناسين ما يلقون من خطب تعظ بالترکل على الله والكف عن نصرة الظالم بمشاركته في ظلمه، يقول:

قاتل اس شہر کا جب ہانت رہا تھا منصب
ایک درویش بھی دیکھا اسی دربار کے بیچ^(۲)

أي: ”رأيت درويشاً يقف في وسط البهو إذا كان قاتل المدينة يوزع المناصب.“

وقد كثر عند جميع شعراء المقاومة الأرديين كذلك نقد الأحزاب الدينية وتهكم رجال الدين وإلقاء لائمة على استغلالهم الدين لتقوية الحكم الاستبدادي. فلما تسابقت الأحزاب الدينية في تأييد الحاکم العسكري الجنرال ضياء الحق في الاستفتاء العام الذي أجري سنة ۱۹۸۴م تهكم جالب بالأحزاب الدينية قائلاً:

کچھ بارئیں سے چہرے تھے
اور ایمان کا ماتم تھا^(۳)

(۱) قصيدة ”مولانا“ (حضرة الشيخ)، ديوان جالب، ص ۱۶۶

(۲) قصيدة بدن عنوان، ديوان ”بے آواز گلی کو چوں میں“ (في طرقات بلا صوت)، ص ۶۰

(۳) قصيدة: ”ريفرعظم“ (الاستفتاء)، ديوان جالب، ص ۳۲۱

آی: "ظہرت وجوہ ملتحمہ، وكان ذلك تأيينا للإيمان".

وكان الشاعر أحمد فراز كثيرا ما يشكو اتحاد المستبد وأعوانه المتدينين ضد مقاومته
الشعرية، يقول:

کڑی ہے جنگ کہ اب کے مقابلے پہ فراز
امیر شہر بھی ہے اور خطیب شہر بھی ہے^(۱)

آی: "معرکتی المرۃ هذه حاسمة لأن المنافسة ضد حاکم المدينة
وواعظ المنبر معا".

إذا كان التنازل عن المصالح المرتبطة بفن الصحافة كالشهرة والصلوات والمال أول
شرط لممارسة الصحافة الصادقة فإن تأييد الاستبداد أسهل وأسرع وسيلة لكسب الجاه
والمناصب والأموال. ولعبت وسائل الإعلام - الرسمية منها خاصة - مثل التلفاز والإذاعة
دورا مضحكا جدا إذ سخرت كل طاقاتها وقدراتها لرسم عالم مثالي يعيش فيه الشعب آمنا
مطمئنا دون هم وغم في عصر الاستبداد، كما تخلق أساطير مزيفة لتمجيد شخصية الحاكم
المستبد، وتضع على وجهه القبح نقاب القدسية والجلال. ويعتبر الثناء على الطاغية المستبد
معيارا وحيدا للتعبير عن الرأي بينما يكبح كل صوت معارض فلا يث من التلفاز ولا ينشر من
المذياع إلا ما يعجب المستبد ويمجده، ولا يتمتع بحرية التعبير إلا هؤلاء الأدباء والمفكرون
الذين يسخرون فنهم لتمجيد الحكام، فالتلفاز يخدع الأبصار والمذياع يخدر الأذهان ويحشد في
الأذهان مزيف الأخبار والألحان. ولم يغفل عن مرصد شعراء مقاومة الاستبداد الأردنيين
خبث دورها، يستهزئ الشاعر جالب بهذا الوضع إذ يقول:

ثناء بدوں کی ہم سنتے ہیں اکثر
خدا سے بھی زیادہ ریڈیو پر^(۲)

آی: "نسمع من المذياع ثناء العباد على العباد أكثر من ثنائهم على
رب العباد".

(۱) قصیدہ بدن عنوان، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (فی طرقات بلا صوت)، ص ۹۹

(۲) قصیدہ بدوں عنوان، دیوان حالب، ص ۱۹۸

ولا تغطي وسائل الإعلام جرائم الطاغية المستبد برداء المجد والفخر وتضلّل الرأي العام فحسب بل تتولى فريضة تقبيح شخصية المعارضين باتهامات سخيفة مثل الغدر والإرهاب والثورة وغيرها، وكان فيض ضحية لمثل هذا الوضع إذ قال:

پھر کف آلودہ زبائیں مدح و ذم کی تمجییاں
میرے ذہن و گوش کے زخموں پر برسانے لگیں
پھر نکل آئے ہوساکوں کے قافلے
دردمند عشق پے ٹھٹھے لگانے لگے^(۱)

أی: ”عادت الألسنة القذرة ترسل عصي الذم والعذل على جروح
روحي وقلبي وتهيات قوافل ذوي الحرص والطمع لتسخر بالعشق
الصادق“.

وكذلك يمجّد المستبد من بين معشر الشعراء بعض أعوانه، وما هؤلاء إلا المفلسون
فكريا وعقليا وروحيا، يساومون الطاغية المستبد فيبيعون حرمة القلم وكرامة الكلمة لغرض
مادي بخيس، مبلغ مهمهم نيل عطية من القصر، ويتألم شعراء الأردية المقاومون من دور هذه
الطائفة، يقول جالب:

ہر دور کے بھکاری شاعر ادیب سارے
بکتے بکتے قدم پہ دیکھے ادیب سارے
بیچا نہیں ہے میں نے اپنا ضمیر جالب
میں خوش نصیب شاعر اور بد نصیب سارے^(۲)

أی: ”إن الأدباء عاشوا متسولين في كل العصور، ورأيناهم يبيعون
كرامتهم، ولكنني لم أرى بشيء لصفقة صوتي، إنني شاعر سعيد الحظ
بينما خابت أقدار غيري“.

^(۱) قصیدہ ”درامید کے در یوزہ گر“ (حراس باب الرحاء)، دیوان ”شام شہریاراں“ (أسمیة مدينة الرفاق)، ص ۷۷

^(۲) قصیدہ ”میں خوش نصیب شاعر“ ”أنا شاعر سعيد الحظ“، دیوان جالب، ص ۱۶۲

وكان فراز طويل النفس إذ كشف عن حقيقة هذا الجنس من الشعراء الذين يعزفون
على قيثارتهم لينشدوا ألحانا تحلو لأذان الطاغية المستبد، قال:

مرے اہل حرف و سخن سرا
جو گداگروں میں بدل گئے
میرے ہم مغیر تھے حید جو
کسی اور سمت نکل گئے^(۱)

أى: "صار أرباب البلاغة وأصحاب الأساليب الرفيعة متسولين. أما
من كان معي من الناطقين في الأمس القريب كانوا محتالين وتولوا نحو شطر
آخر".

والشعراء المقاومون يعلنون براءتهم عن شعراء البلاط بكل شدة، وأبوا أن يغبروا
جبهته ساجدين على الأرض وسط قدمي المستبد:

کبھی سر پہ سر بہ سجدہ تھے دربار میں
ہم ایسے کہاں بے ادب لوگ تھے^(۲)

أي: "وضع الجميع رؤوسهم على الأرض للسجدة لأنهم لم
يكونوا مسيئي الأدب مثلنا".

وليس الشعر في رأي هذه الطائفة الرخيصة سوى وسيلة للتكسب على مائدة
المستبد، قد يمنح هذه الطائفة ريادة الأدب بشكل جوائز وأوسمة رسمية تثبت الختم على
غدرها وخيانتها، وما ينبئ عن شدة إحساس شعراء المقاومة في هذا الباب ما قاله حبيب
جالب يعاتب الشاعر فيض:

جگا نہ شہ کے مصاحب کو در نہ اے جالب
اگر یہ جاگ گیا تو نوکری سے جائے گا^(۳)

(۱) من قصيدة: "شہر نامہ" (أخبار المدينة)، ديوان "پس انداز موسم" (وراء أحوال الموسم)، ص ۱۰۸

(۲) قصيدة مدن عنوان، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۰۵

(۳) قصيدة بدوں عنوان، ديوان جالب، ص ۱۵۱

أي: ”لا توفظ يا جالب خادم الملك لأنه إن فتح عينه سيُطرد من وظيفته“.

یہی سخطہ علی فراز لخمولہ حین طال منه السکوت علی ما جرى فی أرض بلوشستان من عملیات عسکریہ کانت ضحيتها مئآت من الناس الأبرياء، وعتابه هذا يدل ما کان بینهم من تفاهم لأداء فريضة المقاومة، ولذلك أهدى فراز إلى جالب قصيدة كاملة حین لزم الفراش بعد مرض أقعده عن النشاط، قال فیها:

اے بے زور پیادے تم سے کس نے کہا کہ یہ جنگ لڑو
شاہوں کو شہر دیتے لہنی بازی مت کرو
فیض گیا اب تم بھی چلے تو کون رہے گا مقتل میں
ایک فراز ہے باقی ساتھی، اس کو بھی اپنے ساتھ کرو^(۱)

أي: ”أيها الراجل الضعيف، من أشار عليك الخوض في هذا المعركة، ستخسر معركتك إذ تحاول هزيمة الملوك، ذهب فيض، وأراك تود الرحيل، فمن لي يبقى في المقتل، ولا رفيق لك سوى فراز، فخذ معك“.

ويشبهه فراز إذ يلوم الشعراء الساكنين عن الجهر بالحق يعزفون على قيثارة الظالم، يقول:

اور اب جو ہے کربلا کا نقشہ
تم مدح یزید گا رہے ہو
جب سچ تہہ تیغ ہو رہا ہے
تم سچ سے نظر چرا رہے ہو^(۲)

أي: ”قد لاحت مناظر كربلا وأراك تنشد مدائح يزيد، وأراك تغمض عينيك بينما يقتل الصدق“.

(۱) قصيدة ”نذر جالب“ (إهداء إلى جالب)، ديوان ”خواب گل پریشان ہے“ (أحلام الزهور المضطربة)، ص ۱۳۱۴

(۲) قصيدة ”اے میرے وطن کے خوش نواؤ“ (إلى أرباب البلاغة في بلدي)، ديوان ”پس انداز موسم“ (وراء أحوال

وكان الاستعمار في الصف الأول لمن ساند الاستبداد على أرض الوطن بل لا يكون من المبالغة لو قيل إن الاستبداد كان نتيجة بعض المؤامرات الاستعمارية دبره لحفظ مصالحه بعد أن ولي ظهره من البلاد ذليلاً خائفاً، وحرصت القوى الاستعمارية دوماً أشد حرصها على اكتساب مصالحها وإن كان ذلك على ثمن نقض المواثيق المعقودة بالبلاد العربية والإسلامية بكل وقاحة. وسجل شعراء الأردنية شكواهم من معاملة الاستبداد القاسية وكشفوا عن جوانب عديدة تتعلق بازدياد أجيرة معايير القوى المستعمرة فتراهم صوتاً واحداً يندد خنوع الحكام المستبدين للقوى الاستعمارية، ويعمله مسؤولية الفساد والقتال في البلاد وسيطرتها على الموارد المالية ويسجل عهودها الكاذبة للبلاد المسلمة في الفترات المختلفة. فهذا هو حبيب يحمل الغرب مسئولية دماء أبرياء الشرق:

مغرب کے چہرے پر یاد اپنے خون کی لالی ہے
لیکن اب اسکے سورج کی تاؤ ڈوبنے والی ہے^(۱)

أي: ”إن احمرار وجه المغرب بسبب دمائنا التي استقاها إلا أنه اقترّب أفول نجمه“.

ولتورط أمريكا في جرائم حربية عديدة استهدفها حبيب جالب بنقده اللاذع في عديد من قصائده وألقى لائمته على الرئاسة الأمريكية وغيره من حكام الدول الاستعمارية، من أمثلة ذلك قوله:

ہر غاصب کے سر پر ہاتھ ہے ریگن کا
رہبر ہے یہ دنیا کے ہر رہزن کا
سکھ لوٹا ہے اس نے آگن آگن کا
ہر غاصب کے سر پر ہاتھ ہے ریگن کا^(۲)

أي: ”إن الرئيس الأمريكي (آنذاك) ريغن زعيم طغاة العالم وقد حل بفضله الدمار في كل منزل. وإنه المربي لكل غاصب“.

(۱) قصيدة ”اپنی جنگ رہے گی“ (سطل في كفاح)، ديوان جالب، ص ۱۳۴

(۲) قصيدة ”ريگن“ (ريجنون)، المرجع نفسه، ص ۲۱۵

وہیئت الأمم المتحدة تغطي مكابيد القوى الاستعمارية وتمنحها ترسانة دولية وتشابهت
شكاوى شعراء مقاومة الاستبداد ضدها إذ ندد دورها مرارا، يقول أحمد فراز وهو يفتسي
خبث باطنها قائلا:

کون اس قتل گمہ باز کے اسرار سمجھے
جس نے ہر دشمن کو پھولوں میں چمپا رکھا ہے
امن کی فاختہ اڑتی ہے نساں پر لیکن
نسل انسان کو صلیبوں پر چڑھا رکھا ہے
اس طرف نطق کی باران کرم اور ادھر
کاسہ سر سے مناروں کو سجا رکھا ہے^(۱)

”من يفهم ويدرك سر هذه المجزرة التي أخفت كل خنجرها في الأزهار.
ورغم أن صورة حمامة باد على طرفتها لكنها شنتت البشر على الصليب. من
جانب ترى غيثا في الكلام ومن جانب آخر زينت المنارات بالرووس“.

بل ما أصدقه تعبيرا عن دوره إذ شبهه بجزيرة دون منارة يحيط بأطرافها الأربعة بحر
من الدماء متلاطم الأمواج:

اس جزیرہ میں کہیں نور کا مینار نہیں
جس کے اطراف میں ہے اک قلزم خون جاری^(۲)
”ولن ترى منارة نور في هذه الجزيرة التي يمسح حولها بحر من
الدماء“.

ولا غرو فإن هيئة الأمم المتحدة أصبحت هيئة تحافظ على مصالح الاستعمار
بمصطلحات قانونية وشعارات عالية وفشلت فشلا تاما في تحقيق الأهداف التي أنشئت من

(۱) قصيدة ”سلامتی کو نسل“ (مجلس الأم)، دیوان ”نایافت“ (المعدوم)، ص ۵۰

(۲) المرجع نفسه

أجلها على رأسها القضاء على النزاعات الدولية ومساعدة الدول الفقيرة ومداواة جروح المعذبين في الأرض ولا يمكن للمؤرخ العادل أن يبررها من مسئولية دعاء الأبرياء.

ويسرى شعراء الأردنية أن موالاته الحكام المسلمين لحكام الغرب أكبر سبب لتدهور البلاد وتخلفها، وكشف شعراء مقاومة الاستبداد الستار عما تسفر عنه صلات الود والصدقة بحكام الغرب نتائج سيئة. وقد سبق كيف أنذر حبيب جالب بصرخته العالية لذي الفقار علي بوتو في قصيدة "لا تذهب لزيارة أمريكا" (١) وابتها يناظر في قصيدة "احذروا التسول" (٢) من الاعتماد على وعود أمريكا، قال:

انگریزوں کے پٹو کہلاؤ نا
امریکہ کے تلوے سہلاؤ نا
آج تک ان کے دھوکے کھائے ہیں
اور مگر انکے دھوکے کھاؤ نا (٣)

أی: لا تكتسبوا سمعة عملاء الإنجليز، ولا تقبلوا أقدام أمريكا،
إنهم خدعونا كثيرا، فلا تنخدعوا بهم الآن.

يستغل الاستعمار الضعف المادي للبلاد الإسلامية ويثقل ظهرهم بسديون هائلة
وبذلك يشد فتكه بها ويتدخل في سياستها الداخلية والخارجية كما يشاء، يقول:

قرض دے کر غریب ملکوں کو
چھین لیتا ہے روح آزادی (٤)

أی: "ينزع روح الحرية من البلاد الفقيرة بسديونها".

واضطرب الشعراء لأنات شعبهم الذي جثم الاستبداد على صدره يسلبه حقوقه
ويحرمه خيره بكل دقة وتفصيل، وفي الوقت نفسه لم يغفل شعراء الأردنية المقاومون عن

(١) ديوان جالب، ص ١٨٠

(٢) قصيدة "بھیک نہ مانگو" (احذروا التسول)، المرجع نفسه، ص ١٣٧

(٣) قصيدة "اپنی جنگ رہے گی" (سنظل في كفاح)، المرجع نفسه، ص ١٣٤

(٤) قصيدة "سفید بنیا" (الابتزاري الأبيض)، المرجع نفسه، ص ١٧٦

تحدید مسئولیة الشعب نفسه في سيطرة الأسباب عليه فألقوا لائماتهم الشعرية عليه لما وجدوه قد ألف الحياة ذليلاً ويتقاعد عن السعي لأخذ حقوقه المسلوبة فاستسلامه وانخضاعه لأوامر المستبد وتغافله عن حق الحرية واعتياده مظاهر الهوان والقسر كل ذلك يثير نار غضب الشعراء، فلا يجدون شعبهم يسعى لمنع يد المستبد الذي يزيده جبن الشعب جرأة على اغتصاب حقوقه. يتألم الشاعر حبيب جالب بما يشعر من خمول شعبي واقتناعه بالأوضاع القاسية بحكم القدر وانتظاره النصر من الغيب دون كفاح ونضال، يقول:

تقدیر کے قدموں پر سر رکھ کے پڑے رہنا
تائید ستم گر ہے چپ رہ کے ستم سہنا^(۱)

يعني: "وضع الرؤوس في أقدام القدر والسكوت عن ظلمه والصبر عليه من معونة الظالم".

ويبدي فيض أسفه على سكوت الناس وارتضاءهم بحياة الذل والهوان ويسألهم إلى متى يستمر هذا الخنوع لأوامر الظلم، يقول في قصيدة "أنشودة":

اے ظلم کے ماتو لب کھولو، چپ رہنے والو چب کب تک
کچھ حشر تو ان سے اٹھے گا، کچھ دور تو نالے جائیں گے^(۲)

أي: "وأيها المضطهدون حركوا شفاهكم، وإلى متى هذا السكوت أيها الصامتون. فكلماكم سيحدث قيامة وسيسمع دويه في الآفاق".

ويشبههما في هذا الرأي أحمد فراز، فيرى أن الظالم الذي يرتكب الظلم والمظلوم الذي يتحملة بدون سعي المقاومة وكذلك المغمض عينه عنه لأغراض شخصية أو سياسية كل هؤلاء يستحقون اللوم والعتاب، ومن هذا المنطلق سجل أحمد فراز صرخته الاحتجاجية ضد العالم المتحضر الساكت عن مظاهر الاستبداد والجور قائلاً:

(۱) قصيدة "عمرت" (المرأة)، ديوان جالب، ص ۲۰۱

(۲) قصيدة "ترانہ" (أنشودة)، من ديوان "وست صبا" (دست صبا)، ص ۳۸

اے مہذب جہاں کی مخلوق
 کل ترے روبرو ہی بے ضمیر قاتل
 ترے قبیلے کے بے گناہوں کو
 جب تہہ تیغ کر رہا تھا
 تو تماشاخیوں کی صورت
 خموش وہ بے حس
 درندگی کے مظاہرے میں شریک
 کیوں دیکھتی رہی ہے^(۱)

أي: ”يا خلق العالم المتمدن، أين كنت عندما كان هذا القاتل يقتل
 بني عشيرتك وكنت تشاهد هذه المجزرة صامتا جامدا مشاركا إياه في
 وحشيته“

ولم يكتف الشعراء بإبداء سخطهم على تقاعد الشعب فحسب، بل لعبوا دورا
 إرشاديا، ينفخون فيهم حركة وحماسا ويذكرون فيه جذوة الثورة والمقاومة، ففي شعرهم
 تحريض متواصل وتشجيع مستمر للطبقات المضطهدة البائسة يستنضهون هممها ويوقظونها
 من سباتها المديد، هاهو الشاعر جالب يحرض شعبه على الكفاح والنضال ضد الاستبداد:

جس	میں	تم	نہیں	شامل
وہ	نظام	بدلو	بھی	
دوستوں	کو	پہچانو		
دشمنوں	کو	پہچانو		
دس	کروڑ	انسانوں ^(۲)		

أي: ”يا معشر مائة مليون نفر، غيروا ذلك النظام الذي ليس لكم
 فيه نصيب، واعرفوا أصدقاءكم من أعدائكم“

(۱) قصيدة ”ریت نام“ (ریت نام)، دیوان ”نایافت“ (المعدوم)، ص ۱۱۷

(۲) من قصيدة: ”جمہوریت“ (الجمهورية)، ص ۱۳۳

وینادی الشاعر أحمد فراز الشعب الجائع المكبل في الأصفاد المحروم عن حرية التعبير
ويستهذه فائلا:

پھر بھی پاؤں میں زنجیریں ہاتھوں میں سسکول
کل بھی تجھ کو حکم تھا آزادی کے بول نہ بول
آج بھی تیرے سینے پر ہے غیروں کی بندوق
اے بھوکی مخلوق^(۱)

أي: ”عجبا أمرک أيها الخلق الجائع، رغم مضي سبع سنوات على
تحررك أراك مغلول الأقدام وتحمل بيدك كأس التسول، حرمت حرية التعبير
بالأمس، واليوم أرى غيرك سل سيفه عليك لتبقى ساكنا“.

ويظل المستبد يحكم بطشته حول رقبة الشعب مادام يشعر بأن الشعب راض
بالاستكانة مثل الذئب الذي يهجم قطيع الأغنام لأنه يعرف ضعفها ويدرك أنها لا تقاوم،
ويدعوهم فراز إلى توحيد صفوفهم وتوحيدهم بداية لحريتهم، يقول:

اب کے گر زلزلے آئے تو قیامت ہوگی
مرے دل گیر میرے درد کے مارے لوگو
کسی غاصب کسی ظالم کسی قاتل کے لئے
خود کو تقسیم نہ کرنا مرے سارے لوگو^(۲)

أي: ”يا أحمائي المتألمون، سيكون الزلزال القادم إعلانا لقيام
القيامة، فلا تفرقن يا أناسي من أجل غاصب قاتل ظالم“.

ويشير الشاعر فيض همم المنكوبين ويشجعهم على الجهر بالحق لأنهم رغم كل
الحدود والقيود التي فرضها المستبد عليهم يملكون لسانا وكلاما:

(۱) قصيدة ”اے بھوکی مخلوق“ (أيها الخلق الجائع)، ديوان ”تنہاتہا“ (وحيدا منفردا)، ص ۵۸

(۲) قصيدة ”اے میرے سارے لوگو“ (یا أناسي جميعا)، ديوان ”پس انداز موسم“ (وراء أحوال الموسم)، ص ۱۱۴

بول کہ لب آزاد ہیں تیرے
بول یہ تھوڑا وقت بہت ہے
جسم و زبان کی موت سے پہلے
بول کہ سچ زندہ ہے اب تک^(۱)

أي: "حَرُّكَ شِفَاهُكَ، وَاَنْطَقَ، فَالْوَقْتُ قَلِيلٌ، وَقُلُ الصَّدَقُ قَبْلَ
مَوْتِ الْجِسْمِ وَاللِّسَانِ، فَالْصَّدَقُ مَا زَالَ حَيًّا".

وكانت المقاومة الشعرية تقتضي من الشعراء الأحرار الوقوف بجانب المعارضين
للاستبداد على أرض الوطن، وقد تضمنت المقاومة الشعرية للاستبداد مواقف الشعراء
الجرئة بجانب الأفراد والأحزاب والشعوب التي وقفت في وجه الحاكم المستبد ونهوه بهم
تنويرها عظيمًا، فمثلاً وقف حبيب جالب مؤيداً لفاطمة جناح في العهد الأيوبي العسكري
يؤزرها في حملتها الانتخابية وأحدثت أشعاره تأثيراً بالغاً في نفوس الجماهير، ومنها قوله:

ایک آواز سے ایوان لرز اٹھے ہیں
لوگ جاگے ہیں تو سلطان لرز اٹھے ہیں
آمد صبح بہاراں کی خبر سننے ہی
ظلمت شب کے نگہاں لرز اٹھے ہیں^(۲)

أى: "اهتزت أركان الحكم لصرخة وحيدة وقد اقشعر السلاطنة
بالقظة الشعبية. وقد تزلزلت أقدام حراس ظلمة الليل بلتقي الخبر عن مجيء
صبح الربيع".

ويعصور الشاعر جالب الذعر المسيطر على أعصاب أرباب الحكم العسكري عند
عودة بيناظر بوتو إلى باكستان بعد منفى طويل، يقول:

(۱) قصيدة "بول" (تکلم)، دیوان "نقش فریادی"، (نقوش المستغنیث)، ص ۵۵

(۲) قصيدة "میں گھر آئے" (عشرون أسرة)، دیوان جالب، ص ۱۳۷

ڈرتے ہیں بندو قوں والے ایک نہتی لڑکی سے
 بچیلے ہیں ہمت کے اجالے ایک نہتی لڑکی سے
 درے ہوئے ہیں مرے ہوئے ہیں لرزیدہ لرزیدہ ہیں
 ملا، تاجر، جنرل، جیالے ایک نہتی لڑکی سے^(۱)

أي: ”خاف الجنود المسلحون من بنت منزوعة السلاح، وأضاء
 الكون بسببها، يكاد العلماء والتجار والضباط ومن والاهم يغمى عليه
 خوفا من قدوم بنت منزوعة السلاح“.

وكان لشعراء المقاومة في سيرة الشعوب التي تناضل الاستعمار والاستبداد نموذج
 حي لمن أراد مقاومة الاستبداد، فيلوح لفراز في كفاح أهل فلسطين أسوة للبسالة
 والشجاعة فيحييهم لهممهم العالية، يقول: ^(۲)

کیف خوف یلغار اعداء
 ہے سینہ سپر ہر غازی کا
 کو خوف زیورش جیش قضا
 صف بستہ ہیں ارواح شہداء
 ڈرے کا ہے کا
 ہم جیتیں گے
 حق ہم اک دن جیتیں گے^(۳)

أي: ”سنفوز، حقا سنفوز يوما، سنفوز أخيرا، لا خوف لهجوم
 الأعداء، ستستقله صدور غزاة، لا خوف لجيش القضاء أمام صفوف
 الشهداء، سنفوز، حقا سنفوز يوما“.

(۱) قصیدہ: ”نہتی لڑکی“، (بنت محروہ من السلاح)، دیون جالب، ص ۳۴۰

(۲) قصیدہ: ”مجاہدین فلسطین کے نام“ (انشودہ لمجاہدی فلسطین) من دیوان ”غبار ایام“ (غبار الأیام)، ص ۱۴

(۳) المرجع نفسه

كان الشاعر فيض في قصيدته "تعالوا إلى أفريقيا" و"أنشودة لمجاهدي فلسطين"
وقف مؤيدا للمناضلين الأفريقيين والمجاهدين الفلسطينيين ودعا حبيب جالب معشر الشعراء
والأدباء إلى الوقوف معهم قائلا:

اٹھائے ہاتھوں میں اپنے حسیت کا علم
ادب، شاعر، دانشور، سخن دانو
کرو حکایت بیروت خون دل سے رقم
نکلت جہل کو ہوگی شعور جیتے گا
کرے گا جہل کہاں تک سر شعور قلم^(۱)

آی: "یا معشر الشعراء والأدباء ویا أهل الفكر وملكة الأسلوب،
ارفعوا راية الفكرة الحسينية بأيديكم، واسطروا حكاية بيروت بدم القلب،
سيفشل الجهل وسيفوز الشعور حتما، فلا يمكن للجهل أن يقطع رأس
الشعور".

(۱) قصیدہ "یزید سے ہیں نبرد آزما فلسطینی" "نضال الفلسطينيين ضد یزید"، دیوان جالب، ص ۲۱۶

المبحث الثاني: دراسة الصور والمعاني

ثمة صور ومعان تشابه فيها شعراء الأردية الثلاثة نتيجة توافق الأحوال النفسية والفكرية التي مروا بها خلال عصور الاستبداد ولا غرو في ذلك فالمأساة واحدة، أسبابها متشابهة ومن الطبيعي أن تكون نتائجها غير مختلفة كذلك.

ومن أبرز المعاني التي تجلت عند شعراء المقاومة الأردنيين الشكوى الصريحة من تكدر أجواء الوطن حيث شقّ على كل أبي حر التنفس فيها وأقيم حصار منيع حول الفكر الحر. والشكوى هذه متكررة في عدة أبيات، فالشاعر فراز إذ يشكو خلو المدينة من أي فرد حي يثبت هوية الموتى فكراً وروحاً^(١) يشبه فيض الرومانسي وهو يشكو السموم الخائفة التي ملأت الأمطار التي تغطيها السماء على أرض الوطن، يقول:

یہ کیسی زہر بھری بارشیں ہوئی ہیں اب کے
کہ میرے سارے گلابوں کا رنگ نیلا ہے^(٢)

أي: "عجبا للأمطار التي نزلت هذه المرة، هي مليئة بالسم فبات لون كل زرودي أزرق".

و يشكو تحول الوطن إلى سجن كبير حيث أصبحت زقاقه مجازر للأحرار:

گلی گلی میں بندی خانے
چوک چوک میں مقتل ہیں^(٣)

أي: "فتحت السجون في كل طريق، وصار كل المقتربات مجازر"

(١) قصيدة "شهر آشوب" (مدينة الاضطراب)، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرفات بلا صوت)، ص ۱۱۲

(٢) قصيدة بدن عنوان، المرجع نفسه، ص ۱۰۶

(٣) قصيدة "شهر آشوب" (مدينة الاضطراب)، المرجع نفسه، ص ۱۱۰

ولا يختلف الشعراء الثلاثة بعضهم عن بعض في الأحوال النفسية التي مروا بها، فلم يعد المواطن الماشي على الأرض يعتبر حيا بسبب ظلال الخوف وفقدان الحرية وحرمانه من الكرامة وعندما تشتد بطشة المستبدین بالمعارضین والأحرار فيتجلى الوطن الحبيب بصور مختلفة مثل سجن مظلم، أو قطعة جحيم أو مدينة متدمرة أو مجزرة مفتوحة أو نهر من الدم. وهذا التوافق المعنوي في شعرهم ظهر بكل شدة يشكون الظلم الفادح وشظف العيش ومرارة الحياة وشدة الغلاء وانتشار الجهل في القرى والأمصار بأساليب وصور مؤثرة. وكفت هذه المشاكل ليشعر كل منهم بنوع من الاختناق في أجواء الوطن فلم يعد يألّف الديار بعد هذا الدمار واكتسابهم بقساوة الأحوال تجلت في عدة أبيات، منها ما قال فيض وهو شاك من الواقع المرير والعيش الضيق:

فکر مجوس ہے، جذبات پہ تیزیں ہیں
اپنی ہمت ہے کہ ہم پھر بھی جیتے جاتے ہیں^(۱)

أي: "الجسد مقيد بالقيود والأفكار مقيدة بسلاسل وقد حبس الفكر والمشاعر. فعجبا لنا كيف نعيش رغم كل هذه الأحوال".

وقد يبلغ اكتئاب الشاعر حبيب جالب متناه كذلك فييدي ضجره واكتابه من مظهر الوطن الجديد وهو مظهر صار فيه الوطن مقتلا يفوح برائحة دماء الأبرياء، يقول:

وطن تھا ذہن میں زنداں نہیں تھا
چمن خوابوں کا یوں دیراں نہیں تھا
بہاروں نے دیے وہ داغ ہم کو
نظر آتا ہے مقتل باغ ہم کو^(۲)

أي: "رسمنا في أحلامنا صورة لوطن وليس لسجن، ولم يكن بستان أمانينا خربا كما نراه الآن، قد غدر بنا الربيع، وصار البستان مجزرة إنسانية"

(۱) قصيدة "چند روز اور مری جان" (مهلا لأيام يا أعز شي، علي) ديوان "نقش فریادی" (نقوش مستغیث)، ص ۵۱

(۲) قصيدة (۱۳ اگست) (۱۴ أغسطس)، ديوان جالب، ص ۱۹۴

بینما یری أحمد فیض أن المدينة خلت من سكانها تماما فلم تعد الشریعة الإلییة
النازلة من السماء نافعة لها، لأنه لم یبق أحد یتلقى أحكامها، یقول:

اے خدا ترن مخلوق
جبر کے اندھیروں میں
دفن ہو چکی کب کی
تیرے آسمانوں سے
نازد فرشتوں کی
اب سفارتیں کیسی^(۱)

أي: ”رب، رقد الخلق منذ قرون في مدفنهم في ظلمات القبر،
فلم تُرسل من السماء ملائكتك المبعوثين؟“

وتثن مدينة فراز الحییة بأناتها وآهاتها دون أن تجد من یداوي جروحها التي مزقت
الأكباد، وحتى الأنات بدأت تتألم فتصدر منها أنات أخرى، یقول فراز:

بے وجود بستی میں
اب لوگ نہیں رہتے
سکیاں سکتی ہیں
سائے سرسراتے ہیں^(۲)

أي: ”لم يعد الناس يسكنون القرية التي فقدت وجودها، بل تثن
فيها أنات وتهمس الظلال.“

ولا تختلف مدينة فراز عن مدينة فيض، والتي أصبحت عبارة عن بحر يموج دما أو
مشقة يصلب فيها المنصور أو المسيح أو كأس مليئة يتجرعه سقراط، یقول:

(۱) قصيدة ”ناموجود“ (المعدوم)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۰

(۲) المرجع نفسه

اپنا شہر کہ حد نظر جیسے لہو کی نہر
یا منصور و مسیح کی سولی یا سقراط کا زہر^(۱)

آی: ”مدینتی عبارة عن نهر الدماء أو مشنقة المنصور والمسيح أو سم سقراط“.

ومن المعاني المشتركة لدى شعراء المقاومة الأردنيين اعتزازهم الشديد بكلمتهم الحرة وصدقهم الفني وصمودهم في وجه المستبد بلهجتهم الصارخة والجريئة دون أن يصيبها وهن أو تزعزع لتقلبات الزمن، إذا كان صدق المقال مبعث الافتخار لأحمد فراز الذي قال:

دیکھو تو بیاض شعر مری
اک حرف بھی سرنگوں نہیں ہے^(۲)

آی: ”ألق نظرة على ديوان أشعاري، لن تجد به كلمة واحدة نادمة“.

فكان جالب يشعر بنشوة عجيبة بالحب الشعبي الذي حظي به، ولم يكن ذلك إلا بسبب ثروته الفكرية ولهجته الثورية:

ہر پھول کے لب پر نام مرا چرچا ہے جن میں عام مرا
شہرت کی یہ دولت کیا کم ہے گر پاس نہیں مال تو کیا^(۳)

آی: ”أغنائي عن كل شيء أنني أجد كل زهرة في بستان الوطن تهتف باسمي، أنى المال أمام هذه الثروة العظيمة؟“.

فالصدق الفني هو أبرز سمة اتسم بها شعر مقاومة الاستبداد وبه تميز أصحابها من بقية الشعراء، فعاشوا معتزین بکرامۃ فنهم مفتخرین بسمو رسالتهم ومؤمنین بصدق موقفهم. وينفي الشعراء الثلاثة أي إمكانية للتنازل عن لهجتهم الصريحة مهما كان ثمنها فقد اتخذوها

(۱) قصيدة ”فیض کے فراق میں“ (في فراق بیض) دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات بلا صوت) ص ۲۶

(۲) قصيدة (أنا تيدك أعنى يا وطني) ”اے شہر میں تیرا فہم گرہوں“، المرجع نفسه، ص ۴۴

(۳) قصيدة بدون عنوان، دیوان حالب، ص ۲۴۹

بإرادة، وأدركوا أنهم يتميزون بها من الآخرين، فلو أصاب موقفهم الحق العادل نوع من الفتور أو غلبتهم نزعة طمع لفقدوا هويتهم ودفنوا في كتب الأدب دون أن يذكر لهم أثر، يقول جالب:

پل دو پل کے عیش کی خاطر کیا دینا کیا جھکنا
آخر سب کو ہے مرجانا سچ ہی لکھتے جانا^(۱)

ای: ”لا ینفع الخنوع والركوع من أجل حياة لحظات ستفنى سريعا، فقد قدر الموت للجميع، لا تكف أبدا عن الجهر بالصدق والحق“.

فصدق الشعر بمثابة حياة الشعر وأن يشوبه زيغ فكري بمثابة قتله وهو أغلى متاع يملكه الشاعر فالشاعر فراز يشبه جالب إذ يحافظ على حرمة القلم رافضا كل العروض بشكل المناصب والأموال والصلوات:

ہمیں نہ حرص حشم، نہ مال و منال کی آرزو رہی ہے
نہ ہم کو طبل و علم نہ جاہ و جلال کی جستجو رہی ہے
بس اک قلم ہے کہ جس کی ناموس
ہم فقیروں کا کل اثاثہ ہے آبرو ہے^(۲)

ای: ”لسنا ممن يطمع في المناصب والأموال ويحرص حرصه ليتلقى علما وحشما، بل نحن فقراء لا يملكون من الأثاث والمتاع غير حرمة أقلامهم“.

والشاعر على إدراك تام بأنه لا يمنح الشعر قبولا وخلودا إلا صدقه وهو الذي يكسب الشعر الحر قبولا ولولاه لفقد الشاعر احترامه وفقد شعره قيمته، والشاعر فراز يجدد وفاءه بصدق رسالته وحرمة قلمه الذي هو سلاح الشاعر وأداة صدق ومثارة نور:

(۱) قصيدة ”سچ لکھتے جانا“ (يجب أن نظل ترفع الحق)، ديوان جالب ص ۲۷۴

(۲) ”نہ ہم چہرہ، نہ ہم آنکھیں“، قصيدة (وجه هشوش عيون حية)، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات بلا

بس ایک سچ ہے
 کہ جس کی حرمت کی آگہی سے
 مرے بدن میں ترے بدن میں
 مرے قلم میں ترے قلم میں
 وہی لہو ہے
 کہ جس سے عرفان کی نمو ہے
 کہ جس سے انسان کی آبرو ہے^(۱)

آی: ”وبفضل معرفة حرمة الصديق يجري في جسمي وجسمك
 وقلمي وقلمك ذلك الدم الذي ينمي المعرفة ويهب الإنسان شرفاً وكرامة“.

ومن المعاني المتكررة عند شعراء المقاومة أنه هان عليهم تجرع كأس الموت من شربة
 يجدونها ثمن التنازل عن فكرهم وتقاعدهم عن مقاومتهم. فالإباء والتبث والصمود على
 الموقف دون تزعزع بتخويف أو تهديد ورفض عروض مالية ومادية من المعنى المشترك
 لديهم، يقول جالب:

بہت مشکل مری پہچان ہوگی
 بدل ڈالوں اگر میں اپنا لہجہ^(۲)

آی: ”ستصعب معرفتي لو غيرت لهجتي“.

وفیض علی وعی تام بأن النعمة الاحتجاجية التي يصددها تعبر بصدق عن دخائل
 نفوس مضطربة، يقول فیض:

(۱) قصیدہ ”ندیم چہرہ، ندیم آنکھیں“ (وجہ ہشوش و عیون حیا)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (فی طرقات بلا

صوت)، ص ۴۵

(۲) قصیدہ ”گوشتے میں قفس کے“ (فی جانب من المعتقل)، دیوان جالب، ص ۲۲۷

ہم نے جو طرزِ فغاں کی ہے قفس میں ایجاد
فیضِ گلشن میں وہی طرزِ بیاں ٹھہری ہے^(۱)

أي: "أسلوب الاستغناء الذي أبدعناه نحن في هذا القفس راح لغة
التعبير في البستان كله".

فيأبى الشعراء الأحرار جميعا ويلجئة متشابهة أن يسخروا أقلامهم لتعظيم الطفلة
العصاة، فلا قصائدهم تعظم شخصية المستبد القبيحة ولا أبياتهم تلبسه رداء الجلال
والقدسية، وهم على ثقة تامة من صدق الفكرة التي تبنيها واستقامة السبيل التي سلكوها،
وكل منهم يرى قيمة أدبه وشعره في هذه المهمة التي يؤديها لشعبه ووطنه، فما أشد لهجة
الشاعر فراز وهو يرفض هذا العيش الدنيء القبيح فليس هناك إمكانية مصالحة أو مساومة مع
المستبد، يقول:

مرا قلم نہیں کار کسی سہک سر کا
جو غاصبوں کو قہیدوں سے سرفراز کرے
مرا قلم نہیں اوزار اس نقب زن کا
جو اپنے گھر ہی کی چھت میں شکاف ڈالتا ہے^(۲)

أي: "وليس قلمي أداة مدح لمن يبجل الطفلة بقصائده ويقدمهم.
وليس قلمي بأداة لذلك السارق الذي لا يثقب إلا في سقف بيته".

وعلى الرغم من أن حبيب جالب كان يدرك أن الشعر وسيلة لفن المصالح المادية كما
اكتسبها شعراء البلاط مقابل كبت صوتهم الحر، إلا أنه رفض أن يسخر قفه من أجلها،
يقول:

^(۱) قصيدة بدون عنوان، ديوان "درست ميا" (درست صا)، ص ۵۶

^(۲) قصيدة "محاصرة" (الحصار)، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۱۳

رہنے کو گھر بھی مل جاتا، چاک جگر بھی سل جاتا
جالب تم بھی شعر سناتے جا کے اگر درباروں میں^(۱)

أي: "لو كنتُ من وادي القصور لإسماع الأبيات لامتلكْتُ بيتاً
أسكنه ولما انشق جيبِي الممزق".

وقوع الشعراء الأحرار في فريسة الحاكم المستبد الذي يزينها باسم المفاوضات
وشعارات التفاهم وجنوحهم لذل الاستبداد مخافة عقوبات وعراقيل بمثابة قتل فكرهم الحر
وشعورهم الأبى وهذا ما دفعهم يعلنون تقديم أي نوع من التضحية من أجل الحفاظ على
رسالتهم السامية، فكانوا ممن يتقدم ليستقبل الرصاص على صدره، وواجهوا مشاكل مختلفة
بجراً وأعلنوا بشجاعة بأن السجون والسيوف باتت وسائل غير نافعة في إخضاع رقبتهم،
يقول جالب وهو على أهبة تامة لأي نوع من التضحية غير مبال بخطورة الطريق في سيره
المتواصل نحو الهدف المنشود:

میں بھی خائف نہیں تھتہ دار سے
میں بھی منصور ہوں کہہ دو اغیار سے
کیوں ڈرتے ہو زنداں کی دیوار سے
ظلم کی بات کو، جہل کی رات کو
میں نہیں مانتا، میں نہیں مانتا^(۲)

أي: "أبلغوا أعدائي أنني حلاج العصر، لا أخاف شنقا ولا صلباً،
ولا تخوفوني غياهب السجن، فإني لن أقبل كلمة جائرة وليلة مظلمة، ولا
ولن أقبل دستوراً مثل صبح حرم نورا".

ومثله فيض غير مبال بالعقوبات والضغط، ويرى أن الكفاح والمقاومة من أجل
الحرية مفخرة للأحرار:

(۱) قصيدة بدون عنوان، ديوان جالب، ص ۴۳

(۲) قصيدة: "دستور" (دستور)، المرجع نفسه، ص ۱۲۹

حریت آدم کی رہ سخت کے رہ گیر
خاطر میں نہیں لاتے خیال دم تعزیر^(۱)

أی: ”لا یبالی السالکون علی سبیل حریة بنی آدم بخوف العقوبات.“

وتحمل الآلام من أجل الجهر بكلمة الحق فريضة يجب أداؤها على كل شاعر كما يقول
حبیب جالب:

ہر فرض تجھی پر کہ ہر اک عہد میں جالب
آلام اٹھائے جا، اپنی زبان نہ کر بند^(۲)

أی: ”علیک یا جالب التجلد علی الآلام دون أن تکف لسانک عن رفع الحق.“

ومن المعاني المشتركة التفاؤل ونسك الشعراء بالرجاء رغم اشتداد الأحوال وقساوته، فظلوا متمسكين بخيط الأمل أشد التمسك يوقنون بأقول نجم الاستبداد الغاشم ويقرب انتصارهم في نهاية المطاف ويتفاءلون بطلوع صبح بسام ينفس عن كرب المظلومين ويفرج عن آلام المنكوبين، يقول فيض:

ہم پہ جو گزری سو گزری مگر شب ہجراں
ہمارے اٹک تری عاقبت سنوار چلے!^(۳)

”أی: مربنا ما مر، إلا أن دموعنا التي تسيل في ليلة الهجر ستحسن عاقبتك.“

فلا مجال لليأس أو القنوط باشتداد الأوضاع وتفادي الخسائر المادية والجسدية، فالمقاومة تتطلب تضحية والتضحية تضمن نجاح المقاومة وتمنحها صلابة وقوة، يقول فراز:

(۱) قصیدہ ”مدح“ (مدح)، من دیوان ”شام شہریاراں“ (امیہ مدینہ الرفاق)، ص ۹۱

(۲) قصیدہ بدون عنوان، دیوان جالب، ص ۲۷۶

(۳) قصیدہ بدون عنوان، دیوان ”زندانی نامہ“ (دیوان السجن)، ص ۸۳

کہ رات جب کسی خورشید کو شہید کرے
تو صبح اک نیا سورج تراش لاتی ہے^(۱)

أي: "كلما يقتل الليل شمسا يلد الصبح شمسا جديدة".

والشاعر فراز علی یقین بأن بلده سينتحرر من قيود الذل وأغلال الرق وسلاسل
العبودية، ولا فناء للحق مهما قتل أصحابه، ولا بد للحائط المحيط والحائل دون الحرية أن
ينهدم، فالأجواء مهما غشتها سحب الألم والحزن لا بد أن تنفثع ولا بد من إشراق
الشمس:

تمام عمر کی ایذا نصیبوں کی قسم
مرے قلم کا سفر رائیگاں نہ جائے گا^(۲)

أي: "وإنى -رغم الحياة المليئة بتحمل الآلام- لعلی یقین بأن
رحلة قلمي لن تضيع سدى".

ويلوح لجالب على صفحات الأفق صبح وضيء بعد ما يشعر بيوادر ثورة شعبية
لتهدم عرش الاستبداد فيزيد حماسه بآيات مليئة بالأمل والرجاء، يقول:

آخری رات ہے یہ سر نہ جھکانا لوگو
حسن ادراک کی شمعیں نہ بجھانا لوگو
انتہا ظلم کی ہو جائے وفا والوں پر
غیر ممکن ہے محبت کو مٹانا لوگو^(۳)

أي: "أيها الناس، كاد الليل ينتهي، فلا تستسلموا ولا تطفئوا
مصايح الشعور. واعلموا لا يمكن محو الحب وإن بلغ الظلم على أصحاب
الوفاء متناه".

(۱) قصیدہ "محاصرہ" (الحصار)، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (فی طرقات بلا صوت)، ص ۱۱۳

(۲) المرجع نفسه، ص ۱۱۶

(۳) قصیدہ "لوگو" (ایہا الناس)، دیوان جالب، ص ۲۱۸

ومن المعاني المشتركة عند شعراء المقاومة الأردنيين إيقانهم بزوال الاستبداد، يستحيل أن يدوم ملك الظلم مهما طال، سيطلع يوم يحاسب فيه الظلمة ويبطش برقبته الضعفاء والتعساء، يقول فراز:

اور امل حکم کے سراوی
جب بجلی سڑ سڑ کرے گی
جب ارض خدا کے کعبے سے
سب بت اٹھوائے جائیگی^(۱)

أي: ”لما يبرق البرق على رؤوس الحكام وتخرج الأصنام من كعبة أرض الله“.

ومثله حبيب جالب إذ يخاطب الطائفة المستبدة وينذر المستبدین الظلمة بمصرعهم
الوخيم قائلا:

شہر ظلمت کے ثنا خوانو
شہر ظلمات کو ثبات نہیں
اور کچھ دیر صبح پر ہنس لو
اور کچھ دیر، کوئی بات نہیں^(۲)

أي: اسمعوا يا مداحي مدينة الظلم والظلمات، لا بقاء لمدينة الظلمات، فلتضحكوا قليلا على الصبح، ولتستهزئوا به قليلا“.

ومثلهما الشاعر فيض معنی ولفظا يرى أن ضحايا الاستبداد سيتخلصون من بطشة المستبد فالفوز مكتوب للأحرار وتذك محاصن الظلم، يقول:

معلوم ہے ان کو کہ رہا ہو گی کسی دن
ظالم کے گراں ہاتھ سے مظلوم کی تقدیر

(۱) من قصيدة ”ريقتي وجه ربك“، ديوان ”مرے دل مرے مسافر“، (قلبي، مسافری)، ص ۵۲

(۲) قصيدة: ”شہر ظلمت کو ثبات نہیں“ (لا ثبات لمدينة الظلم)، ديوان جالب، ص ۱۱۹

آخر کو سر افراز ہوا کرتے ہیں احرار
آخر کو گرا کرتی ہے ہر جور کی تعمیر^(۱)

أي: "يُعلمون أنه سيتخلص قدر المظلوم من بطشة الظالم لأن
العاقبة حتما للأحرار، وبناء الضيم أخيراً ينهار".

ولا يقع الظلم إلا على صاحبه، هذا وعد الله وسنته في أرضه، تجلت للشاعر فيض
مناظر أيام قادمة قريباً يبطش فيها المظلومون برقاب الظالمين وتطير جبال الاضطهاد كالعهن
المنفوش، يقول:

لازم ہے کہ ہم بھی دیکھیں گے
وہ دن کہ جس کا وعدہ ہے
جو لوح ازل پہ لکھا ہے
جب ظلم و ستم کے کوہ گراں
روئی کی طرح اڑ جائیں گے
ہم محکوموں کے پاؤں تلے
یہ دھرتی دھڑ دھڑ دھڑکے گی^(۲)

أي: "حتماً ولا بد سنرى ذلك اليوم الموعود في لوح القدر. يوم تطير فيه
جبال الظلم كالعهن المنفوش ويوم تطأ فيه أقدام البائسين أمثالنا هذه الأرض ويوم
تقع فيه الصواعق على رؤوس الحكام الطغاة ويوم تترد فيه الأصنام من كعبة أرض
الله".

وعلى هذا المنوال يؤمن الشاعر فيض بأن حكم الاستبداد زائل لا محالة، يقول:

گر آج اوج پہ ہے، طالع رقیب تو کیا
یہ چار دن کی خدائی تو کوئی بات نہیں^(۳)

(۱) قصیدہ "مدح" (مدح)، "شام شہریار" (امسیة مدیة الرفاق)، ص ۹۱

(۲) من قصیدہ "وبقی وجہ ربك" "مرے دل مرے مسافر"، (قلبی، مسافری)، ص ۵۲

(۳) قصیدہ "مدح" (مدح)، "شام شہریار" (امسیة مدیة الرفاق)، ص ۹۱

آخر کو سر افریز ہوا کرتے ہیں احرار
آخر کو گرا کرتی ہے ہر جور کی تعمیر^(۱)

أي: "يَعْلَمُونَ أَنَّهُ سَيَخْلُصُ قَدْرُ الْمَظْلُومِ مِنْ بَطْشَةِ الظَّالِمِ لِأَنَّ
الْعَاقِبَةَ حَتْمًا لِلْأَحْرَارِ، وَبِنَاءِ الضِّيمِ أَخِيرًا يَنْهَارُ".

ولا يقع الظلم إلا على صاحبه، هذا وعد الله وستته في أرضه، تجلت للشاعر فيض
مناظر أيام قادمة قريباً يبطش فيها المظلومون برقاب الظالمين وتطير جبال الاضطهاد كالعهن
للقش، يقول:

لازم ہے کہ ہم بھی دیکھیں گے
وہ دن کہ جس کا وعدہ ہے
جو لوح ازل پہ لکھا ہے
جب ظلم و ستم کے کوہ گراں
روئی کی طرح اڑ جائیں گے
ہم محکوموں کے پاؤں تلے
یہ دھرتی دھڑ دھڑ دھڑکے گی^(۲)

أي: "حَتْمًا وَلَا بَدَّ سَنَرِي ذَلِكَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودُ فِي لَوْحِ الْقَدْرِ. يَوْمَ تَطِيرُ فِيهِ
جِبَالُ الظُّلْمِ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ وَيَوْمَ تَطَأُ فِيهِ أَقْدَامُ الْبَائِسِينَ أَمْثَالَنَا هَذِهِ الْأَرْضُ وَيَوْمَ
تَقَعُ فِيهِ الصَّوَاقِقُ عَلَى رُؤُوسِ الْحُكَّامِ الطُّغَاةِ وَيَوْمَ تَطْرُدُ فِيهِ الْأَصْنَامُ مِنْ كَعْبَةِ أَرْضِ
اللَّهِ".

وعلى هذا المنوال يؤمن الشاعر فيض بأن حكم الاستداد زائل لا محالة، يقول:

گر آج اوج پہ ہے، طالع رقیب تو کیا
یہ چار دن کی خدائی تو کوئی بات نہیں^(۳)

^(۱) قصیدہ "مدح" (مدح)، "شام شہریاراں" (امسیة مدینة الرفاق)، ص ۹۱

^(۲) من قصیدہ "وبقی وجه ربك" "مرے دل مرے مسافر"، (قلبي، مسافري)، ص ۵۲

^(۳) قصیدہ "مدح" (مدح)، "شام شہریاراں" (امسیة مدینة الرفاق)، ص ۹۱

أي: "لا تقلق بعروج شمس المستبد اليوم فحكمه لا يدوم إلا لسويعات".

ومعنى آخر اشترك بين شعراء الأردنية المقاومين هو خوضهم في معركة المقاومة بدافع داخلي منبعه قلبهم المحب للعدل والحرية والكرامة، ففطرتهم السليمة هي التي بعثتهم للمقاومة، يقول:

تقدير کے قدموں پر سر رکھ کے پڑے رہنا
تائید ستم گر ہے چپ رہ کے ستم سہنا^(۱)
يعني: "ومن معونة الظالم السكوت عن ظلمه والصبر عليه".

ويفضل الفطرة السلمية تشتعل نار الثورة في قلب كل شاعر، قد يطفئها لبعض الوقت حرصه وطمعه في نيل مصالح مادية إلا أنها تغلب كل المشاعر في نهاية الأمر، يقول فراز:

جس آگ سے بھرپور تھا ماحول کا سینہ
وہ آگ مرے لوح و قلم کو بھی پلا دی^(۲)
أي: "وأخيراً، تجرع قلمي ولوحى جرعات من تلك النار المتلظية التي كانت تسعر في صدر البيئة حولي".

ووجد فيض في ثورته ومقاومته حلاوة عجيبة ونشوة فريدة بعد ما امتزج في نفسه آلامه الداخلية وإحساس الراحة وصدق الإيقان والإيمان وقوة إرادة الإنسان فتشجع فيض للثورة بعد ما تقرر أن يجهر بما عجزت الشفاه أن تنس به سابقاً وأراد ألا يبالي بأي خسارة مادية أو جسدية في سبيله هذا، يقول:

یہ رات اس درد کا شجر ہے
جو مجھ سے، تجھ سے عظیم تر ہے

(۱) قصيدة "عورت" (المرأة)، ديوان جالب، ص ۲۰۱

(۲) قصيدة "شاعر" (شاعر)، ديوان "تہاتہا" (وحید مہر دا)، ص ۱۴

بہت یہ ہے یہ رات لیکن
اسی سیاہی میں رونما ہے
وہ نہر خوں جو مری صدا ہے^(۱)

أبي: "هذه الليلة شجرة آلام هي أعظم مني ومنك. ويتجلى في
كثافة هذه الليلة السوداء -وما أشدها سوادا- بحر من الدماء التي سقت
صرخاتي".

واشترك شعراء الأردنية المقاومون كذلك في سمة أخرى وهي تحديهم الصريح لسلطة
المستبد بخطاب مباشر يشور فيه غضبهم وحقدهم عليه مبینین جریمتہ وکاشفین دورہ الدنیاء،
ہا ہو فیض صاحب النعمة الهادئة يتحدى قهر الحاكم إذ يقول:

قفس ہے بس میں تمہارے، تمہارے بس میں نہیں
چمن میں آتش گل کے نکھار کا موسم^(۲)

أي: "مبلغ قدرتکم هذا السجن الصغير وتعجزون عن نيل بداية
موسم الأزهار".

ویوازیه حبیب جالب إذ يتفجر بركان غضبه وهو يشير إلى صورة الحاكم العسكري
الجديد وهي معلقة على جدار لقاعة المجلس الشعري، تفجر قائلاً وهو يخاطبه:

تم سے پہلے جو شخص یہاں تخت نشین تھا
اس کو بھی اپنے خدا ہونے پر اتنا ہی یقین تھا^(۳)

أي: "إن من كان يستولي على هذا العرش قبلك، كان يؤمن مثلك
بأنه إله".

(۱) قصيدة "ملاقات" (لقاء)، ديوان "زندان نامه" (ديوان السجن)، ص ۷۲

(۲) قصيدة "طوق ودار کا موسم" (موسم الحبس والأسر)، ديوان "دست مہا" (دست صبا)، ص ۳۱

(۳) قصيدة بدون عنوان، ديوان جالب، ص ۱۵۲

ویشیر فراز اسٹلہ بالغہ فی الصدق للعالم المتعدن الذي أثر السكوت عن معاملة المستبدین وصرف عیونہ عن جرائمہ :

بتاکہ اس ظلم کیش قاتل کی تیغ براں میں
اور تری مصلحت کے تیروں میں
فرق کیا ہے؟^(۱)

أی: ”یا خلق العالم المتعدن، أخبرني ما الفرق بين سيف هذا
القاتل وبين سهام مصلحتك“

ومن أبرز المعاني عند شعراء مقاومة الاستبداد الأردنيين اعتزازهم بحرية شعرهم
بدرجة يستحيل لأي قوة مستبدة أسره مهما استخدمت من وسائل وعرضت من أثمان، قد
يقدر المستبد على إلحاق أذى أو أكثر بجسد الشاعر أو إلقاءه وراء قضبان السجن وحيدة لفترة
طويلة أو قصيرة أو قتله بطريقة أو أخرى ولكن أن يأسر روح الشاعر ويحبس فكره أمر
مستحيل. وتجلت حرية الفكر عند جميع الشعراء بأشد وضوحها في عدة أبيات، فالتشابه
جلي واضح بين حبيب جالب القائل:

مرے جنوں کو نہ پہتا سکو گے تم زنجیر
نہ ہو سکے گا کبھی تم سے میرا ذہن امیر^(۲)

أی: ”من المستحيل أن تأسروا لوعتي بسلاسل ومن المستحيل أن
تأسروا فكري“.

وبين فيض الذي يصف مدى عجز المستبد في أسر فكره، يقول:

قفس ہے بس میں تمہارے، تمہارے بس میں نہیں
چمن میں آتش گل کے نکھار کا موسم^(۳)

(۱) قصيدة ”زيت تام“ (ويت نام)، ديوان ”نمايافت“ (المعدوم)، ص ۱۱۷

(۲) قصيدة ”ضابط“ (القانون)، ديوان جالب، ص ۳۲۲

(۳) قصيدة ”طوق ودار کا موسم“ (موسم الحبس والأسر)، ديوان ”دست صبا“ (دست صبا)، ص ۳۱

أي: "مبلغ قدرتكم هذا السجن الصغير وتعجزون عن نيل بداية موسم الأزهار".

وبین فراز الذي يثور ثورته معتزا بحرية فكره:

دیکھو تو بیاض شعر مری
اک حرف بھی سرگوں نہیں ہے^(۱)

أي: "ألق نظرة على ديوان أشعاري، لن تجده كلمة واحدة نادرة".

المبحث الثالث: تحليل السمات الفنية

تميز الشعري الأردني المقاوم بسمات وخصائص على المستوى اللفظي والأسلوبي والبلاغي على حد سواء. أما على المستوى المعجمي فقد تكررت كلمات كثيرة يمكن وضعها في حقول أو دوائر متفارقة، فهناك كلمات وتعابير كثيرة تعبر عن مظاهر القسر والخوف والذعر لا تحتاج إلى بحث عنها لذيوعها في المقاومة الشعرية بنسبة كبيرة، يذكر بعض منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

قفص، زنجير، تنجته دار، زنداں کی دیوار، نگینوں، جبر و استبداد، سیاهی، ظلمت، ظلم و ستم، عہد ستم، انتہا ظلم کی، آلام، شاخ شاخ لرزاں، نگاہوں سے وحشتیں، اسیر، قیدی، خائف، مردہ، محکوموں، زیر دستوں، خونخوار درندے، جلاد، وحشی منصف، طالع رقیب، شریک ظلم و ستم، پاؤں میں زنجیریں، ہاتھوں میں کھنکول، تیرے سینے پر بندوق، غیر دل کی بندوق، سہے بیٹھے، وطن بدر شعر، شہر ظلمت، شہر ظلمات، نہر خوں، بے وجود بستی، کائنات ویراں، بندی خانے، مقتل، صورت زنداں، مردہ خانہ، لہو کی نہر، سقراط کا زہر، منصور و مسیح کی سولی، ماؤں کے ہونٹ پتھر، آنکھوں میں زخم، جے آنسو، تھمی آہیں، ٹپکتے دل، ساز کا لاشہ، ناتوانوں کے نوالوں، مزدور کا گوشت، غریبوں کا لہو، لاوارث لاشیں، قلم ہوتی گردن، انصاف کا پیلام، دیوار میں چنی گئی عورت،

^(۱) قصیدہ "اے شہر میں تیرا نقد گرہوں" (اناشیدك أغنی یا وطنی)، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (فی طرفات

جسم پر قید، جذبات پہ زنجیریں، فکر محبوس، ذہنوں کی نیلامی، زبانوں کی بولی، لوح و قلم قتل گاہ میں،
 سطوت شمشیر، ستم کی آگ، نقب زن،
 گولیوں سے گلوں، گولیوں سے ہونا، خون سے چہرہ ادمونا،

أضفت هذه الكلمات والتعابير جوا مليئا بالذعر والقسر والشقاء وغيرها من
 المشاعر التي ولدتها العصور الاستبدادية، فالمتأمل مثلا في الأبيات التالية لأحمد فراز:

گلی گلی میں بندی خانے
 چوک چوک میں مقتل ہیں
 جلادوں سے بھی بڑھ کر
 منصف وحشی پاگل ہیں
 سارا شہر ہے مردہ خانہ
 کون اس بھید کو جانے گا
 ہم سارے لاوارث لاشیں
 کون ہمیں پہچانے گا^(۱)

أي: ”فتحت السجون في كل طريق، وصار كل المفترقات مجازر.
 وجن القاضي جنونا فوق جنون الجلاد. والمدينة هذه كأنها مأمن الموتى، فمن
 يعلم بهذا السر نعيش وكأننا جثث لا ورثة لهم، جثث لا نجد من يميزها
 بعد موتها“.

والبيت التالي للشاعر فيض أحمد فيض:

جسم پر قید ہے، جذبات پہ زنجیریں ہیں
 فکر محبوس ہے، جذبات پہ تعزیریں ہیں^(۲)

أي: ”الجسد مقيد بالقيود والأفكار مقيدة بسلاسل وقد حبس العكر
 والمشاعر. فعجبا لنا كيف نعيش رغم كل هذه الأحوال“.

(۱) قصيدة ”شہر آشوب“ (المدينة المتدمرة)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۱۲

(۲) قصيدة ”چند روز اور مرگی جان“ (مہلا لایام یا أعز شيء علي) دیوان ”نقش فریادی“ (نقوش مستعیت)، ص ۵۱

والبتین التالین لحیب جالب :

بجلیوں کی یورش سے شاخ شاخ لرزاں ہے
کیا یہی بہاراں ہے، کیا یہی گلستان ہے
آج بھی نگاہوں سے وحشتیں نہیں جاتیں
آج بھی نگاہوں میں کائنات ویراں ہے^(۱)

أي: "تَهْتَزُّ أَغْصَانُ الْبُسْتَانِ فِي الرِّيعِ بِسَبَبِ الطُّوفَانِ الْجَارِفِ
وَتَسْتَوْحِشُ الْعَيُونُ بِمَا تَرَاهُ وَخَرِبَ الْعَالَمُ فِي النُّفُوسِ".

یجد کلمة تلو کلمة تبث روح الخوف والذعر والقسر في الآيات حيث شكلت
الكلمات المعبرة عن معاني الخوف والذعر والحزن والقلق والاكتئاب نسبة كبيرة من المعجم
الشعري الذي استخدمه الشعراء، وعلى هذا الفرار تظهر كلمات أخرى تدل على الحالة
النفسية الداخلية للشعراء ويعرض مدى درجة الشقاء الذي وصله الشعراء وفكرهم.

إلا إن هذه الكلمات مصحوبة بكلمات أخرى تفيض حماساً وتحملاً ورفضاً، فمن
الكلمات والتعبيرات التي تعبر عن الرفض والصمود: میں نہیں ہانتا (لن أقبل)، تو کیا غم ہے، (فلا
ہم) میں بھی خائف نہیں (لست خائفاً)، میں بھی منصور ہوں (أنا منصور)، کیوں ڈراتے ہو (عبثاً
تخوفون)، ہو کس طرح سے محبت کی گفتگو (يستحيل أن تبادل حديث الحب)، بچا نہیں ہے میں نے اپنا
ضمیر (لم أبع ضميري)، ڈر ہے کا ہے (لم الخوف)، مرا قلم نہیں اوزار اس نقب زن کا (لئیس قلمی أداة
للصوص)، "نہ ہو سکے گا کبھی تم سے میرا ذہن اسیر (لن تأسروا فکری)۔

ومن الكلمات والتعبيرات المعبرة عن تفاؤلهم واستبشارهم: ہم جیتیں گے (سنفوز)، لازم ہے کہ ہم
بھی دیکھیں گے (سنری حتماً)، نگہاں لرزاں گے ہیں (اهتز الحراس)، سلطان لرزاں گے ہیں (تزلزل السلطنة)، پھیلے ہیں ہمت
کے اجالے (انتشرت أنوار الهمة)، اپنی زبان نہ کر بند (لا تكف لسانك)، سب بت اٹھوائے جائیگے (ستزال الأصنام
كلها)، آخر کو گرا کر آتی ہے ہر جور کی تعمیر (يسقط قصر الظلم في نهاية)، مرے قلم کا سفر ادیاں نہ جائے گا (لن تضيع رحلة
قلمی)، نہیں رہیں گی (لن تبقى)، شہر ظلمات کو ثبات نہیں (لا قرار لمدينة الظلم)، صبح اک نیا سورج تراش لاتی ہے (ينحت
الصبح شمساً جديدة)۔

ومن الكلمات والتعبيرات التي تدل على التحريض والتشجيع، مثلاً: آلام اٹھائے جا (تحمّل الآلام ببسالة)، اپنی زبان نہ کر بند (لا تكف لسانك)، بول (قل وانطق)، لب کھولو (حرك شفطيك)، چب کب تک (إلى متى الصمت؟)، تلوے سہلاؤ نا (لا تلعق الاقدام)، انگریزوں کے پٹھو کہلاؤ نا (لا تكن عميلاً للأفرنجية)، دھوکے کھاؤ نا (لا تنخدعوا)، نظام بدلو (غيّر النظام)، دشمن پہچانو (اعرف أعداءك)، دوست پہچانو (اعرف أصدقاءك)، تقسیم نہ ہونا (لا تتفرّقوا)، سر نہ جھکانالوگو (لا تطأطئوا رؤوسكم)، شمعیں نہ بجھانالوگو (لا تطفئوا الشمع)

أما على المستوى البلاغي فقد أجاد شعراء المقاومة الأردنيين استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية ووظفوها بشكل خلاب، ومن أحسن الأمثلة الطباق قول جالب:

ظلمت کو ضیا، صر صر کو صبا، بندے کو خدا کیا لکھا
پتھر کو گہر، دیوار کو در، کرگس کو ہما کیا لکھا^(۱)

أي: كيف أسمى الظلمة ضياء، وكيف أسمى الصرصر صبا، وكيف
أسطر العبد إلها، وكيف أسمى الحجر زهرة وهذا الظلم والقسر حناناً وفضلاً، وكيف
أسمى هذا الداء دواء.

إذ جمع بين الظلمة وريح صرصر والعبد والحجر والجدار والغراب وما يقابلهما من معانيها المتضادة أراد بكلمة "ضيا" الحاكم العسكري المترع على العرش آنذاك. وكذلك أجاد شعراء المقاومة في عرض صور كاملة جداً لتصوير مآسي الاستبداد ومخازي المستبدين وغير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بالاستبداد. ويمجد الدارس صوراً مؤثرة وقوية تترك تأثيراً بالغاً، فيها هو فراز يمزق رداء القداسة المصطنعة التي يريدها المستبدون المجرمون:

کعبہ کے رم خوردہ بت
اصنام طلائی
اپنی اپنی مسند پر آبیٹھے ہیں
سچ کا لہو
ان کے قدموں میں
عنابی قالین کی صورت بچھا ہوا ہے^(۲)

(۱) قصیدہ بدوں عنوان، دیوان جالب، ص ۱۸۱

(۲) قصیدہ "دوسری ہجرت" (الہجرة الثانية)، دیوان "بے آواز گلی کو چوں میں" (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۰

”تربع الأصنام الذهبية على أرائكهم ودم الصديق يفتش تحت
أقدامهم كسجادة وردية“.

فنحاصر الصورة وهي الأصنام المصنوعة من الذهب الجالسة على مساندھا بینما
یشکل دم الصديق المقتول تحت أقدامها سجادة وردية تدل دلالة مؤثرة على لؤم شخصية
المستبد. وكذلك يقابلنا الشاعر فیض بصورة أخرى يتجلى فیها انتصار المظلومین وهزيمة
المستبدین، بقول:

جب ظلم و ستم کے کوہِ مگراں
روئی کی طرح اڑ جائیگے
ہم محکوموں کے پاؤں تلے
یہ دھرتی دھڑ دھڑ دھڑے گی
اور اہل ظلم کے سراپے
جب بجلی سڑ سڑ کرے گی
جب ارض خدا کے کعبے سے
سب بت اٹھوائے جائیگے^(۱)

أي: ”سنری یوم تطیر فیہ جبال الظلم كالعهن المنفوش ویوم تطأ
فیہ أقدام البائسين أمثالنا هذه الأرض ویوم تقع فیہ الصواعق على رؤوس
الحكام الطغاة ویوم تطرد فیہ الأصنام من كعبة أرض الله“.

وكذلك حبيب جالب الذي شبه استخدام الجيش سلاحه على مواطنيه بغسل الوجه
بالدماء أو زرعه الحب في القلوب بالقنابل والرصاصات، قال:

محبت گولیوں سے بو رہے ہو
وطن کا چہرہ خون سے دھو رہے ہو^(۲)

(۱) من قصيدة ”وبقى وجه ربك“، ديوان ”مرے دل مرے مسافر“، (قلبي، مسامري)، ص ۵۲

(۲) من قصيدة: ”إلى السنغال المترفة في سنة ١٩٧١“ (١٩٤١) کے خوش آشام بنگال کے نام، ديوان جالب، ص ۲۱۸

أي: ”بالرصاصات تزرعون الحب، وبالدماء تغسلون أرض الوطن، وتحسبونكم مرشدين بينما أراكم غاوين“.

ومما يتجلى بوضوح أن شعراء المقاومة وظفوا الرموز التاريخية التراثية بشكل موثر جدا، فكان فراز على يقين بأنه بتضحيته ينضم إلى الركب الحسيني يقول:

اس نے مجھ سے کہا بیعت یزید نہ کر

اس نے مجھ سے کہا مسلک حسین پہ چل^(۱)

أي: ”إنما هو الذي قال لي: لا تبائع يزيذا، وقال لي: اسلك مسلک الحسين رضی اللہ عنہ“.

ومثلهما جالب الذي يرى منزلة مقاومي الاستبداد لا تقل عن منزلة الحلاج الذي ذهب رمزا للتحدي والثبات، يقول جالب:

میں بھی خائف نہیں تجھ دار سے

میں بھی منصور ہوں کہہ دو اغیار سے

أي: ”أبلغوا أعدائي أنني حلاج العصر، لا أخاف شقنا ولا صلبا“

وأخيرا، يرد الشاعر من باب المدينة ليشه مرة أخرى في الطرقات ملتاع النفس، فيصف الوطن وقد تحكمه طائفة باغية:

اپنا شہر کہ حد نظر جیسے لہو کی نہر

یا منصور وسمح کی سولی یا سقراط کا زہر^(۲)

أي: ”مدینتی عبارة عن نهر الدماء أم مشنقة المنصور والمسیح أو سم سقراط“.

ومن سمات الشعر الأردی كذلك أنه تأثر بالثقافة الإسلامية تأثرا واضحا، ففیض أحمد إذ يقول:

(۱) قصيدة ”من وتو“ (أنا وأنت)، من دیوان ”خواب گل پریشاں ہے“ (أحلام الزهور المضطربة)، ص ۱۳۳

(۲) قصيدة ”فیض کے فراق میں“ (في فراق فیض)، دیوان ”بے آوازگی کوچوں میں“ (في طرقات بلا صوت)، ص ۲۶

جزا سب یہیں پہ ہوگی
یہیں عذاب و ثواب ہوگا
یہیں سے اٹھے گا شورِ محشر
یہیں پہ روزِ حساب ہوگا^(۱)

آی: ”وہنا سیکون للکل جزاءہ وعقابہ، وہنا سترتفع ضجۃ الحشر، وہنا سيقوم یوم الحساب“.

فتاثرہ بالکلمات القرآنیۃ ”الجزاء“ ”عذاب“ ”ثواب“ و ”یوم الحساب“ و ”الحشر“ واضح جدا واستخدام الکلمات القرآنیۃ فی هذا السياق لا يدل علی یقین الشاعر بوقوعہ بل ینح الأیات زحما إیمانیا كذلك. وكذلك حبيب جالب إذ استخدم الکلمات القرآنیۃ ”الحق“ و ”الباطل“، یقول:

حق بات پہ کوڑے اور زنداں
باطل کے شکنجے میں ہے یہ جاں^(۲)

آی: ”ما جزاء الحق إلا السجن والسيوط، ونحت سيطرة الباطل تعيش النفوس“.

و یجد المتأمل فی الأمثلة السابقة وغيرها من الأیات التأثير القرآنی بشكل قوي، واستخدام عدد من المفردات والتعبيرات القرآنیۃ أضفى علی التهكم الذي یریدہ الشاعر شدة عجيبة.

وأبرز سمة للشعر الأردی المقاوم بساطته البعيدة عن اللون الرمزي والفلسفي دون أن تحط من قيمته الشعرية، واكتسب هذا الشعر بفضل بساطته وصدق تجربته صبغة مختلفة عن بقية الشعر، ”فجوهر الشعر ليس فی شكله الخارجي من وزن وقافية وألفاظ أو موضوعات خاصة وإنما هو فی التجربة الروحية التي تمر بنفس الشاعر، ولا بأس أن تكتب

(۱) قصيدة ”نداء غیب“ (نداء الغیب)، دیوان ”مرے دل مرے مسافر“ (قلبی مسافری)، ص ۲۷

(۲) قصيدة بلا عنوان، دیوان جالب، ص ۱۸۲

هذه التجربة في لغتها الحقيقية أو قل في لغة بسيطة كذلك التي يتفاهم بها أفراد الشعب“^(١) فيجد المدارس شعراء المقاومة جميعاً يعبرون عن معان سامية ومبادئ راقية بعبارات في غاية البساطة وبفضلها ذهب شعراء وهتافات. وقد مرت إشارات إلى ذلك عند الحديث عن كل شاعر.

وكذلك استخدم شعراء المقاومة أسلوب الاستبعاد، فهذا هو فيض يستخدمه ليعبر عن شدة الألم الذي يشعر بها في داخله:

آج کے دن نہ پوچھو مرے دوستو
دور کتنے ہیں خوشیاں منانے کے دن^(٢)

أي: ”أيها الرفاق، لا تسألوني اليوم عن موعد ساعات السعادة،
فما أبعد أيام الاحتفال عن السرور“

ويمنح استخدام أسلوب الاستفهام الإنكاري في شعر جالب التالي شدة للرفض:

ورٹے میں ہمیں یہ غم ہے ملا
اس غم کو نیا کیا لکھتا^(٣)

أي: ”ورثنا هذا الغم من الآباء، فكيف أكتبه غما جديدا“

ويجد المدارس للشعر المقاوم الأردني أسلوب السخرية والتهكم بالمستبدين بأمثلة كثيرة في الشعر المقاوم، إذ أحس الشعراء أن الأسلوب العادي بات غير نافع للتعبير عن مرارة الحياة التي يعيشونها، فمثلاً يتهمك حبيب جالب بالحاكم العسكري الذي تتغنى وسائل الإعلام بأناشيده ليل نهار ويرى أن الشعب يفقد وجوده لولا حكمه:

تو خدا کا نور ہے
عقل ہے شعور ہے^(٤)

^(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر، دكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة العاشرة،

ص ١٩٧ و ١٩٨

^(٢) قصيدة ”نور شيد محشركي لو“ (لفحة شمس الحشر) ديوان ”سروادي سينا“ (في وادي سينا)، ص ٦٩

^(٣) قصيدة بدون عنوان، ديوان جالب، ص ١٨١.

^(٤) قصيدة ”مشير“، (المستشار)، ديوان جالب، ص ١٨١

ای: ”أنت نور الله، وأنت العقل والفكر“.

فبقاء الشعب مرهون بوجود الطاغية المستبد، ولولاه لما تنفس الصبح ولما انقشعت الظلمات.
ويسخر جالب كذلك في قصيدة ”القلب الحزين“ بتفاخر الجيش بعد الانقلاب العسكري، فكشف عن
فضيحة جرمیتهم قائلا:

سرحدوں کی نہ پاسبانی کی
ہم سے ہی داد لی جوانی کی^(۱)

ای: ”إنهم الجنود- غفلوا عن دفاع حدود الوطن وتوقعوا منا
الثناء عليهم“.

وتهكم أحمد فراز في قصيدة ”أيها الخلق الجائع“ تعبير عن جانب مؤلم من حياة
البؤساء والفقراء الذين أجبروا على الاحتفال بالعيد الوطني وهم جوعاء عراة، فيطالبهم
الشاعر بـ:

آج گرفتہ دل تو کیوں ہے تو بھی جشن منا
آنسو گر نایاب ہیں اپنے لہو کے دیے جلا^(۲)

ای: ”دع عنك هذا النعي والمأتم وقم واحتفل، فإن لم تجد الدموع
لإطفاء السراج فلديك دمك فأطفئ السراج به، وانس الجوع وقم وارقص
عاريا“.

(۱) قصيدة (داستان دل و دوشم) (القلب الحزين)، ديوان حال، ص ۲۵۵

(۲) قصيدة ”اے بھوکے مخلوق“ (أيها الخلق الجائع)، ديوان ”تنہا تنہا“ (وحيدا منفردا)، ص ۵۹

الباب الثالث

دراسة مقارنة لشعر مقاومة الاستبداد في النصف الثاني من القرن العشرين بين العربية والأردية

ويحتوى على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:	المقارنة الموضوعية بين شعر مقاومة الاستبداد بالعربية والأردية
الفصل الثاني:	الصور والمعاني المشتركة في شعر مقاومة الاستبداد بالعربية والأردية
الفصل الثالث:	خصائص وسمات مشتركة لشعر مقاومة الاستبداد بالعربية والأردية



الفصل الأول

المقارنة الموضوعية بين شعر مقاومة الاستبداد بالعربية والأردية

عانى العالم العربي مأساة الاستبداد مثلما حلت بباكستان غير أن المتعمق في أحوالهما يجد فارقا كبيرا، فمظاهر القسر والعنف التي ألقيها المواطن العربي ورضي بها كقدر مكتوب له لا نجد معشارها في التاريخ السياسي الباكستاني، فلم يتجاوز الجيش حتى في أشد العصور الاستبدادية الخط الأحمر إلا في أحوال قليلة، وظلت صلته بالشعب قوية بينما عاملت الحكومات العربية شعوبها معاملة أشد من معاملة العدو للعدو. ورغم ذلك الفارق في درجة المأساة تشابهت آراء شعراء المقاومة العرب والأردنيين في قضايا عديدة وتقاربت أساليبهم وحتى كلماتهم في بعض الأحيان تعبيراً عما يتعلق بهذه القضايا. ويمكن تقسيم الموضوعات والقضايا التي دار شعر المقاومة حولها إلى أنواع أربعة رئيسية، أولها ما يتعلق بمعاناة الشعب أفراداً وجماعات وقبائل في العهود الاستبدادية ومرارة العيش التي تلقوها على يد الحكام المستبدين الطفاة كانت ضحيتها من يعذب في غياهب السجون والزنايات والمعتقلات فرسم الشعراء أحوالهم القاسية في شكل أبيات كثيرة وقصائد كاملة وكذلك تجلّت مآسي المفقودين الذين اختطفتهم القوات الأمنية التابعة للطفاة المستبدية فذهبت آهاتهم سدى في الأجواء دون أن يعثر على أثر لهم. ومن تلك القضايا قساوة الأحوال التي ذاقها اللاجئين والمشردون بسبب قهر الاستبداد فضاقت عليهم الأرض بما رحبت. وأشد ما يتأثر بالاستبداد ممن يتأثر به طبقات العمال والفلاحين والفقراء فجاء في شعر مقاومة الاستبداد تفصيل وفير لمآسيهم. ومرت الصحافة كذلك بمحن شديدة وواجهت مشاكل مالية وإدارية ومهنية في نفس واحد كان لها عند الشعراء المقاومين تصوير مؤثر وجذاب ولم يك هذا الأمر مقصوراً على الصحافة كذلك بل على كل ذي فكر حر ورأي معارض للاستبداد من الشعراء والأدباء والمفكرين. ونجد قضية انتهاكات الحقوق الإنسانية الأساسية بكل شدتها بصور مخزنة ومقلقة كثيرة في هذا الشعر تسجل أحوال تلك العصور الظلماء.

والنوع الثاني هو تلك الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالقوة المستبدة تمثلت فرداً وشخصاً أو جماعة وطائفة كالجيش المحتل المستبد أو أسرة معينة أو حزباً بمنحى فكري خاص أو عترة تحكم رقاب الشعب كله

والنوع الثالث يضم تلك الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالقوات التي تمد الاستبداد بعونها وهي تظهر بشكل أفراد وجماعات وطبقات ودول فكشف الشعراء النقاب عن وجوه أفراد وشخصيات خالفت الاستبداد غدراً بالشعب والوطن كما كشفوا الدور المذموم الذي لعبته أحزاب سياسية أو طبقات معينة كالصحفيين والساسة والإعلاميين والدبلوماسيين وحتى بعض الأدباء والشعراء. لم يغفل الشعراء عن كشف الصلة القوية بين الدول المستعمرة والاستبداد المحلي.

أما النوع الرابع والأخير فهو يشمل الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالشعوب المسكينة التي تعاني مأساة الاستبداد لحقبة قصيرة أو طويلة، ويكشف جوانب عديدة لدى مسئولية الشعوب نفسها في جر وبال الاستبداد على نفسها، ودورها في إطالة الحكم الاستبدادي لتقاعدتها عن تغيير وضعها إما بسبب رضاها به طمعا في مصالح مؤقتة أو خوفا من بطشة المستبدين أو متخدعا بظاهر الأمور، ويشمل ذلك النوع تلك الموضوعات التي ترشد الشعوب نحو الحرية وتنفع فيها حماسا وتمنحها همة.

المبحث الأول: مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بمعاناة الشعب في العهد الاستبدادي

يمر الشعب أي الشعب بمعاناة قاسية خلال الفترة الاستبدادية وتترك آثارا بالغة على نفسية الشعب وفكره وتاريخه وعلى غيره من الجوانب المتعددة، وصممت مقاومة الاستبداد الشعرية في الشعرين العربي والأردني صورا عديدة لما ذاقها الشعوب من مرارة العيش وشقاء الحياة خلال تلك العصور وتصف لنا ما ابتلي به معارضو الاستبداد وكيف سلبت حقوقهم السياسية واغتصبت أموالهم وأنفسهم وحرموا حقهم الأساسي أي الإبانة عن الرأي وما حل بالطبقات الضعيفة مثل العمال والفلاحين من نكبات وكوارث وتضم هذه الموضوعات شدة الرقابة البوليسية واختطاف المعارضين للاستبداد واغتيالهم وإخفائهم من أرض الواقع وأحوال المعتذبين في السجون والمعتقلات وغير ذلك من ألوان التعذيب والتخويف والتهديد ذهب ضحيتها آلاف من الأبرياء المساكين وعلى القارئ ألا يغفل عن الفرق الذي ذكر في الصفحة السابقة عن تفاوت شدة مأساة الاستبداد في العالم العربي والباكستان.

• قساوة الأوضاع في العهد الاستبدادي

دولة بلا قانون ومحاكم بلا عدل وهيئة بلا مؤاخذه هي العناصر الأساسية التي تتكون منها الحكومة الاستبدادية ومن الطبيعي أن نصير الحياة فيها أقسى عقوبة يتلقاها مواطن، وشعر مقاومة الاستبداد وثيقة تاريخية لمعرفة الأوضاع القاسية التي مرت بها الشعوب الإسلامية في عصور الاستبداد، وملف شامل للجرائم والمخازي التي ارتكبت فيها، فعهد الاستبداد في شعر مقاومة الاستبداد عبارة عن ظلمات حلت بالوطن، وليس الشعب أكثر من قطيع يساق دون إرادته. ويسود الأجواء في عصره موجات من الحزن والقلق والحرمان

وتنن الأرض أنات يمتلئ بها الفضاء. فهذا هو الشاعر هاشم الرفاعي يصور حالة الشعب المصرية : [الكامل]

أَمْ ذَاكَ رَأَى الشَّعْبَ وَمُؤْمَكِّبَل
فَحَيَاتُهُ وَالْمَوْتَ يَسْتَوِيَان^(١)

ولا يمر القارئ بديوانه إلا ويصف حالة شعبه التي يرثي لها، فمثلا في قصيدة "بين احتلالين" يقول : [الكامل]

الشَّعْبَ مَشْدُودَ الْإِسَارِ مُكَمَّم
يَشْكُو الْقِيُودَ وَمَالَهُ مِنْ وَالٍ^(٢)

والشاعر محمود الزبيري يصور معاناة الشعب اليمني في عصر الاستبداد ويصف كيف عامله المستبد بوقاحة وبلامبالاة بأي قانون وشرعية، يقول :

وَالنَّاسَ بَيْنَ مُكَبَّلٍ فِي رِجْلِهِ
قَيْدٌ وَفِي فَمِهِ الْبَلِيغُ لِحَامُ
أَوْ خَائِفٌ لَمْ يَدْرِ مَا يَنْتَابُهُ
مِنْهُمْ أَسْجَنُ الدَّهْرِ، أَمْ إِعْدَامُ؟^(٣)

ويلقانا الفرد العربي في لافتات أحمد مطر مكبلا مصفدا معذبا بدرجة يحلو له تجرع كأس الموت أحلى من مرارة العيش في العصر الاستبدادي :

الإعدام أخف عقاب
يتلقاه الفرد العربي
أهناك أقسى من هذا؟
طبعا
فالأقسى من هذا
أن يحيا في الوطن العربي^(٤)

(١) قصيدة "حلال مصر"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٨

(٢) قصيدة "بين احتلالين"، المرجع نفسه، ص ٣٩٣

(٣) قصيدة "صرخة إلى النائمين"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٠٣

(٤) قصيدة "أقسى من الإعدام"، ديوان لافتات ٦، ص ١٣٩

ووصف الزبيري كيف يتز المستبد أموال الشعب بحجج واهية ويقرر وسائله الفطرية
هبة من هباته ويمتص ثروته على مرأى ومسمع منه: [الرمل]

لَمْ تَنْلِ جُرْعَةً مَاءٍ دُونَ أَنْ
تَنْقَاضَ بَحْرُ آبٍ أَوْ بَغْضٍ بِهِ
ظَعِنْتَ فِي قَيْدِهِ وَهِيَ تَرَى
أَكْلَهُ مِنْ دِمَهِمَا الْغَالِي وَشُرْبَهُ^(۱)

وما يستهدف المستبد من تعذيبه إلا تخويف الشعب وإجباره على إخضاع الرأس
لأوامره دون تردد ويريد بها أن يعيد الإنسانية إلى عهد الرق وعبودية الإنسان لأخيه
الإنسان، يقول الرفاعي: [الكامل]

أَنْزَلَ بِهَذَا الشَّعْبِ كُلَّ هَوَانٍ
وَأَعَادَ عَنْهُ رِقَّ الْأَذْهَانِ
وَأَقْبَلَ بِهِ مَا انْطَعَتْ كُلُّ كَرَامَةٍ
وَأَفْرَضَ عَلَيْهِ شَرِيعَةَ الْقُرْصَانِ^(۲)

ولا يختلف شعراء الأردية عن شعراء العربية في رسم صور محزنة لمعاناة شعبهم خلال
فترة الاستبداد، فينعي حبيب جالب الربيع الأحمر الذي حل بالوطن وتشكو عيناه ما تراه
من مناظر مخيفة، يقول:

بجلیوں کی یورش سے شاخ شاخ لرزاں ہے
کیا یہی بہاراں ہے، کیا یہی گلستاں ہے
آج بھی نگاہوں سے وحشتیں نہیں جاتیں
آج بھی نگاہوں میں کائنات ویراں ہے^(۳)

أي: "تهتز أغصان البستان في الربيع بسبب الطوفان الجارف وتستوحش العيون بما
تراه وخرب العالم في النفوس".

(۱) قصيدة "بواذر ثورة"، ديوان ثورة الشعر، ص ۱۱۱

(۲) قصيدة بين احتلالين، ديوان الرفاعي، ص ۳۹۴

(۳) قصيدة بلا عنوان، ديوان جالب، ص ۲۹

وقصائد أحمد فراز مليشة بالصور المقلقة لمعاناة الشعب الذي يقاسي آلام الجوع والفقر والجهل والعبودية رغم أنه يعيش في بلد تحرر من الاستعمار منذ زمن، يصور كل ذلك إذ يقول:

پھر بھی پاؤں میں زنجیریں ہاتھوں میں کٹکول
کل بھی تجھ کو حکم تھا آزادی کے بول نہ بول
آج بھی تیرے سینے پر ہے غیروں کی بندوق
اے بھوکی مخلوق^(۱)

أي: "أنت مغلول الأقدام، وتحمل بيدك كأس التسول، بالأمس منعت النطق بالكلام عن حرية التعبير، واليوم أرى غيرك سل بندقيته عليك لتبقى ساكنا أيها الخلق الجائع".

يعيش الناس في جحيمهم بينما قسى قلب الحكام فلا يشعرون بشيء من آلامه، لأنهم يعيشون في عالمهم بعيدا عن رعيته الفقيرة، يقول جالب:

ستم کی آگ میں جلتے رہے عوام مگر
جہاں پناہ ہمیشہ جہاں پناہ رہے^(۲)

أي: "ظل الشعب يحترق في تنور الاضطهاد والضميم ولكن ظل جلالة الملك ذا الجلالة".

وليست من المبالغة القول بأن الصور الكثيرة لظروف الشعب وأحواله وآماله والتي تعج بها قصائد المقاومة تصلح لتكون موضوعا لدراسة تكشف عن خباياها ودخائلها وقد اشترك فيها شعراء اللغتين على حد سواء وتوافقهم في هذا الموضوع واضح في أمثلة قليلة قد ذكرت.

^(۱) قصيدة "اے بھوکی مخلوق" (أيها الخلق الجائع)، ديوان "تنہاتہا" (وحيدا منعزلا)، ص ۵۸

^(۲) قصيدة "بانو کے نام" (إلى بانو)، ديوان جالب، ص ۲۶

• قضية أحوال المعتذبين في السجون والمعتقلات

كان أقسى أنواع العذاب مصير كل مَنْ نُجِح رجال الاستبداد في البطش به وإلقائه وراء قضبان السجن، وشعر مقاومة الاستبداد مليء بذكر المعتذبين في زنايات السجون والمعتقلات وليس ما ذكر إلا قليلا جدا مما حدث فعلا. فعلى سبيل المثال صور الزبيري في قصيدة "قيد جماعي"^(١) ما واجهه الأحرار الأسرى من أحداث الأساليب التي ابتكرها شرطة الإمام في اليمن وكذلك روى في قصيدة "كفر وإيمان" ما ابتلي به الأحرار في السجون الإمامية^(٢) وترق القلوب أكثر ما ترق لصورة الصبية الصفار وهم يصفعون ويركلون جثث آبائهم بأمر الشرطة الإمامية كما صور مشاعر الذعر المنتشرة في تلك الأجواء الرهيبة فلا يدري من وقع البطش به ما مصيره، سجن الدهر أم إعدام.

والتَّاس بِمَنْ مَكْبَلٌ فِي رِجْلِهِ
قَيْدٌ وَفِي فَمِهِ الْبَلِيغُ لُجَامُ
أَوْ خَائِفٌ لَمْ يَدْرِ مَا يَتَّبِعُهُ
مِنْهُمْ أَسْجَنُ الدَّهْرِ، أَمْ إِعْدَامُ؟^(٣)

وما جرى في اليمن جرى في مصر كذلك، حيث امتلأت السجون بمن كان له أدنى صلة بمعارضني الرئيس جمال عبد الناصر، يقول الرفاعي: [الكامل]

وَالسَّجَنُ يَفْغَرُ فَاءَ لَاسْتَقْبَالِنَا
وَالسُّوْطُ فَوْقَ ظُهُورِنَا أَحْكَامًا^(٤)

ولم يكن الشباب وحدهم عرضة لهذا النوع من التعذيب فحسب بل لم ينج حتى كبار السن من إيذاء مهلك في السجون^(٥) وصدق الرفاعي إذ قال: [الكامل]

(١) قصيدة قيد جماعي، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٤٠

(٢) قصيدة كفر وإيمان، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٧

(٣) قصيدة "صرخة إلى النائم"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٠٣

(٤) قصيدة "حمال عاد من باندويج"، ديوان الرفاعي، ص ٤٠٥

(٥) قصيدة "مصر الجريحة"، المرجع نفسه، ص ١٣٥

وَلَوْ أَطْلَعْتَ لَدَى الْعَنَاءِ عَلَيْهِمْ
لَرَأَيْتَ مَا يُسْـدِى الْفُؤَادَ وَيَنْزِعُ^(۱)

وصور الشاعر حبيب جالب ما أجرى من تعذيب في أماكن عامة باسم إقامة الحدود
الإسلامية قائلا :

حق بات پہ کوڑے اور زنداں
باطل کے شکنجے میں ہے یہ جاں
انساں ہیں کہ سبھے بیٹھے ہیں
خوں خوار درندے ہیں رقصاں^(۲)

أي: "ما جزاء الحق إلا السجن والسيوط، ونحت سيطرة الباطل تعيش النفوس،
وترتعد من هذا الوضع القلوب، وتسود البلد وترقص فيه الوحوش".

ولشدة أنواع الظلم يتحول الوطن الحبيب عند أحمد فراز إلى سجن يحيط به سور تلو
سور أو بحر يموج دماء ويصير التعذيب فنا له رجاله وله أساليبه.

ويصبح التعذيب بأشنع صورته ظاهرة تظهر في العصور الاستبدادية بكل شدتها لعدم
وجود جهة تؤاخذ رجال الاستبداد وتحاكمهم، وكثيرا ما تتجلى أبشع صورته بعد ما يمنح
المستبد لرجال لشرطة والحيش رخصة مطلقة للتكيل بمعارضيه دون مبالاة بشرعية أو دستور.
ورسمت شعراء مقاومة الاستبداد صورا محزنة لأساليب التعذيب التي يمارسها رجال
الاستبداد في الشوارع والأسواق والسجون والمعتقلات باسم التفتيش سرا وجهرا، يقول
الشاعر اليمني محمود الزيري: [البسيط]

فَنُ مِنَ الْبَطْشِ وَالتَّعْذِيبِ مُبْتَكِر
خَلِيفَةُ اللَّهِ لِلْأَجِيَالِ أَفْـدَاهُ^(۳)

(۱) قصيدة "مصر الحريجة"، ديوان الرفاعي، ص ۱۳۴

(۲) قصيدة بلا عنوان، ديوان جالب، ص ۱۸۲

(۳) قصيدة قيد جماعي، ديوان صلاة في الجحيم، ص ۳۴۰

ويؤيده قول الرفاعي وهو يقول: [الكامل]

سُـلِّتْ سـُـيُوفَ الْبَغْيِ فـُـوقَ رُؤُوسِهِمْ
وَأَمْضَتْهُمْ كَأْسَ الْعَذَابِ الْمُسْتَرْعِ
وَلَوْ أَطْلَعْتَ لَدَى الْعَنَاءِ عَلَيْهِمْ
لَرَأَيْتَ مَا يُسْـدِى الْفُؤَادَ وَيَنْزِعُ^(١)

ولما أسر الشاعر فيض أحمد فيض بسجن حيدر آباد سنة ١٩٥٢ م وسلبت منه أقلامه وأوراقه، قال وهو يشكو هذه القيود الصارمة والرقابة الشديدة:

متاع لوح وقلم جھن گئی تو کیا غم ہے
کہ خون دل میں ڈبو لی ہیں انگلیاں میں نے
زبان پر مہر لگی ہے تو کیا کہ رکھ دی ہے
ہر ایک حلقہ زنجیر میں زباں میں نے^(٢)

أي: "سلبوا مني قلمي ولوحي، فلا أبالي بذلك، فأسطر كلماتي بأصابعي المضرخة بدم قلبي، ولا أبالي بأن لساني مختوم فإن كل حلقة من حلقات السلسلة ستعبر عما أريد".

وليست النماذج التي ذكرت إلا قليلا يسيرا مما ورد في شعر مقاومة الاستبداد من مناظر رهيبية لتعذيب المعارضين المطالبين بالحرية في غياهب السجون وفي شوارع المدن وطرقاتها وجرى كل ذلك بإرادة علنية وإذن خاص من الطفلة المستبدية وبدون أن يؤخذ عليها أحد من أعوان الاستبداد ونجح الشعراء بذلك في توفير مادة لمن يؤرخ ذلك العصر ليسجل الأحداث بحقيقتها، ولعل سبب الإكثار من صور التعذيب الذي لاقاه الأحرار المقاومون للاستبداد يجعل التعذيب أكبر موضوع يلقاه القارئ في دواوين شعراء الاستبداد باللغتين.

(١) قصيدة "مصر الجريحة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٤

(٢) قصيدة بدون عنوان، ديوان "رست صبا" (يد الصبا)، ص ١٥

● قضیہ اختطاف المعارضین وأحوال المفقودین

تشهد عصور الاستبداد وخاصة في الحكم العسكري قضية أخرى تشكل مأساة لا تبت في القلوب غير الكراهة والحقد على رجال الأمن وهي قضية اختطاف المعارضين للحكم المستبد والقبض عليهم بدون إجازة ودون أن يعرضوا لمحاكمة ولو كانت مزيفة.

وتجلت هذه المأساة وآثارها في قصائد الشعراء الأحرار بكل آلامها وأحزانها، وقصيدة "أغنية أم" (١) للشاعر هاشم الرفاعي خير ما يصور هذه المأساة التي سادت العالم العربي بكثرة وتصور الأحوال المادية والنفسية لأسر المختطفين التي تمر من لحظات انتظار أشد من الموت وقلق مريب خنانا على أقاربهم الذين لا يدرون أ ماتوا أو ما زالوا أحياء يررغون ويتردد بحثمهم عن أحبائهم بين الأمل والرجاء. ومثله أحمد فراز الذي صور معاناة هذه الأسر أدق تصوير في قصيدة "بشريات الريح" (٢) وتأنجج القصيدتان بمشاعر الحزن والانتقام والحسرة معا. وتصوران كيف تمر أسر المختطفين بمأساة تهر كيانها وتعمل حياتها جحيما والمأساة هذه تكررت وما زالت تتكرر في كل بلد عربي باختلاف الأشخاص والتواريخ.

وما يريد هذه القضية قساوة هو أن الورثة لا يجدون مأوى يلجأون إليه فالشرطة غير قادرة على التفتيش في مثل هذه القضايا كما تعجز المحاكم عن محاكمة ضابط برتبة متدبة أو حتى جندي عام بتهمة اختطاف المدنيين كما لا تسمح للصحافة نشر أخبار المختطفين رغم أن الجميع يدرك حقيقة الأمر

وتعيش أسر هؤلاء في حياة أمر من الموت متظريين عودة أحبائهم وكثيرا ما يطول الانتظار دون فائدة أو ينتهي بعد ما يعتر على جثث هؤلاء ملقاة في أماكن مستوحشة مثل المزارع والغابات، يصور الشاعر أحمد فراز شقاء هذه المعاناة:

ہمیں	سا	کوئی	صبح	سویرے
کھیت	میں	مردہ	پایا	گیا
ہمیں	سا	کوئی	دہشت	گرد
چھپ	کے	جے	دفنایا	گیا ^(۳)

(١) قصيدة "أغنية أم"، ديوان الرفاعي، ص ٣٨٥

(٢) ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات صامتة)، ص ١٠١

(٣) قصيدة "شہر آشوب" (المدينة المتدمرة)، المرجع نفسه، ص ١١٢

أي: "وجد أحد مثلنا ميتا في مزرعة، وإرهابي آخر كان يشبهنا دفن سريا".

وكذلك كشف أحمد مطر في قصيدة "الطب يضر بصحتك"^(١) عن حقيقة تزيف أسباب موت الذين تختطفهم أيد سرية لاشتباكات ثم يعثر على جثثهم مرماة في شوارع أو غابات أو تكشف تقارير طبية مزيفة عن أسباب موتها، والقصيدة عبارة عن طالب يدرس في كلية الطب وذهب ضحية لطبعه المتجسس فاخطفه رجال الأمن وبعد أيام عثر على جثته بأثر رفسات وجروح بندقية:

وبعد يوم واحد

أفرج عن جثته

بحالة أمنية:

في رأسه رفسة بندقية

في صدره قنبلة بندقية

في ظهره صورة بندقية"^(٢)

غير أن التقرير الذي أصدر من المستسمى كان يرفض هذا الواقع وكان ينص على أنه مات بسبب سكتة قلبية. وعلى هذا المنوال ذهب المئات والآلاف ضحايا للجرائم التي ترتكها الهيئات الأمنية وظلت آهات المنكوبين تذهب سدى دون صدى.

• قضية مآسي اللاجئين والمشردين والمنفيين

ضاعت الأرض العربية على كثير من أبنائها رغم سعتها ورحابتها نتيجة بطش الحكام بمخالفها فعاشوا فترة طويلة أو قصيرة من حياتهم لاجئين تائهين في بلاد أخرى، يتحملون أتعس الآلام، والشاعر هاشم الرفاعي وصف مشاعرهم أدق وصف في قصيدته، إحداهما "غرام لاجئ" وأخرهما "وصية لاجئ" وهما عبارة عن خلجات لاجئ متشرد، يقول:

(١) لافقات ٢، ص ١٩

(٢) قصيدة "الطب يضر بصحتك"، المرجع نفسه، ص ١٩

مَأْسَاثُنَا مَأْسَاءُ نَاسٍ أُبْرِيَاءَ
وَحِكَايَةُ يَنْغَلِي بِأَسْطَرَّهَا شَقَاءَ
حَمَلْتُ إِلَى الْآفَاقِ رَائِحَةَ الدُّمَاءِ
وَجَرِيْمَتِي كَأَنْتِ مُحَاوَلَةُ الْبَقَاءِ^(۱)

وتجلت معاناة اللاجئين والمنفيين عند أحمد فراز في قصائده المتعددة، منها قصيدة (بن باس) وهي قصة شاعر حظي بالعودة إلى وطنه الحبيب بعد ما عانى عذاب الغربة فترة طويلة فعمشى يسافر إلى الوطن ولما اقترب من البوابة المركزية الداخلية إذا بها حراس بالبنادق والرماح خاطبوا نغمته بسلاحهم:

لیکن میرے شہر کے سارے رستوں پر
اب باڑھے لوہے کے کانٹوں کی
شہ دروازے پر کچھ پہرہ دار کھڑے ہیں
جو مجھ سے اور مجھ جیسے دل والوں کی
پہچان سے عاری
میرے ساز سے
سنگینوں سے بات کریں^(۲)

أي: "كل طريق من طرق مدينتي بها سور من أشواك الحديد، ويقف
بالباب حراس ينكرونني وينكرون أمثالي من ذوي القلوب الصافية
ويكلمونني ولخني ببنادقهم".

وما أوسع الفجوة بين وعي الشاعر ذي النغمة الهائلة والحراس أولي السلاح
الشوكي، أنكروه ولم يصفوا إلى استئذان الشاعر الذي تمنى أن يدخل باب المدينة فكان
نصيبه أن يتيه بحسده الممزق ونفسه الملتاعة وروحه الجريحة في الصحاري والغابات:

(۱) قصيدة "ثروة"، ديوان الرفاعي، ص ۳۴۵

(۲) قصيدة "بن باس" (دلا رائحة)، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں"، (في طرقات صامتة)، ص ۲۲ و ۲۳

میں اپنے جسم کا ملکہ
 ساز کا لاشہ
 اپنے شہر کے شہ دروازے
 کی دہلیز پہ چھوڑ کے
 پھر انجانے شہروں کی شاہراہوں پر
 مجبور سفر ہوں^(۱)

آی: ”ترکت مخلفات جسدي وجثة نغماتي على دهليز البوابة
 المركزية واضطرتت إلى بدء تطوافي على شوارع مدن غير معلومة“.

• قضية شدة الرقابة البولسية واضطهاد المخابرات

وهي ظاهرة تتجلى بأشد الوضوح في حكم استبدادي ليكبت المستبد أصوات الحرية
 وليسد الكلمة الحرة قبل ميلادها، ولعله لا توجد طبقة من طبقات المجتمع إلا وتسري فيها
 عيون الحكام ورجالهم لإخماد شعلة المعارضة.

وبلغت هذه الظاهرة متهاها في العالم العربي حتى بات الأقارب يتجسسون على
 أقاربهم، ووصف الشعراء مثل هذه الأجواء السائدة في البلاد العربية وغير العربية، يقول
 الرفاعي وهو يصور أجواء مصر:

حَتَّى صَدَى الْهَمَّاتِ غَشَاهُ الْوَهْنُ
 لَا تَنْطِقُوا، إِنَّ الْجِدَارَ لَهُ أُذُنٌ^(۲)

ويتسرب عملاء المخابرات حتى في صفوف العائلة الواحدة، يقول الزبيري اليمني:

وَالْمَرْءُ يَهْرُبُ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ
 وَكَأَنَّ وَصْلَهُمَا لَهُ إِجْرَامٌ^(۳)

(۱) قصيدة ”بن باس“ (بلا رائحة)، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (في طرقات صامتة)، ص ۲۲ و ۲۳

(۲) قصيدة ”أغنية أم“، ديوان الرفاعي، ص ۳۸۷

(۳) قصيدة ”صرخة إلى النائمین“، ديوان صلاة في الجحيم، ص ۳۰۳

صور الشاعر أحمد مطر في قصائد مختلفة كيفية شدة الرقابة حتى على أفراد الأسرة
الواحدة، فغدا الشعب كله يتجسس على غيره:

ونكسرُ المرأةَ

خوفَ المداهمات

نهربُ من هروبنا

مخافةً اعتقالنا

بتهمَةِ الحياة^(١)

ويصور الشاعر حبيب جالب ذلك الوضع المؤلم المخوف:

بولنے پہ پابندی، سوچنے پہ تعزیریں

پاؤں میں غلامی کی آج بھی ہیں زنجیریں

آج حرف آخر ہے بات چند لوگوں کی

دن ہے چند لوگوں کا رات چند لوگوں کی^(٢)

أى: "سلبت حرية التعبير، وأقيمت الحدود على التفكير، وقيدت الأقدام بسلاسل
العبودية. وتعالّت كلمة فتنة دون أخرى، وسعدت طائفة دون الكثيرين"

ووصف الشاعر هاشم الرفاعي في قصيدة "خواطر ثائرة" أحوال ليلة حاصر فيها
سبعون جندياً بيته لا غتيال عميد أسرته وجده مصطفى الرفاعي وسجل أحداث تلك الليلة
قائلاً: [البسيط]

هَـاتِ الحَـامَ وَوَدَّعَ هَـذِهِ الدَّارَ

فَالْخَطْبُ أَشْعَلُ فِي أَحْشَاءِ النَّارِ

بِالْأَمْسِ هَدَدْنَا بِالسَّجْنِ وَأَسْأَفَا

وَالْيَوْمَ حَاصِرٌ بِغِيَا هَـذِهِ الدَّارِ^(٣)

(١) قصيدة "مؤهلات"، لافتات ٢، ص ١١٥

(٢) قصيدة "جمهوريت" (الديموقراطية)، ديوان جالب، ص ١٣٣

(٣) قصيدة "ثروة"، ديوان الرفاعي، ص ٣٤٥

• أحوال الطبقات المضطهدة البائسة

يشقى الشعب كله خلال الحكم الاستبدادي وتُمر بأحوال قاسية، وشعر مقاومة الاستبداد وصف دقيق للعاسي التي كان ضحيتها الطبقات البائسة مثل الفلاحين والعمال والفقراء وتعبير مؤثر عما يختلج في نفوسهم إزاء هذه الفظائع. وعاش شعراء مقاومة الاستبداد حياتهم العملية جنباً بجنب الطبقات البائسة واحتكاكهم بهم مر في الحديث عنهم فرادى، وبفضل ذلك اطلعوا على مسائلهم وشعروا بأحاسيسهم وشاركوهم خلجات نفوسهم وكل ذلك يتجلى بوضوح ويكثر في شعرهم، فالشاعر الزيربي مثلاً يبدى تأييده لكل منكوب مقابل الظالم إذ قال:

أَنَا شَوَكَةٌ فِي حَلَقِ
طُغْيَانٍ يَسُوءُ لَهَا أَنْيْنَ
أَنَا بَلَسَمُ أَبَدًا أَسِيرُ
مِنَ الْجَرِيحِ إِلَى الطُّعْنِ^(١)

كما أولى الشعراء قضايا الطبقات المضطهدة مثل الفلاحين والعمال اهتماماً في شعرهم، وأيد الرفاعي خطوات حكومة نجيب الإصلاحية في مجال الزراعة وتوزيع الأراضي على الفقراء والبؤساء وشكا معاناتهم على يد عصاة تتخطف رزقهم من يدهم وذلك في قصيدة "توزيع الملكية" قائلا:

أَيَّامٌ يَحْشَعُ فِي الإِجَارَةِ مَالُكَ
فَيَسُوءُ مِنَ لَفْحِ الغَلَاءِ أَجِيرُ
كَمْ نَظَرَ لِزُرَاعَةٍ بَعُثُوهُ
هُضِمَتْ حَقُوقُ مَكْافِحٍ وَأَجُورُ^(٢)

وأشار أحمد بنسأولاته المتحدية قضايا عامة الناس وخاصة تلك التي تؤثر في ميزانية الفقراء تأثيراً لا يطاق، ففي قصيدة "ديوان المسائل" مثلاً يسأل عن معاناة الفقراء بسبب أسعار البترول قائلا:

(١) قصيدة مثاب وعتاب، ديوان ثورة الشعر، ص ١٧١

(٢) قصيدة "توزيع الملكية"، ديوان الرفاعي، ص ١٥٧

إن كان البترول رخيصاً
فلماذا نقعد في الظلمة؟
وإذا كان ثميناً جداً
فلماذا لا نجد اللقمة؟^(۱)

وكان مثل فیض و جالب فی صلة مباشرة مع العمال والفلاحین یشارکان فی مؤتمراتهم وحلقاتهم، وبعد تجارب حياته المتنوعة لم يتعلم الشاعر فیض سوى التواضع والتكاتف مع الطبقات البائسة، یقول:

عاجزی سیکھی غریبوں کی حمایت سیکھی
یاس و حرمان کے، دکھ درد کے معنی سیکھے
زیر دستوں کے مصائب کو سمجھنا سیکھا
سرد آہوں کے رخ زرد کے معنی سیکھے^(۲)

أي: "تعلمت الحب والتواضع ومساعدة الفقراء كما تعلمت معاني الحرمان والألم. وبه تعلمت الأسلوب الصحيح لفهم مصائب الضعفاء وفهم الرسالة الكامنة في آهاتهم."

ویشید بعظمتہ وفضل دور العمال والفلاحین قائلًا:

ملوں میں چہرہ مزدور تہمتا ہے
تو کھیتیوں میں کسان اور خون بھرتے ہیں^(۳)

أي: "تنور وجوه العمال في المصانع ويروى الفلاحون حقولهم بدمائهم."

ویرفض حبیب جالب أن یسمح لأحد اغتصاب حقوقهم، یقول:

(۱) قصيدة "ديوان المسائل"، لافتات ۶، ص ۳۸ و ۳۹

(۲) قصيدة "رقيب سے" (من الرقيب)، ديوان "نقش فریادی" (نقوش مستعبد)، ص ۴۷

(۳) قصيدة (سبھی شریک سفر ہیں) "الجميع شركاء الرحلة" ديوان "شب خون" (هجوم في الليل)، ص ۱۰

یہ دھرتی ہے اصل میں پیارے مزدوروں دہقانوں کی
اس دھرتی پر چل نہ سکے گی مرضی چند گھرانوں کی^(۱)

أی: ”إنها أرض العمال والفلاحين الأبرياء، ولن تخضع لسيطرة أسر معدودة“.

وتعاني طبقة الفلاحين والعمال من مشكلة رئيسية وهي أنها بعد جهد شهوور
وسنوات لا تجد مكافأة مناسبة لجهدا وتظل أسرتها جائعة محتاجة، فالفلاح الذي يسقي
الأرض بدمائه ويرهق جسده في الشمس من أجل الحصول على الحبات يبقى يعاني من الجوع
والفقر لأن يدا قوية تحرمه ما زرع يوم حصاده، يقول فراز:

ہم روشنی لائے تھے اپنا لہو جلا کر
ہم پھول اگائے تھے پینے میں نہا کر
لے جاتا مگر کوئی فصل اٹھا کر
رہتے تھے ہمیشہ تھی دامان ہمارے^(۲)

أی: ”كنا أضأنا النور بعد ما أحرقنا دماءنا، وزرعنا الأزهار بعد ما سقيناها
عروقنا ولكن عند الحصاد نزعنا ما يد حصادنا فكنا نبقى لا نملك شيئا“.

ولا يختلف أمر العمال عن أمر الفلاحين، فالعامل الذي يعمر المدينة كلها يبقى بيته
هو خرابا غير معمور:

ہم وہ جو کڑی دھوپ میں جسموں کو جلائیں
ہم وہ ہیں کہ صحراؤں کو گلزار بنائیں
ہم اپنا لہو خاک کے تودوں کو پلائیں
اس پر بھی گھروندے رہے ویران ہمارے^(۳)

(۱) قصیدہ بلا عنوان، دیوان جالب، ص ۱۷۵

(۲) قصیدہ ”یہ کھیت ہمارے یہ کھلیان ہمارے“ (حقولنا ورووعنا) دیوان ”شب خون“ (مجوم اللیل)، ص ۸۴

(۳) المرجع نفسه، ص ۸۴

أي: "نحن الذين يحرقون أجسادهم تحت الشمس والذين يمنحون الصحراء جمال البساتين والذين يسقون التراب دماءهم ورغم ذلك الجهد المضني تبقى بيوتنا تعمرها الوحشة".

ویرصف الشاعر فیض أحمد فی قصیدہ "من الرقیب" دخائل نفسه عند مشاهدة بكاء الضفعاء وقد جفت دموعهم في العيون وكيف تنزع منهم يد قوية لقمة عيشهم، ویصف كيفية إسالة دم الفقراء على الشوارع، یقول:

جب کہیں بیٹھ کے روتے ہیں وہ بے کس جن کے
اشک آنکھوں میں بلکتے ہوئے سو جاتے ہیں
ناتوانوں کے نوالوں پہ جھپٹتے ہیں عقاب
بازو تولے ہوئے منڈلاتے ہوئے آتے ہیں
جب کبھی بکتا ہے بازار میں مزدور کا گوشت
شاہراہوں پہ غریبوں کا لہو بہتا ہے^(۱)

أي: "لما أرى الضفعاء الباكين الذين تحف دموعهم في العيون ولما أرى يدا قوية تنزع من المفلسين لقمة عيشهم ولما أرى لحم العمال يعرض للبيع في الأسواق ودم الفقراء يسيل على الشوارع لما أرى كل ذلك تتأجج نار في صدري ولا أجد نفسي قادرا على ضبط نفسي".

وكان الشاعر أحمد فراز وصف في قصيدة "الجوهري" حالة بؤس الفقراء وكيفية اضطرابهم وعجزهم الذي يعيشونها كما كشف الستار عن تلك الطبقات الظالمة التي يستغلون بؤسهم لمصالحها المادية والمالية، لا يحدث ذلك إلا بسبب فقرهم واحتياجهم:

مجھ پر روشن ہے کہ اس جنس گرانمایہ کو
میرے افلاس نے کم زرخ بنا رکھا ہے
دیکھ کر میری نگاہوں میں طلب کی شدت
تو نے انصاف کو نیلام چڑھا رکھا ہے^(۲)

(۱) قصیدہ "رقیب سے" (من الرقیب)، دیوان "نقش فریادی" (نقوش مستفیث)، ص ۴۷

(۲) قصیدہ "صراف" (الجوهري)، دیوان "تہاتبا" (وحیدا منفردا)، ص ۸۴

أي: "أيها الجوهري، أعرف أنه ما رخص هذا الجنس الغالي إلا فقري ويؤسي، وعرفت أنني مضطر ومحتاج فجعلت العدل سلعة تباع وتشترى بثمن بخس"

أما على مستوى الطبقات، فوقف شعراء مقاومة الاستبداد بجانب الطبقات المختلفة التي ابتليت بنكبة في عصر من العصور مثل العمال والفلاحين والطلاب والنساء. ففي أوائل السبعينيات عندما نهضت ثورة ضد الملك الإيراني وحدث حادث مؤلم للطلاب الإيرانيين قال فيض أحمد قصيدة رائعة بعنوان "إلى طلاب إيران" (ایرانی طلبہ کے نام)^(۱) وربط جأش المكافحين ضد الحكومة الإيرانية الدكتاتورية بقصيدة معنونة بـ "ويبقى وجه ربك"^(۲) وهي أروع قصائده وتتم عن تعبيرات قوية تنفخ روحاً وحياة في قلوب الجماهير. وتجلي هذه النماذج الشعرية أن شعراء المقاومة كانوا صوتاً واحداً للتعبير عن معاناة الطبقات المعذبة في أرض الاستبداد وصوّروا واقعهم المؤسف المقلق تصويراً مؤثراً

ومن الطبقات الضعيفة المرأة، ولا شك أن المرأة هي أكبر ضحية للاستبداد الاجتماعي والعدوان الرجالي في كل عصر ومصر باختلاف الأساليب والأسباب، فهي تعيش في الجحيم الذي أعده الرجال بشكل قيود وعقوبات وفرائض تحرمه الحقوق الأساسية. ومن أبشع وجوه المستبد ذلك الذي يمزق الحجاب ويستهتر كرامة البنت، وعبر شعراء المقاومة عن هذه المأساة الإنسانية الدنيئة بطريقة ناجحة في إثارة الخواطر والمشاعر.

ووصف الشاعر فراز معاناة المرأة ويؤس حالها في قصائد شتى، منها قصيدته المعنونة بـ "بانو"، التي فقدت نفسها لأنها بالمصادفة علمت بسر يفضح أسرة المفلول المالكة فقتلتها الأسرة المالكة لكيلا تبوح به، يقول وهو يشكو ما ارتكبه المؤرخون من ظلم في تزييف الحقائق عند تسجيل الأحداث:

(۱) قصيدة "ایرانی طلبہ کے نام"، إلى الطلاب الإيرانيين "ديوان" "دست صبا" (بد الصبا)، ص ۴۸

(۲) ديوان "مرے دل مرے مسافر" (قلبي مسافري)، ص ۵۲

کبھی جتنی گہنی دیوار میں انار کلی
کبھی شکفتلا پتھراؤ کا شکار ہوئی
مگر یہ تخت یہ سلطان یہ بیگمات یہ قصر
مؤرخین کی نظروں میں بے گناہ رہے^(۱)

أي: ”رجعت شكفتلا تارة ورصفت أنار كلي في الجدران أخرى
ظلمًا وقسرًا ولكن ظل مؤرخ العصر يبرر كلا من العرش وصاحب العرش
وأزواجه والقصر من كل ذنب وخطأ. وإذا ما حدث أن كشف الوقت عن
سر ظل الناس يؤيدون صاحب الحكم“.

وقصيدة الشاعر حبيب جالب التي قالها تعاطفًا مع راقصة استدعيت لترقص أمام
رئيس ضيف جاء لزيارة باكستان آنذاك، فأبت بأن تفعل هذا فجيء بها وهي مغلولة
وأجبرت على الرقص أمام الحضور، فقصيدته المعنونة بـ ”الرقص“ صورت تصويرًا مؤلمًا
ومؤثرًا في وقت واحد ورسمت لنا مدى الشقاء التي تعاني منها بنات حواء في أحيان كثيرة
ومدى العجز الذي يعشنه وما أصدق تعبيره إذ قال:

تو کہ ناواقف آداب غلامی ہے ابھی
رقص زنجیر پہن کر بھی کیا جاتا ہے^(۲)

أي: ”جهلت - يابانو - آداب العبودية، فإنه بالإمكان الرقص
مقيدا بالأغلال والقيود“

وأحمد مطر صور معاناة بنت راقصة في باحة قصر السلطان وكشف لنا مدى وقاحة
السلطات الرسمية في كشف جرائمهم وتغطيتها بمصطلحات أمنية ودفاعية، يقول:

في باحة قصر السلطان
راقصة كقصين البان

(۱) قصيدة ”بانو کے نام“ (إلى بانو)، ديوان ”تمہاتہا“ (وحيدا منعزلا)، ص ۲۴

(۲) قصيدة ”نیلو“ (نیلو)، ديوان حالب، ص ۲۰۳

يفتلها إيقاع الطلبة
 (تك تك.. تك تك)
 والسلطان التنبيل
 بين الحين وبين الحين
 يراود جاريةً عن قبله
 ويراوردها...
 (ليس الآن)^(١)

ويستمر السلطان في مرادته إياها دقائق وساعات وأخيرا:

فإذا انتصف الليل ، تراخت
 وطواها بين الأحضان !
 والحراس المنتشرون بكلّ مكان
 سدّوا ثغرات الحيطان
 وأحاطوا جدّاً بالحفلة
 كي لا يخدش إرهابي*
 أمن الدولة !^(٢)

فالتشابه بين قصيدة أحمد مطر الذي يصف مدى عجز البنت الراقصة وقصيدة حبيب جالب
 الذي صور عقوبة بنت راقصة جلبي واضح فكلاهما يلعب بهما القصر كما يشاء.

• مشكلات الصحافة

ونمر الصحافة الصادقة بابتلاءات عديدة خلال العصر الاستبدادي حيث يصعب
 على الصحفيين وصف الحقائق وفق الأحداث ، بل يضطرون إلى وضع الأخبار حسب
 الأهواء ، ويطالبها النظام المستبد باختيار منحى وفق ما يشاء النظام المستبد ، وإلا يفرض عليه
 أنواعا من الحظر هي بمثابة خنق صوت الصحافة الصادقة وفي أغلب الأحوال يخضع الجزء

(١) قصيدة "ولي الأمر والراقصة والإرهابي" ، لافتات ٦ ، ص ٦٤

(٢) المرجع نفسه

الأكبر من الصحافة لاتباع أهواء الطاغية المستبد، وقليل منهم من يأبى ذلك فيتلقى من المشاكل الإدارية والمالية والمطبعة ما يتلقى.

وشعر مقاومة الاستبداد كشف عن خبايا هذه القضية والمعاناة التي يتحملها الصحفي الصادق والمشاكل التي تواجهها الصحافة الحرة في عصر الاستبداد، يعبر هاشم الرفاعي عن هذه الأحوال في ظلال الاستبداد، يقول:

هُم أَخْرَسُوا الأصْوَاتَ حتَّى أَهْـأَـ
بَآئِـتْ تَكْـتُمُ رَنَّةَ الإِغْـوَـالِ
هُم حَطَّمُوا الأَقْلَامَ مَا تَرَكُوا لَنَا
غَـيْرَ النَّفْـثِاقِ بَغْيِـهِ الهَطُّـالُ^(١)

مرت -ولا تزال- الصحافة من محن شديدة أيام العصر الاستبدادي، فليس لها إلا أن تقبل إحدى الصورتين، إما أن تتحالف مع القوة الاستبدادية فتضمن لها حريتها، وإما أن تستعد لمواجهة مشاكل عديدة وغالباً ترضى بالصورة الأولى، ونادر من يقبل تحدي مواجهة الاستبداد دون أن تقبل أي ثمن لحرمة القلم وكرامة الكلمة. [الكامل]

هَذَا الَّذِي كَتَبُوهُ مَسْمُومُ الْمَـذَاقِ
لَمْ يَنْقُ مَسْمُومًا سِوَى صَوْتِ النَّفْـثِاقِ^(٢)

وتجد الصحيفة بكتابها وتحليلها تخضع لخدمة الحكام وتزييف الحقائق من أجل إيجاد هالة القداسة والعظمة حول شخصية المستبد، بينما تقع نفوس المعارضين له في خطر شديد، والشاعر أحمد مطر يرفض هذه الصحافة السخيفة بشدة والتي باتت وسيلة للتكسب:

فلتأكلني ما شئتِ ، لكنِّي أنا
مهما استبدَّ الجوعُ بي
أرفضُ أكلَ الجيفةِ
أيتها الصحيفة^(٣)

(١) قصيدة "بين احتلالين"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٤

(٢) قصيدة "أغنية أم"، المرجع نفسه، ص ٣٨٨

(٣) قصيدة "شيطان الأثير"، لافتات ٣، ص ٨٧

ویری الشاعر حبیب جالب أنه لا يتمتع بحرية التعبير عن الرأي إلا من كان رأيه مؤيدا للحاكم، وهم الذين يعيشون في نعيم الوطن:

آج حرف آخر ہے بات چند لوگوں کی
دن ہے چند لوگوں کا رات چند لوگوں کی^(۱)

أی: "وتعالت كلمة فئة دون أخرى، وسعدت طائفة دون الكثيرين".

ويعصور فيض صعوبة الصحفيين والكتاب الأحرار في أداء فريضتهم وكيف باع بعض الأدباء والمفكرين أفلامهم في مزاد الاستبداد، يقول:

قلم ہونے لگی گردن قلم کے پاسبانوں کی
کھلا نیلام ذہنوں کا لگی بولی زبانوں کی^(۲)

أی: "قطعت رؤوس المحافظين على حرمة القلم وزينت الأسواق لصفقة العقول ومزاد الأفكار والألسنة".

• وضع حرية التعبير عن الرأي

يعتبر الاختلاف عن الحكومة ومعارضتها في المجتمعات المتقدمة حقاً أساسياً لكل مواطن غير أنه يتحول إلى جريمة لا يعفى عنها في الحكم الاستبدادي حيث يحظر الإبانة عن الرأي المعارض للحكومة الاستبدادية التي تحاول بكل وسائلها أن يكبح الصوت المعارض فتنتشر عيونها ورجالها في كل مكان، وكل ذلك بنا في العمل الأدبي الإبداعي نثراً كان أم شعراً.

وشكوى شعراء المقاومة من هذه الأجواء الضيقة الخائفة متكررة في شعرهم، ها هو الشاعر الزبيري يرسم لنا الذعر والخوف المسيطر على أجواء اليمن: [الكامل]

(۱) قصيدة "جمهورية" (الديموقراطية)، ديوان جالب، ص ۱۳۳

(۲) قصيدة بدون عنوان، ديوان "مرے دل مرے مسافر" (قلبي مسافري)، ص ۳۵

وَالْاجْتِمَاعُ جَرِئَمَةً أَزَلِيَّةً
وَالْعِلْمُ إِثْمٌ، وَالْكَلَامُ حَرَامٌ
وَالْمَرْءُ يَهْرُبُ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ
وَكَأَنَّ وَصْلَهُمَا لَهُ إِجْرَامٌ^(۱)

ويعبر الرفاعي مدى شدة الرقابة على الأقلام والأفكار في قوله: [الكامل]

حَتَّى صَدَى الْهَمَسَاتِ غَشَاهُ الْوَهْنُ
لَا تَنْطِقُوا، إِنَّ الْجَدَارَ لَهُ أُذُنٌ^(۲)

ويعنى الرفاعي حق التعبير المسلوب، فقد أصبح قول الحق عملاً لا يطاق وجريمة لا تغتفر.

مَا عَادَ قَوْلُ الْحَقِّ غَيْرَ جَرِئَمَةٍ
تَأْتِي لِكُلِّ مُوَاطِنٍ بِوِيَالٍ^(۳)

وكذلك فيض أحمد فيض الشاكي من عدم السماح بحرية التعبير عن الرأي، يقول:

نار میں تیری گلیوں کے اے وطن کہ جہاں
چل ہے رسم کہ کوئی نہ سر اٹھا کے چلے
ہے اہل دل کے لئے اب یہ نظم بست و کشاد
کہ سنگ و خشت مقید ہیں اور سنگ آزاد^(۴)

أي: "وطني، فدبت طرقاتك حيث فرض علي الجميع المشي
مطأطأ الرأس، ورضي القدر لأولي الإحساس والفكر بأن الأحجار مفيدة
والكلاب حرة"

(۱) قصيدة "صرخة إلى النائمين"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ۲۰۳

(۲) قصيدة "أعنية أم"، ديوان الرفاعي، ص ۳۸۷

(۳) قصيدة بين احتلالين، المرحع نفسه، ص ۲۹۴

(۴) قصيدة "نار میں تیری گلیوں کے" (فدبت طرقاتك أيها الوطن)، ديوان "دست صبا" (يد الصبا)، ص ۵۳

وكان على الشعراء أن يدفعوا ثمن ما يقولون بأشكال شتى، كالضرب والقتل والسجن وغيره.

جسم پر قید ہے، جذبات پہ زنجیریں ہیں
فکر محبوس ہے، جذبات پہ تعزیریں ہیں
اپنی ہمت ہے کہ ہم پھر بھی جئے جاتے ہیں^(۱)

أي: "الجسد مقيد بالقيود والأفكار مقيدة بسلاسل وقد حبس الفكر
والشاعر. فعجباً لنا كيف نعيش رغم كل هذه الأحوال."

• غصب الأموال الشعبية

وأزال شعر المقاومة الستار الذي أسدل على الخيانة المالية التي ارتكبتها المستبد وأعوانه وكشفوا
كيف أضاعوا أموال الشعب في لهوهم وانغماسهم في الشهوات. ولهذه القضية جوانب عديدة، منها
احتكار ثروات البلد للأسرة الحاكمة بينما يموت الشعب جوعاً، ومنها فرض ضرائب ثقيلة على
الناس، يشير الزبيري إلى ذلك إذ يقول:

يُمْتَصُّ ثَرَوَةُ شَعْبِهِ وَيُمَيِّثُهُ
جُوعاً، لِيَسْمُنَ آلَهُ الْأَغْلَامُ
طَعْنَاتُهُ قُدْسِيَّةٌ، نَزَلَتْ بِهَا
بَرَكَاتُ وَالْآيَاتُ وَالْأَحْكَامُ^(۲)

ولا يختلف عنه الشاعر الأردني حبيب جالب الذي يشكو تحالف طبقات حاكمة لاغتصاب
أموال العامة بينما يعيش الفقراء محرومين من التسهيلات المدنية الأساسية كالصحة والتعليم
والنظافة وغيرها، يقول في قصيدة "عاش الرئيس أيوب":

میں گھرانے ہیں آباد
اور کروڑوں ہیں ناشاد^(۳)

أي: "أصاب الرخاء عشرين أسرة وحرم مئات الآلاف."

(۱) قصيدة "چند روز اور مری جان" (مہلا لایام یا اعز شیء علی)، دیوان "نقش فریادی"، (نقوش مستعیت)، ص ۵۱

(۲) قصيدة "صرخة إلى النائم"، دیوان صلاة في الجحيم، ص ۲۹۹

(۳) قصيدة "میں گھرانے" (عشرون أسرة)، دیوان جالب، ص ۱۳۷

ونجد نفس الشكوى بكلمات مختلفة عند الزبيري الذي يصور الوضع المؤلم للشعب اليمني في عهد الإمام:

يَقْتُلُ الْجُوعُ شَعْبَهُ وَهُوَ لَا
يَشْتَكِي لِلظُّلُمَانِ ضَعْفَ الشُّبُهَةِ^(١)

ولا يواجه الشعب فقرا ويؤسا بسبب اغتصاب أموالهم فحسب بل يتأثر الدفاع الوطني كذلك باغتصاب ثروات البلد على يد الحكام المستبدين، وقد مضى الحديث عن الخيانة المالية في صفقة عسكرية بمصر عرضها الشاعر الرفاعي في قصيدة "صبيحة" والتي تصور مأساة جندي مصري باسل كان خرج في ميدان المعركة لينتقم من الجيش اليهودي الذي أودي بالشيوخ الكبار والأطفال الصغار وكاد الجندي المصري الباسل أن يسقي عدوه كأسا من الهلاك الذريع بيندقيته فإذا به يفاجأ مفاجأة مدهشة، وجد أن سلاحه غير صالح للاستخدام ولا يستطيع الانتفاع به وهنا وجد عدوه فرصة فأسقطه شهيدا:

لَا أَلْزِي قَدْ دَهَانِي
يَوْمَ الْقَتَالِ الْمُرِيعِ
إِذْ جِيءَ لِي بِسَلَاحٍ
مُحْطٍّ وَمُذْرُوعٍ^(٢)

● صعوبة مهمة الشعراء الأحرار

ولم يكن السعي للتحرر والدعوة إلى مبادئ الحرية والعدل عملا سهلا في الظروف التي عاشها الشعراء. لا يختار الشعراء سبيل المقاومة إلا بدوافع الفطرة السليمة التي تقتضي من كل إنسان أن يجهر بالحق مهما قست الظروف وتكدرت الأحوال. وكشف شعر المقاومة عن محاولات متنوعة لإخماد الثورة الشعرية وإسكات الشعراء بشتى الوسائل مثل التخويف والتهديد والتطميع والتلفيق، كما نجبرنا عن ردود فعل الشعراء لمثل هذه المحاولات، فمثلا يكشف الزبيري عن واحد من هذه المحاولات، يقول: [الكامل]

(١) قصيدة "خطبة الموت"، ديوان ثورة التمر، ص ١٣٨ و ١٣٩

(٢) قصيدة "صبيحة العث"، ديوان الرفاعي، ص ١٤٩

حَطَّ لِمِ دِمَاغِكَ إِنَّهُ
 شَرَّ رِبَّاسِكَ مُسْتَطِير
 مَزَّقَ فُؤَادَكَ إِنَّهُ
 يُؤْذِي الْخَلِيفَةَ وَالْأُمِيرَ
 لَا تَنْطِقَنَّ الْحَقُّ
 فَهُوَ خُرَافَةُ الْعَصْرِ الْغَرِيرِ^(۱)

وقد يتقاضاهم البعض بإغماض الطرف عن مناظر الظلم التي تلوح أمام أعينهم ويحاول إفهامه بأن العدالة والحرية والمساواة شعارات مزيفة لا حقيقة لها، غير أن الجهر بمطالبها قد يسبب خطراً على سلامة الشاعر أو أسرته. وكذلك كشف الرفاعي ما قيل له وكيف حاول بعض أقاربه إقناعه بالتنازل عن رسالته الشعرية السامية، يقول: [البسيط]

وَقَائِلٌ لِي يَنْهَانِي وَيَنْصَحُنِي:
 السُّجُنُ بَاتَ قَرِيباً مِنْكَ فَأَبْتَعِدْ
 إِنْ كُنْتَ ذَا شَمَمٍ فِي مَعْتَرٍ جَنَحُوا
 لِلذُّلِّ فَاجْتَحِ لَهُ.. تَرْكُنْ إِلَى رَشَدٍ
 فَقُلْتُ: فَكِرِي، إِخْسَاسِي، أَأَقْتُلُهُ؟
 هَذَا الَّذِي لَمْ يَدْرِ يَأْخُومُ فِي خُلْدِي^(۲)

والأمر لا يختلف عند أحمد فراز الذي قيل له:

سو شرط یہ ہے جو جان کی اماں چاہتے ہو
 تو اپنے لوح و قلم قتل گاہ میں رکھ دو^(۳)

أي: "وأخبرني بأن ضمان حياتك مشروط بوضع قلمك وقرطاسك في المقتل".

(۱) قصيدة مصرع الضمير، ديوان صلاة في الحميم، ص ۲۸۲

(۲) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص ۴۱۶ و ۴۱۷

(۳) قصيدة "محاصرة" (الحصار)، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں"، (في طرقات صامتة)، ص ۱۱۳

ويقدم أحمد مطر في قصيدة "الأرمد والكحال" نموذجاً لتلك القصيدة التي تخضع للشروط التي وضعتها الحكومة، وهو النموذج الذي يضمن للشعراء حياة خالية من أي خطر، فما أصدق استهزاء أحمد مطر إذ يقول:

هل إذا بشس كما
قد عسى لا إنّا
من إلى في ربما
هكذا سلمك الله قل الشعر
لتبقى سالما
هكذا لن تشهق الأرض
ولن تهوى السما
وهكذا لن تصبح الأوراق أكفانا
ولا الخبر دما^(١)

ويصف الشاعر الأردني الهادي فيض أحمد فيض مدى الضغوط التي واجهها من أجل إقناعه بالسكوت، يقول:

متاع لوح وقلم جھن گئی تو کیا غم ہے
کہ خون دل میں ڈبو لی ہیں انگلیاں میں نے^(٢)

أي: "سلبوا مني قلمي ولوحي، فلا أبالي بذلك، فأسطر كلماتي بأصابعي المضرخة بدم قلبي".

فحقيقة الأمر أن الاستبداد كان خائفاً من روح الحرية التي تبثها قصائد الشعراء الأحرار، وتأثيرها البالغ في نفوس الجمهور المضطهدين، ولا يختلف أحمد مطر عن أحمد فراز الذي كان طويل النفس في قصيدة "الحصار" عن الضغوط التي يواجهها الشعراء من أجل كبت صوت الحرية، وكلما ازدادت الضغوط كلما قست لهجة الشاعر ليرفض أي مساومة أو مصالحة، وخير مثالها بيت فراز الذي قال:

(١) قصيدة "الأرمد والكحال"، لافتات ١، ص ٨٥

(٢) قصيدة بدون عنوان، ديوان "دست صبا" (بد الصبا)، ص ١٥

ہو کس طرح سے محبت کی گفتگو کہ ابھی
مرے لہو سے ترا فرش و سقف گیلا ہے^(۱)

أي: ”وكيف يمكن أن نتحدث بحب فلا يزال سقف بيتك وعرشه
مبتلا بدمي“:

المبحث الثاني: مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بالقوة المستبدة

تتمثل القوة المستبدة بأشكال مختلفة كأفراد وأشخاص أو جماعات وأحزاب وطبقات وأسر، مثل الجيش أو مذهب ديني أو جماعة ذات نظرية معينة غير أن الاستبداد -بغض النظر عن كيفية القوة المستبدة- يتصف بخصائص وصفات معينة تجلت بوضوح في الشرع العربي والأردني معا وكان تشابه شعراء اللغتين واضحا تمامًا في وصفهم القوة المستبدة والقضايا والموضوعات المتعلقة بها فهي تحاول بثتى الوسائل أن تحصل على سلطة مطلقة دون مراقبة قضائية وتمنح نفسها قداسة دينية وشرعية وتزعم في مرحلة من مراحلها أنها بلغت درجة الألوهية. وتتناول السطور التالية تلك القضايا والموضوعات التي تتعلق بالقوة المستبدة وتكشف جوانبها المختلفة.

● السلطة الاستبدادية المطلقة

ما يشترك فيه مستبد كل عصر ومصر هو أنه أول ما يسعى إليه هو الاصطباغ بصيغة شرعية ليكتسب قدسية شرعية في قلوب الجماهير فيعتبر الانقياد لأوامره طاعة لله والاختلاف عنه معصية للخالق الجبار، وقد يزداد الأمر سوءا فيدعى المستبد مرتبة الألوهية ودرجة الربوبية، مثلما قال فرعون: ((أنا ربكم الأعلى)). ويظن الشعب أن حياته رهينة بوجود الحاكم لو لا هو لفقد الشعب وجوده، يقول الزبيرى:

وَمَوْرُوحٌ فِي الشَّعْبِ لَوْ تَهْجُرُ الشَّعْبَ
تَلَا شَيْءٌ كَجَيْفَةٍ وَتَبَّ دَدٌ

(۱) قصيدة بدن عنوان، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (في طرقات صامتة)، ص ۱۰۶

وَهُوَ السَّادِنُ وَالشَّرِيعَةُ لَوْ قَارَقَهُ
شَعْبُنَا لَأَلْحَقَهُ دَارُتُهُ^(١)

ويقترّب منهم لفظاً ومعنى حبيب جالب الذي عبر الإفلاس الفكري لدى الشعب الذي
يؤمن بأن بقاءه مناط ببقاء الحاكم، يقول جالب:

تو	خدا	کا	نور	ہے
عقل	ہے	شعور	ہے	
قوم	تیرے	ساتھ	ہے	
تیری	ہی	وجود	سے	
ملک	کی	نجات	ہے ^(٢)	

أي: "أنت نور الله، أنت العقل والفكر. والشعب معك. ولا بقاء للبلد
إلا بك. أنت الصبح المبسم".

وكثيراً ما يسحر الشاعر اليمني محمود الزيري من سلطة الإمام التي اقتربت في زعمها
الزائف من درجة الألوهية، يقول في قصيدة "الأمن الزائف":

إصْنُرْخُوا فِي الْأَذَانِ : اللَّهُ أَحْمَدُ
وَأَجْعَلُوهُ رَبًّا سِوَى اللَّهِ يُعْبَدُ^(٣)

ويمزق رداء الجلال والقدسية الملقاة على المستبد بلون شعري متهم:

أَعْلِنُوا فِي الْأَرْضِ أَنَّ الشَّعْبَ
قَدْ أَصْبَحَ عَبْدًا
لَمْ يَجِدْهُ مِنْ وَكُنْ
(يُعْبَدُ دُونَ اللَّهِ) يُسَدُّ^(٤)

(١) قصيدة "كفر وإيمان"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٨

(٢) قصيدة "مشير" (المستشار)، ديوان جالب، ص ١٤١

(٣) قصيدة "الأمن الزائف"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٢٣

(٤) قصيدة "مغفرة الشعب"، المرجع نفسه، ص ١٥٢

وتأله المستبد وادعائه القداسة الإلهية فكرة سيطرت على فكرة شعراء الأردية كذلك، ولا يقل تنديد شعراء الأردية لمظهر تأله الطاغية المستبد عن تنديد الشعراء العرب، يقول الشاعر حبيب حالب:

تم سے پہلے جو شخص یہاں تخت نشین تھا
اس کو بھی اپنے خدا ہونے پر اتنا ہی یقین تھا^(١)

وكذلك صور الزبيري في قصيدة "كفر وإيمان" بالتفصيل تلك الصفات الخارقة العادة والربانية في بعض الأحيان - التي يصفونها على شخصية المستبد المتكونة من لحم ودم وعظم فيعرضونها أمام الناس كأنها استثنيت من سنة الموت فلا خنجر ينفذ صدره ولا رصاصة تشق جلده، وله طاقات سحرية بحيرة ف لحظة من بصره تغلب الجيش الفاتح منهزما، ويملك أرازاك الناس وأعمالهم ينقصها ما يشاء وكما يشاء ويزيد فيها ما يريد وكما يريد، ولولاه لما بقي للشعب وجوده.

• تغلب أسر وطبقات حاكمة

في العصر الاستبدادي تتركز السلطة والثروة والنفوذ في أسر معدودة فيصبح الملك رهنا لديها يتوارثه جيل بعد جيل دون أن يكون لبقية الشعب أدنى حق في تقرير مصيرهم إلى درجة أن الملك يصبح حقا أساسيا لهذه الأسر فتعامل بقية الخلق معاملة الرق والعبود، ولا يكون هذا الارتكاز سياسيا فحسب بل يكون اقتصاديا واجتماعيا وقد يكون دينيا أيضا. وهذه مأساة متكررة بأشكالها التي في كل بلد، ونجد أصوات شعراء مقاومة الاستبداد قد تشابهت في هذه القضية، فالشاعر الزبيري الذي يشكو من الحكم الإرثي ومن أن صبية صفارا للأسر الحاكمة نحر لهم جباه الكبار الكرام ساجدين إذ يقول:

مَنْذَ كَانُوا أَجْنَةً فَهُمْ إِمَّا
مُلُوكٌ أَوْ أَوْلِيَاءُ عُهُودٍ
يَرِثُونَ الشُّعُوبَ إِرْثًا رَخِيصًا
دُونَ كَدٍّ وَدُونَ بَذْلِ جُهودٍ^(٢)

والشاعر أحمد فراز يصور معاناة الطبقات البائسة على أيدي هذه الأسر الحاكمة قائلا:

(١) قصيدة بدون عنوان، ديوان حالب، ص ١٥٢

(٢) قصيدة "من أحرار اليمس إلى أحرار العراق"، ديوان ثورة الشعر، ديوان ٢١٦ و ٢١٧

ہیں نہ سو ہزار نہ لاکھ ہیں پورے آٹھ کروڑ
اتنے انسانوں پر لیکن چند افراد کا زور
مزدور اور کسان کے حق پر جھپٹیں کالے چور
اے بھوکی مخلوق^(۱)

أي: "أيها الخلق الجائع عجبا أمرک، ليس مئات وآلاف، بل عددک
ثمانون مليون نسمة ورغم ذلك أرى طائفة صغيرة تسلطت على هذا الحشد
العظیم من الناس".

ویوافقہ صوت حبیب جالب الذی یشکو تسلط عشرين أسرة على رقاب الملايين من
الناس منذ عصور طويلة وهم يعيشون تحت وطأة ظلمها يائسين من تغير الوضع، يقول:

ہیں گھرانے ہیں آباد
اور کروڑوں ہیں ناشاد
آج بھی ہم پر جاری ہے
کالی صدیوں کی بے داد^(۲)

أي: "أصاب الرخاء عشرون أسرة وحرم مئات الآلاف، ما زلنا
نعيش في ليلة تغشانا من قرون سوداء".

ولعل الرفاعي يشبه أحمد فراز وفراز جالب اللذين يشكوان سيطرة القلة المتمثلة في
الآلاف على الأغلبية المتمثلة في الملايين، إذ قال:

قد أغمض القوم أجفائنا مفرحة
على الهوان وإن كانوا ذوي عُدَد^(۳)

ویصور أحمد مطر في قصيدة "النبات" تغلب هذه الأسر قائلًا:

رقابنا تحت السيوف
وحتفنا فوق اللسان

(۱) قصيدة "اے بھوکی مخلوق" (أيها الخلق الجائع)، ديوان "تنہاتہا" (وحیداً منعزلاً)، ص ۵۹

(۲) قصيدة قصيدة "ہیں گھرانے" (عشرون أسرة)، ديوان جالب، ص ۱۳۷

(۳) قصيدة "جمال رئیس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص ۴۱۶

ودماؤنا تجري دراهم

فوق أفخاذ الغواني

وذواتنا سجادة

لنعال أبناء الذوات^(١)

والنماذج التي ذكرت تكشف عن اشتراك شعراء الأردنية والعربية في تحديهم تغلب الأقلية القوية على الأكثرية الضعيفة ، ولا يبرر الشعب نفسه من مسئولية الوضع القاسي الذي يعيش فيه وكذلك كشفوا عن الحيل التي تحتال بها هذه الأسر الحاكمة لتقوية سيطرتهم على رقاب الناس والاحتفاظ بالسلطة والثروة في أيديها ليكون إرثا لمن يرثهم من الأجيال.

• شكوى الشعراء من دور الجيش

الجيش مركز آمال الشعب في المحسن وهو السند الذي يلجأ إليه في الشدائد، ويظل ذلك الحب يأسر قلب الشعب ما دام الجيش يؤدي فريضة الدفاع عن الوطن بإخلاص وقد يقع الجيش في معركة تولي الحكم ومن هنا تقوم قيامة تسمى العهد العسكري أو الاستبداد العسكري. ولا يبرر الجيش بالعموم من مساندة الحكم الاستبدادي ويشكل دور الجيش خارج حدوده خطرا ليس على الدفاع عن الوطن بل يجعله عرضة للانتهيار والانفصال، وكان انفصال البنغال - المسمى بباكستان الشرقية - عن باكستان الغربية بسبب الأحوال التي حلت بالبلاد بسبب العهد العسكرية الطويلة التي نشأت خلالها أضعاف وحفائذ في قلوب البنغاليين إضافة إلى ذلك تسرب أمراض خطيرة في شرايين الجيش بعد ما يتولى أمور البلد الداخلية ويحتل المناصب الرسمية الراقية وذلك يقلل من أهبة للدفاع من جانب ويخلق موجة من اليأس والفتور في المدنيين من جانب آخر فينمو نوع من الكراهة والنفور بين الشعب والجيش وهذا أخطر شيء لأي جيش. ولم ينج الجيش من نقد الشعراء لدوره هذا، قد مرت أمثلة عديدة لنقدهم في الصفحات السابقة

ولعل أشد ما يؤلم الشاعر وتتضاعف معاناته به هو أن يوجه سهامه الشعرية إلى الجنود الذين يقدمون أنفسهم من أجل الدفاع عن وطنهم بينما كان الشاعر في الأمل القريب

(١) قصيدة "النات"، لافتات ٢، ص ٣٧

من يقف معه بقصائده الرائعة واليوم يضطر إلى تنديده بعد ما يتحول في الحكم الاستبدادي إلى جزار جوال مبرأ من كل حسيب و رقيب بأمر الحاكم المستبد يلقي ويله على من شاء من أفراد الشعب وسرعان ما تسري أمراض خلقية في الجيش فتتحول إلى عصابة نهب.

والأمثلة عند شعراء مقاومة الاستبداد في هذه القضية كثيرة، فعلى سبيل المثال يصور أحمد في قصيدة "المتهم"^(۱) معاناة عامة الناس على أيدي الجيش باتهامات واهية، وقصيدة "العجوز وعسكري الإمام"^(۲) للشاعر محمود الزبيري تصوير مؤلم للحد الأقصى الذي بلغه جنود الإمام في ابتزاز الأموال باسم الضرائب وكذلك سجل شعراء الأردية شكواويهم ضد الجيش وإهدار حرية الفرد بصرخات عالية، فالشاعر أحمد فراز يشكو غدر الجيش قائلا:

جن کو برسوں دودھ پلایا
ان ناگوں کے بچن نکلے
رکھالوں کی نیت بدلی
گھر کے مالک بن بیٹھے^(۳)

أي: "وبدأت الثعابين التي رضعناها سنوات بدأت تحرقنا بنفثاتها
وتغيرت نيات أهل الدار فاحتلوا الدار"

وليس بوسع الجيش أن يحل جميع الشئون المشاكل بقوة الأسلحة، فهناك مسائل تحل بالمفاوضات السياسية وتدرج قد تأخذ مدة غير قصيرة من الزمن، وهذا شأن الساسة ومثلي الشعب ويعجز الجيش بحكم تربيته العسكرية عن حلها السياسي فيتورط في أخطاء جسيمة، ولا يمكن تغيير الرأي الشعبي بقوة السلاح يتضاعف به حقد الجمهور على الجيش.

وصور الشعراء استخدام الجيش السلاح على أبناء شعبه بأساليب بالغة التأثير. يصور حبيب جالب مآسي انفصال البنغال عن باكستان الناجمة عن إطلاق الجيش النيران على الجمهور المتظاهرين قائلا:

(۱) قصيدة "المتهم"، لافتات ۲، ص ۲۲

(۲) قصيدة "صرخة إلى النائمين"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ۳۰۳

(۳) قصيدة (المدينة المتدمرة) "شهر آشوب"، ديوان "في طرق صامته" (بے آواز گلی کوچوں میں)، ص ۱۰۹

محبت گولیوں سے بڑ رہے ہو

وطن کا چہرہ خون سے دھو رہے ہو^(۱)

أي: "بالرصاصات تزرعون الحب، وبالدماء تغسلون أرض الوطن، وتحسبونكم مرشدين بينما أراكم غاوين".

ومن هذه القضايا استيلاء الضباط العسكريين على أهم المناصب الإدارية في الدوائر والمكاتب الرسمية الأمر الذي يخلق نوعاً من الحرص والطمع في نفوس الضباط ويخلق موجة من الكراهة والحقد عليهم في نفوس العمال المدنيين، واستهزاء الشاعر الرفاعي بهذا الوضع في صورة مؤثرة جداً إذ قال:

شَغَلَ الكَمَاءُ الغُرُّ كُلَّ وَظِيفَةٍ
وَتَسَلَّمُوا فِي النَّيْلِ كُلَّ عَنَانٍ
حَتَّى كَأَنَّ بِمِصْرَ كُلِّ كَفَاءَةٍ
قَصَّصَتْ عَلَى أَبْطَالِهَا الْفُرْسَانَ^(۲)

وكذلك حبيب جالب الذي قال:

رکھوالوں کی نیت بدلی
گھر کے مالک بن بیٹھے^(۳)

أي: "وساءت نية الحراس فاحتلوا الدار ادعوا ملكها".

فليس استيلاء الجيش على مناصب الحكم إلا بمثابة احتلال الحارس الدار التي تربيته وتؤويه. ويشكو الرفاعي بتعبيرات قريبة من تعبيرات الشعراء الأردنيين وهو يكشف عن حقيقة الحال:

(۱) من قصيدة: "إلى البنغال المترفة في سنة ١٩٧١" (١٩٤١) کے خوش آشام بنگال کے نام، ص ۲۱۸

(۲) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ۳۹۸

(۳) قصيدة (المدينة المتدمرة) "شهر آشوب"، ديوان "في طرقات صامئة" (بے آواز گلی کوچوں میں)، ص ۱۰۹

لَا تُضْغِ يَا وَلَدِي إِلَى مَا لَفَقُوهُ وَرَدُّوهُ
مِنْ أَنَّهُمْ قَامُوا إِلَى السُّوْطِ الذَّلِيلِ فَحَرَّرُوهُ
لَوْ كَانَ حَقًّا ذَاكَ مَا جَارُوا عَلَيْهِ وَكَبَّلُوهُ
وَلَمَّا رَمَوْا بِالْحَرْفِي كَهْفَ الْعَذَابِ لَيَقْتُلُوهُ^(۱)

• تغافل الحکام والأمراء والرؤساء:

وتجلت خلال دراسة شعر يقاوم الاستبداد عدة صور مؤسفة للحکام وتغافلهم عن
سعيه المنهوك وانغماسهم في التسهوات. يشكو حبيب جالب انغماس ذوي الحکم في ملذاتهم
وتغافلهم عن أحوال الجمهور قائلا:

کوئی ممنون فرنگی، کوئی ڈالر کا غلام
دھڑکنیں محکوم ان کیس لب پہ آزادی کا نام
ان کو کیا معلوم کس حالت میں رہتے ہیں عوام
یہ وزیران کرام^(۲)

أي: "إن هؤلاء الوزراء بعضهم مدين للإنجليز والآخرين يعدون
الدولارات، يلفظون بكلمة الحرية وقلوبهم أسيرة. لا يدركون ما آلت إليه
أحوال الناس".

ويأسه من ذوي الأمور جلي فلا يكاد يعلق أمنية من أمانيه بهم، لأنهم جزء من
الطائفة المستبدة، يقول:

شیوخ وشاہ تو ہیں خود شریک ظلم وستم
شیوخ وشاہ سے رکھو نہ کچھ امید کرم^(۳)

(۱) قصيدة "أغنية أم"، ديوان الرفاعي، ص ۳۸۸

(۲) من قصيدة: هؤلاء الوزراء الكرام (يه وزيران کرام)، ديوان جالب، ص ۱۱۲

(۳) قصيدة "نضال الفلسطين ضد يزيد" (يزيد سے ہیں نبرد آزما فلسطینی)، المرجع نفسه، ص ۲۱۷

أى: "إن هؤلاء الملوك والحكام متورطون في جريمة الظلم، فلا تتوقعوا منهم فضلا ولا كرما".

وحاول الشعراء إيقاظ الحكام من سباتهم العميق واستعادة وعيهم ليلعبوا دورا يليق بهم، يقول الزبيري مخاطبا الحكام العرب:

يَا قَادَةَ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ قَاطِبِيَّةَ
قَوْمُوا فَقَدْ طَالَ بَعْدَ الصُّبْحِ نَوْمُكُمْ
شَيْدُوا لَنَا فِي سَمَوَاتِ الْعُلَى حَرَمًا
نُطَوِّفُ حَوْلَ ثَرْيَاهِ وَنَسْتَلِمُ^(١)

لأن من ديدنهم أنهم لا يبالون بالمعاناة التي تحملها الشعب، يقول فراز:

ستم کی آگ میں جلے رہے عوام مگر
جہاں پناہ ہمیشہ جہاں پناہ رہے^(٢)

أى: "ظل الشعب يحترق في تنور الاضطهاد والضيم ولكن ظل جلالة الملك ذا الجلالة".

فالمستبد في ظاهر الأمر قوة قوية يتورط في أبشع المجازر، لا يبالي بسفك دماء الأبرياء لأدنى مصالحه، غير أنه في الحقيقة شخصية ضعيفة حقيرة قد لا يطيق أن يصبر على عبادة الناس ربهم، وتظهر لنا عند الزبيري ملامح شخصية المستبد بوضوح:

وَلَرَبِّ جِبَارٍ يَغْشَاكَ بِالصَّلَاةِ وَيَجْتَنِّهِدُ
وَيَقُولُ عَبْدٌ وَهُوَ دُونُكَ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ عَبْدُ
وَإِذَا رَأَى مَنْ يَعْبُدُونَكَ تُارِ مِنْهُ لَكَ الْحَسَدُ
نَسَبَ الْجَحُودَ إِلَى الْأَفْاضِلِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَحَدَ
تَبْكِي دِمَاءَ الْأَبْرِيَاءِ بِرَأْحَتِيهِ إِذَا سَجَدَ^(٣)

(١) قصيدة في سبيل فلسطين، ديوان صلاة في الحميم، ص ٢٥٨

(٢) قصيدة "بانو کے نام"، (إلى بانو) ديوان "تنہاتہا" (وحيدا منفردا)، ص ٢٦

(٣) قصيدة "شکوی"، ديوان صلاة في الحميم، ص ٣٩٩

والمستبد قد قسا قلبه فلم يعد يشعر بشدة الآلام التي يذيقها بني جلدته، وكم من بيت معمور
خرب بفساده وكم من حياة نقية أودى بها بسيفه، ينمو جيل بعد جيل وهم يعيشون تحت وطأته :

كَمْ يَظَلُّ الإِمَامُ يَحْفَرُ لِلنَّاسِ
قُورًا بِكَفِّهِ الشُّعْلَاءُ
كَمْ تَقَاسِي الْبِلَادِ مِنْ قَلْبِهِ الْقَاسِي
وَتَلْقَى فِي ظِلِّهِ مِنْ شَقَاءٍ^(١)

المبحث الثالث : مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بالمؤيدين للاستبداد

ما كان الاستبداد ليثبت أقدامه في شعب لو لم يجد أنصاره وأعوانه من الأفراد
والجماعات والأحزاب السياسية والطوائف مثل الأدباء والشعراء والصحفيين والسلطات
الرسمية مثل البرلمان والمخابرات والشرطة والمحاكم القضائية، وتأتي مساعدة هؤلاء
للاستبداد بطريقتين، أولهما قبوله ورضاء به والوقوف معه موقف المناضل له وتأييده تأييدا
علنيا في كل خطواته وسكراته وثانيهما: إغماض الطرف عنه والسكوت على ظلمه
والتقاعد عن الكفاح ضده ويحمل النوعان من الأفراد والأحزاب والطبقات والسلطات في
جرائم المستبد مسؤولية لا تقل عن مسؤولية المستبد نفسه ولا يصدر ذلك إلا لدواعي الحرص
أو الطمع أو من بواعث الخوف. وكشف شعراء المقاومة الأحرار عن دناءة هؤلاء في مقاومتهم
التعيرية فالشخصيات والأحزاب والطبقات وحتى الدول الكبيرة والمنظمات الدولية التي
تساعد الاستبداد وتؤيدها من أجل اكتساب مصالح خاصة بها كانت عرضة لسهامهم الشعرية
والسطور التالية تعرض الموضوعات والقضايا المتعلقة التي تتعلق بالمؤيدين للاستبداد.

• الصلة بين الاستعمار والاستبداد

ليس الاستبداد المحلي على أرض الوطن الإسلامي إلا امتدادا للاستعمار العالمي
بتخطيط وتدير فكرة سيطرت على شعراء المقاومة بكل شدة. ومعظم المصائب التي حلت
ببلادنا ما أسفر عنها إلا مكابيد الاستعمار الدنيئة. وكثر ما شكا الشعراء معونة الاستعمار

العالمي للاستبداد المحلي الذي يفرضه على البلاد ليمتص من خيراتها وثرواتها. وثبت تاريخيا أن الحكومة الاستبدادية تكون خير حارس لحفظ مصالح القوى المستعمرة في البلاد الإسلامية حسبما سجل التاريخ طوال العصور.

وكشف الشعراء - كما مرت نماذج عديدة في الفصلين الأول والثاني - عن جوانب عديدة تتعلق بازدواجية معايير القوى المستعمرة بصفة عامة وأمريكا بصفة خاصة، فتراهم صوتا واحدا يكشف كيف سلطت دماها على البلاد الإسلامية لتلعب بها كما ترغب وتشاء، ويندد بمجنوع الحكام المستبدين للقوى الاستعمارية، ويحملها مسؤولية الفساد والقتال في البلاد وسيطرتها على الموارد المالية وتسجل عهودها الكاذبة للبلاد المسلمة في الفترات المختلفة

كشف أحمد مطر ألاعيب أمريكا وكيفية لعبها بالحكومة والمعارضة في وقت واحد إذ يشكو في قصيدة "الحصاد" ضعف الأمة الإسلامية وكيف تسوسها أمريكا سياسة الذئب بالحمل الصغير، يقول:

أمريكا تُطْلِقُ الكَلْبَ علينا
وبها من كلبها نُسْتَجِدُّ
أمريكا تُطْلِقُ النَّارَ لَتُجِنَّا من الكلب
فينجو كلبها لَكِنَّا نُسْتَشْهَدُ^(١)

وهكذا تستغل أمريكا ضعف البلاد الإسلامية، وليست القوى العالمية الكبيرة ميرة من دماء الأبرياء التي أسيلت على أرض البلاد. ولا يختلف الزيري اليمني إذ يخاطب بريطانيا قائلا:

إِنَّ الدِّمَاءَ الَّتِي سَأَلْتَ بِمِدْيَتِكُمْ
لَمْ يَشْفِهَا مِنْكُمْ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ^(٢)

(١) قصيدة "الحصاد"، لافتات ٤، ص ٥٥

(٢) بتغيير، قصيدة في سبيل فلسطين، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٢٦١ و ٢٦٢

فلا تختلف لهجته عن لهجة جالب إذ يحمل الغرب مسئولية دماء أبرياء الشرق :

مغرب کے چہرے پیارو اپنے خون کی لالی ہے
لیکن اب اسکے سورج کی ناک ڈوبنے والی ہے^(۱)

أي: ”إن احمرار وجه المغرب بسبب دمائنا التي استقاها إلا أنه
اقترب أقول نجمة“.

ولتورط أمريكا في جرائم حرية عديدة استهدفها حبيب جالب بنقده اللاذع وألقى لائمته على
الرئيس الأمريكي السابق وغيره من حكام الدول الاستعمارية، من أمثلة ذلك قوله:

سکھ لوٹا ہے اس نے آگن آگن کا
ہر غاصب کے سر پر ہاتھ ہے ریگن کا^(۲)

أي: ”وقد حل بفضل الريجون الدمار في كل منزل. وإنه المربي لكل غاصب.“

وتحرص القوى الاستعمارية أشد حرصها على اكتساب مصالحها وإن كان ذلك على
ثمس نقض المواثيق المعقودة بالبلاد العربية والإسلامية بكل وقاحة، ولذلك لم تعد تصلح
للسداقة والاتكاء عليها فهي هو الشاعر محمود الزبيري يكشف عن طبيعتها شاكية غدرها
ونقض المواثيق التي عقدتها، يقول:

هَلْ مِنْ صَدَاقَتِكُمْ لِلْعُزْبِ أَتُكْم
تُمَزَّقُونَ بِمَحْضِ الْعَدْرِ عَهْدَهُمْ^(۳)

وانقياد الحكام المسلمين لحكام أمريكا أكبر سبب لتدهور البلاد وتخلفها، وكشف
شعراء مقاومة الاستبداد الستار عما تسفر هذه الصداقة غير الفطرية عن نتائج سيئة. وينذر
حبيب جالب بصرخته العالية ذا الفقار علي بونو في قصيدة ”لا تذهب لزيارة أمريكا“^(۴)

(۱) قصيدة ”اپنی جنگ رہے گی“ (سظل في كفاح)، ديوان جالب، ص ۱۳۴

(۲) قصيدة ”ریگن“ (ریجون)، المرجع نفسه، ص ۲۱۵

(۳) بتغییر، قصيدة في سبيل فلسطين، ديوان صلاة في الحميم، ص ۲۶۱ و ۲۶۲

(۴) ديوان جالب، ص ۱۸۰

وابتہا بیناظیر فی قصیدہ ”احذروا التسول“^(۱) من الاعتماد علی وعود آمریکا، ویکشف عن ألابیها متوعدا حکام پاکستان بانخاذ سبیل الحذر:

انگریزوں کے پٹھو کہلاؤ نا
امریکہ کے کلوے سہلاؤ نا
آج تلک ان کے دھوکے کھائے ہیں
اور مگر انکے دھوکے کھاؤ نا^(۲)

أی: ”لا تکتسبوا سمعة عملاء الإنجليز، ولا تلعقوا أقدام أمريكا،
إنهم خدعوننا كثيرا، فلا تنخدعوا بهم الآن“.

وبحکم بأن لأمريکا خطتها العلية والسرية تنفذها على البلد بمساعدة عملائها في كل
مجالات الحياة وينادي الشعب إلى الكفاح ضد الاستعمار وعملائه معا لاستكمال الحرية:

امریکہ کے ایجنٹوں سے ملک بچانا ہے ہم کو
گلی گلی آزادی کا دیپ جلانا ہے ہم کو^(۳)

أی: ”سنسعی لتحرير البلاد من عملاء أمريكا، وسنشعل متاعل الحرية في كل
ضواحيه“ ويرى أن الاستعمار مازال يسيطر على بلادنا عن طريق الطبقة البيروقراطية التي
ربها في أثناء احتلاله.

وقد مرت أفكار هاشم الرفاعي عن الأيدي الاستعمار السرية في تدمير البلاد
الإسلامية المختلفة، ففي قصيدة ”دماء في السودان“^(۴) تحدث عن مذبحة دامية سنة ۱۹۵۴م
بمؤامرة استعمارية وقال قصيدة ”الجزائر الثائرة“^(۵) تأييدا لكفاح الجزائريين الأحرار آنذاك

(۱) قصيدة ”احذروا التسول“ (بھیک نہ مانگو)، دیوان حالب، ص ۱۲۷

(۲) قصيدة ”ابنی جنگ رہے گی“ (سنطل فی کفاح)، المرجع نفسه، ص ۱۲۴

(۳) قصيدة بدون عنوان، المرجع نفسه، ص ۱۷۲

(۴) دیوان الرفاعي، ص ۳۵۰

(۵) المرجع نفسه، ص ۲۶۴

وقصيدة ”رسالة من أفريقيا“^(۱) تضامنا مع المكافحين الأفريقين الساعين نحو الحرية من برائن الاستعمار وقصيدة ”أغنية صومالية“^(۲) تنويها بالصوماليين المناضلين من أجل الحرية والوحدة بعد ما مزقه الاستعمار أشلاء متفرقة. وتكفي النماذج الآتية الذكر لتوضيح أفكار شعراء مقاومة الاستبداد تجاه سياسة أمريكا في البلاد الإسلامية وأنهم كانوا صوتا متحدا في كشف دورها المذموم.

• قلق الشعراء على دور الهيئات العالمية

وقلق الشعراء على ازداوجية المعايير للهيئات العالمية مثل هيئة الأمم المتحدة بتجلى بوضوح في شعر المقاومة، فهي رغم تبني شعارات العدل والحرية والمساواة وغيرها من التعاريف العظيمة لا تحافظ إلا على مصالح القوى المستبدة الكبيرة وعملائها السائدين على البلاد الإسلامية فهي بخضوعها لضغوط القوى الكبيرة لم تنجح في تخفيف آلام الإنسانية المرهقة قدر ما مهدت لإهراق دماؤها

وأصحت هيئة الأمم المتحدة - التي أنشئت من أجل القضاء على المشكلات الدولية ومساعدة الدول الفقيرة - هيئة تحافظ على مصالح الاستعمار عسطلحات قانونية وشعارات عالمية وفشلت فشلا تاما في أداء الدور الذي أنشئت من أجله ولا يمكن للمؤرخ العادل أن يبرئها من مسئولية دماء الأبرياء.

وتشابهت شكاوى شعراء مقاومة الاستبداد ضد هيئة الأمم المتحدة إذ ندد بدورها

الجميع، يقول أحمد فراز وهو يغتسي خبث باطنها قائلا:

امن کی فاختہ اڑتی ہے نشان پر لیکن
نسل انسان کو صلیبوں پر چڑھا رکھا ہے
اس طرف نطق کی باران کرم اور ادھر
کاسہ سر سے مناروں کو سجا رکھا ہے^(۳)

(۱) دیوان الرفاعي، ص ۳۵۰

(۲) المرجع نفسه، ص ۳۷۲

(۳) قصيدة ”سلامتی کو نسل“ (مجلس الأمن)، دیوان ”نایافت“ (المعدوم)، ص ۵۰

”رغم أن صورة حمامة بادية على طرفتها لكنها شنت البشر على الصليب. في جانب ترى سبلا من الكلمات اللطيفة وفي جانب آخر ترى منارة مرتفعة متكونة من رؤوس المقتولين.“

بل ما أصدقه تعبيراً عن دورها إذ شبهها بجزيرة دون منارة ويحيط بأطرافها الأربعة بحر من الدماء متلاطم الأمواج:

اس جزيره ميں کہیں نور کا مینار نہیں
جس کے اطراف میں ہے اک قلم خون جاری^(١)
”لن ترى منارة نور في هذه الجزيرة التي يموج حولها بحر من الدماء.“

وجامعة الدول العربية هي المؤسسة الثانية كانت عرضة لنقد الشعراء اللاذع. فهي رغم عقد اجتماعات رئاسية عديدة عادية وعاجلة واستهلاك ميزانيات مالية كبيرة ومضي عقود على إنشائها لا يقيم لها وزن في السياسة العالمية وحتى فشلت في أداء دور جدير بالذكر في السياسة العربية الداخلية، ويؤدي أحمد مطر قلقه وتأسفه على معاملة الجامعة العربية والآمال التي يعلقونها بها في قصيدة ”بيت وعشرون راية“، فالبلاد العربية التي تجمعها روابط الأصالة واللهجة والدم قد تمزقت شرتزق وأصابها من الهوان ما أصابها ولو شاءت الأسرة العربية لمسحت هذا العار من جبينها وذلك بالاتحاد والاتفاق، يقول أحمد مطر:

أسرتنا فريدة القيم
وجودها عدم
جحورها قمم
لكنها نعم
والكل فيها سادة لكنهم خدم
أسرنا مؤمنة تطيل من ركوعها، تطيل من سجودها
وتطلب النصر على عدوها من هيئة الأمم^(٢)

(١) قصيدة ”سلامتي كونسيل“ (مجلس الأمن)، ديوان ”ثانيات“ (المعدوم)، ص ٥٠

(٢) قصيدة ”بيت وعشرون راية“، لافتات ١، ص ١١٢

وهو شديد اليأس بجامعة الدول العربية وتحدث عنها في قصائد شتى، منها قصيدة "حديقة الحيوان"^(١)، وقصيدة "قمم باردة" ساخرا بالاجتماعات والقرارات التي تنسى قبل أن يحف حبرها. فياس الشعراء من دور الهيئات والمؤسسات الدولية أمر ياد ومتكرر فهي لم تفشل في منع يد الظالم فحسب بل أثبتت سياسيتها المزدوجة أنها في أكثر الأوقات ساعدته في ظلمه وإن تبنت شعارات مقدسة.

• الدستور المزيف والبرلمان المزيف

ما يهم المستبد بعد إحكام سيطرته على الحكم هو البحث عن وسيلة يمنح بها حكمه الاستبدادي صبغة شرعية قانونية، ومن أجل ذلك تزين مسرحية باسم الانتخابات أو الاستفتاء، ويحاول بذلك مسح عار الاستبدادية من جبينه. وتوافقت أصوات شعراء المقاومة في التنديد بمثل هذه الألاعيب ورفض مثل هذا النوع من البارلمانات.

كشف الشاعر هاشم الرفاعي عن حقيقة البرلمان الذي ليس من دوره إلا التصفيق لكلمات الحاكم المستبد والإشادة بكل ما يقول ويفعل، يقول:

هَـأَـهَـمَ كَـمَـأَـتَـهَـوِى - فَحَـرَّكْهُم - دُـمِى
لَا يَفْتَحُونَ بَغِيرَ مَـأَـتَـهَـوِى فَمَا
إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَدْ جُمِعُوا
لِيُصَـفِّقُوا إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَكْلَمُوا^(٢)

وقد سبق أن حبيب جالب كان شديد الرفض للدستور الذي أتى به الحاكم العسكري وقال قصيدة رائعة باسم "الدستور" ذهببت أشعاره هتافات شعبية في الشوارع واضطرت الحكومة إلى التنازل عن تنفيذه واسترجاعه، ومما جاء فيها:

(١) لافتات ١، ص ٩٤

(٢) قصيدة "نواب الأمة"، ديوان الرفاعي، ص ٤١٨

”وہ جو سائے کے ہر مصلحت میں پلے
ایسے دستور کو صبح بے نور کو
میں نہیں مانتا میں نہیں جانتا“^(۱)

أي: ”أرفض هذا الدستور ولن أقبله لأنه لا يضيء بنوره إلا بعض القصور
ولا ينمو إلا تحت ظلال مصالح خاصة معينة تخدم طائفة دون أخرى“

وكان شديد التهكم من لعبة الاستفتاء العام الذي أجري في عهد الجنرال ضياء الحق
بتروط مضحكة جدا، قال:

شہر میں ہو کا عالم تھا
جن تھا یا ریفرنڈم تھا^(۲)
أي: ”ساد المدينة موجة وحش، أقدم جن كان ذلك أم استفتاء“

ولست الدساتير كما يرى أحمد مطر سوى وسيلة لإشباع رغبات المستبدين وإخفاء
جرائمهم، يقول:

أي قيمة
للقوانين العظيمة
وهي فقاظ حريري
لذي الكف الأثيمة
وأداة للجريمة^(۳)

فهي غطاء للأيدي المتورطة في الجرائم والمخازي في حق الشعب، وليس لهذه
الكلمات المكتوبة في مجلدات الدستور مغزى ومدلول وفق ظاهرها إلا ما أرادها أربابها
المستبدون:

(۱) قصيدة ”دستور“ (الدستور)، ديوان جالب، ص ۱۲۹

(۲) قصيدة ”ريفرنڈم“ الاستفتاء، المرحع السابق، ص ۳۲۱

(۳) قصيدة ”تحت الصعر“، لافتات ۴، ص ۵۸

يقول حبري ودمي

"لا تندمش،

من يملك القانون في أوطاننا ،

هو الذي يملك حق عزفه"^(١)

• مشاركة المحاكم في جرائم الحاكم المستبد

أشد ما يؤلم النفس هو دور مذموم للمحاكم القضائية والقضاة الجالسين فيها وكيف تصبح خير عون للحاكم المستبد وكشف الشعراء عن حقيقة المحاكم المزيفة التي هي بمثابة دمي سلطانية لمنح استبداد الحكام صبغة قانونية وإباحة جورهم وإلقاء معارضيتهم في غياهب السجن أو تسنقهم باتهامات سخيفة وتوفر المحاكم حينئذ لأعمال الجور والاضطهاد ختمًا قانونيًا لا يعارض ويسخر بها هاشم الرفاعي :

الْحُرُّ يُعْرِفُ مَا تُرِيدُ الْمَحْكَمَةُ
وَقُضَائِهِ سَلَفًا قَدِ ارْتَقَفُوا دَمَهُ
لَا تُرْتَجِي دَفْعًا لِهَيْئَانِ رَمَاهُ بِهِ الطُّغَاةُ
الْمُجْرِمُونَ الْجَالِسُونَ عَلَى كُرَاسِي الْقَضَاةِ^(٢)

ولا يمكن أن يستقيم ميزان العدل في مثل هذه المحاكم وفي وجود هذه الطائفة التي تزعم أنهم قضاة ، يقول الرفاعي :

فِيهَا الْقَضَاةُ وَهُمْ الْخُصُومُ
لِعَدَالَةٍ مُخْتَلَّةٍ الْمِيزَانُ^(٣)

ويقترّب منه مفهوماً وتعبيراً الشاعر الأردني حبيب جالب إذ قال :

(١) قصيدة "عدالة"، ديوان لاقتات ١، ص ١٦

(٢) قصيدة "أغنية أم"، ديوان الرفاعي، ص ٣٨٧

(٣) قصيدة "جلاد الكنانة"، المرجع نفسه، ص ٣٩٦

ہیں قتل گاہیں یہ عدل گاہیں انہیں بھلا کس طرح سرائیں
غلام عادل نہیں رہیں گے غلط سزائیں نہیں رہیں گی^(۱)

أی: ”صارت المحاکم مجازر، فكيف لنا أن نمدحها، وسينخلص
القضاة من العبودية وستنتهي العقوبات الخاطئة“.

وَيَحْتَلُّ مَنْصِبُ الْقَضَاةِ رِجَالٌ يَعِينُهُمُ الْاِسْتِدَادُ لِحِفْظِ مَصَالِحِهِمْ، وَهُمْ قَضَاةُ أُسْرَى لَا
يَمْلِكُونَ الْعُدُولَ عَنْ إِشَارَةِ الْمُسْتَبَدِّ، وَيَعْجِزُونَ عَنْ تَوْفِيرِ حَقِّ الْعَدْلِ، يَقُولُ فَيْضُ:

یہ منصف بھی تو قیدی ہیں ہمیں انصاف کیا دیں گے
لکھا ہے ان کے چہرے پر جو ہم کو فیصلہ دیں گے
اٹھائیں لاکھ دیواریں طلوع مہر تو ہوگا
یہ شب کے پاسان کب تک نہ ہم کو راستہ دیں گے^(۲)

أی: ”هؤلاء القضاة أسرى يعجزون عن العدل في أمرنا، والقرار
الذي سيصدرونه يلوح منذ الآن في صفحة جبينهم فمهما أقاموا من جدران
وحواجز فلن يتمكنوا من منع الشمس من الطلوع. ولن يتمكن هؤلاء حراس
الليلة الظلماء من سد طرقنا“.

ورغبة قضاة هذه المحاكم على إقامة العقوبات أكثر من الجلال، رغبة بلغت بأصحابها
إلى درجة الجنون، يقول جالب:

جلادوں سے بھی بڑھ کر
منصف وحشی پاگل ہیں^(۳)

أی: ”وجن القضاة جنونا فوق جنون الجلال“

(۱) قصیدہ ”عورتوں کا ترانہ“ (نشد النساء)، دیوان حبیب جالب، ص ۳۰۱

(۲) المرجع نفسه

(۳) قصیدہ ”شہر آشوب“ (المدينة المتدمرة)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (فی طرقات صامتة)، ص ۱۱۳

وما أصدق تعبير فيض أحمد فيض الذي يصف الجالسین علی کراسی العدل بأنهم مجرمون أصلاً، والواقفون أمامهم في المحكمة هم حراس العدل وحفاظه ولا يعاقبون إلى لجرمة الوفاء بالوطن:

پھر حشر کے سماں ہوئے ایوان ہوس میں
بیٹھے ہیں ذوی العدل، گنہگار کھڑے ہیں
ہاں جرم وفا دیکھئے کس کس پہ ہو ثابت
وہ سارے خطا کار سردار کھڑے ہیں^(۱)

أي: ”دیوان الشراصة بموج زهاء حيث يتربع ذوو العدل ويقف بين أيديهم المذنبون. انتظر قليلا لتر من تثبت عليه جريمة الوفاء فها نحن واقفون على خشبة التنق“

بینما یصفہم بأنہم تولوا مهام الأعداء والقضاء والمحاماة بأنفسہم فیحکمون کما یشاءون، فلا رجاء فی أن یأمل أمل فی العدل:

بنے ہیں اہل ہوس، مدعی بھی منصف بھی
کے وکیل کریں، کس سے منصفی چاہیں^(۲)

أي: ”تولی ذوو الحرص والطمع مناصب القضاء والادعاء فمن لنا محاميا وعادلا“

وبہذہ الصراحة سجل شعراء المقاومة دور المحاکم المزيفة والمؤيدة للحکم العسكري فکان شعرهم بمثابة شہود عیان للمخازي القضائية التي ارتکبها المتربعون علی منصة القضاء.

• دور مذموم لبعض الأحزاب الدينية والإسلامية

ومن أهم الموضوعات التي اشترك فيها الشعراء وأبدوا جوانبها دور بعض الرجال والمؤسسات التي تدعي الانتماء إلى الدين وتصطبغ بصبغة دينية، ويقفون مع الحاكم المستبد بكل وقاحة ويلعبون دورا رياديا في الدفاع عنه. ومن أجل تعزيز حكمه الاستبدادي يستغل

(۱) مقطع من دیوان ”دست مہا“، ”ید الصا“ ص ۲۹

(۲) قصیدہ ”درامید کے دریوزہ گر“ (حراس مات الرجاء)، دیوان ”شام شہریارال“ (امسیة مدینة الرفاق)، ص ۷۷

المستبد تعاليم الدين الخفيف الذي يمنح الإنسان شرفه وحرته ولا يبيع لأحد انتهاك حرمة الفرد والنيل من شرفه بأي مبرر وحجة، فليس الدين عند هؤلاء سوى وسيلة تكسب مصالح دنيوية، وتصدى شعراء مقاومة الاستبداد للأفراد والطوائف والأحزاب الذين يدعون التيار الديني ثم يقفون مع الاستبداد مساندين له، يقول الزيربي:

لَا يَحْسَبُ الْيُونَانِيُّونَ إِلَّا أَنََّّهُ
عِنْدَ الْأُمِيرِ دَرَاهِمٌ وَطَعَامٌ^(١)

ولا يقوم بهذا النوع من التزييف إلا علماء السوء الذين يساومون على كرامة الدين بثمن رخيص ويمنحون لجرائمه صبغة دينية لكي يقبلها الجميع دون تحديها، يقول الزيربي:

وَكُنَّا نَطْفِئُ النَّارَ وَالْقَتْلَ وَالسَّلْبَ
فَنُفِئُ مِنَ الْعُلَى قُدْسِيَّةً^(٢)

ويتصدى الزيربي لمثل هؤلاء الذين يقفون مع الاستبداد مساندين له وييدي كراسته لمثل هذه الطائفة إذ يقول:

فَلَيْمُتَ مَنْ يُضْغِي عَلَى الظَّالِمِ الطُّغْيَى
رِدَاءَ الْجَلَالِ وَالْقُدْسِيَّةِ^(٣)

ويررر الدين الذين يستغلونه لتحليل ما حرمه الله فيركل بحججهم إذ يقول:

لَيْسَ فِي الدِّينِ أَنْ تُقِيمَ عَلَى ضَنِّمٍ
وَتَحْزَنِي جِبَاهَتَنَا لِلدُّنْيَى
لَيْسَ فِي الدِّينِ أَنْ تُؤَلِّسَ طُعْيَانَا
وَتَعُتُّو لِّلْسُلْطَةِ الْبَرِّئَةِ^(٤)

(١) قصيدة صريحة إلى النائم، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٠٦

(٢) قصيدة "خطة الموت"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٤١ و ١٤٢

(٣) المرجع نفسه، ص ١٤٣

(٤) المرجع نفسه، ص ١٤٨

وترسخ مفاهيم غير حقيقية في أذهان الشعب عن شخصية الحاكم المستبد أو ترسخ عمدا فيعرض كأنها شخصية فوق إنسان عادي، يتصف بصفات خارقة العادة ويملك ملكات ربانية في بعض الأحيان وطاعة الخالق مشروطة بطاعته وعصيانه عصيان الله، يقول:

وَهُوَ الْبَدِينُ وَالشَّرِيعَةُ لَوْ فَارَقَهُ
شَعْبُنَا لَأَلْحَقَهُد وَارْتَدَّ^(١)

وصور لنا الشاعر الزبيري بالتفصيل مدى القدسية التي يحاول المستبد اكتسابها وكيف يستغل الدين ليحافظ على مصالحه السياسية والمادية ويغطي بحيله الماكرة جرائمه البشعة، يقول:

وَكَأَنَّ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ كَمَا شَاءَتْ
أَمَانِيهِهِ لِلْمَخْضَايِ مَطِيٍّ
وَكَأَنَّ الْإِلَهَ حَاسِبًا فِي صَالَةٍ
عُكْفِيَةٍ بِمَلَاهِيهِهِ
وَكَأَنَّ الطَّغْيَانَ وَالْقَتْلَ وَالسَّلْبَ
فَنُورٌ مِنَ الْعُلَى قُدْسِيهِ^(٢)

وقد كثر عند جميع شعراء المقاومة الأردنيين والعرب نقد الأحزاب الدينية والتهكم على رجال الدين وإلقاء لائمة على استغلالهم الدين لتقوية الحكم الاستبدادي. فالشاعر حبيب جالب كان تهكم بالأحزاب الدينية التي تسابقت في تأييد الرئيس الجنرال ضياء الحق في الاستفتاء العام الذي أجري سنة ١٩٨٤ م، يقول:

كچھ باریش سے چہرے تھے
اور ایمان کا ماتم تھا^(٣)

أي: "طهرت وجوه ملتحية، وكان ذلك تأيينا للإيمان".

(١) قصيدة "كفر وإيمان"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٨

(٢) قصيدة "خطبة الموت"، المرجع نفسه، ص ١٤١ و ١٤٢

(٣) قصيدة "ريفرنڈم" الاستفتاء، ديوان جالب، ص ٣٢١

ويشترك الشعراء في عدم ارتياحهم من الشخصية الدينية التي ساعدت المستبدين في إطالة حكمهم بإقناع الشعب على رضا بالاستبداد بحجة الإيمان بالقدر، أو الاكتفاء بعبادة الدعاء في وقت وجبت فريضة الجهاد، يقول حبيب جالب :

بہت میں نے سنی ہے آپ کی تقریر مولانا
مگر بدلی نہیں اب تک مری تقدیر مولانا^(۱)

”أيها الشيخ الواعظ، قضيت فترة طويلة وأنا أسمع ما تلقي من خطب ومواعظ، ولكنها لم تغير شيئاً مما قدر لي“.

وتحوم قوافل العلماء حول قصر الحكام ويقفون على بابہ منتظرين هبة وعطية من الطاغية المستبد متأسين ما يلقون من خطب تعظ بالتوكل على الله وعدم نصره الظالم .
بمشاركته في ظلمه ، يقول فراز عن ذلك :

قاتل اس شہر کا جب بانٹ رہا تھا منصب
ایک درویش بھی دیکھا اسی دربار کے بیچ^(۲)

أي: ”رأيت درويشا يقف في وسط البهو حينما كان قاتل المدينة يوزع المناصب“

تمام شہر ہے شانگلی کا زہر پے
نہ جانے کیا ہو جو دوچار ہے ادب بھی نہ ہوں^(۳)

أي: ”تخلق كل من في المدينة بخلق حسن، فماذا سيحدث لولا طائفة صغيرة من مسيئي الأدب“.

(۱) قصيدة ”مولانا“ (حضرة الشيخ)، ديوان جالب، ص ۱۶۶

(۲) قصيدة بدن عنوان، ديوان ”في طرق صامتا“ (بے آوازگی کو چوں میں)، ص ۶۰

(۳) المرجع نفسه

وشیخ الحرم اذ یرفض موقف الشعراء الأحرار من الاستبداد ویلقی لائمته علیهم
یتوقع الشاعر أنه -أي الشیخ- سيعارض لغبه وتعصبه للمستبد أدلة القرآن والحديث كذلك
لأنها لا تؤید فتاواه المزیفة التي لا تساند إلا الاستبداد، یقول فراز:

مجھے تو ڈر ہے کہ شیخ حرم کے ہاتھوں سے
کیس مری طرح رسوا رسول ورب بھی نہ ہوں^(۱)

أي: ”أخشى أن شیخ الحرم یسیء إلى عظمة الخالق وعزة الرسول
كما أهانني“.

• تنديد الإذاعة والتلفاز

تلعب وسائل الإعلام الرسمية مثل التلفاز والإذاعة دورا مضحكا جدا فهي تسخر
كل طاقاتها وقدراتها لرسم عالم مثالي يعيش فيه الشعب آمنا مطمئنا دون هم وغم، كما تخلق
أساطير مزيفة لتمجيد شخصية الحاكم المستبد، وتضع على وجهه القبيح نقاب القدسية
والجلال وتعرض شعراء مقاومة الاستبداد لهذا الدور المذموم لوسائل الإعلام التي تجعل الثناء
على الطاغية المستبد معيارا وحيدا للتعبير عن الرأي، فالإذاعة والتلفزيون لا يبت منها إلا ما
لا يعارضها من قريب ولا من بعيد ولا يتمتع بحرية التعبير إلا هؤلاء الأدباء والمفكرون الذين
يسخرون منهم لتمجيد الحكام، یقول الرفاعي:

كَفَّلُوا لِكُلِّ مُوَاطِنٍ حَرِيصَةً
فِي الرَّأْيِ إِنَّ أَتَنَى عَلَى الطُّغْيَانِ
أَمَّا الإِذَاعَةُ فَهِيَ بُوْبُوقُ دَعَايَةِ
عَادَتِ بِدَاءِ السُّوقِ لِلْأَذَانِ
مُلَّتْ بِكُلِّ مَخْدَرٍ وَمُضَلَّلٍ
مِنْ مَائِغِ الْأَخْبَارِ وَالْأَلْحَانِ^(۲)

(۱) قصيدة بدن عنوان، دیوان ”بے آواز گل کوچوں میں“، (فی طرقات صامتة)، ص ۶۴

(۲) قصيدة ”خلاد الكنانة“، دیوان الرفاعي، ص ۳۹۷

وکیف تغطي جرائمه برداء المجد والفخر وكيف تضلل الرأي العام هذا ما يكشف عنه الزبيري إذ يقول:

وَاجْعَلُوا كُنْزَ دَمٍ يَسْفِكُهُ
فَخْرًا وَمَجْدًا
وَاصْنَعُوا مِنْ لَعْنَةِ الشَّعْبِ
لَهُ شُكْرًا وَحَمْدًا
وَاسْتَدْلُوا مِنْ حُجْبِ التَّضَلُّلِ
فِي عَيْنَيْهِ سَدًّا^(۱)

واستہزاء حبیب جالب بمدح الحکام والوزراء المبالغ فیها مؤثر جدا، إذ يقول:

ثناء بندوں کی ہم سنتے ہیں اکثر
خدا سے بھی زیادہ ریڈیو پر^(۲)

أی: "نسمع من المذیاع ثناء العباد علی العباد أكثر من ثنائهم علی رب العباد"

کما تتولی وسائل الإعلام فريضة تضليل الرأي العام وتقبیح شخصية المعارضين باتهامات سخيفة مثل الغدر والإرهاب والثورة وغيرها، يتسیر إليها فیض إذ يقول:

پھر کف آلودہ زبائیں مدح و ذم کی قمچیاں
میرے ذہن و گوش کے زخموں پر برسانے لگیں
پھر نکل آئے ہوساکوں کے تافلے
درومند عشق پے ٹھٹھے لگانے لگے^(۳)

(۱) قصیدہ "مغفرة الشعب"، دیوان ثورة الشعر، ص ۱۵۴ و ۱۵۵

(۲) قصیدہ بدوں عوان، دیوان جالب، ص ۱۹۸

(۳) قصیدہ "در امید کے در پوزہ گر" (حراس باب الرجاء)، دیوان "شام شہریاراں" (امسیة مدینة الرفاق)، ص ۷۷

أي: "عادت الألسنة القذرة ترسل عصي الذم والعذل على
جروح روحي وشقوق قلبي وتهيات قوافل ذوي الحرص والطمع لتسخر
بالعشق الصادق".

ولعل أبيات أحمد مطر أصدق تعبير لمدى تأثير الإذاعة في نفوس العوام وتصديقه لها، يقول:

لُعِنُ الشَّعْبُ الَّذِي
يَنْفِي وجودَ الله
إن لم تثبت الله بيانات الإذاعة^(١)

ويرى أحمد مطر أن التنازل عن المصالح المرتبطة بفن الصحافة كالشهرة والمال
والصلوات بالكبار أول شرط لممارسة فريضة المقاومة والنضال:

تريد أن تمارس النضال
تعال .

كل كثير مسكر... قليله حرام
فأعلن الصيام عن إذاعة النظام
وأعلن الصيام عن صحافة النظام
وأعلن التوبة ألف مرة
عن خطب الحكام
واستغفر الله على عمر مضى
صدقت فيه مرة وسائل الإعلام...^(٢)

إنها أمثلة تكفي لتكشف كيفية استخدام المستبد الإذاعة والتلفاز كأداة تزييف الحقائق
وتضليل الرأي العام، وكيف أسدلت على جرائمه البشعة رداء القدسية والجلال باختلاف
أساطير وقصص مزيفة تعللي من شأنه غير أن الشعراء مزقوها لكي يحفظ التاريخ الوجه
الصحيح.

(١) قصيدة "شيطان الأثير"، لافتات ٣، ص ٨٧

(٢) قصيدة "كيف تتعلم الصال"، المرجع نفسه، ص ١٢٩

• الشکوی من غدر بعض الأدباء والشعراء

وأشد ما آلم شعراء مقاومة الاستبداد أنه وجدوا من بين معشرهم من يساوم الطاغية المستبد ويبيع حرمة القلم وكرامة الكلمة لغرض مادي بخيس وما هؤلاء إلا المفلسون فكريا وعقليا وروحيا، مبلغ همهم نيل عطية من القصر، يقول الزبيري:

كَتَبُوا وَمَا هَذَا الَّذِي بِمَقَالِهِمْ
إِلَّا وَبَاءَ فِيهِ النَّهْيُ وَسُقَامٌ^(۱)

فلا يتمتع بالحرية في العمل الإبداعي إلا المتملقون والمداحون، وليس من السهل اليسير في أجواء الاستبداد المخيفة أن يعزف قيثارة شعره بهذا المنوال، وأحمد مطر على وعي بزيف الزمن وخطورة السبيل التي يسلكها:

سبعون طعنة هنا موصولة النزع
تبدي ولا تخفي
تغتال خوف الموت في الخوف
سميتها قصائدي
وسمها يا قارئ حنفي^(۲)

ويندد حبيب جالب بأرباب الفصاحة والبلاغة وفرس ميدان الخطابة الذين يسعون دوما لإرضاء الحاكم مغضين عيونهم عن خطواته الظالمة وطامعين في اكتساب مصالح مادية مؤقتة، وفي الحقيقة لا يساوون إلا المتسولين في الطرقات والشوارع، كما يقول جالب:

ہر دور کے بھکاری شاعر ادیب سارے
بکتے بکتے قدم پہ دیکھے ادیب سارے
بیچا نہیں ہے میں نے اپنا ضمیر جالب
میں خوش نصیب شاعر اور بدنصیب سارے^(۳)

(۱) قصيدة صرخة إلى النائمین، دیوان صلاة في الجحیم، ص ۳۰۶

(۲) لافتات ۱، ص ۵

(۳) قصيدة ”میں خوش نصیب شاعر“ ”أما شاعر سعید الخط“، دیوان جالب، ص ۱۶۳

ای: ”إن الأدباء عاشوا متسولين في كل العصور، ورأيانهم يبعون
كرامتهم، ولكنني لم أرض بشيء لصفقة صوتي، إنني شاعر سعيد الحظ
بينما خابت أقدار غيري“.

إلا أن الشاعر لا يعرف هذا النوع من الأدب لأنه لم يعرف أن يضع جبهته ساجدة
على الأرض وسط قدمي المستبد:

کھی سر پہ سر بہ سجدہ تھے دربار میں
ہم ایسے کہاں بے ادب لوگ تھے^(۱)

أي: ”وضع الجميع رؤوسهم على الأرض للسجدة لأنهم لم
يكونوا مسيئي الأدب مثلنا“.

ويشير الشاعر إلى رداءة هذه الطائفة التي تدعى ريادة الأدب وليس الأدب في رأيها
سوى وسيلة للتكسب على مائدة المستبد:

يَشْدُقُونَ فَتَشْخَرُ الْفُصْحَىٰ بِهِمْ
وَيَحْرُرُونَ فَتَضْحَكُ الْأَقْلَامُ
يَعْمُونَ عَنْ طُعْيَانِهِ وَبِلَادِهِمْ
تَلْحَىٰ عَلَىٰ أُنَاتِهِمَا وَتَلَامُ!
وَيَقْدُسُونَ خَنَاحِرًا فَتَحْتَلُّهَا
جُرْحًا بِقَلْبِ الشُّعْبِ لَا يَلْتَامُ^(۲)

وكان الشاعر أحمد فراز كثيرا ما يشكو اتحاد المستبد وأعوانه المتدينين ضد مقاومته
الشعرية، يقول:

(۱) قصيدة بدن عنوان، ديوان ”بے آواز گلی کو چوں میں“ (في طرقات بلا صوت)، ص ۱۰۵

(۲) قصيدة صرخة إلى النائم، ديوان صلاة في الحميم، ص ۳۰۶

کڑی ہے جنگ کہ اب کے مقابلے پہ فراز
امیر شہر بھی ہے اور خطیب شہر بھی ہے^(۱)

أي: ”معرکتی المرۃ هذه حاسمة لأن المنافسة ضد حاکم المدينة
وواعظ المنبر معا“.

ولم یعف شعراء المقاومة بعضهم عن بعض كلما أحسوا خمولا أو سکوتا من
بعضهم، فالشاعر حبیب جالب وجه سهامه الشعرية إلى أحمد فراز حين طال منه السکوت
- لوظيفته الرسمية - على ما جرى في بلوشستان في عهد ذو الفقار علي بوتو قال:

جگا نہ شہ کے مصاحب کو ورنہ اے جالب
اگر یہ جاگ گیا تو نوکری سے جائے گا^(۲)

أي: ”لا توقظ یا جالب نديم الملك لأنه إن فتح عينه سيُطرد من وظيفته“.

المبحث الرابع: مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بالشعوب التي تعاني مأساة الاستبداد

ضمن شعر مقاومة الاستبداد الحديث عن الشعوب التي تعاني من الاستبداد من
جہتين متضادتين، فمن جهة تحدث الشعراء عن نكباتها ومآسيتها وحالتها التعبة ومن جهة
أخرى ألقوا لائماتهم الشعرية عليها بعد ما حملوها بعض المسئولية من حلول الاستبداد على
أراضيها وتأسفوا على رضاها بأحوالها القاسية لأسباب مختلفة كالخوف والطمع وغيرهما
وحاولوا بطعناتهم الشعرية إيقاظها من سباتها العميق ونفخ نار الثورة فيها، والتشابه
التعبيري والموضوعي بين شعراء اللغتين واضح أشد الوضوح في هذه الموضوعات والقضايا
التي تتعلق بالشعوب التي كانت ضحية الاستبداد.

• تغافل الشعب عن حقوقه

لا يخلو شعر المقاومة من إلقاء الشاعر لائمته على شعبه بعد ما يراه رضي بالهوان
ولا يسعى لكف يد المستبد الذي لا يتجرأ إلا بجبن الشعب وقمع حذوره والبطش به وقد

(۱) قصيدة بدن عنوان، ديوان ”في طرقات صامتة“ (بے آواز گلی کوچوں میں)، ص ۹۹

(۲) قصيدة بدون عنوان، ديوان جالب، ص ۱۵۱

يعتري الشعب خوف وذعر وقد ينخدع بالادعاءات المزيفة من قبل الحكم المستبد فيقتنع بقبوله متناسيا آلامه ، يقول الزيريري :

وَإِذَا سَكَتَ وَقَدْ أَصْبَتْ فَأَيْمَنَا
تِلْكَ الْمُصْرِيَّةُ تُكْبِتُ خُرُسَاءَ^(١)

ويقرب من مفهومه شعر حبيب جالب الذي يقول :

تقدير کے قدموں پر سر رکھ کے پڑے رہنا
تائید ستم گر ہے چپ رہ کے ستم سہنا^(٢)

يعني : ”وضع الرأس في أقدام القدر و الصبر على ظلم الظالم صامتا بمثابة من معونة الظالم“ .

فأشد ما تأذى الشعراء به هو التزام الشعب بالسكوت وتحمله المظالم ، ويعالج الشعراء الأسباب النفسية لتقاعد الشعب عن تغيير الوضع المؤلم الذي يعيشه ، ورضى الشعب بالاستعداد يمر من عدة مراحل ، قد يتنازل الشعب عن حق الحرية خوفا من بطش المستبد وقد ينخدع بسياسته اللماعة . وقد يلعب بحقوقهم بحجة دينية فلا يجروا الشعب على النبل منه ، وأبشع مرحلة هي تلك التي يموت فيها شعور الشعب بالحرية ويؤمن بأن استعباده قدر من الله .

نَخْشَى سُيُوفَ الظُّلَمِ وَهِيَ كَلِيلَةٌ
وَنُقَدِّسُ الْأَصْنَامَ وَهِيَ حُطَامٌ
وَتَذِلُّ أُمَّتُنَا لِفَرْدٍ وَاحِدٍ
لَا تُسْتَفَادُ لِمِثْلِهِ الْأَنْعَامُ^(٣)

وقد يتكاسل الشعب نفسه في نزع حقه من يرثن الظالم الذي يزيده تكاسله جرأة اغتصاب حقه ، ويسخر الشاعر جالب بهذه الحالة ، يقول :

(١) قصيدة ”صخرة“ ، ديوان ثورة الشعر ، ص ٢٣٠

(٢) قصيدة ”عورت“ (المرأة) ، ديوان جالب ، ص ٢٠١

(٣) قصيدة ”صرخة إلى النائمين“ ، ديوان صلاة في الجحيم ، ص ٢٩٨

نہیں حق چھینتے ہم غاصبوں سے
مقدر میں ہے ہر ذلت یونہی تو^(۱)
آی: ”یكتب لنا الذل عندما لا نحاول نزع حقنا من الغاصبين“.

فالشعب هو السبب الرئيس في سيطرة الاستبداد عليه ولا يكون ذلك إلا إذا تقاعد
الشعب عن حقوقه واستسلم وانخضع لأوامر الاستبداد دون جرأة تحديه. والشعب بهذه
الفكرة يسهل مهمة المستبد، فيهنئه الشاعر محمود الزبيري ساخرا بالشعب:

أيأبى فراق الذل شعب؟ فهلُّوا
إذا ياطغناءً وابطشوا وتحكموا
يقولون هذا الشعب عبْدٌ تِلْدُهُ
السُّيَاطُ وَيُعْطِيهِ الْهِنَاءَ عُلَقُمُ^(۲)

والشاعر المصري هاشم الرفاعي متحير - كغيره من الشعراء - بأمر شعبه الذي رغم ما يشن
من آلام الحكم الاستبدادي لا يسعى لتغيير الوضع فكأنه ألف الحياة ذليلاً، يقول الرفاعي:

مال بآل شَعْبِ النِيل أضْحى هادئاً
أَنَراه قَدْ أَلْفَ الْحَيَاةَ ذَلِيلاً^(۳)

وكذلك يوجه الشاعر اليمني شكواه إلى الشعب الذي آمن بعبودية الإمام وأتباعه
عمى وبكما:

رَضِينَا بِأَنَّا غِيْدُ الْإِمَامِ
وَأَنَّا كَمَا شَاءَ عُمِّي وَصُومِ
نُكَبِّلُ أَقْدَامَنَا بِالْقُيُودِ
وَنَعْقِلُ أَفْوَاهَنَا بِاللَّجْمِ^(۴)

(۱) من قصيدة بلا عنوان، ديوان حالب، ص ٢٧٧

(۲) قصيدة ”هل يخاف الشعب من نفسه“، ديوان ثورة الشعر، ص ١٣١

(۳) قصيدة ”جهاد صائغ“، ديوان الرفاعي، ص ١٤٠

(۴) قصيدة ”لا تحرقوا ساركم“، ديوان ثورة الشعر، ص ١١٣ و ١١٤

وفي مثل هذا الوضع تتضاعف مهمة الشاعر وتتطلب منه المزيد من الجهد :

وَلَا تَخْشِ مِنْ زَلْزَالِ شِعْرِ أَصُوغِهِ
فَإِنَّكَ قَدْ قَالُوا أَصَمُّ وَأَبْكَمُ^(١)

بل يبلغ أمر الشعب إلى أنه يحسب الجهر بحقوقه إنما يؤاخذ عليه :

قُلْنَا: ارْفَعُوا الْأَسْوَاطَ عَنْ أَجْسَادِكُمْ
قَالُوا: لَنَا لَوْمُ الْإِمَامِ أَكْثَامُ
ثُمَّ مَا بِهِمُ الْإِمَامُ، وَإِنَّمَا
وُلِعُوا بِسَوَاطِ الْمُسْتَبَدِّ وَهَامُوا^(٢)

ما لا شك فيه أن همم الشعراء قد يصيبها نوع من الضعف والهوان في مثل هذه الأوضاع التي لا يصغي إليهم شعبهم ويرون أن صرخاتهم الشعرية تذهب وتعود دون جدوى، غير أنهم لا يكفون عن استنهاض الشعب، فترى أن الشعراء - مهما كثر شكواهم تغافل الشعب عن السعي لعك القيود والأغلال - يواصلون في نفخ روح الحياة فيهم، يقول هاشم الرفاعي وهو يستثير همم الشعب متسائلا في قصيدة "عقيدة" :

فَبِإِلَى مَتَى هَذَا الْخُشُوعُ وَإِنَّمَا
جُرْمُ أَضَاعَ حَقُوقَ مِصْرَ جَمِيعًا^(٣)

كما يكرر نفس السؤال في قصيدة "مصر الجريحة" وهو يقول :

فَبِإِلَامٍ نَخْضَعُ أَوْ نَلِينُ لِعُصْبَةٍ
يَا مِصْرُ فِي الْأَغْلَالِ قَدْ وَضَعُوكَ
إِنَّمَا لَتَأْبَى أَنْ نَعْمِشَ أَذْلَةً
وَنَظْلِلَ وَادِي النِّيلِ كَالْمَمْلُوكِ^(٤)

(١) قصيدة "هل يخاف الشعب من نفسه"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٣١

(٢) المرجع نفسه، ص ١٣١

(٣) قصيدة "عقيدة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣١

(٤) قصيدة "مصر الجريحة"، المرجع نفسه، ص ١٣٥

والزبيري اليمني يصور مستوى الإفلاس الفكري الذي وصل إليه الشعب اليمني فلا يكاد يشعر فيهم حماسا لأنه رضي بالاستبداد كأنه قدر من الله ، ويتوكلهم بمن أخضع رأسه لأمر الحكم الإمامي ، يقول في قصيدة "لا تحرقونا بناركم" :

وَفِي الْحَثَرَاتِ.. لَنَا أَسْوَةٌ
تُزَمُّ دُنَا فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ
وَفِي عَالَمِ الدُّودِ عَيْشٌ هَنِيءٌ
هَبَطْنَا إِلَى مُسْتَوَاهِ الْأَغْرَارِ^(۱)

فلا يستحق اللوم من يرتكب الظلم ومن يتحمل المظالم فحسب بل يستحق من سكت عنها كذلك وأغمض عينه عنه لأغراض شخصية أو سياسية وغيرهما ، والشاعر أحمد فراز في قصيدة "ويت نام" يسجل صرخته الاحتجاجية ضد العالم المتحضر الساكت عن مظاهر الاستبداد والجور ، يقول :

اے مہذب جہاں کی مخلوق
کل ترے روبرو یہی بے ضمیر قاتل
ترے قبیلے کے بے گناہوں کو
جب تہہ تیغ کر رہا تھا
تو تماشاہیوں کی صورت
خموش رہے حس
درندگی کے مظاہرے میں شریک
کیوں دیکھتی رہی ہے^(۲)

أي: "يا خلق العالم المتمدن، أين كنت عندما كان هذا القاتل يقتل بني
عشيرتك وكنت تشاهد هذه المجزرة صامتا جامدا ومشاركا إياه في وحيثته"

(۱) قصيدة "لا تحرقونا بناركم" ، ديوان ثورة الشعر، ص ۱۱۳ و ۱۱۴

(۲) قصيدة "ويت نام" (ويت نام)، "نایافت" (المعدوم)، ص ۱۱۷

• تحريض الشعب / إيقاظ الشعب

ولا يفوت شعراء المقاومة وهم يصفون كل هذه الأوضاع القاسية أن يؤدوا دورا قياديا في إيقاظ الشعب ونفخ نار الثورة فيه، فمن سمات شعر المقاومة أنه متواصل التحريض والتشجيع للطبقات المضطهدة البائسة لاستنهاض هممهم ولإيقاظهم من سباتهم العميق، يخاطب محمود الزيرى شعبه محرضا إياه على الكفاح والنضال ضد الاستبداد، يقول في قصيدة "صرخة إلى النائمين":

يَاقَوْمُ هُبُّوا لِلْكَفَّاحِ وَنَاضِلُوا
إِنَّ الْمَنَامَ عَنِ الذَّمَامِ حَرَامٌ
تَسْتَلِمُونَ إِلَى قَسَاةِ مَا لَهُمْ
خُلُقٌ وَلَا شَرْعٌ وَلَا أَحْكَامٌ
لَنْ يَسْبِرَحَ الطُّغْيَانُ ذُبَابًا ضَارِيًا
مَا دَامَ يَعْرِفُ أَنَّكُمْ أَغْنَامٌ^(١)

ها هو الشاعر حبيب جالب يثث ويصرخ في وجه الشعب المتكون من الملايين ويطالعه تحريك الشفاء ورفع شعار الحق وقلع جذور النظام الذي يحرمه حقوقه:

جس	میں	تم	نہیں	شامل
وہ	نظام	بدلو	بھی	
دوستوں	کو	پہچانو		
دشمنوں	کو	پہچانو		
وس	کروڑ	انسانوں ^(٢)		

أي: "يا معشر مائة مليون نفر، غيروا ذلك النظام الذي ليس لكم فيه نصيب، واعرفوا أصدقاءكم من أعدائكم".

(١) قصيدة "صرخة إلى النائمين"، ديوان صلاة في الجحيم، ص ٣٠٤

(٢) من قصيدة: "جمهورية" (الجمهورية)، ديوان جالب، ص ١٣٣

ویدی فیض أسفه علی سکوت الناس ورضاهم بحیاء الذل والهوان ویسألهم إلى متى یستمر هذا الخنوع لأوامر الظلم، یقول فی قصیدة ”أنشودة“ :

اے ظلم کے ماتو لب کھولو، چپ رہنے والو چب کب تک
کچھ حشر تو ان سے اٹھے گا، کچھ دور تو نالے جائیں گے^(۱)

أي: ”وأیها المضطهدون حرکوا شفاهکم، وإلى متى هذا السکوت
أیها الصامتون. فکلامکم سیحدث قیامة ویسمع دویه فی الآفاق“.

وینادی الشاعر أحمد فراز الشعب الذی الجائع المکبل فی الأصفاد المحروم عن حرية
التعبیر ویستهضه :

پھر بھی پاؤں میں زنجیریں ہاتھوں میں سسکول
کل بھی تجھ کو حکم تھا آزادی کے بول نہ بول
آج بھی تیرے سینے پر ہے غیروں کی بندوق
اے بھوکی مخلوق^(۲)

أي: ”عجبا أمرک أیها الخلق الجائع، رغم مضي سنوات علی
تحررک أراک مغلول الأقدام وتحمل بیدک كأس التسول، حرمت حرية التعبیر
بالأمس، والیوم أری غیرک سل سیفه علیک لتبقى ساکتا“.

ویظل المستبد یحکم بطشه مادام یشعر بأن الشعب راض بالاستکانة مثل الذئب الذی
یہجم علی قطع الأغنام لأنه یعرف ضعفها وأنها لا تقاوم فیحثهم علی السیر المتواصل نحو
المرام:

(۱) قصیدة ”ترانہ“ (أنشودة)، دیوان ”دست صبا“ (بد الصبا)، ص ۳۸

(۲) قصیدة ”اے بھوکی مخلوق“ (أیها الخلق الجائع)، دیوان ”تہاتہا“ (وحیدا منفردا)، ص ۵۸

نجات دیدہ دل کی گھڑی نہیں آئی
چلے چلو کہ وہ منزل ابھی نہیں آئی^(۱)

آی: ”لم نحن ساعة قرار الفكر والعين بعد، فواصلوا أيها الركب
سيركم فما زال المرام بعيد المنال“

• تأييد المعارضين ضد الحكم الاستبدادي / التشديد بأبطال شعراء المعارضة

وتضمنت المقاومة الشعرية للاستبداد وقفة الشعراء بجانب الأفراد والأحزاب
والشعوب التي وقفت في وجه الحاكم المستبد ونوهموا بهم تنويعها عظيما. ومن أمثلة ذلك تنويه
الشاعر هاشم الرفاعي بدور محمد نجيب الهلالي قائلا:

طَهَّرْتَ وَأَدَبْتَهَا مِنَ السَّرْجَسِ الَّذِي
قَدْ كَانَ مَهْوًى لِلْبِلَادِ وَمَزْلَقَا^(۲)

وكانت فاطمة جناح وبناتير بوتو بمثابة رمز للديمقراطية ضد الحكم الأيوبي والعهد
الضیائی العسکریین فی پاکستان فوقف الشعراء بجانبهما مؤيدين لها ومدافعين عنهما فمثلا
وقف حبيب جالب مؤيدا لفاطمة جناح في العهد الأيوبي العسکری یؤررها فی حملتها
الانتخابية وأحدثت أفعاره تأثيرا بالغا في نفوس الجماهير، ومنها قوله:

ایک آواز سے ایوان لرز اٹھے ہیں
لوگ جاگے ہیں تو سلطان لرز اٹھے ہیں
آمد صبح بہاراں کی خبر سنتے ہی
ظلمت شب کے نگہاں لرز اٹھے ہیں^(۳)

(۱) قصیدہ ”صبح آزادی“ (صح الحریۃ)، دیوان ”دست مہیا“ (ید الصبا)، ص ۲۲

(۲) قصیدہ ”صوت التحریر“، دیوان الرفاعي، ص ۱۵۲

(۳) قصیدہ ”میں گمرانے“ (عشرون أسره)، دیوان جالب، ص ۱۳۷

أى: ”أهتزت أركان الحكم لصرخة وحيدة وقد اقشعر السلاطنة
بالقطة الشعبية وتزلزلت أقدام حراس ظلمة الليل بتلقي الخبر عن مجيء
صبح الربيع“.

وشكلت عودة بيناظير بوتو إلى باكستان بعد منفى طويل خطرا يهدد عرش الحكم
العسكري. وأيدها حبيب جالب قاتلا:

ڈرتے ہیں بندوتوں والے ایک نہتی لڑکی سے
بھیلے ہیں ہمت کے اجالے ایک نہتی لڑکی سے
ڈرے ہوئے ہیں مرے ہوئے ہیں لرزیدہ لرزیدہ ہیں
ملا، تاجر، جزل، جبالے ایک نہتی لڑکی سے^(۱)

أي: ”يخاف الجنود المسلحون من بنت منزوعة السلاح، وأضاء
الكون بسببها، يكاد العلماء والتجار والضباط ومن والاهم يغمى عليهم
ويغشاهم الموت خوفا من بنت منزوعة السلاح“.

وتجلى لشعراء المقاومة في سيرة الشعوب التي تناضل الاستعمار والاستبداد نموذجاً
حيالاً أراد مقاومة الاستبداد، فبرى أحمد مطر أن أهل الضفة الذين يغزون العدو
الصهيوني الغاشم رمز السالة والتجاعة فيقف الشاعر إجلالاً لهممهم العالية، ويرى فيهم
نموذجاً لجميع الشعوب المستكينة، ويقول:

أهل الضفة.. أنت حق
وجميع الناس أباطيل
أنتم خاتمة الأحزان
وأنتم فاتحة القرآن^(۲)

وينسب فيض وهو يقدم لمجاهدي فلسطين تحية عز وإكرام: ^(۳)

(۱) قصيدة ”نہتی لڑکی“ (بنت مدون سلاح)، دیوان حالب، ص ۳۴۰

(۲) قصيدة ”طلب انتماء للعصر الجحري“، لافتات ۳، ص ۱۴۹

(۳) قصيدة ”مجاہدین فلسطین کے نام“ (انتزودہ لمجاہدی فلسطین)، دیوان ”غبار الیام“ (غبار الایام)، ص ۱۴

کیف خوف یلغار اعداء

ہے سینہ سپر ہر غازی کا

کو خوف زیورش جیش قضا

صف بست ہیں ارواح شہداء^(۱)

ای: ”لَمَ الخوف من هجوم الأعداء، ستقبله صدور غزاة، ولا خوف لجيش القضاء أمام صفوف الشهداء، سنفوز، حقا سنفوز يوما“.

فلدینا نماذج شعرية راقية لتعاطف الشعراء مع الشعوب التي كانت تسعى لفك القيود وكسر الحدود، فالشاعر فيض أحمد فيض في قصيدته ”تعالوا إلى أفريقيا“ وفي قصيدة ”أنشودة لمجاهدي فلسطين“ وقف مؤيدا للمناضلين الأفريقين والمجاهدين الفلسطينيين. وكذلك حبيب جالب الذي يؤيد إخوته الفلسطينيين^(۲) واللبنانيين:

دھواں ہے خون ہے، چیخیں ہیں اور لاشیں ہی لاشیں ہیں

ستم کی آندھیوں میں ظلم کے طوفان میں جاؤ^(۳)

ای: ”ثمة دخان ودماء، وصرخات وجثث، فشقوا عواصف القسر وخوضوا طوفان الظلم“

وكذلك له وقفة مع المناضلين الفلسطينيين:

مکت جبل کو ہوگی شعور جیتے گا

کرے گا جبل کہاں تک سر شعور قلم^(۴)

ای: ”سيفشل الجهل وسيغوز الشعور حتما، فلا يمكن للجهل أن يقتل رأس الشعور“

(۱) قصيدة ”مجاهدين فلسطين کے نام“ (أنشودة لمجاهدي فلسطين)، ديوان ”غبار أيام“ (غار الأيام)، ص ۱۴

(۲) قصيدة ”فلسطين“، (فلسطين)، ديوان حال، ص ۲۰۸

(۳) قصيدة ”غاصبوں کے ساتھ“ (مع الغصبة)، المرجع نفسه، ص ۲۰۹

(۴) ”یزید سے ہیں نیرو آزما فلسطينی“ قصيدة (ضال الفلسطين ضد يزيد)، المرجع نفسه، ص ۲۱۶

الفصل الثاني

الصور والمعاني المشتركة
بين شعر مقاومة الاستبداد
بالعربية والأردية

الفصل الثاني:

الصور والمعاني المشتركة بين شعر مقاومة الاستبداد بالعربية والأردية □

ضمنت مقاومة الاستبداد في الشعرين العربي والأردني صورا ومعاني عديدة مشتركة تنبئ عن الأحوال النفسية والفكرية والأمنية والعملية التي سادت خلال عصور الاستبداد في العالمين العربي والأردني في النصف الثاني من القرن العشرين، ويبدو للدارس توافق معنوي وتنابه صوري فيهما رغم اختلاف اللغتين ويرجع السبب إلى التماثل في الأزمة والمأساة. ضمنّت هذه الصور ملامح الخوف والظلم والقهر والجبر بكل شدتها فبات الشعراء يصفون هذه الأوضاع المخيفة مرارا.

• الشكوى من تكدر الأجواء

فمن المعاني التي اشترك فيها شعراء المقاومة هو شكواهم من تكدر أجواء المدينة والوطن حيث صعب على كل أبي حر التنفس فيها وعجز الفكر عن إنتاج عمل جميل فياذا كان فراز يشكو السموم الخائفة التي ملأت أجواء الوطن الرحبية إذ يقول:

یہ کیسی زہر بھری بارشیں ہوئی ہیں اب کے
کہ میرے سارے گلابوں کا رنگ نیلا ہے^(۱)

أي: "عجبا للأمطار التي نزلت هذه المرة، هي مليئة بالسم فبات لون كل ورودي أزرق".

كان جالب يعبر عن شكواه بأن الوطن عبارة عن سجن كبير وأصبحت طرقاتها مجازر دماء النفوس البريئة:

(۱) قصيدة بدن عنوان، ديوان "بے آوازگی کو چوں میں" (في طرقات صامتة)، ص ۱۰۶

گلی گلی میں بندی خانے
چوک چوک میں مقتل ہیں^(۱)

أي: "فتحت السجون في كل طريق، وصار كل المفترقات مجازر."

ولا تختلف الحالة النفسية للشاعر أحمد مطر وهو يعيش في وسط هذه الأوضاع، يقول:

قَطِّيعٌ نَحْنُ وَالْجَزَارُ رَاعِيْنَا
وَمَنْفِيَّوْنَ نَمْشِي فِي أَرْضَيْنَا^(۲)

ويخشى فراز من خلو المدينة المليئة بالجثث من أي فرد حي يثبت هوية من ألقيت جثثهم فيها فكانهم ماتوا دون أن يرثهم أحد، يقول:

سارا شہر ہے مردہ خانہ
کون اس بھید کو جانے گا
ہم سارے لادراٹ لاشیں
کون ہمیں پہچانے گا^(۳)

أي: "كأن هذه المدينة مآمن الموتى، فمن يعلم بهذا السر. نعيش وكأننا جثث لا ورثة لهم، جثث لا تحد من يميزها بعد موتها."

ويدو توافق كامل بين الزبيري الذي صور مشاكل مختلفة مثل الغلاء والجهل والفقر، بعدما انتشر الجهل والفقر في القرى والمدن وبعد ما صار النظام الإداري مشلولاً:

مَاذَا دَهَى قَحْطَان؟ فِي لَحْظَاتِهِمْ
بُـؤْسٌ، وَفِي كَلِمَاتِهِمْ آلامٌ؟
جَهْلٌ وَأَمْرَاضٌ وَظُلْمٌ فَادِحٌ
وَمَخَافَةٌ، وَجَاعَةٌ، وَإِمَامٌ؟^(۴)

(۱) قصيدة (المدينة الحربة) "شہر آشوب"، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات صامتة)، ص ۱۱۰

(۲) قصيدة "عزاء علی بطاقة تهنئة"، لافتات ۱، ص ۱۳۴

(۳) قصيدة (المدينة المتدمرة) "شہر آشوب"، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات صامتة)، ص ۱۱۲

(۴) قصيدة "صرخة إلى الناعمين"، دیوان صلاة في الحميم، ص ۳۰۲

وبين الشاعر الأردني حبيب جالب إذ يقول :

اس زمانے کی کیا لکھوں روداد
خوف، مہنگائی، جبر و استبداد^(١)

أى : "ليس لدي شيء من حكاية هذا العصر سوى الخوف والغلاء
والقسر والاستبداد".

ويشبههما الرفاعي إذ يرسم صورة مخزنة لمصر وقد سادها شظف العيش ويعم
أرجاءها الفقر وينتشر فيها الجهل ، يقول :

الْجَهْلُ يَضْرِبُ فِي الْقَرْىِ أَطْنَابَهُ
وَالْفَقْرُ فِي شَتَّى الْمَنَازِلِ يَقْبَعُ^(٢)

ويقترّب منه أحمد مطر فلا يعتبر الماشين على أرض الوطن من الأحياء لأنهم
يعيشون تحت طلال من الخوف دون أن يتمتعوا بالحرية بالدرجة التي تمتع بها الحيوانات لأنهم
فقدوا الكرامة :

في مقلب الإمامة
رأيت جنة لها ملامح الأعراب
تجمعت من حولها الثُور والذُباب
وفوقها علامة
تقول هذي جنة كانت تسمى سابقاً "كرامة"^(٣)

والشاعر الرفاعي إذ يشكو بؤس الأحوال وسقاء الأبناء المصريين بعد ما خابت آمال
المصريين في الطائفة التي أخذت مهام الحكم بعد الثورة يقول :

(١) قصيدة "داستان دل دو نیم" (قصة القلب الحزين)، ديوان جالب، ص ٢٢٥

(٢) قصيدة "مصر الحريجة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٥

(٣) قصيدة "حنة"، لافتات ١، ص ٧

الشعب مشدود الإِسَار مُكَمَّم
يَشْكُو القُيُودَ وَمَالَهُ مِنْ وَالٍ
ولقد ظَنَنَّا أَنَّنَا فِي عَهْدِهِمْ
سَنُزِيح عَنَّا مُرْهِق الأَثْقَال^(١)

• اكتاب الشاعر على أحوال الوطن

وقد يتاب الشعراء العرب وشعراء الأردنية الشعور بالاختناق في أجواء الوطن ويتجلى لهم وجه قبيح دون وجهه الجميل الذي يألّفونه ويتأبهم ذلك بعد ما يطول الليل وتشتد الظلمات وبعد ما يتحول الوطن الحبيب إلى مجزرة الأبرياء والشرفاء والأحرار، نرى الرفاعي الذي عنوان قصيدة من قصائده بـ "مصر الجريحة"، يقول:

لا مِصْرُ دَارِي وَلَا هَذَا الرُّبَى بِلَدِي
إِنِّي مِنَ الْحَقِّ فِيهَا قَدْ نَفَضْتُ يَدِي^(٢)

ويشبهه أحمد مطر وقد انتابه شعور الاكتاب بالوضع القاسي الذي يعيشه هو والآخرون على أرض الوطن، فلم يعد يألّف الديار بعد هذا الدمار، يقول:

إن لم يكن بنا كريماً آمناً
ولم يكن محترماً
ولم يكن حراً
فلا عشنا
وَلَا عَاشَ الْوَطَنُ^(٣)

ويدي فراز اكتابته من تكدر العيش في مدينته الحبيبة والتي صارت مقبرة بلجت دون وريثة.

(١) قصيدة "بين احتلالين"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٣

(٢) قصيدة "حمال رئيس الجمهورية"، المرجع نفسه، ص ٤١٦

(٣) قصيدة "يقط الوطن"، لافتات ٣، ص ١١٥

سارا شہر ہے مردہ خانہ
کون اس بھید کو جانے گا^(۱)

أي: ”كان هذه المدينة مآمن الموتى، فمن يعلم بهذا السر. نعيش
وكأننا جثث لا وريثة لهم، جثث لا نجد من يميزها بعد موتها“.

ويشبههما فيض وهو شاك من الواقع المرير ويعيش بضيق:

جسم پر قید ہے، جذبات پہ زنجیریں ہیں
فکر محبوس ہے، جذبات پہ تعزیریں ہیں^(۲)

أي: ”الجسد مقيد بالقيود والأفكار مقيدة بسلاسل وقد حبس الفكر
والشاعر“.

ويستقل أحمد المطر العيش في الوطن ويعتبر الموت أهون منه، يقول:

الإعدامُ أخفُّ عقاب

يَتَلَقَّاهُ الْفَرْدُ الْعَرَبِي

أَهْناكَ أَقْسَى مِنْ هَذَا؟

طبعاً

فَالْأَقْسَى مِنْ هَذَا

أَنْ يَحْيَا فِي الْوَطْنِ الْعَرَبِيِّ^(۳)

والمواطن العربي يفضل الموت على الحياة لأن الأرض تسودها الذناب:

إِنْ كَانَ سَاءَ لَكَ أَنَّ أَرْضَكَ قَدْ غَدَتْ

مَرَعَى بِهِ ذُنُوبُ الْعَوَائِلَةِ يَرْتَع^(۴)

(۱) قصيدة (شہر آشوب) ”المدينة المتدمرة“، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات صامتة)، ص ۱۱۲

(۲) قصيدة ”چند روز اور مری جان“ (مہلا لایام یا روحی)، ديوان ”نقش فریادی“ (نقوش مستعیت)، ص ۵۱

(۳) قصيدة ”أقسى من الإعدام“، ديوان لافتات ۶، ص ۱۳۹

(۴) قصيدة ”مصر الحریجة“، ديوان الرفاعي، ص ۱۳۴

• وصف الوطن بكلمات تتم على الاكثاب

قد يبلغ اكتساب الشعراء منتهاء بعد ما تشتد بطشة المستبدين بالمعارضين والأحرار
فيستوحشون أجواء البلاد ويتجلى الوطن الحبيب بصورة مختلفة غير مألوبة وغير محبوبة مثل
سجن مظلم، أو قطعة جحيم أو مدينة يباب أو مجزرة مفتوحة أو نهر من الدم، فبعد ما
ضاقّت أرض مصر الرحبة على كل ذي شرف قال الرفاعي:

أَفِي مِصْرَ نَحْيَا الْيَوْمَ أَمْ فِي جَهَنَّمَ
فَقَدْ نَضْرَجَتْ مِنَّا الْفِدَاةَ جُلُوداً^(۱)

وخابت آمال الشاعر حبيب جالب كذلك إذ كان يتصور أن يعيش في موطنه بستان
الحب والأمن لكن صار مقتلاً يفوح برائحة دماء الأبرياء، يقول:

وطن تھا ذہن میں زنداں نہیں تھا
چمن خوابوں کا یوں ویراں نہیں تھا
بہاروں نے دیے وہ داغ ہم کو
نظر آتا ہے مقتل باغ ہم کو^(۲)

أى: ”رسمنا في أحلامنا صورة لوطن وليس لسجن، ولم يكن بستان أمانينا
خرباً كما نراه الآن، قد غدر بنا الربيع، وصار البستان مجزرة إنسانية“.

بينما يرى أحمد فرار أن المدينة خلّت من سكانها فلم تعد التريعة الإلهية النازلة من
السما نافعة لها، لأنه لم يبق أحد يتلقى أحكامها، يقول:

اے خدا تری مخلوق

جبر کے اندھیروں میں

دفن ہو چکی کب کی

(۱) قصيدة ”في الربيع“، ديوان الرفاعي، ص ۴۰۱

(۲) قصيدة (۱۱۳ اگست) (۱۴ أغسطس)، ديوان جالب، ص ۱۹۴

تیرے آسمانوں سے

نامزد فرشتوں کی

اب سفارتیں کیسی^(۱)

أي: ”رب، لقد الخلق منذ قرون في مدفنهم في ظلمات القصر،

فلم تُرسل من السماء ملائكتك المبعوثين؟

وتئن المدينة بأناتها وآهاتها وحتى الأنات بدأت تتألم فتصدر منها أنات أخرى، يقول فراز:

ہے	وجود	بستی	میں
اب	لوگ	نہیں	رہتے
سکیاں	سکتی		ہیں
سائے	سر سراتے		ہیں ^(۲)

أي: ”لم يعد الناس يسكنون القرية التي فقدت وجودها، بل تئن

فيها أنات وتهمس الظلال فما فائدة البشريات بالشمس والنجوم“.

فالوطن عبارة عن بحر الدماء أو مشنقة الحلاج أو كأس سقراط، يقول فراز:

اپنا شہر کہ حد نظر جیسے لہو کی نہر
یا منصور و مسیح کی سولی یا سقراط کا زہر^(۳)

أي: ”مدینتی عبارة عن نهر الدماء أو مشنقة المنصور والمسيح أو

سم سقراط“

ويشبهه الرفاعي إذ يقول:

مَاعُدَتْ يَا أَرْضَ الْكِنَانَةِ مَوْطِنًا
لِلْخُرِّ بَلْ قَدْ صُرْتَ دَارَ نَكَالٍ^(۴)

(۱) قصیدہ ”ناموجود“ (المعدوم)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (فی طرفات صامتہ)، ص ۱۰

(۲) المرجع بسہ

(۳) قصیدہ ”فیض کے فراق میں“ (فی فراق فیض)، المرجع بسہ، ص ۲۶

(۴) قصیدہ ”بیں احتلالین“، دیوان الرفاعي، ص ۳۹۲

وتارة يصفه فراز بسجن يحيط به سور تلو سور:

آج دیوار کھنچ گئی ہے اگر
شہر کل بھی تھا صورت زنداں^(۱)

أي: ”حال جدار دوني، فلا بأس، فلم تكن المدينة في الحقيقة إلا سجنًا كبيرًا“.

• التعبير عن مرارة العيش في عصر الاستبداد

وصف الشعراء الأحرار عصور الاستبداد وصفا دقيقا وسجلوا المشاكل التي حلت فيها بالبلاد بدقة بالغة فقد تضاعفت معاناة الجمهور، بعد ما سلبت حريتهم وحرموا الحقوق الإنسانية الأساسية وعاشوا على أراضيتهم حياة أنحس من حياة البهائم وواجهوا مشاكل مختلفة مثل الغلاء والجهل والفقر، وكان من البدهي أن يتشر الجهل والفقر في القرى والمدن بعد ما صار النظام الإداري مشلولاً وأصبح النظام القضائي لعبة بيد المستبد، بصور الزبيري ذلك الزمن قائلا:

مَاذَا دَهَى قَطَطَان؟ فِي لِحْظَاتِهِمْ
بُـسْ، وَفِي كَلِمَاتِهِمْ آلامُ؟
جَهْلٌ وَأَمْرَاضٌ وَظُلْمٌ فَادِحٌ
وَمَخَافَةٌ، وَبِجَاعَةٌ، وَإِمَامٌ؟^(۲)

ويقرب منه حبيب حالب إذ يقول:

اس زمانے کی کیا لکھوں روداد
خوف، مہنگائی، جبر و استبداد^(۳)

^(۱) قصيدة ”پاس کیا تھ“ (مادا کنا علك؟)، دیوان ”بے آواز گلی کو چوں میں“ (في طرقات صامتة)، ص ۴۰

^(۲) قصيدة ”صرخة إلى النائمین“، دیوان صلاة في الحميم، ص ۳۰۲

^(۳) قصيدة ”داستان دل روئیم“ (قصه القلب الحزین)، دیوان حالب، ص ۲۲۵

أى: "ليس لدي شيء من حكاية هذا العصر سوى الخوف والغلاء والقسر والاستبداد".

فجاء الخوف السائد الذي يشكو منه يتجلى بكل شدته في قصائد أحمد مطر كذلك فلا يكاد يتحرر منه في يقظته ولا في غفوته ويرصده في عمله ولا يفارقه في لحظة من لحظاته فهو متواصل الصحبة معه لا يفارقه:

يتبعني في الدرب
ففي بلاد العرب
كلّ خيال بدعة
و كل فكر جنحة
و كل صوت ذنب^(۱)

ويشبهما الرفاعي المصري في شكواه من الجهل الذي ساد قرى مصر والفقر المنتشر في ديارها، يقول:

الْجَهْلُ يَضْرِبُ فِي الْقَرْىِ أَطْنَابَهُ
وَالْفَقْرُ فِي تَلَيِّ الْمَنَازِلِ يَقْبَعُ^(۲)

ولعل هذا الجو المخيف بعث أحمد فراز على أن يوجه خطابا شاكيا إلى خالق الكون يسأله عن الحكمة الخفية في إرسال الرسائل السماوية بعد ما خلا طهر الأرض من حلقه بسبب الخوف والظلم، يقول:

اے خدا ترن مخلوق
جبر کے اندھیروں میں
دفن ہو چکی کب کی
تیرے آسمانوں سے

(۱) قصيدة "الهارب"، لافتات ۲، ص ۵۴

(۲) قصيدة "مصر الحريجة"، ديوان الرفاعي، ص ۱۳۵

نامزد فرشتوں کی

اب سفارتیں کیسی^(۱)

أَي: ”رب، رقد الخلق منذ قرون في مدفنهم في ظلمات القصر،
فلم تُرسل من السماء ملائكتك المبعوثين؟“

• مفهوم الشعر لدى الشعراء الأحرار

ومما تشابه فيه الشعراء معنویاً هو فکرمهم عن فريضة الشعر ووظيفة شعرهم في عصر الاستبداد، فيرى جميعهم أنه لم يعد الشعر بالمضامين الشعرية التقليدية (كالحب الغزلي والمدح السلطاني والهجاء الشخصي) يصلح لينطبق عليه مصطلح الشعر بروحه، لأن مآسي الإنسان وآلامه تقتضي من الشاعر العدول عن هذه الأغراض وإخضاع فنه لخدمة وتحقيق مبادئ العدل والمساواة والأمن في معركته ضد الظلم والاستبداد، ولو فشل في أداء هذه الفريضة لفقد قيمته، يقول أحمد مطر:

كَفَرْتُ بِالشَّعْرِ الَّذِي

لَا يُوقِفُ الظُّلْمَ وَلَا يُحَرِّكُ الضَّمَائِرَ

لَعَنْتُ كُلَّ كَلِمَةٍ

لَمْ تَنْطَلِقْ مِنْ بَعْدِهَا مَسِيرَهُ

وَلَمْ يَخْطُ الشَّعْبُ فِي آثَارِهَا مَصِيرَهُ^(۲)

والشاعر فيص الذي بدأ شعره رومانسي المنزع وفي موضوعات تقليدية سرعان ما تحول إلى فيص الناثر بعد ما ضحى بهوموه الشخصية للمآسي الاجتماعية، يقول:

اور بھی غم ہیں زمانے میں محبت کے سوا

راہیں اور بھی ہیں وصل کی راحت کے سوا^(۳)

^(۱) قصيدة (ناموجود) ”المعدوم“، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات صامتة)، ص ۱۰

^(۲) قصيدة ”التكفير والتوبة“، لافتات ۲

^(۳) قصيدة ”مجھ سے پہلے ہی محبت میرے محبوب نہ مانگ“ (لا تسألني الحب الأول)، ديوان (نقش فریادی)، ص ۴۱

أي: "في الزمن هموم كثيرة غير هم الحب، وفيه راحات كثيرة غير راحة الوصل".

وقد سبق الحديث بالتفصيل عن قصيدة "الترحيب" لأحمد فراز وهي بمثابة محاكمة الشاعر المنغمس في هفواته وشهواته بعيدا عن العالم البشري المنكوب وكان يعيش في الحداثق والبساتين يتغزل بحبيته معجبا بجمالها وأناقتها أو يقف على عتبة قصور الملوك الطفاة بمدحهم بمدائح مزيفة بينما يعيش حوله الآف جوعا وقهرا. غير أنه صحا من نوم الغفلة أو غفلة النوم وأصبح فنه ملكا لشعبه وتعبيرا عن آلامه، فتوافق أحمد مطر وأحمد فراز جلي واضح في هذه الفكرة، يقول فراز:

دربار کی تفریح کا سماں تھا مرا فن
ہاتھوں میں مرے ظرف گدا، لب پہ غزل تھی
شاہوں کی ہوا خواہی مرا ذوق سخن تھا
ایوانوں کی توصیف و ثنا اوج عمل تھی^(۱)

أي: "كان فني أداة تسلية وطرب للقصور وساكنيه وكنت أحمل بيدي كأس التسول وشفتاي تترنمان بأنواع الغزل. وكان مدح الملوك والأمراء سلبقتي وكان الشاء على القصور معراج فني ومنتهاه".

وتراجع الشاعر عن خدمة الملوك بتجلى في شعر الرفاعي كذلك، إذ يقول:

إِنِّي حَطَمْتُ قُبُورِي
إِنِّي مَلَلْتُ رُكُوعِي
تِلْكَ الْعُهُودُ تَوَلَّيْتُ
وَمَالَهُمَا مِنْ رُجُوعٍ؟^(۲)

(۱) قصيدة (شاعر) "شاعر". ديوان "تنهايتا" (وحيدا مفردا)، ص ۱۱

(۲) قصيدة "صيحة البعث". ديوان الرفاعي، ص ۱۵۰

والأبيات السابقة بمثابة اعتراف الشاعر علنا عما سلف من إخوانه، فقد ظل الشعر محصورا في القصور والقلاع وكان يخضع لخدمة ذوي العرش والسيادة.

• اعتزاز الشاعر بفنّه وبصدقّه

من المعاني المشتركة والمتكررة بكثرة في شعر المقاومة أن الشعراء أدركوا أتم الإدراك بأن ما يميزهم من بقية صنفهم هو موقفهم المحق العادل المقسط ولهجتهم الصارخة الجريئة المخلصة فلو أصابهم شيء من الفتور في أداء فريضتهم أو غلبتهم نزعة طمع لفقدوا هويتهم ودفنوا في كتب الأدب دون أن يذكر لهم أثر، فينفون أي إمكانية للتنازل عن لهجتهم الصريحة مهما كان ثمنها، فإذا كان صدق مقالته مبعث الافتخار لأحمد فراز الذي قال:

دیکھو تو بیاض شعر مری
اک حرف بھی سرنگوں نہیں ہے^(۱)

أي: "انظر، يخلو ديوان شعري من أي كلمة منهزمة. سواء علي أبت في بيتي أم عشت في سجن، أيا كان الأمر أرتل أناشيدك يا وطني".

فصدق الشعر بمثابة حياة الشعر وأن يشوبه زيغ فكري بمثابة قتله، يقول الرفاعي:
فَقُلْتُ: فِكْرِي، إْحْسَاسِي.. أَأَقْتُلُهُ؟
هَذَا الَّذِي لَمْ يَدْرِيَا قَوْمٍ فِي خُلْدِي^(۲)

ومثله الشاعر الأردني جالب الذي يدرك أن الحب الشعبي الذي يلتقاه ليس إلا سبب تروته الفكرية ولهجته الثورية:

ہر پھول کے لب پر نام مرا چرچا ہے چمن میں عام مرا
شہرت کی یہ دولت کیا کم ہے گر پاس نہیں مال تو کیا^(۳)

(۱) قصيدة "اے شہر میں تیرا نغمہ گریوں" (اناشیدک اُغنی یا وطنی)، دیوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (بی طرفات

صامتہ)، ص ۴۴

(۲) قصيدة "جمال رئیس الجمهوریة"، دیوان الرفاعي، ص ۱۷

(۳) قصيدة بدون عنوان، دیوان جالب، ص ۴۴

أی: ”أغشاني عن كل شيء أنني أجد كل زهرة في بستان الوطن
تهتف باسمي، أنى المال أمام هذه الثروة العظيمة؟“

وَأغلى ما يملكه الشاعر في رأي الشاعر فراز - هو حرمة القلم وهو الذي يدافع
عنها رافضا كل العروض بشكل المناصب والأموال والصلوات:

ہمیں نہ حرص حشم، نہ مال و مثال کی آرزو رہی ہے
نہ ہم کو طبل و علم نہ جاہ و جلال کی جستجو رہی ہے
بس اک قلم ہے کہ جس کی ناموس
ہم فقیروں کا کل اثاثہ ہے آبرو ہے

أي: ”لسنا ممن يطمع في المناصب والأموال ويحرص حرصه ليتلقى علما
وطبلا وحشما. بل نحن فقراء لا يملكون من الأثاث والمتاع غير حرمة أقلامهم“.

الصدق هو المتاع الحقيقي الذي يكسب الشعر الحر خلودا وبقاء عديمي النظر، ولولا الصدق
لفقد الشاعر احترامه وفقد شعره قيمته، والشاعر يجدد وفاء بصدق رسالته وحرمة قلمه:

بس ایک سچ ہے
کہ جس کی حرمت کی آگہی سے
مرے بدن میں ترے بدن میں
مرے قلم میں ترے قلم میں
وہی ہو ہے
کہ جس سے عرفان کی نمو ہے
کہ جس سے انسان کی آبرو ہے^(۱)

أي: ”وبفضل معرفة حرمة الصدق يجري في جسمي وجسمك
وقلمي وقلمك ذلك الدم الذي ينمي المعرفة ويهب الإنسان شرفا وكرامة“.

(۱) فصيدة ”ندیم چہرہ، ندیم آنکھیں“ (وہ ہنوش عیون حیا)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (فی طرقات

وجرأة الشعراء - وأحمد مطر واحد منهم - منبعها صدق المقال، ولذلك لا يرى نفسه فردا عاديا، بل إنه واحد من انضم إلى القافلة الحسينية في ميدان كربلاء، يقول:

لست أهتم
بمن كان معي أو كان ضدي
لست أهتم بمن أترك بعدى
لست أهتم بمن يبكي دموعا
أو بمن يبكي دماء
ليس عندي غيرهم واحد
أن أسبق الموت إلى العيش
فأغدو من ضحايا كربلاء^(۱)

والشاعر يملك سلاحه بشكل القلم وهو أداة صدق ومنارة نور ومنبع الحق وهو الذي يضمن للشاعر وشعره بقاء وخلودا:

قلم سے عہد وفا کیا ہے
قلم تو پھر سچ بولتا ہے
اٹھاؤ آنکھیں کہ سچ امر ہے
قلم کا وجدان معتبر ہے^(۲)

أي: "عقدنا عهد الوفاء بأقلامنا، لأن القلم لا يعبر إلا عن الصدق، ارفعو عيونكم، فالصدق يخلد. ووجدان القلم معتبر"

ولا شك في أن الصدق الفني هو أبرز سمة اتسم بها شعر مقاومة الاستبداد وبها تميز أصحابها عن بقية الشعراء. فعاشوا معترزين بكرامة قلمهم مفتحريين سمو رسالتهم ومؤمنين بصدق موقفهم وهو الذي جعل شعرهم يردد إلى يومنا هذا يقول جالب:

(۱) قصيدة "الاحتيار"، ديوان لافتات ۳، ص ۱۰۳

(۲) قصيدة "نديم چہرہ ندیم آنکھیں" (وجہ ہنوس عیوں حیہ)، دیوان "بے آواز گلی کو چوں میں" (فی طرقات

پل دو پل کے عیش کی خاطر کیا دینا کیا جھکنا
آخر سب کو ہے مرجانا بچ ہی لکھتے جانا^(۱)

ای: ”لا ینفع الخنوع والركوع من أجل حياة لحظات ستفنى سريعا،
فقد قدر الموت للجميع، لا تكف أبدا عن الجهر بالصدق والحق“.

• رفض الشعراء المصالحة والمساومة

من المعاني المتكررة عند شعراء المقاومة الإباء والثبت والصمود على الموقف دون
تزعزع بتخويف أو تهديد ورفض عروض مالية ومادية، فكانهم هان عليهم تجرع كأس
الموت من لقمة يجدها ثمنا لفكره وقيمة لغنه.

ما أشد لهجة الشاعر الزبيري وهو يرفض هذا العيش الدنيء القبيح فليس هناك
إمكانية مصالحة أو مساومة مع المستبد، يقول الزبيري:

أُمُوت خَمِيصاً! وَلَا أَقْبَلِ الْفَتَا
تَوَمِّنِ الْقَاتِلَ الْمُخْشِرَ
أَطْعَمُ مَنْ قَاتِلَ أُمِّي
أَرَى الدَّمَ فِي كَفِّهِ الْمُتْنِ؟^(۲)

ويستبھه أحمد فراز وهو يرفض أن يسخر قلمهم لتمجيد الحكام وتقديسهم، ويبين مسئوليته
التي يحارب الطغيان من أجلها، فيأبى كل الإباء أن يسخر قلمه لتعظيم الطغاة العصاة، فلا قصائد
تعظم شخصيته القبيحة ولا أبياته تلبسه رداء الجلال والقدسية، يقول فراز:

مرا قلم نہیں کاسہ کسی سبک سر کا
جو غاصبوں کو قصیدوں سے سرفراز کرے
مرا قلم نہیں اوزار اس نقب زن کا
جو اپنے گھر ہی کی چھت میں شگاف ڈالتا ہے^(۳)

(۱) قصیدہ ”بچ لکھتے جانا“ (بحج أن تواصل رفع الحق)، دیوان حال، ص ۲۷۴

(۲) قصیدہ نہایتہ التحریۃ، دیوان توردۃ الشعر، ص ۹۸

(۳) قصیدہ ”محاصرو“ (الحصار)، دیوان (بے آواز گلی کوچوں میں) ”فی طرقات صامتة“، ص ۱۱۳

أي: "وليس قلمي أداة مدح لمن يجبل الطفأة بقصائده ويقدهم.
وليس قلمي بأداة لذلك السارق الذي لا يثقب إلا في سقف بيته".

ويشبههما الرفاعي وهو يرفض في قصيدة "رسالة في ليلة التنفيذ" أن يقع في فريسة
الحاكم المستبد الذي يزينها باسم المفاوضات والتصالح والتفاهم، يقول هاشم الرفاعي:

كُلُّ الَّذِي أَذْرِيهِ أَنْ تُجْرِعِي
كَأْسَ الْمَذَلَّةِ لَيْسَ فِي إِمْكَانِي^(١)

فجنوح الشاعر الحر لنذل الاستبداد مخافة عقوبات وعراقيل بمثابة قتل فكره وشعوره
وهو أمر يستحيل أن يحدث برضى الشاعر، يرفضه أشد رفض إذ يقول:

فَقُلْتُ: فَكِرِي، إِخْسَاسِي... أَأَقْتُلِبُهُ؟
هَذَا الَّذِي لَمْ يَدْرِيَا قَوْمَ فِي خُلْدِي^(٢)

ومثله حبيب جالب الذي كان على وعي تام من المصالح المادية التي نالها شعراء
البلاط مقابل كبت صوتهم الحر، فرفض أن يسخر منه من أجلها، وحتى منع زوجته أن
تقبل أي مساعدة مالية حكومية بعد موته، قال جالب:

رہنے کو گھر بھی مل جاتا، چاک جگر بھی سل جاتا
جالب تم بھی شعر سناتے جا کے اگر درباروں میں^(٣)

أي: "إنني لا متلكتُ بينا ولخبط جيبي المتمزق لو كنتُ من وادي
القصور لإسماع الأبيات"

وجاءت ثورتهم صارخة صريحة بعلن دون خوف:

(١) قصيدة "رسالة في ليلة التنفيذ"، ديوان الرفاعي، ص ٣٦٠

(٢) قصيدة "حamal رئيس الجمهورية"، المرحع نفسه، ص ٤١٧

(٣) قصيدة بدون عنوان، ديوان جالب، ص ٤٣.

وَنَأْبَى الْحِيَاةَ، إِذَا دُتُّسَتْ
بِعَسْفِ الطُّغَاةِ وَإِرْهَابِهَا^(۱)

فیأبى الشعراء الأحرار جميعاً وبلجهة متشابهة أن يسخروا أقلامهم لتعظیم الطفلة العصابة، فلا قصائدہم تعظم شخصية المستبد القبيحة ولا أبياتہم تلبسہ رداء الجلال والقدسية، فالشعراء على ثقة تامة من صدق فكرهم الذي اختاروه والمسلك الذي سلكوه، وكل منهم يرى قيمة أدبه وشعره في هذه المهمة التي يؤديها لشعبه ووطنه، وكرامة كلمته وهويته مرهونة بصدق شعره، فلا يمكن أن يغير فيه أدنى تغيير، يقول جالب:

بہت مشکل مری پہچان ہوگی
بدل ڈالوں اگر میں اپنا لہجہ^(۲)
آی: "لصعبت معرفتي لو غيرت لهجتي".

وهو على علم بأن النغمة الاحتجاجية التي يتغنون بها تعبر عن دخائل نفوس الجمهور الخائف وهم يستمعون إليه باشتياق، يقول فيض:

ہم نے جو طرزِ نغماں کی ہے نفس میں ایجاد
فیض گلشن میں وہی طرزِ بیاں ٹھہری ہے^(۳)

آی: "أسلوب الاستغاثة الذي أبدعناه نحن في هذا القفص راح لغة التعبير في السنان كله"

• استعداد الشعراء للتضحية من أجل الكلمة

أكبر ما يدفع النفس إلى الاطمئنان من صدق المقال في شعر مقاومة الاستبداد هو أن الشعراء لم يدعوا لتقديم كل التضحية من أجل المقاومة فحسب بل كانوا ممن يتقدم ليستقل

(۱) قصيدة نهاية الحرية، ديوان ثورة الشعر، ص ۹۸

(۲) قصيدة "گوشتے میں نفس کے"، (في حباب من المعتقل)، ديوان جالب، ص ۲۲۷

(۳) قصيدة مدون عواص، ديوان "دست صبا" (يد الصبا)، ص ۵۶

الرصاص على صدره، فما أحد من هؤلاء الشعراء إلا وقد واجه مشاكل مختلفة مر الحديث عنها أثناء الحديث عن كل منهم منفردا فلا يكتمل الحديث عن أي واحد من هؤلاء بدون التعذيب الذي تلقاه في السجون أو الأحوال القاسية التي مر بها أثناء منفاه أو كيف طرد من وطنه ثمنا لأبيات أثار نار سخط المستبدین وغيرها من التضحيات العظيمة التي سجلها التاريخ. وها هو الشاعر محمود الزبیری يهتف بجرأة ويعلن بشجاعة بأن السجون والسيوف باتت وسائل غير نافعة في إخضاع رقبته، يقول في قصيدة "خطبة الموت":

لا سُيُوفٌ تُـذِلُّنَا، لا سـُـجُونُ
تُصْنَعُ الرُّقُوفُ فِي دِمَانَا الْأَيُّهُ^(۱)

ويبدو على أهبة تامة لأي نوع من التضحية غير مبال بخطورة الطريق في سيره المتواصل نحو الهدف المنشود:

سَامِضِي عَنِيْدَا فَلَا أَتُـنِي
وَأَحْيَا كَرْنِمَا فَلَا أَتُحْيِي
وَأَرْفَعُ نَحْوَ السَّمَاءِ جَبْهَتِي
كَمَا ارْتَفَعَتْ جَبْهَةُ الْمُؤْمِنِ^(۲)

فلامبالاة الشعراء بوعورة الطريق التي اختاروها لهم جلية واضحة، فكل منهم غير مقتنع بأن يعتد بالمتاعب التي يتحملها والعقوبات التي يواجهها والخسائر التي يتلقى بها، فالعقوبات في سبيل الحرية بمثابة ألعاب، لا يبالي بها شعراء مقاومة الاستبداد، ونفس المعاني نجدها لدى شعراء الأردية، يقول حبيب جالب:

میں بھی خائف نہیں تھتہ دار سے
میں بھی منصور ہوں کبر دو اغیار سے
کیوں ڈرتے ہو زنداں کی دیوار سے
ظلم کی بات کو، جہل کی رات کو
میں نہیں مانتا، میں نہیں مانتا^(۳)

(۱) قصيدة "خطبة الموت". ديوان ثورة الشعر، ص ۱۴۸

(۲) قصيدة كفر وإيمان، المرجع نفسه، ص ۱۰۵

(۳) من قصيدة "دستور" (دستور). ديوان جالب، ص ۱۲۹

آی: ”أبلغوا أعدائي أنني حلاج العصر، لا أخاف شنقا ولا صلبا،
ولا تخوفوني غياهب السجن، فإنني لن أقبل كلمة جائرة ولبلة مظلمة، ولا
ولن أقبل دستوراً مثل صبح حرم نورا“.

وكان الشعراء وأنصارهم في مقاومة الاستبداد كجسد واحد، إذا اشتكى أحدهم
تداعى له الآخرون ليعززوا عزيمته، فالشاعر الزبيري بواسي من ذرفت عيناه من شدة ما
يلاقيه من مصائب وأهوال، يقول الزبيري مخاطباً أحد رفاقه:

قَدْ تَصَدَّيْتُ لِلْجَهَادِ فَلَا تَأْبَهُ
لَنْبَلٍ يَأْتِيكَ فِي الْهَيْجَاءِ
وَنَعْرَضْتُ لِلزُّمَانِ، فَلَا تَجْزَعُ
لِإِحْدَى أَيَّامِهِ السَّوْدَاءِ
وَتَبَسُّمٍ إِلَى الْخُطُوبِ فَكَمْ فِي الْخُطْبِ
مِنْ سُؤْدَدٍ وَمِنْ عَلِيَاءِ^(۱)

فالنضال - كما يقول فيض - من أجل الحرية وسام على صدر الشرفاء:

حریت آدم کی رہ سخت کے رہ گیر
خاطر میں نہیں لاتے خیال دم تعزیر^(۲)
آی: ”لا يبالى السالكون على سبل حرية بني آدم بخوف العقوبات“.

فهموم الوطن عند شعراء المقاومة قبل همومهم الشخصية، فإذا تخلص الوطن من
همومه استراحت نفوسهم وتناسوا همومهم:

دل کی کچھ پروا نہیں، زخم جگر کا غم نہیں
غم اگر ہے تو وطن کا، ہم کو گھر کا غم نہیں^(۳)

(۱) فصيدة طليعة الشهداء، ديوان صلاة في الحميم، ص ۳۲۱

(۲) فصيدة ”مدح“ (المدح)، ديوان ”شام شيرازا“ (أمنية مدينة الرفاق)، ص ۹۱

(۳) فصيدة ”گوشتے میں قفس کے“ (في رايوة من المعتقل)، ديوان جالب، ص ۲۲۷

أي: "لا أبالي بما أصابت قلبي من جروح وآلام. وما اكتشائي من
أجل بيتي وإنما من أجل أرض الوطن".

وتحمل الآلام من أجل الجهر بكلمة الحق فريضة يجب أداؤها على كل شاعر كما يقول
حيب جالب:

ہر فرض تجھی پر کہ ہر اک عہد میں جالب
آلام اٹھائے جا، اپنی زبان نہ کر بند^(۱)

أي: "عليك يا جالب التجلد على الآلام دون أن تكف لسانك عن
رفع الحق".

• رفض شديد و إباء علني

وإباء الشعراء الشديد ورفضهم العلني من أهم المعاني المشتركة في شعر مقاومة
الاستبداد، فالشاعر حين يرفض أي أنواع من المساومة والمصالحة مع القوة المستبدة يبدو هو
على أهبة تامة لتقديم أي تضحية من أجل الحفاظ على كرامة الكلمة فإنه لم يعد هو وفنه
سلعة يشتريها المستبد بأثمان رخيصة وعروض مادية، يقول الزبيدي وهو يرفض جنوه على
ركبته خاشعا للطاغية المستبد:

وَأَكْبَرْتُ نَفْسِي عَنْ أَنْ أَكُونَ
عَبْدًا لَطَاغِيَةٍ تَوَجُّوهُ
وَعَنْ أَنْ يَرَانِي شُعْبِي الْفَزِي
يُعَذِّبُ عَوْنًا لِمَنْ عَذَّبُوهُ
أَأَجُوعُ عَلَى رُكْبِي خَاشِعًا
لِجَنَّةٍ طَاغِيَةٍ حَطَّوْهُ^(۲)

(۱) قصيدة مدون عنوان، ديوان حالي، ص ٢٧٦

(۲) قصيدة كفر وإيمان، ديوان ثورة الشعر، ص ١٠٣ و ١٠٤

فهو يؤمن بأنه في حرب مستمرة ضد الطاغية المستبد وعليه أن يخوض هذه المعركة بكل جراءة وبدون أن ينخدع بظاهر الأمور:

أَحَارِبُ الظُّلْمَ مَهْمَا كَانَ طَائِعُهُ
الْبَرَّاقُ أَوْ كَيْفَمَا كَانَتْ أَسَامِيهِ^(١)

ويقترّب منه حبيب جالب الذي يرى المستبد لا يهتم إلا المصالح الشخصية المادية بينما يرى نفسه يضحي من أجل كرامة الإنسانية، يقول:

ميرے	ہاتھ	میں	قلم
میرے	ذہن	میں	اجالا
مجھے	کیا	دبا	سکے گا
ظلمتوں	کا	پالا ^(٢)	

أي: "بيدي قلم، وفي فكري نور. لا يقهرني من ريته الظلمات".

وكذلك لهجة الرفاعي قاسية، فالإباء بحكم الفطرة التي ولد عليها الشاعر، يقول:

أَهْوَى الْحَيَاةَ كَرِيماً لَا قِيدَ لَهُ لَا
إِرْهَابَ لَا اسْتِخْفَافَ بِالْإِنْسَانِ
فَإِذَا سَقَطْتُ سَقَطْتُ أَحْمِلْ عِزِّي
يَغْلِي دُمُ الْأَحْرَارِ فِي شَرِّيَانِي^(٣)

يأبى أن يحرم أحد شعبه حق العيش ويجبره على أن يعيش دون إرادته وحرية يساق أينما يشاء، يقول:

يَا فِتْيَةَ النَّبْلِ الْمُجْتَدِئُتَا
نَأْبَى وَكَرْفُضُ أَنْ نُسَاقَ قَطِيعَا^(٤)

(١) قصيدة إلى وطني - ديوان ثورة الشعر، ص ٢٣٢

(٢) قصيدة "يه وزيران كرام" (هؤلاء الوزراء الكرام)، ديوان حال، ص ١١٢

(٣) قصيدة "رسالة في ليلة التمدد"، ديوان الرفاعي، ص ٣٦٠

(٤) قصيدة "عقيدة"، المرجع نفسه، ص ١٣١

والرفاعي أشد الشعراء العرب رفضاً للخنوع للمستبد:

أَظَلُّ أَمْضِي فِي الْحَيَاةِ بِلَا لِسَانٍ أَوْ فَمٍ
أَبْكِي عَلَى حُرَّتِي بِالدَّمْعِ يَقْطُرُ وَالِدَمِ
وَأَعِيشُ عَيْشَ الدُّلِّ عَيْشَ الْعَبْدِ عَيْشَ الْأَبْكَمِ
أَلْقَى الْهَوَانَ وَأَخْضَى لِلْعُسْتَبْدِ الْمُجْرِمِ^(۱)

• تفاؤل الشعراء

من دأب الشعراء أنهم متمسكون بخيط الأمل أشد التمسك لا يكاد يفلت منهم دقيقة أو ثانية، وهم متفاءلون بأفول نجم الاستبداد الغاشم وطلوع صبح يسام ينفس عن كرب المظلومين ويفرج عن آلام المنكوبين وهم رغم اشتداد الأحوال متفائلون بقرب انتصارهم، يقول فيض:

ہم پہ جو گزری سو گزری مگر شب ہجراں
ہمارے اٹک تری عاقبت سنوار چلے!^(۲)

”أي: مربنا ما مر، إلا أن دموعنا التي تسيل في ليلة الهجر ستحسن عاقبتك“.

فلا مجال لليأس أو القنوط باشتداد الأوضاع وتقادي الخسائر المادية والجسدية، فالقاومة تتطلب تضحية والتضحية تضمن نجاح المقاومة وتمنحها صلابة وقوة، يقول فراز:

کہ رات جب کسی خورشید کو شہید کرے
تو صبح اک نیا سورج تراش لاتی ہے^(۳)

أي: ”كلما يقتل الليل شمسا يلد الصبح شمسا جديدة“

(۱) قصيدة ”رفرة“ ديوان الرفاعي، ص ۴۰۲

(۲) قصيدة بدون عنوان، ديوان ”زندانی نامہ“ (ديوان السحر)، ص ۸۳

(۳) قصيدة ”محاصرة“ (الحصار)، ديوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“، (في طرقات صامتة)، ص ۱۱۳

ویقترب منه الرفاعي إذ يقول:

لكنما الظلماء يتلوها ضحى
والليل يعقبه ضياء ساطع^(۱)

ورغم الظروف القاسية ظل الرفاعي متفائلا غير منقطع الرجاء ووطيد الأمل يرقب في الأفق
الأحمر طلوع فجر بسام:

قد تشرق الشمس بعد الغمام
ويقتل الجوى بعد المطر^(۲)

فلا فناء للحق مهما قتل أصحابه، ولا بد للحائط المحيط والحائل دون الحرية أن ينهدم:

تمام عمر کی ایذا نصیبوں کی قسم
مرے قلم کا سفر رائیگاں نہ جائے گا^(۳)

أي: "وانى -رغم الحياة المليئة بتحمل الآلام- لعلى يقين بأن
رحلة قلبي لن تضيع سدى".

وما أشد إيقان أحمد مطر بانتصاره في نهاية المعركة إذ يقول:

فإذا انتهى الشوط الأخير
وصفق الجمع المنافق
سيظل نعلي عاليا
فوق الرؤوس
إذا علا رأسي
على عقد المشاق^(۴)

(۱) قصيدة "مصر الجريحة"، ديوان الرفاعي، ص ۱۳۵

(۲) قصيدة "ذكریات عام صانع"، المرجع نفسه، ص ۴۱۵

(۳) قصيدة "محاصرة" (الحصار)، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں"، (في طرقات صامتة)، ص ۱۱۶

(۴) قصيدة "لن أنافق"، لافتات ۲، ص ۳۸

ومثله الشاعر الرفاعي الذي يترقب يوما يتحرر من قيود الذل وأغلال الرق وسلاسل العبودية، يقول:

جَلَادَ مِصْرَ وَيَا كَبِيرَ بُغَايَاهَا
مَهْلًا فَأَيَّامُ الْخُلَاصِ دَوَانِي^(١)

فتناول الشعراء العرب والأرديين بانتصارهم في نهاية المطاف يتجلى بوضوح بالشكلين: لفظاً وتعبيراً. والأمل والرجاء أغلى ما يملكه الشاعر أحمد مطر، وقيمة الإنسان بحياته والأمل الذي يملكه، ولو لا القلب النابض بالآمال لتحول الإنسان الحي إلى جثة متحركة، وهو بفضل أمله دولة لا فرداً، يقول:

أنا وحدي دولة
ما دام عندي الأمل
دولة أنقى وأرقى
وستبقى
حين تفنى الدول^(٢)

ومن ميزاته كذلك أنه شعر التفاؤل والاستبشار، فالشعراء رغم اختلاف المناطق واختلاف العصور الذي عاشوا فيه يتناهم شعور قوي بأن كفاحهم لا يذهب سدى وسيسفر عن أفول الليل المظلم وسينجلي صبح وضيء، فإذا كان الزبيري يلاحظ بوادر نهضة الشعب التي ستكون المعول الهدام لعرش الاستبداد قائلاً:

هَاهُوَ الشَّعْبُ صَحَا مِنْ خَطْبِهِ
يَنِمُّ الطُّغْيَانُ يَسْتَقْبِلُ خَطْبُهُ^(٣)

فإن الرفاعي كان يعبر عن عزيمته الصامدة قائلاً:

(١) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الزبيري، ص ٣٩٨

(٢) قصيدة "الدولة الناقية"، لافتات ٤، ص ١٠٦

(٣) قصيدة "بواذر الثورة"، ديوان ثورة الشعر، ص ١١٢

وَمِنْ الْعَوَاصِفِ مَا يَكُونُ هُبُوبُهَا
بَعْدَ الْهَدْوِ وَرَاحَةُ الرُّبَانِ
وَتَتَابِعُ الْقَطَرَاتِ يَنْزِلُ بَعْدَهُ
سَيْلٌ يَلِيهِ تَدْفُقُ الطُّوفَانُ^(١)

والمعاني نفسها نجدها مبعثرة في الشعر الأردني المقاوم الاستبداد، فحيث جالب
عندما يعلن خلود الحب وهو يقول:

آخری رات ہے یہ سر نہ جھکانا لوگو
حسن ادراک کی شمعیں نہ بجھانا لوگو
انتہا ظلم کی ہو جائے وفا والوں پر
غیر ممکن ہے محبت کو مٹانا لوگو^(٢)

أي: "أيها الناس، كاد الليل ينتهي، فلا تستسلموا ولا تطفئوا
مصاييح الشعور. واعلموا لا يمكن محو الحب وإن بلغ الظلم على أصحاب
الوفاء منتهاه".

فالأجواء مهما غشتها سحب الألم والحزن لا بد أن تنقشع ولا بد من إشراق
الشمس:

قَدْ تَشْرِقُ الشَّمْسُ بَعْدَ الْغَمَامِ
وَيَعْتَدِلُ الْجَوُّ بَعْدَ الْمَطَرِ^(٣)

ومثله جالب إذ يربط جأش المكافحين من أجل الحرية والديمقراطية ويشرهم بيزوغ
سحر العدل، يقول:

(١) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٩

(٢) قصيدة "لوگو" (أيها الناس)، ديوان جالب، ص ٢١٨

(٣) قصيدة "ذكريات عام صانع"، ديوان الرفاعي، ص ٤١٥

نکلنے کو ہے آفتاب سحر
شب تار ہے بس کوئی اور دم
مٹا کر اندھیروں کا نام و نشان
اجالوں کی بستی بسائیں گے ہم^(۱)

آی: ”اقترب بزوغ شمس السحر وسينجلي الليل المظلم، وسنقيم قرية الأنوار والأضواء بعد ما نمحو الظلمات“.

• الإيقان بزوال الاستبداد

ومن المعاني المشتركة التي نَجدها متكررة في شعر مقاومة الاستبداد باللغتين العربية والأردية إيقان الشعراء بأن الاستبداد - وإن طال - زائل لا محالة وأنه يستحيل أن يدوم ملك الظلم، فشعراء العربية والأردية وطيدوا الأمل بأفول نجم الاستبداد مهما طال الليل، ويثرون بها بتعبيرات متفرقة كزوال الشمس وقرب يوم حسابه، وقصر آجاله، وظلوع صبح وضاء. وعلى سبيل المثال يرى الزبيري يوم محاسبة الظلمة قريبا فهو إذ يقول:

سَيَحْسَبُونَ، فَقَدْ دَنَا لِجَسَابِهِمْ
يَوْمٌ يَسُوءُ الْخَائِنِينَ ظُلَامٌ
وَسَيَنْتَدِمُ الْمُتَزَلُّمُونَ نَدَامَةً الـ
وَوَيْلٌ يَوْمَ تُحْطَمُ الْأَصْنَامُ^(۲)

يقترب أسلوبا وتعبيرا مما قاله فيض:

اور اہل حکم کے سراپے
جب بجلی سڑک سڑک کرے گی
جب ارض خدا کے کعبے سے
سب بت اٹھوائے جائینگے^(۳)

(۱) قصيدة بدوون عنوان، ديوان حال، ص ۴۴

(۲) قصيدة ”صرحة إلى النائمين“. ديوان صلاة في الحميم، ص ۳۰۷

(۳) قصيدة ”وستقي وجركبك“ (ويبقى وجه ريك) ديوان ”مرے دل مرے مسافر“ (قلبي مسافري)، ص ۵۲

أي: "لما يبرق البرق على رؤوس الحكام وتخرج الأصنام من كعبة أرض الله".

ومثله حبيب جالب إذ يخاطب الطائفة المستبدة وينذر المستبدین الظلمة بمصرعهم الوخيم قائلاً:

شہر ظلمت کے ثنا خوانو
شہر ظلمات کو ثبات نہیں
اور کچھ دیر صبح پر ہنس لو
اور کچھ دیر، کوئی بات نہیں^(۱)

أي: "اسمعوا يا مداحي مدينة الظلم والظلمات، لا بقاء لمدينة الظلمات، فلتضحكوا قليلاً على الصبح، ولتستهزئوا به قليلاً".

وكذلك الزبيري إذ يبشر باقتراب زوال الطاغية المستبد:

یومہ قادم فویل لِمَن واجه
یوم الحساب غَیر مُزود
عَجَباً لِلْجَبَانِ یَسْتَمْنَحِ الظُّلَم
أمانیاً وَلِلشَّعْبِ أَبْقَى وَأَخْلَد^(۲)

یشبه الشاعر فیض معنی ولفظاً والذي یوقن بأن المظلوم یوما ما سیتخلص من بطشة

الاستبداد لأن الفوز مكتوب للأحرار وتذك محاصن الظلم، یقول:

معلوم ہے ان کو کہ رہا ہو گی کسی دن
عالم کے گراں ہاتھ سے مظلوم کی تقدیر
آخر کو سر افراز ہوا کرتے ہیں احرار
آخر کو گرا کرتی ہے ہر جور کی تعمیر^(۳)

(۱) قصیدہ "شہر ظلمت کو ثبات نہیں" (لائات لمدينة الظلم)، دیوان حالت، ص ۱۱۹

(۲) قصیدہ "الأس الرائف"، دیوان ثورة الشعر، ص ۱۳۰

(۳) قصیدہ "مدح" (مدح)، دیوان "شام شہریار" (أسمیة مدينة الرفاق)، ص ۹۱

أي: "يعلمون أنه سيتخلص قدر المظلوم من بطشة الظالم لأن العاقبة حتما للأحرار، وبناء الضيم أخيرا ينهار".

وہا هو الرفاعي المصري يذكر المستبد بسنة الله في أرضه، يقع المستبد في نهاية الشوك في أيدي من يظلمهم، وتزول شمسہ لا مفر، يقول:

عُدْ يَا جَمَالَ يَمَا تَشَاءُ مُظْفَرَا
إِنَّ الطُّغَاةَ قَصِيرَةُ الْأَجَالِ
وَاطْلُم كَمَا تَشَاءُ فَظَلْمُكَ سَائِغٌ
لَا تَسْتَكَينُ لِـوَادِرِ الزُّلْزَالِ
فَاغْنَمِ مِنَ اللَّذَاتِ حَظًّا وَافِرَا
قَدْ أَذْنُتَ شَمْسٌ لَكُمْ بِزَوَالٍ^(۱)

ونجد أحمد فراز وقد تجلست له تلك المناظر التي ستتحقق يوم يبطش المظلومون برفاب الظالمين وستطير جبال الاضطهاد كالعهن المنفوش، يقول في قصيدة "وجه ربك":

لازم ہے کہ ہم بھی دیکھیں گے
وہ دن کہ جس کا وعدہ ہے
جو لوہے ازل پہ لکھا ہے
جب ظلم و ستم کے کوہ گراں
روئی کی طرح اڑ جائیں گے
ہم محکوموں کے پاؤں تلے
یہ دھرتی دھڑ دھڑ دھڑے گی^(۲)

أي: "حتما ولا بد سنرى ذلك اليوم الموعود في لوح القدر. يوم تطير فيه جبال الظلم كالعهن المنفوش ويوم تظاً فيه أقدام البائسين أمثالنا هذه الأرض ويوم تقع فيه الصواعق على رؤوس الحكام الطغاة ويوم تطرد فيه الأصنام من كعبة أرض الله"

(۱) قصيدة بين احتلالين، ديوان الرفاعي، ص ۳۹۴

(۲) قصيدة "وہی وجہ ربک" (وہی وجہ ربک) دیوان "مرے دل مرے سائر" (قلی مسافری)، ص ۵۲

ومثله يؤمن الشاعر فيض بأن حكم الاستبداد زائل لا محالة، يقول:

گر آج آج اوج پہ ہے، طالع رقیب تو کیا

یہ چار دن کی خدائی تو کوئی بات نہیں^(۱)

أي: "لا تقلق بعروج شمس المستبد اليوم فحكمه لا يدوم إلا لسويعات".

• ثورة فطرية

من المعاني المشتركة عند شعراء العربية والأردية أنهم اندفعوا لتبني الثورة والمقاومة بدافع داخلي متبعه قلبهم المحب للعدل والحرية والكرامة، ويدافع فطرتهم السليمة رأوا مقاومتهم فريضة فطرية، دفعتهم نفوسهم المحبة لمبدأ العدل والمساواة إلى المقاومة من أجلهما، وهذا المعنى اشترك فيه شعراء العربية والأردية على سواء، فها هو الشاعر الزبيري يشرح سبب تمرده على الظالمين:

تَمَرَّدَ قَلْبِي عَلَى الظُّلَمِ

وَدُئِيَاهُمُ الْفَظْظَةُ الْغَاشِيَةُ^(۲)

ويقرب منه الرفاعي إذ يقول:

عَشْتُ بِدَفْعِ الضُّلَمِ وَالسُّدُلِ مَغْرَمًا

وَأَبْذَلُ فِيهِ الرُّوحَ لَوْ وَجَبَ الْبَذْلُ^(۳)

ويشبههما الشاعر الأردني حبيب جالب إذ يقول:

تقدیر کے قدموں پر سر رکھ کے پڑے رہنا

تائید ستم گر ہے چپ رہ کے ستم سہنا^(۴)

(۱) قصيدة بدون عنوان، ديوان "دست صبا"، (بد الصا) ص ۲۸۱

(۲) قصيدة كمر وإيمان، ديوان ثورة الشعر، ص ۱۰۳

(۳) قصيدة "صورة نفسية"، ديوان الرفاعي، ص ۲۱۶

(۴) قصيدة "عمورت" (المرأة)، ديوان جالب ص ۲۰۱

يعني: "من العبث اعتماد المرء على تقديره دون سعيه وكفاحه،
ومن معونة الظالم السكوت عن ظلمه والصبر عليه".

وتشتعل نار الثورة في قلب كل شاعر - كما يرى فراز - في بداية الأمر لكن قد
يظفنها حرصه على الأموال والمناصب:

جس آگ سے جی آج جل اٹھا ہے اچانک
پہلے بھی مرے سینے میں بیدار ہوئی تھی
میں وقت سے بیگانہ، زمانے سے بہت دور
جام دے دینا و خرابات میں گم تھا^(۱)

أي: "إن النار التي منحت قلبي نورا كانت قد اشتعلت جذوتها من قبل.
كنت أعيش بنفسى بعيدا عن الزمن ومعزلا عن الوقت غارقا في عالم الخمر والكأس
والعشق والأهواء".

إلا أن فراز تمكن من الغلبة عليها فغلب أهواء النفس وسخر منه ليكون ترجمانا
للمضطهدين والمنكوبين وتحرر من هذا العالم الذي أغفله عن عالمه الحقيقي فنار وأثار،
وأظهر سلاحه - وهو قلمه - بفضل تلك النار التي أخفاها في ضميره منذ زمن طويل :

جس آگ سے بھرپور تھا ماحول کا سینہ
وہ آگ مرے لوح و قلم کو بھی پلا دی^(۲)

أي: "وأخيرا، تجرع قلمي ولوحي جرعات من تلك النار المتلظية
التي كانت تسعر في صدر البيئة حولي".

ونار الثورة هذه التي كانت يتحرق بها فراز العجمي كانت تضطرم في نفس الشاعر
العربي الرفاعي كذلك منذ ما اطلع على مظاهر الاستبداد منذ بداية حياته، فأبى أن يعين
هذه الحياة، يقول:

(۱) قصيدة "شاعر" (شاعر)، ديوان "تہاتہا" (وحيدا معزلا)، ص ۱۰

(۲) المرجع نفسه

يَا ثُورَةً فِي ضُلُوعِي
وَمَالَهَا مِنْ هُجُوع
إِلَامٍ أَقْضِي حَيَاتِي
فِي ذُلِّ لُحَّةٍ وَخُضُوعٍ؟^(۱)

فإذا كان فراز الأردی تحرر قصدا من الأهواء والشهوات الداخلية والتي أعاقها عن أداء فريضته الشعرية السامية فإن ثورة الرفاعي نتجت كذلك عن مصادفة أحداث ووقائع أراد بعدها الشاعر أن يفك القيود التي أسرتها:

إِنِّي حَطَنْتُ قِيُودِي
إِنِّي مَلَلْتُ رُكُوعِي^(۲)

وتشجع فيض للثورة بعد ما تقرر أن يجهر بما عجزت الشفاء أن تنبس به سابقا وأراد ألا يبالى بأي خسارة مادية أو جسدية في سبيله هذا، يقول:

سرقتل چلو بے زحمت تقصیر بسم اللہ
ہوئی پھر امتحان عشق کی تدبیر بسم اللہ^(۳)

أي: "أسلك درب المقتل مسميا بالله وغير مبال بخوف فهذه بداية امتحان العشق".

لأنه وجد حلاوة عجيبة ونشوة فريدة بعد ما امتزج في نفسه آلامه الداخلية وإحساس الراحة وصدق الإيقان والإيمان وقوة إرادة الإنسان:

یہ رات اس درد کا شجر ہے
جو مجھ سے، تجھ سے عظیم تر ہے
بہت یہ ہے یہ رات لیکن
اسی سیاهی میں رونما ہے
وہ نہر خوں جو مری صدا ہے^(۴)

(۱) قصیدہ "صیحة البعث"، دیوان الرفاعي، ص ۱۴۹

(۲) المرجع نفسه

(۳) قصیدہ "ثورش زنجیر" (ثورة السلسلة)، دیوان "وست تسنگ" (اليد تحت الحجر)، ص ۴۲

(۴) قصیدہ "ملاقات" (لقاء)، دیوان "زندان نامہ" (دیوان السجن)، ص ۷۲

أي: "هذه الليلة شجرة آلام هي أعظم مني ومنك. ويتجلى في كثافة هذه الليلة السوداء -وما أشدها سوادا- بحر من الدماء التي سقت صرخاتي".

• المقاومة فريضة بحكم الشريعة

ومن المعاني المشتركة كذلك أن مقاومة الظلم -في رأي الشعراء- وتحديدهم الاستبداد ليس رأيا سياسيا اختاروه لظروف فردية أو بدوافع سياسية أو من أجل مصالح مادية مؤقتة، بل إنها فريضة فرضتها الشريعة الإسلامية، وهذه الفكرة تجلت لدى الزبيري أكثر من غيره، يقول وهو يشرح موقف الدين الخفيف في ظاهرة الاستبداد، يقول:

لَيْسَ فِي الدِّينِ أَنْ تُقِيمَ عَلَى ضَمِيمٍ
وَتَحْزَنِي جَبَاهَتَنَا لِلدَّيْنِ
لَيْسَ فِي الدِّينِ أَنْ تُؤْلَى طُغْيَانًا
وَتَعْتُو لِلسُّلْطَةِ الْبَرِّيرِ^(١)

وقد هدانا أسلافنا العظام كيف نقف في وجه المستبد نقاومه ونتحدى خطواته، ففي سيرتهم ما يهب الشعراء الإيقان بصدق موقفهم، يقول فيض:

ہر دور میں ملعون شقاوت ہے شمر کی
ہر عہد میں مسعود ہے قربانی شبیر^(٢)

أي: "يلعن شقاء شمر في كل عهد ويذكر تضحية حسين رضي الله عنه بكل خير واحترام".

فالظلم ملعون وملعون صاحبه بحكم النص القرآني، ويستحيل أن يقبل الدين الخفيف مظهرا من مظاهر الاستبداد في أي ظرف من الظروف، فالدين لا يقيد الفكر ولا يأسر العقل ولا يسلب بأي دليل من الأدلة حرية الفرد وحقوقه، مهما تقدست أسماؤه ومهما كثرت أدلته، يقول:

(١) قصيدة "خطبة الموت"، ديوان ثورة التمر، ص ١٤٣

(٢) قصيدة "مدح" (مدح)، ديوان "شام شہریار" (أمنية مدينة الرفاق)، ص ٩١

لَئِيسَ فِي السُّدُنِ أَنْ نَكُونُ بَلَا رَأْيٍ
وَلَا عِزٍّ وَلَا خُرٍّ هـ^(۱)

والدين الخفيف إذ يكلف أتباعه مخالفة الظلم ومقاومة المستبد يشرهم كذلك
بأن محاسبة الظلمة أمر مقرر لا مفر منه ولا يقبل الظلم بأي اسم كان، ووعدده هذا
مبعث إيقان الشاعر فيض الذي يقول في قصيدة نداء الغيب:

ہر اک اولی الامر کو صدا دو
کہ اپنی فردِ عمل سنبھالے
اٹھے گا جب جمع سرفروشاں
پڑیں گے دار و رسن کے لالے
کوئی نہ ہو گا کہ جو بچا لے^(۲)

أي: ”ألا أبلغ ذوي الحكم أن ينتبه إلى أعماله ويعمل حسابه. فيوم
تشد قافلة أهل التضحية رحيلها فلن يجدوا من يأويهم وحيث ينال كل منهم
جزاء وعقابه وسيرى عذابه وثوابه وسيواجه حسابه.“

ويرفض جالسب أن يمنح المستبد قداسة دينية منخدعا بالأدلة الباطلة والتأويلات
الشرعية المزيفة وهو في رفضه هذا جهوري الصوت قاسي اللهجة، يقول:

صرصر کو صبا ظلمت کو ضیا،
بندے کو خدا کیا لکھنا
اس ظلم و ستم کو لطف و کرم
اس دکھ کو دوا کیا لکھنا^(۳)

(۱) قصيدة ”خطبة الموت“، ديوان ثورة الشعر، ص ۱۴۷

(۲) قصيدة ”ندائے غیب“ (نداء الغيب)، ديوان ”مرے دل مرے مسافر“ (قلبي مسافري)، ص ۲۷

(۳) قصيدة ”ظلمت کو ضياء کیا لکھنا“، (كيف أسمى الظلمة ضياء)، ديوان جالسب، ص ۱۸۱

أي: "كيف لي أن أصف صرصرًا بأنها صبا، وكيف أسمى
الظلمات ضياء، وكيف أسمى هذا الظلم والفسر حنانا وفضلا، وكيف
أسمى هذا الداء دواء".

• التحدي الصريح للطاغية المستبد

ومن الموضوعات المشتركة بين شعراء المقاومة العرب والأردنيين أنه يتحدى الحاكم
المستبد بخطاب مباشر ينم عن غضبهم وحقدهم عليه ميينين جرمته وكاشفين دوره الدنيء
ومعاملته الشنيعة مع بني جلدته وكان ذلك دون رعاية أو تخفيف لمصلحة من مصالح، وكان
ذلك بنداؤه بـ "جَلَادَ مِصْرَ" و"كبير البغاة" و"أيها الضاحك" وغيرها من الكلمات الصريحة
التي لا تراعي مداورة، فهذا هو الشاعر الزبيدي يبين لحاشية الأمم وأعوانه حقيقة أمرهم
قائلا:

أَيُّهَا الرَّاqَصُونَ فَسَوْقَ حُطَامِ الشَّعْبِ
وَالشَّعْبُ صَابِرٌ يَتَجَلَّدُ
أَيُّهَا الضَّاحِكُونَ وَالشَّعْبُ يَكْئِي
أَيُّهَا الرَّاqَفُونَ وَالشَّعْبُ يَجْلَدُ
أَيُّهَا الْكَافِرُونَ بِسَالِحِ إِنْ الْحَقَّ
رَغَمَ الْكُفْرَانِ يَقْوَى وَيَشْتَدُّ^(١)

فتكرار الخطاب بكلمة "أيها" والمنادى المعبر عنها بكلمات "الراقصون"
و"الضاحكون" و"الكافرون" يمنح الأبيات المذكورة لونا عجيبا من السخرية والتهكم
والقمة في وقت واحد. وهاشم الرفاعي يأخذ بتلايب الحاكم الطاغوي ويؤاخذ مؤاخذه
عنيفة صارخة في قتله الأبرياء، يقول:

سَأَلْتُ دِمَاءَ الْأَبْرِيَاءِ ذِكْرَهُ
ظَلُمُوا فَسَحَقُوا أَيُّهَا الْمُسْتَبِدُّ
مَاذَا جَنُوا حَتَّى أَرْقُفَتْ دِمَاءَهُمْ
وَبَأَيِّ حَقٍّ فِي الْمَضْجَعِ وَسُدُّوا^(٢)

(١) قصيدة "الأمن الزائف"، ديوان ثورة الشعر، ص ١٢٧

(٢) قصيدة "بين عهدين"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٢

وكان خطاب الرفاعي للحاكم فيه كفاية لكشف حقيقته إذ يخاطبه تارة بـ "جلاد مصر" وبـ "كبير بغاتها" تارة أخرى:

جَلَادُ مِصْرَ وَيَا كَبِيرَ بُغَايَاهَا
مَهْلًا فَأَيُّهَا الْخُلَاصُ ذَوَانِي^(۱)

ويستهزئ فيض صاحب النعمة الهادئة بسلطة الحاكم التي منتهاها وضع من تحدى في سجون:

قفص ہے بس میں تمہارے، تمہارے بس میں نہیں
چمن میں آتش گل کے نکھار کا موسم^(۲)

أي: "مبلغ قدرتكم هذا السجن الصغير وتعجزون عن نيل بداية موسم الأزهار".

ولما رأى جالب صورة الرئيس العسكري معلقة على جدار لقاعة المجلس الشعري تفجر قائلاً:

تم سے پہلے جو شخص یہاں تخت نشین تھا
اس کو بھی اپنے خدا ہونے پر اتنا ہی یقین تھا^(۳)

أي: "إن من كان يستولي على هذا العرش قبلك، كان يؤمن مثلك بأنه إله".

ولم يكن النقد المباشر موجهاً إلى المستبد فحسب بل كان موجهاً إلى من يقف معه مؤيداً له أو يقف بعيداً عنه غير مندد إياه، فيوجه فراز إلى العالم المتمدن المحاضر نقداً مرا معاتناً إياه بأسلوبه المباشر على صرف عيونه عن جرائم الاستبداد:

بتاکہ اس ظلم کیش قاتل کی تیغ براں میں
اور تری مصلحت کے تیروں میں
فرق کیا ہے؟^(۴)

أي: "أخبرني ما الفرق بين سيف هذا القاتل وبين سهام مصلحتك".

(۱) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ۳۹۸

(۲) قصيدة "طوق دوار کا موسم" (موسم الحبس والأسر)، ديوان "دست صبا" (يد الصبا)، ص ۳۱

(۳) قصيدة بدون عنوان، ديوان جالب، ص ۱۵۲

(۴) قصيدة "دست نام" (دست نام)، "نایافت" (المعدوم)، ص ۱۱۷

• حرية الفكر والشعر

ومن المعاني المشتركة بين شعراء مقاومة الاستبداد اعتزازهم بحرية شعرهم وفكرهم حيث يستحيل للمستبد أسره بأي وسيلة من الوسائل وبأي ثمن من الأثمان، فيإمكان الطاغية المستبد إلقاء جسد الشاعر وراء قضبان السجن وأسره لمدة ما يشاء أو قتله بطريقة أو أخرى ولكن أن يأسر روح الشاعر ويحبس فكره أمر مستحيل، وهذه الفكرة تجلت لدى جميع شعراء المقاومة تقريبا، يقول الرفاعي:

لَنْ يَحْبِسُوا الرُّوحَ عَنْ سِحْرِ انْطِلَاقِهَا
إِنْ يَسْجُونِي.. وَلَنْ يَثْقَى سِوَى جَسَدِي^(١)

والفكرة نفسها تتجلى لدى حبيب جالب إذ يقول:

مرے جنوں کو نہ پہنا سکو گے تم زنجیر
نہ ہو سکے گا کبھی تم سے میرا ذہن اسیر^(٢)

أي: "من المستحيل تقييد لوعتي بسلاسل ومن المستحيل أن تأسروا فكري".

ولا يختلف عنهما فيض وهو يعبر عن عجز المستبد، يقول:

قفس ہے بس میں تمہارے، تمہارے بس میں نہیں
چمن میں آتش گل کے نکھار کا موسم^(٣)

أي: "متنهی قدرتکم هو هذا السجن الصغير وتعجزون عن نيل بداية موسم الأزهار".

ويدرك الزبيري بأنه بحريته يجرح نفوس المستبدین ويخفف آلام المضطهدين، يقول:

أَنَا شَوْكَةٌ فِي حَلْقِ
طُغْيَانٍ يَتَمَنَّاهَا أَنْيْن^(٤)

(١) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص ٤١٧

(٢) قصيدة "ضابطه" (القانون)، ديوان جالب، ص ٣٢٢

(٣) قصيدة ديوان "طوق ودار کا موسم" (موسم الأسر والصلب)، ديوان "دست صبا" (يد الصبا)، ص ٣٠

(٤) قصيدة مثاب وعتاب، ديوان ثورة الشعر، ص ١٧١

● مقارنة بين الاستبداد والمقاومة

ومن الأفكار المشتركة تلك الكلمات والتعبيرات التي استخدمها شعراء العربية والأردية من أجل التعبير عن الاستبداد والإفصاح عن مقاومته، فالاستبداد بمثابة الليل والظلمات والبغي ومقاومته بمثابة الصبح البسام والضحي والنور والهدى. يقول الرفاعي:

لَا يَسْتَوِي هَـذِي وَبَغْيِي إِنْ مَآ
بَيْنَ الْهَـذِي وَالْبَغْيِي فَرْقٌ شَاسِعٌ^(١)

ويصف الرفاعي الاستبداد بالظلماء التي يعقبها ضحي العدل، أو الليل يتلوها ضياء، يقول:

لَكُنْمَا الظُّلْمَاءُ يَتْلُوهُمَا ضُحَى
وَاللَّيْلُ يَعْقُبُهُ ضَيَاءٌ سَاطِعٌ^(٢)

ومثله جالب إذ يرفض أن يقرر الصحراء بستانا والغمامة رداء، يقول:

صحرا كوچمن

بن کوگلشن

بادل کورد اکیا لکھنا^(٣)

أي: "لن أصف الصحراء بستانا، ولن أصف الغابة حديقة، ولن أسمى الغمامة رداء".

فالاستبداد ظلمات يغلبها نور العدل لا محالة، يقول جالب:

ظلمت کہاں ٹھہری ہے اجالوں کے مقابل^(٤)

أي: "أنى للظلمة أن تقاوم الأنوار".

ويتبين بكل هذه المعاني التي تم عرضها باختصار التوافق المعنوي والتقارب الموضوعي بل التوحد الفكري بمعنى الكلمة، فشعر الشعراء الستة رغم اختلاف لغتهم صوت واحد بنبرة متساوية دون أن يكون اختلاف وهذه هي السمة التي تجمع الشعراء الأحرار وتجعلهم ركبا واحدا.

(١) قصيدة "مصر الجريحة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣٥

(٢) المرجع نفسه

(٣) قصيدة "ظلمت کوزیاء کیا لکھنا"، (كيف أسمى الظلمة ضياء)، ديوان جالب، ص ١٨١

(٤) قصيدة "في زاوية من المعتقل" (گوشتے میں قفس کے)، المرجع نفسه، ص ٢٢٧

□ الفصل الثالث:

خصائص وسمات مشتركة

لشعر مقاومة الاستبداد

□ بالعربية والأردية

خصائص وسمات مشتركة

شعر مقاومة الاستبداد بالعربية والأردية □

سمات وخصائص متعددة هيمنت على شعر المقاومة في اللغتين العربية والأردية. ومنحته لونا متميزا عن بقية موضوعات الشعر، وبها اكتسب منزلة أدبية عظيمة وقبولا غير مسبوق عند الجماهير على حد سواء. فإذا كانت الأحوال القاسية التي مر بها وعاشها الشعراء الأحرار العرب والأرديين في هذه الفترة سببا في تشابه أفكارهم وتقارب معانيهم وتوافق موضوعاتهم فإن الحالات النفسية والفكرية جمعتهم في إطار هذه السمات البارزة وقد يفقد الشعر في الأغراض الشعرية الأخرى الدرجة الرفيعة التي تجلت بها هذه الخصائص.

المبحث الأول: الخصائص العامة المشتركة

من أبرز سمات الشعر المقاوم للاستبداد: الجرأة والصراحة والرجاء والتمرد والتحدي والاستبشار.

● البساطة والوضوح

”يتسم الشعر العربي بسمة الوضوح في كل عصوره، فهي سمة من سماته الفنية المتميزة، حتى لقد اعتبرت النماذج القليلة المتورطة في الغموض المعنى نماذج بعيدة عن بلاغة العرب ووضع النقاد لتعقيدها نعتوا سيئة محذرين من التورط في أمثالها.“^(١) ومن أهم سمات شعر مقاومة الاستبداد باللغتين العربية والأردية أنه يتسم بالبساطة المصحوبة بعمق التجربة الشعرية وصدقها، ويقدر يفسر ذلك بأنه شعر يخاطب العامة والجمهور، لأن الظروف القاسية لم تعد تصلح لتقبل شعرا يغلبه اللون الرمزي أو الفلسفي، و”جوهر الشعر ليس في شكله الخارجي من وزن وقافية وألفاظ خاصة أو موضوعات خاصة، وإنما هو في التجربة الروحية

(١) خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، تأليف: أنور الحندي، دار الكتاب

التي تمر بنفس الشاعر، ولا بأس أن تكتب هذه التجربة في لغتها الحقيقية أو قل في لغة بسيطة كذلك التي يتفاهم بها أفراد الشعب^(۱) فيجد الدارس شعراء المقاومة جميعاً يعبرون عن معان سامية ومبادئ راقية بعبارات في غاية البساطة ذهبت شعارات وهتافات دون أن يخل ذلك بال، فانظر إلى قول الشاعر حبيب جالب وهو يشرح الحق الإنساني الأساسي، يقول:

بات یکی ہے بنیادی
لوگوں کو ہو آزادی^(۲)

أی: "الأساس هو أن الحرية للجميع". ويعبر جالب عن احتلال الجيش مناصب الحكم في تعبير بسيط، يقول:

کل جو مہمان تھے گھر کے مالک بنے^(۳)
أی: "احتل البيت من نزله ضيفاً في أمس".

والزبيري كشف عن مظاهر الرخاء المؤقتة في عهد الاستبداد ورفض كل أنواع العروض والمغريات رفضاً تاماً، يقول:

ولیس یجُدی دَینا، اُنْ حَفَرَتْہ
مُزدانۃ طَفَحَتْ بِالْعِطَرِ وَالْعُودِ^(۴)

ومثله أحمد فراز، الذي ير كل بمظاهر الجمال وآثار الرخاء في بعض المناطق أو في بعض المجالات في عصر الاستبداد لأنها نبت بعد ما استقت من بحر دماء الأبرياء، يقول:

رواں ہے قلم خون اندرون شہر بھی دیکھ
کہ خوشنما تو بہت ہے فصیل باہر کی^(۵)

(۱) دراسات في الشعر العربي المعاصر، دكتور شوقي صيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة العاشرة، ص ۱۹۷ و ۱۹۸

(۲) قصيدة "پاکستان کا مطلب کیا"، (ماذا تعني باكستان)، ديوان جالب، ص ۱۶۲

(۳) قصيدة "اے جہاں دیکھ لے" (فلتشهد أيها العالم)، المرجع نفسه ص ۲۰۷

(۴) قصيدة إلى الشهيد الموشكي، ديوان صلاة في الجحيم، ص ۲۸۸

(۵) قصيدة بدون عنوان، ديوان "نمایات" (المعدوم)، ص ۵۴

أي: "لا تنخدع بجمال السور المحيط بأطراف المدينة، هيا تقدم وألق نظرة على بحر الدم الذي يجري في داخله".

والرفاعي إذ يسخر ببعض الهبات من المستبد المغتصب، يقول ببساطة:

إِنَّ السُّجَّينَ إِذَا ارْتَدَّى مِنْ سُنْدُسٍ
فِي الْقَيْدِ لَا يَرْتَّاحَ لِلْسَّجَّانِ^(١)

وكذلك يركل أحمد مطر كل المغريات ثمنا لسلب حق الحرية، فلا لذة للمباني المرتفعة والقصور الشاهقة والسدود المشيدة بدون الحرية، يقول:

وطني أنا : حُرِّي
ليس الترابُ أو المباني
أنا لا أدافعُ عن كيان حجارة
لكن أدافعُ عن كياني

ويشرح الرفاعي الفلسفة الكامنة وراء ثورته بأبسط الكلمات، يقول:

كُلُّ الَّذِي أَذْرِيهِ أَنْ تَجْرُعَ عِصَى
كَأْسِ الْمَذْلَةِ لَيْسَ فِي إِمْكَانِي^(٢)

ويصور الرفاعي ببراعة وبساطة الإفلاس الفكري الذي أصاب الشعب وتغافله عن حق الحرية ورضاه بهبات صغيرة من قبل المستبد، يقول:

شَعْبٌ تَلْدُّ لَهُ أَسْيَافُ قَاتِلِيهِ
حُمُرًا وَتُطْرَبُ لَهُ تَرْنِيمَةُ الصُّفَدِ^(٣)

(١) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٨

(٢) قصيدة "رسالة في ليلة التنفيذ"، المرجع نفسه، ص ٣٦٠

(٣) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، المرجع نفسه، ص ٤١٦

وأحمد مطر غير مقتنع بسلوك الشعب في اختيار مفضلياته، فيتأسف على ثورته لأنفه الأمور بينما يلزمه الصمت في القضايا الوطنية، وهو الحد الأخير للإفلاس الفكري لدى الشعب، يصوره في قصيدة "، يقول:

أيها الناس قفا نضحك على هذا المآل
رأسنا ضاع فلم نحزن ..
ولكنّا غرقنا في الجدال
عند فقدان النعال!^(١)

وكثيرا ما يدعي المستبد بأنه سيدخل بشعبه في عهد جديد ويقرر ما سبقه بعهد الظلمات والعهد الجديد ليخدع به الشعب الساذج، يعارضه الرفاعي ببساطة واضحة، يقول:

لَمْ نَرْتَضِ هَذَا الْهَوَانَ بَنَّا وَلَسْنَا بِالْعَبِيدِ
قَدْ ضَيَّقَتْ دُرْعًا يَا أَخِي بِالْمُجْدِ وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ^(٢)

● السخرية الصريحة

ومن السمات المشتركة بين الشعراء ما يجد الدارس من سخرية صريحة وتهكم لاذع بالمستبدين والطفة لكشف جانب أو أكثر لمأساة الاستبداد، لجأ الشعراء إلى استخدامهما إذ أحسوا أن الأسلوب العادي بات غير نافع للتعبير عن مرارة الحياة التي يعيشونها. فالسخرية جلية بادية في كثير من شعرهم، فمثلا يتهم حبيب جالب بالحاكم العسكري الذي تتغنى وسائل الإعلام بأناشيده ليل نهار يقدمونه الذات الوحيد الذي يفضل به الوطن ويعيش الشعب، فيقول جالب مخاطبا إياه:

تو خدا کا نور ہے
عقل ہے شعور ہے

(١) قصيدة "أفزام طوال"، لافتات ٢، ص ١٠١

(٢) قصيدة "رفرة"، ديوان الرفاعي، ص ٤٠٢

قوم تیرے ساتھ ہے
تیری ہی وجود سے
ملک کی نجات ہے
تو ہے مہر صبح نو
تیرے بعد رات ہے^(۱)

أي: "أنت نور الله، وأنت العقل والفكر. ولا بقاء للبلد إلا بك
وبفضلك. أنت وجه الصبح المبسم، فليس بعدك إلا الليل."

بقاء الشعب مرهون بوجود الطاغية المستبد، ولولا هو لما تنفس الصبح ولما انقشعت الظلمات.
ويسخر جالب كذلك في قصيدة "القلب الحزين" بتفاخر الجيش بعد الانقلاب العسكري، فكشف عن
فضيحة جرمهم قائلا:

یہ فسانہ ہے پاسبانوں کا
چاق وچوہند نوجوانوں کا
سرحدوں کی نہ پاسبانی کی
ہم سے ہی داد لی جوانی کی^(۲)

أي: "مغزى قصة هؤلاء الفتية النشاط أنهم غفلوا عن دفاع حدود
الوطن وتوقعوا منا الشاء عليهم".

ويكشف عن لعبة الانتخابات المزعومة إذ لم يترك للشعب إلا أحد الخيارين، انتخاب الرئيس
أو الاستعداد لمواجهة الحنف على يد جلاده:

وَقَالَ جَلَادُهُ يَوْمًا يُدَاعِيهِ
إِخْتَرِ رَئِيسَكَ لَا تُرْهِبْ أَذَى أَحَدٍ
رِئَاسَتِي إِنْ تُرِدْهَا أَنْتَ كَمَا
وَلَا يَسُوْا لَهَا إِنْ أَتَيْتَ لَمْ تُرِدْ^(۳)

(۱) قصيدة "مثير" (المستشار)، حبيب جالب، ص ۱۴۱

(۲) قصيدة "القلب الحزين" (داستان دل دو نیم)، المرجع نفسه، ص ۲۵۵

(۳) قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص ۴۱۶

وتهكم أحمد فرّاز في قصيدة "أيها الخلق الجائع" تعبير عن جانب مؤلم من حياة
البؤساء والفقراء الذين أجبروا على الاحتفال بالعيد الوطني وهم جوعاء عراة، فيطالبهم
الشاعر بالرقص جوعاء عراة:

آج گرفتہ دل تو کیوں ہے تو بھی جشن منا
آنسو گر نایاب ہیں اپنے لہو کے دیے جلا
پیٹ پہ پتھر باندھ کے اشب نکا ناچ دکھا^(١)

أي: "دع عنك هذا النعي والمأتم وقم واحتفل، فإن لم تجد الدموع
لإطفاء السراج فلديك دمك فأطفئ السراج به، وانس الجوع وقم وارقص
عارياً".

كما تهكم الشاعر الرفاعي بلعبة الانتخابات المزعومة والتي أسفرت فيما بعد عن نتائج مدهشة
وأحبر الشعب على اختيار الحاكم المتآمر دون أن يكون له خيار آخر غيره قائلاً:
أَمْ ذَاكَ رَأَى الشَّعْبَ وَهُوَ مُكَبَّلٌ
فَحَيَاتُوهُ وَالْمَوْتُ يَسْتَوِيَانِ
لَوْ كَانَ عِنْدَكَ قَبْلَ عَهْدِ مُحَمَّدٍ
لَلْعُنْتُ يَا فِرْعَوْنَ فِي الْقُرْآنِ^(٢)

المبحث الثاني: الخصائص الفنية المشتركة

تجلت خصائص فنية عديدة على المستويات المختلفة بصورة واضحة اكتسب بفضلها
الشعران العربي والأردني المقاومان صبغة متميزة مشتركة، وهي خصائص ظهرت خلال
دراسة النصوص الشعري التي مرت على كل من المستوى اللفظي والمستوى التركيبي
والمستوى التصويري، وسيعالج البحث كلا منها في السطور التالية على حدة.

(١) قصيدة "أے بھوکے مخلوق" (أيها الخلق الجائع)، ديوان "تہاتہا" (وحيداً منفرداً)، ص ٥٩

(٢) قصيدة "جلاد مصر"، ديوان الرفاعي، ص ٣٩٨

أما على المستوى المعجمي فكثرت في شعر المقاومة الكلمات التي تعبر عن الخوف والذعر السائدين أجواء البلاد العربية في فترات الاستبداد، فتجد مئات الكلمات المتكررة تعبر عن معاني الخوف والذعر والحزن والقلق والاكتئاب في أبيات شعر المقاومة وهي تشكل نسبة كبيرة من المعجم الشعري الذي استخدمه الشعراء، وعلى هذا الفرار تظهر كلمات مثل الإعدام والعقاب والقتل والذبح والظلم والقهر والجبروت والخوف والحزن والبؤس والفقر والشقاء والمجاعة والأموات والاعتقال والتعذيب والقتل والختف والاختيال والهلاك والأجل والانتحار والاختطاف والتهديد والسلاسل والأغلال والقيود والنسور والذباب والذئاب والحشة والميت والنعت والقطيع والجزار والسكين والسيف والجروح والنزيف والأسرى والعييد والقطيع والاختناق والضيق وغيرها وهي تدل على الحالة النفسية الداخلية للشعراء يعرض مدى درجة الشقاء الذي وصله الشعراء وفكرهم. فعلى سبيل المثال يلاحظ التأمل في أبيات الرفاعي القائل:

فإلى متى هذا الخنوع وإنه
جُرم أضاع حقوق مصرَ جميعاً
لن تبلغ المجد المؤمل أمة
قط قطعت أوصالها تقطيعاً^(١)

فالكلمات الخنوع والجرم وإضاعة الحقوق وقطع الأوصال يضيفي على البيتين ألوان الاكتئاب والضجر واليأس والنظام كما يمنح الاستفهام الإنكاري - الذي يتضمن معاني الضجر والاكتئاب معا - تلك الصبغة الثورية التي هي سمات الشعر المقاوم. وكذلك كل من يدرك - على سبيل المثال - الأبيات التالية لأحمد مطر الذي يقول:

ونحن نسل آدم
لسنا من الأحياء في أوطاننا
ولا من الأموات
نهرب من ظلالنا

(١) قصيدة "عقيدة"، ديوان الرفاعي، ص ١٣١

مخافة انتهاكنا
 حَظَرَ التجمعات
 نهربُ للمرأة من وجوهنا
 ونكسرُ المرأة
 خوفَ المداهمات
 نهربُ من هروبنا
 مخافة اعتقالنا
 بتهمة الحياة^(۱)

لیدرک آن الکلمات المعبرة عن الخوف مثل ”نهرب“ و ”انتهاكنا“ و ”مخافة“ و ”حظر“ و ”تهمة“ و ”الأحياء“ و ”الأموات“ و ”تهمة الحياة“ ترسم لنا صورا عديدة ملؤها الخوف والذعر والاكتئاب والضجر والاكتئاب واليأس وغيرها من مشاعر سلبية زد على ذلك بداية القصيدة بذكر وصف شريف ”بني آدم“ ثم وصف حاله بالأموات أشباه الأحياء أو الأحياء أشباه الأموات وكلمة الهروب من الظلال وحتى من الأشياء الجامدة كل ذلك يضيف على الأبيات جو القسر والخوف والنفور بكل معانيها. وتجلت السمة هذه في الشعر الأردني المقاوم كذلك، فالدارس للمعجم الشعري للأبيات التالية للشاعر فراز الذي يقول:

گلی	گلی	میں	بندی	خانے
چوک	چوک	میں	مقتل	ہیں
جلادوں	سے	بھی	بڑھ	کر
منصف	وحشی	پاگل	ہیں ^(۲)	
سارا	شہر	ہے	مردہ	خانہ
کون	اس	بھید	کو	جانے گا
ہم	سارے	لاوراث	لاشیں	
کون	ہمیں	پچانے	گا ^(۳)	

(۱) قصيدة ”مؤہلات“، لافتات ۲، ص ۱۱۵

(۲) قصيدة ”شہر آشوب“ (المدينة المتدمرة)، دیوان ”بے آواز گلی کوچوں میں“ (في طرقات صامتة)، ص ۱۱۰

(۳) المرجع نفسه، ص ۱۱۲

وللمعجم الشعري للأبيات التالية للشاعر فيض أحمد فيض:

جسم پر قید ہے، جذبات پہ زنجیریں ہیں
فکر محبوس ہے، جذبات پہ تعزیریں ہیں
اپنی ہمت ہے کہ ہم پھر بھی جیتے جاتے ہیں^(۱)

يجد الكلمات مثل "السجن" و"المقتل" و"الوحوش" و"الجلاد" و"متخطب" و"مقبرة" و"جثث مشبوهة" و"السلاسل" و"الحبس" وغيرها تشكل بيئة ذعر وخوف وظلم وقهر، كانت سببا في ثورة الشعراء وخروجهم على المستبد.

ولا يعني ذلك أن الشعر المقاوم تكون من أغلبية الكلمات التي تستخدم في أغلب الأحوال تعبيراً عن الذعر والخوف وإن كانت بكثرة كاثرة. ومن الكلمات التي تكررت بكثرة منها كلمات الرجاء والأمل والتفاؤل والاستبشار، وكذلك الكلمات التي تعبر عن العدل والحرية والمساواة.

أما على المستوى التركيبي، فهناك تراكيب مؤثرة تميز بها شعر المقاومة عن بقية الموضوعات، وأضفت على الأبيات ومنحتها قوة وجمالا، تأمل الشاعر أحمد فراز وهو يصف ما أمر حاكم مستبد شاعرا حرا، يقول:

سو شرط یہ ہے جو جان کی اماں چاہتے ہو
تو اپنے لوح و قلم قتل گاہ میں رکھ دو^(۲)

ف"عرض اللوح والقلم في المقتل" في البيت هذا أو قتل الفكر والإحساس في قول الرفاعي: "فقلت: فكبرى، إحساسى.. أأقتله؟"^(۳) ووصف أحمد حالة شعبه وحكامه بقوله: "قطيع نحن والجزائر راعينا"^(۴) وشهادة قطرات دم الأبرياء التي تلوح على قميص

(۱) قصيدة "چند روز اور مرگی جان" (مهلا لأيام ياروحي)، ديوان "نقش فریادی" (نفوس مستعیت)، ص ۵۱

(۲) قصيدة "محاصرہ" (الحصار)، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات صامتة)، ص ۱۱۳

(۳) قصيدة "جمال رئیس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص ۴۱۷

(۴) قصيدة "عزاء على بطاقة تهنتة"، لافتات ۱، ص ۱۳۴

الجلاد في قول فيض: "نحوں پر گواہاں من جلا دیکھ تو ہو"^(١) ووصف القاتل بالمحسن ثم رفض الشاعر قبول فئات منه في قول الزبيري: "أموت خميصاً! ولا أقبل الفئات من القاتل المحسن"^(٢) كلها تراكيب منحت الأبيات قوة تؤثر في أعماق النفس وتهز العواطف البشرية هزة عنيفة وهي سمة تجلت بأشد وضوحها في شعر المقاومة وكان من الطبيعي أن يتسم هذا الموضوع الشعري بهذه السمة لأنه يخاطب الجمهور ليدأوي جروحه ويثير هممه ليثور وينزع حقه المسلوب.

● المستوى التصويري

ويجد الدارس صوراً مؤثرة وقوية لما أراد الشعراء توصيله إلى الآخرين، صور تترك تأثيراً بالغاً على نفس القارئ والسامع، فهذا هو الرفاعي يذكر النعماء القليل مقابل الشقاء الذي يتحملة المواطن العربي في عصر الاستبداد، يقول:

إن السُّجَّين إذا ارتدى من سُندس
في القَيْد لا يَرْتاح لِلْسُّجَّان^(٣)

يبين مدى الكره الذي يخفيه المواطن المسكين للمستبد وإن أغدق عليه بعضاً من عطاياء فالصورة المتكونة من رجل بريء أسرو وحس ومنح في حبسه لباساً فاخراً من سندس يمنح وصف شقاء زيادة فائقة وتجح في بيان كيفية تلاعب المستبد بكرامة مواطن أبي حر.

وللزبيري تصوير مؤثر ليصف وصف شعبه المسكين والقانع بالخنوع أمام المستبد والمتقاعد عن سعي التغيير لأوضاعه القاسية فيشبهه بالشاة التي تفوض نفسها إلى الجزار بمجرد برسيم وتغفل عن صفقة ثمنها وعن المديّة التي تصقل لذبحها، يقول: [المتقارب]

هِيَ الشَّاةُ تُتَبَّعُ حَزَّارُهَا
وَتَنْسَى بَرَسِيمَ نَارِهَا

(١) قصيدة (بنیاد کچھ تو ہو) (لیکن ہناک اساس)، دیوان "زندان نامہ" دیوان (دیوان السجن)، ص ٩٥

(٢) قصيدة نهاية التجربة، دیوان ثورة الشعر، ص ٩٨

(٣) قصيدة "جلاد مصر"، دیوان الرفاعي، ص ٣٩٨

تُبَاع وَتُسْرَى مِنَ الذَّابِحِينَ
وَتَجْهَلُ فِي الْيَمْعِ أَسْعَارَهَا
يُجْرُجُرُهَا الْحَبْلُ فِي عُقْمِهَا
الذَّلِيلُ فَتُخْرِسُ بِهِ غَارَهَا
تُسْرَى مُدْبِئَةَ الذَّبْحِ مَصْقُولَةٌ
تُضْضِيءُ فَتُكْسِرُ أَنْوَارَهَا^(۱)

فیستوی الشعب الذی ینخدع بالأساطیر الخرافیة الّتی یختلقها المستبد والادعاءات الّتی یخدع بها شعبه الشاة الّتی تعجبه أنوار المدیة المصقولة وتمشی خلف جزارها من أجل وریقات غافلة عن إرادته أنه یذبجها فی نهابة الأمر. ولیس علی الشاة عیب إذا لم تنج من بطشة الجزار لأنها لم توهب العقل الذی ینعم الإنسان به وتمیز به عن جمیع الخلق.

وتجلت براعة الشاعر أحمد فراز فی صورہ المتعددة، منها:

کعبہ کے رم خوردہ بت
اصنام طلائی
اپنی اپنی مسند پر آ بیٹھے ہیں
سچ کا لہو
ان کے قدموں میں
عنابی قالین کی صورت بچھا ہوا ہے^(۲)

أي: "تربع الأصنام الذهبية على أرائكهم ودم الصدق يفتش تحت
أقدامهم كسجادة وردية"

(۱) قصيدة كفر وإيمان، ديوان ثورة الشعر، ص ۱۰۲

(۲) قصيدة "دوسری ہجرت" (الہجرة الثانية)، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات صامتة)، ص ۱۰

فمناصر الصورة وهي الأصنام المصنوعة من الذهب الجالسة على مساندها بينما يشكل دم الصديق المقتول تحت أقدامها سجادة وردية تدل دلالة مؤثرة على قساوة الوضع الذي صورته الشاعر وعجزه أمام المستبد وعلى هذا الفرار أجاد شعراء المقاومة في عرض صور كاملة لتصوير مآسي الاستبداد ومخازي المستبدین وغير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بالاستبداد

● استلهام معطيات التراث

ومما يتجلى بوضوح أن شعراء المقاومة وظفوا الرموز التاريخية التراثية بشكل موثر جدا، فإذا كان فيض يرقب ملامح شمر تتجلى في وجه المستبد إذ يقول:

ہر دور میں ملعون شقاوت ہے شمر کی
ہر عہد میں مسعود ہے قربانی شبیر^(۱)

أي: "يلعن شقاء شمر في كل عهد ويذكر تضحية الحسين رضي الله عنه بكل خير واحترام"

كان على يقين بأنه بتضحيتہ ينضم إلى الركب الحسيني، ونفس الاحساس انتاب أحمد مطر:

لست أهتم بمن يبكي دموعا
أو بمن يبكي دماء
ليس عندي غيرهم واحد
أن أسبق الموت إلى العيش
فأغدو من ضحايا كربلاء^(۲)

ومتلهما جالب الذي يرى منزلة مقاومي الاستبداد لا تقل عن منزلة الحلاج الذي ذهب رمزا للتحدي والثبات، يقول جالب:

میں بھی خائف نہیں تختہ دار سے
میں بھی منصور ہوں کہہ دو اغیار سے

(۱) قصيدة "مدح" (المدح)، ديوان "شام شہزادوں" (أمية مدينة الرفاق)، ص ۹۱

(۲) قصيدة "الاختيار"، ديوان لافتات ۳، ص ۱۰۳

آی: ”أبلغوا أعدائي أنني حلاج العصر، لا أخاف شتقا ولا صلباً“.

ویری الشاعر فیض أنه یتیه مرة أخرى في الطرقات ملتاع النفس، فیصف الوطن وقد تحکمه طائفة باغیة:

اپنا شہر کہ حد نظر جیسے لہو کی نہر
یا منصور و مسیح کی سولی یا سقراط کا زہر^(۱)

آی: ”مدینتی عبارة عن نهر الدماء أم مشنقة المنصور والمسیح أو سم سقراط“.

● استخدام التعبيرات والرموز القرآنية والإسلامية

ومن سمات شعر المقاومة أن الثقافة القرآنية جلیة واستخدام عدد من المفردات والتعبيرات القرآنية وأثرها فکرا وصياغة يستوقف القارئ في أماكن عديدة ویلفت انتباهه، فمثلا الرفاعي إذ يقول:

وَصَوْتُ الَّذِينَ يُقَدِّسُونَ الْفَرْدَ مِنْ دُونِ الْإِلَهِ
وَيُسَبِّحُونَ بِحَمْدِهِ وَيُقَدِّمُونَ لَهُ الصَّلَاةَ^(۲)

وأحمد مطر إذ يشكو من المواطن العربي القابع في كهف الصمت في قصيدة ”مواطن نموذجي“ الذي يعاني من بطش الجلاد في معتقل من المعتقلات ويسترحم جلاد المعتقل قائلا:

آیس من الجِلْدِ أنا
فیه عِظَامٌ وَنَكَدٌ
فوهته مشدودة دوماً
یحبل من مَسَدٍ^(۳)

(۱) قصيدة (في فراق فيض) ”فیض کے فراق میں“، دیوان ”في طرقات صامتة“ (بے آواز گلی کوچوں میں)، ص ۲۶

(۲) قصيدة ”أغنية أم“، دیوان الرفاعي، ص ۳۸۸

(۳) قصيدة ”مواطن نموذجي“، لافتات ۳، ص ۲۲

ومثلهما أحمد فيض ، وعلى سبيل المثال تأمل البيتين التاليين له ، يقول :

جزا سزا سب یہیں پہ ہوگی
یہیں عذاب و ثواب ہوگا
یہیں سے اٹھے گا شورِ محشر
یہیں پہ روزِ حساب ہوگا^(۱)

فتاثر الشعراء الثلاثة بالكلمات القرآنية "الجزاء" "عذاب" و"ثواب" و"يوم الحساب" و"الحشر" واضح جدا واستخدام الكلمات القرآنية في هذا السياق لا يدل على يقين الشاعر بوقوعه بل يمنح الأبيات رعبا إيمانيا كذلك. وعلى هذا المنوال سار حبيب جالب فمثلا استخدم الكلمات القرآنية "الحق" و"الباطل" ، يقول :

حق بات پہ کوڑے اور زنداں
باطل کے شکنجے میں ہے یہ جاں^(۲)

ومن مظاهر الاستبداد السيئة تقديس الحاكم المستبد بدرجة تقربه من درجة

الأنوهمية ، ويستهزئ الشاعر بمن ألوهه :

إصْرَحُوا فِي الْأَذَانِ : اللَّهُ أَحْمَدُ
وَأَجْعَلُوهُ رَبًّا سَوَى اللَّهِ يُعْبَدُ
وَأَزْعُمُوا أَنَّهُ الْخَفِيزُ عَلَى الْأَرْوَاحِ
وَالْمُسْتَعَانُ فِي كُلِّ مَقْصَدٍ
وَالْخَبِيرُ الْعَلِيمُ عَيْنَاهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
تُرَى الْخَفَايَا وَتُشَاهَدُ^(۳)

فالثقافة القرآنية جليلة واضحة لا تحتاج إلى توضيح ، واستخدام عدد من المفردات والتعبيرات القرآنية وهبت التهكم الذي يريده الشاعر شدة عجيبة كما توهجت العاطفة الدينية. وأثر البيان القرآني فكرا وصياغة جليلة واضحة في عديد من قصائد جميع الشعراء المقاومين.

(۱) قصيدة "نداء غيب" (نداء الغيب) ، ديوان "مرے دل مرے مسافر" (قلبي مسافري) ، ص ۲۷

(۲) قصيدة بلا عنوان ، ديوان جالب ، ص ۱۸۲

(۳) قصيدة "الامن الزائف" ، ديوان ثورة الشعر ، ص ۱۲۳

الخاتمة

تحتوي على:

- نتائج البحث
- توصيات

تتائج البحث

- ١ لم يسهم في مقاومة الاستبداد شعراء تيار معين أو اتجاه خاص بل كانت القضية تخص الجميع بغض النظر عن انتمائهم النظري والعنقي واللساني كما غلبت على شعراء المقاومة نزعة إنسانية عالمية فلم يكتفوا بإبراز قضايا شعوبهم فحسب بل تجاوزوا الحدود الجغرافية وشعروا بآلام الإنسانية المظلومة في كل بلد وقارة ونددوا بالاستبداد والمستبدين في كل العالم بغض النظر عن فوارق عرقية أو دينية أو لغوية.
- ٢ اتسمت حياة شعراء مقاومة الاستبداد بالكفاح والنضال والتضحية والثبات وبذلك تجلّى الصديق الموضوعي بكل قوته في مقاومتهم الشعرية للاستبداد، ونظرا إلى ارتباط مسيرة الشعراء بشعرهم لا يمكن الفصل بينهما فكل منهما تكملة لغيره، فما من شاعر مقاوم إلا ودفع ثمن قصيدته الثورية وأبياته الشائنة بأشكال مختلفة مثل النفي والتشريد والأسر والضرب والقتل وغيرها من ألوان التعذيب.
- ٣ كان الدافع لمقاومة الاستبداد مشتركا بين سائر الشعراء، فلم يك هذا الشعر هجاء محضا نتيجة حرمان شخصي أو حقد ذاتي دفع صاحبه إلى الانتقام بل كانت ثورة فطرية بدافع حب الحق والعدل وكان رد فعل مساو لمظاهر الظلم والفسر في المجتمع.
- ٤ من الشعراء من غلب موضوع المقاومة على بقية موضوعات شعره وأغراضه كالشاعر أحمد مطر والشاعر محمود الزبيري والشاعر حبيب جالب، ومنهم من أكثر في هذا الباب ووهب لبقية الأغراض الشعرية مكانتها في ديوانه كالشاعر أحمد فراز والشاعر فيض أحمد فيض، وحدد الشعراء المقاومون الأردنيون الثلاثة فراز وجالب وفيض أطرا للشعر الأردني المقاوم وكذلك يرجع الفضل إلى الرفاعي والزبيري وأحمد المطر في تحديد سمات ومعايير الشعر العربي المقاوم للاستبداد.
- ٥ رسالة المقاومة تستهدف القوة المستبدة والشعوب التي تعاني الاستبداد معا، فهي تزخر بموضوعات وقضايا تكشف الوجه الحقيقي للقوة المستبدة وتمزق نقابها مشخصة أسباب بداية داء الاستبداد وانتشاره ومجلية تقصير الشعوب نفسها الذي أدى إلى تقوية دعائم الاستبداد،

دون مداراة كما عاجلت الإفلاس الفكري الشعبي الذي يمنح الاستبداد فرصة الحلول على أرض الوطن فكان الشعراء عادلين في توجيه لاثمتهم الشعرية نحو الشعب والحكم الاستبدادي على حد سواء.

٦. لم يطعن شعراء المقاومة برماحهم الشعرية في صدور المستبدين والطفة فحسب بل كشفوا عمن يسانده من الطبقات المختلفة وعن القوى الدولية وعلى رأسها الاستعمار، فما كان وجود الاستبداد على أراضي البلاد الإسلامية إلا امتدادا للاستعمار الغربي.

٧. لم تنحصر المقاومة الشعرية في شكوى قهر الاستبداد وجبروته وبيان شقاء المعذبين البؤساء ووصف مظاهر الظلم والفسر فحسب، بل تبنت دورا رياديا لنفخ الحماس وإذكاء جذوة الثورة في النفوس المستكينة واستنهاض هممها لتغيير الوضع القاسي. ولم تدع المقاومة إلى ثورة عشواء تقضي على كل رطب ويابس دون تفريق فتسفر عن تدمير وتخريب بل وجهت العقول التي خاطبتها نحو مبادئ الديمقراطية والدستور وأرشدتها نحو تبني قيم العدل والاتحاد والاتفاق والتكاتف على المستوى الشعبي والعالمي لكي يحقق الكفاح هدفه المنشود ضد الاستبداد.

٨. صح إنهم نعوأ حاضرمهم بكثرة دون أن يؤثر نعيهم سلبيا في رسالتهم الشعرية ورسوموا ملامح للعالم المثالي الذي يجب أن يسعى الشعب له والمستقبل الزاهر الذي يقاومون من أجله وظلوا وطيدي الأمل بيزوغ فجر بسام يخفف عن الشعب البئيس كل الهموم والآلام.

٩. اقتربت المقاومة الشعرية للاستبداد من أرض الواقع وعالم الحقائق وعقلية المواطن العادي دون أن يتيه في وادي الخيال البعيد وأفلاك الفكر الغامض، كل ذلك بلغة سهلة سلسلة مع عمق معنوي وفكري بعيدا عن التلاعب بالألفاظ والتشديق بعبارات مليئة بالمفردات النادرة غير المألوفة

١٠. حرية الشعب هي الدرة المفقودة المسلوقة التي يسعى شعراء المقاومة التي من أجل اكتشافها واستعادتها، الحرية التي تمنح حياة الفرد والمجتمع شرفا وكرامة ويفقدانها يفقدان الأمل في العيش والسعي من أجل التحسن والتقدم.

١١. حاول شعراء مقاومة الاستبداد إصلاح كثير من مفاهيم المبادئ الدينية والاجتماعية والوطنية التي يشيئها الاستبداد وبغيرها بدعايته الماكرة ورسخها في أذهان عامة الناس وفق رؤيته هو، فانسم دورهم بالإصلاح والتفكير والتدبير.
١٢. ارتبط شعر المقاومة بشاعر الشعوب ارتباطا وثيقا، فكان تعبيراً صادقا عن أفكارها وآسيها وصورة حية لمعانيتها وشقاها وبذلك يعتبر مادة قيمة يحفظ التاريخ من زيف وتحريف ويصف عصور الاستبداد بحقيقتها ويساعد على فهم بعض الجوانب التي خفيت عن كتب التاريخ، فهو أدب وتاريخ في وقت واحد.
١٣. سجلت المقاومة الاستبدادية الشعرية سيرا متواصلا دون انقطاع وتردد أو تراجع، فلم يصبه فتور أو ضعف وحتى في أمر الأحوال وأشققها، بل بقدر ما اشتدت ظلمات الليل بقدر ما قويت لهجة الشعراء المقاومين.
١٤. شعراء المقاومة قبيلة واحدة يعيش أبنائها في سائر الأزمان وفي جميع البلدان، تعترضهم حالة نفسية واحدة، وتنضم هذه القبيلة كل من ملك جرأة الرفض والوقوف في وجه الظالم والثورة عليه غير مبال بالمصالح الشخصية والمنافع المادية.
١٥. يسم الشعر المقاوم باللغتين بالجمال الفني بمعنى الكلمة فقد وظف الشعراء المقاومون العناصر البلاغية في شعرهم بشكل جذاب ويشحن الشعر المقاوم أمثلة راقية ونماذج عالية على مستوى التركيب والصورة والقصيدة.
١٦. تعادل نصيب العاطفة والعقل في شعر مقاومة الاستبداد إذ خاطب الوجدان وهز العواطف وأيقظ العقول وحرك الضمائر، فلم يكف بإثارة الخواطر فحسب بل نفخ في الأجساد المرهقة نارا ومنح العقول البالية نورا.
١٧. لم يقتصر الشاعر وهو يقاوم الاستبداد على دوره فحسب، بل تراء يفكر ويرشد ويقاوم ويدبر، يتحدى ويصلح ويخطب ويشور، وبذلك يتجلى الشاعر جنديا بأسلا يقاتل في أول الصفوف، قائدا يقود الركب مستعدا لاستقبال الرصاص على صدره، وخطيبا يشور ثورة علينية وواعظا يشير همم الضعفاء والمظلومين وطيبا يعالج جروح الحرحى بلسم شعري ومفكرا بشخص داء الأمة ليخرجها من مأزقها.

توصيات

١. مرت معظم الشعوب الإسلامية بمشكلة الاستبداد بأشكاله المختلفة في العصر الحديث وما زالت المشكلة قائمة في أكثرها إلى اليوم تسفر عن مجازر ومآسٍ ولذلك تزخر جميع الآداب الإسلامية الكبرى - وعلى رأسها الأدب العربي والأدب الأردني - بالمقاومة الشعرية والثرية في القرن العشرين ويتجاوز عدد من وقف في وجه الاستبداد من الشعراء العرب والأردنيين مئات، فالحاجة ماسة إلى دراسة كل شاعر بالتفصيل وما يزخر شعره من أفكار ومضامين وما يتسم به من صفات وخصائص، وتوفر هذه المادة مجالاً واسعاً للباحثين ليقوموا بدراساتها الأدبية والنقدية، كما يجب ترجمة هذه الأعمال إلى لغات مختلفة.
٢. لم تقتصر مقاومة الاستبداد على الشعر فحسب، بل أسهمت كل صنف الأدب مثل الرواية والمسرحية والقصة والقصة القصيرة والأقصوصة وغيرها، وهي مجال خصب لدراسات أدبية ومقارنة للوصول إلى خباياها.
٣. شعر مقاومة الاستبداد تعبير صادق عن دخائل الشاب المسلم الحائر الذي بعد ما نجح في كسر القيود يعيش يومه محاولاً التحرر من براثن الاستبداد القابع على أرضه ووطنه، ويتسم هذا الشعر بالجرأة والصدق والواقعية ويعلم أسلوب مواجهة الطغيان ويمنح جرأة الوقوف في وجهه، وبذلك يصلح ليكون مادة مستقلة للدراسة الأدبية على المستويات التعليمية المختلفة.
٤. يشمل شعر مقاومة الاستبداد كثيراً من الموضوعات الاجتماعية والقضايا الوطنية المهمة يستحق كل منها دراسة أدبية مفصلة.
٥. شعر مقاومة الاستبداد بموضوعاته ولغته وأسلوبه وأسبابه وغايته يتميز عن بقية موضوعات الشعر بصفة عامة و"الشعر السياسي" بصفة خاصة ففي مصطلح "الشعر السياسي" المستخدم في الأدب العربي نوع من الضعف فلا يناسب هذا اللون الشعري المنفرد، فأرى أن استخدام "أدب مقاومة الاستبداد" أو "أدب المواجهة" أو "أدب معارضة الطغيان" يكون أكثر ملاءمة لهذا النوع من الشعر.

فهارس

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة
- فهرس الأعلام الواردة في البحث
- فهرس المصادر والمراجع العربية
- فهرس المصادر والمراجع الأردية
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

رقم	الآية الكريمة	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١.	﴿وَرَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾	النساء	٤	٧٥	٢١
٢.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾	النساء	٤	١٣٥	٢٣
٣	﴿وَرَأَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾	النساء	٤	٢٠	٢٧
٤	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾	المائدة	٥	٢	٢٤
٥	﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾	هود	١١	١١٣	٢٤
٦	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	الرعد	١٣	١١	٢٣٤
٧.	﴿وَاذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾	طه	٢٠	٢٤	٢٦
٨	﴿وَبِذَلِكَ نَمُكِّنُهَا عَلَىٰ أَن عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾	الشعراء	٢٦	٢٢	٢٢
٩	﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً﴾	النمل	٢٧	٣٤	٢١
١٠	﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾	النمل	٢٧	٣٤	٢١
١١.	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾	القصص	٢٨	٤	٢١

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	اسم العلم
٣٥	١. أبو القاسم الشابي
٢٦	٢. أحمد بن حنبل رحمه الله
٣٤	٣. جميل صدقي الزهاوي
٢٧	٤. الحسين بن علي رضي الله عنهما
٢٩٥	٥. الحسين بن منصور الخلاج
٣٦	٦. الخديوي إسماعيل باشا
٣٧	٧. ذو الفقار علي بوتو
٢٩٥	٨. سقراط بن سقراطيس
٣٧	٩. ضياء الحق
١٤	١٠. عبدالرحمن الكواكبي
٢٠٢	١١. العلامة محمد إقبال
٢١	١٢. فرعون
٢٠٢	١٣. فيض أحمد فيض
٤١	١٤. لياقت علي خان
٤٠	١٥. محمد علي جناح
٣١	١٦. محمود سامي البارودي
٢٩٥	١٧. المسيح عليه السلام
٣٢	١٨. معروف الرصافي
٤٠	١٩. الملك فاروق بن أحمد بن إسماعيل الخديوي

قائمة المصادر والمراجع (العربية)

أولاً: القرآن الكريم

- ١ الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، الدكتور أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٩٧٣م
- ٢ الأدب الأردني الإسلامي، د. سمير عبد الحميد إبراهيم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م
- ٣ الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، د. صابر عبدالدايم، دار الشروق، القاهرة، بمصر، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م
٤. الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، الدكتور جودت الركابي، دار الفكر بدمشق، ط ١٩٨٢م
- ٥ الاستبداد مظاهره ومواجهته، للعلامة أحمد بن حمد الخليلي، نسخة إلكترونية، من موقع: www.baseera.net، ط ١، سنة ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م
- ٦ الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين، نبيل هلال هلال، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ط ٢٠١٣م
- ٧ أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الحزري، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة الطبع
- ٨ الإسلام وأصول الحكم، لعلي عبدالرزاق، مطبعة مصر، مصر، ط ٣، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م
٩. الإسلام والحكم، لأبي الحسن الندوي، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

١٠. أشهر القادة السياسيين، إعداد تركي ضاهر، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٩٢م
١١. أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، لمحمد واضح رشيد الحسيني الندوي، دار الرشيد، لكتاؤ، الهند، ط ١، سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م
١٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩١م
١٣. الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ١٥، مايو ٢٠٠٢م،
١٤. أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم، د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ
١٥. البارودي رائد الشعر الحديث للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بالقاهرة - مصر، ط ٢٠٠٦م
١٦. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، بتحقيق عيد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م
١٧. التاريخ الإسلامي، التاريخ المعاصر، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م
١٨. تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٩٩٥م
١٩. تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير، أبو جعفر الطبري. ٤٢٠، دار التراث، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٣٨٧هـ
٢٠. تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، إعداد: الدكتور إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م
٢١. تأملات في الشعر المعاصر، للأستاذ الدكتور مسعد بن عيد العطوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ٢٠١٤م

٢٢. تنمية الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص١٧١
٢٣. التحولات في الرواية العربية، تأليف: نزيه أبو نضال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م
٢٤. ترتيب العقل الثوري، نزار عبد الباري مشعل، نسخة إلكترونية، دار ناشري للنشر الإلكتروني، www.nashiri.net، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م
٢٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، بتحقيق د بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م
٢٦. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ٩٩/٥، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م
٢٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٨. الخبرات التاريخية وحرب الخليج، لتوفيق غانم، معهد الدراسات السياسية بسلام آباد، ط٣، ديسمبر ١٩٩٢م
٢٩. ديوان أبي القاسم الشابي، بتقديم وشرح الأستاذ أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م
٣٠. ديوان البارودي، للشاعر محمود سامي البارودي، دار العودة، بيروت، لبنان. ط١٩٩٨م
٣١. ديوان الرصافي، شرح مصطفى السقا، دار الفكر العربي بمصر، ط٤، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م،
٣٢. ديوان الزبيدي، لمحمد محمود الزبيدي، دار العودة، بيروت، لبنان، ط١٩٨٦م
٣٣. ديوان الزهاوي، للشاعر جميل صدقي الزهاوي، المطبعة المصرية بمصر، ط١٣٤٣هـ/١٩٢٤م

٣٤. ديوان هاشم الرفاعي، جمع وتحقيق: محمد حسن بريغش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
٣٥. سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، بتحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
٣٦. سيرة الخلفاء الراشدين، محمد علي قطب، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
٣٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، دار العلم للملايين، بيروت. الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
٣٨. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبدالرحمن الكواكبي، كلمات عربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ٢٠١١م
٣٩. علاقة الأدب بشخصية الأمة لعبدالرحمن بن صالح العشماوي، مكتبة العبيكان، ط ١، سنة ٢٠٠٢م
٤٠. فتوح مصر وأخبارها لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي المصري، تحقيق محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ،
٤١. الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م،
٤٢. القاموس المحيط، تأليف العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ط ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ
٤٣. الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، ١٦٢/١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٧م
٤٤. كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م

- ٤٥ لافتات ١ ، للشاعر أحمد مطر ، منتدى سور الأزيكية ، لندن ، ط ١٩٨٤ م
- ٤٦ لافتات ٢ ، للشاعر أحمد مطر ، منتدى سور الأزيكية ، لندن ، ط ١٩٨٧ م
- ٤٧ لافتات ٣ ، للشاعر أحمد مطر ، منتدى سور الأزيكية ، لندن ، ط ١٩٨٩ م
- ٤٨ لافتات ٤ ، للشاعر أحمد مطر ، منتدى سور الأزيكية ، لندن ، ط ١٩٩٢ م
- ٤٩ لافتات ٥ ، للشاعر أحمد مطر ، منتدى سور الأزيكية ، لندن ، ط ١٩٩٤ م
- ٥٠ لافتات ٦ ، للشاعر أحمد مطر ، منتدى سور الأزيكية ، لندن ، ط ١٩٩٦ م
- ٥١ لافتات ٧ ، للشاعر أحمد مطر ، منتدى سور الأزيكية ، لندن ، ط ١٩٩٩ م
- ٥٢ لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى : ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ
- ٥٣ ماذا خسر العالم باغطاط المسلمين ، للعلامة السيد أبي الحسن علي الندوي ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر . ط ٢٠٠٦ م
- ٥٤ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ٢٠٠١ م
- ٥٥ مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار ، لأبي بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار ، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله ، وعادل بن سعد ، وصبري عبد الخالق الشافعي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م
- ٥٦ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان
- ٥٧ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ط ٢٠٠٩ م
- ٥٨ المعارف ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٢ م

٥٩. المعجم الأدبي ، لتواف نصار، دار ورد للنشر والتوزيع ، أردن ، ط١ ، ٢٠٠٧م ،
٦٠. معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، إعداد: هيئة المعجم ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، ط١ ، ٢٠٠٨م
٦١. معجم البلدان والقبائل اليمنية ، إبراهيم أحمد المحففي ، دار الكلمة للطباعة والنشر التوزيع ، صنعاء ، الجمهورية اليمنية والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت . ط١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م
٦٢. معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م
٦٣. معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم ، (النسخة الإلكترونية) لمحمد خير رمضان يوسف ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية
٦٤. معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية ، تأليف عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ط١ / سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م
٦٥. المعجم الوسيط ، لمجموعة من باحثين بمجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤ ، سنة ٢٠٠٤م
٦٦. معجم تراجم الشعراء الكبير ، تأليف وإعداد: د. يحيى مراد ، دار الحديث ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، القاهرة
٦٧. معجم لغة الفقهاء ، أ.د. محمد رواس قلعه جي ، ود. حامد صادق قتيبي ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي ، باكستان ، بدون سنة الطبع
٦٨. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، للدكتور أحمد زكي بدوي ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١٩٩٧م
٦٩. مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ، تحقيق: سعد كريم الفقي ، دار ابن خلدون ، إسكندرية بمصر ، بدون سنة الطبع ،

٧٠. المنجد في اللغة والأعلام، تأليف لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، بيروت - لبنان، ط ٢١١، ١٩٧٣م
٧١. الموجز في الأدب العربي وتاريخه، لحنا الفاخوري، دار الجيل بيروت، ط ٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م
٧٢. المؤسسات السياسية والقانون الدستوري، لموريس دوفرجيه، تعريب د. جورد سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م
٧٣. موسوعة الأديان في العالم، إعداد لجنة من علماء وباحثين، الناشر: ايديتو كريس انترناشيونال، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠ - ٢٠٠١م
٧٤. الموسوعة الفقهية، إعداد مجموعة من الباحثين، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت. ط ٣، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م
٧٥. موسوعة عباقرة الإسلام، الدكتور محمد أمين فرشوخ، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان،
٧٦. النظم السياسية المعاصرة وتطبيقاتها، للدكتور زاهد ناصر الزكار، منشورات إي كتب (نسخة إلكترونية)، من موقع: <https://books.google.com.pk>
٧٧. النظم السياسية في العالم المعاصر، تأليف الدكتورة سعاد الشرقاوي، منشور من المركز، ط ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م
٧٨. النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
٧٩. الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، للأستاذ الدكتور نعمان أحمد الخطيب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان الطبعة السابعة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م

المصادر والمراجع الأردنية

۸۰. "أحمد فراز: شخصیت اور فن" (أحمد فراز: الشخصية والفن)، محبوب ظفر، أكادمی ادبیات پاکستان، اسلام آباد، أكاديمية الأدب بباكستان بباسلام آباد، ط ۱، ۲۰۰۶م
۸۱. "اردو ادب کی تحریکیں" (الحركات الأدبية الأردنية)، للدكتور أنور سدید، الناشر: انجمن ترقی اردو پاکستان، کراچی، ط ۴، ۱۹۹۹م
۸۲. "اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ"، (الموجز في تاريخ الأدب الأردني)، للدكتور سليم اختر، "سنگ میل پبلشرز، لاہور"، ط ۲۰۱۵م
۸۳. "اسلامی انسائیکلو پیڈیا"، بالأردنية (الموسوعة الإسلامية)، سيد قاسم محمود، الفیصل، لاہور، ط ۲۰۱۰، ۸م
۸۴. "انکیشن، جہوریت، مارشل لاء"، (الانتخابات والجمهوریة والحکم العسکری)، أفضل توصیف، نگارشات، لاہور، بدون سنة الطبع، ص ۸۲
۸۵. "انسائیکلو پیڈیا ادبیات عالم"، (موسوعة الآداب العالمیة)، مجموعة من الباحثین، إصدار: اکادمی ادبیات پاکستان اسلام آباد، أكاديمية الأدب بباكستان بباسلام آباد، ط ۱، ۲۰۱۳م،
۸۶. "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقا صامتة) للشاعر أحمد فراز، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۲۰۱۰م
۸۷. "پاکستان کے سیاسی حقائق"، بالأردنية (الحقائق السیاسیة لباكستان)، اطهر ندیم، "بک ہوم"، لاہور، ط ۲۰۰۶م
۸۸. "پاکستان کیسے بنا؟"، بالأردنية (کیف تأسست باكستان)، زاهد شوہدری، ادارہ مطالعہ تاریخ، لاہور، ط ۲۰۱۲م،
۸۹. "پاکستان میں آئین کی تدوین"، (تدوین الدستور الباكستاني)، للأستاذ خورشید أحمد، مكتبة معاویة، کراتشي، ط ۱، بدون سنة الطبع، ص ۲۵۶ و ۲۵۷

- ۹۰ ”پرورش لوح و قلم، فیض: حیات اور تخلیقات“ (حیاء فیض و شعرہ)، تالیف: لدھیلا و سیلیوا، ترجمہ: أسامہ فاروقی، آکسفورڈ یونیورسٹی پریس، آکسفورڈ، ط ۱، ۲۰۰۷ م
- ۹۱ ”پس انداز موسم“ (بقایا الموسم) للشاعر أحمد فراز، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۲۰۱۰ .
- ۹۲ ”تاریخ سے کچھ نہیں سیکھا“، (لم نتعظ شیئا من التاريخ)، محمد أصغر خان، آکسفورڈ، ط ۲، ۲۰۰۵ م
- ۹۳ ”تہانتہا“، (وحیدا منعزلا) للشاعر أحمد فراز، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۱۹۹۸ م
- ۹۴ ”جالب یقی“، (سیرۃ جالب بلسان جالب)، ترتیب: طاہر أصغر، الناشر: جنگ پبلشرز، لاہور، پاکستان، ط ۱۹۹۳ م
- ۹۵ ”جالب، أنصاف کا طالب“ (جالب، الباحث عن العدل)، ترتیب: ضیاء ساجد، الناشر: مکتبہ القریش، لاہور، پاکستان، ط ۱۹۹۴ م
- ۹۶ ”جائنات جانال“، (خلیلی) للشاعر أحمد فراز، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۲۰۱۲ م
- ۹۷ ”جدید اردو شاعری، تاریخ اور تنقید“، (الشعر الأردی الحدیث)، تاریخ و نقد، للأستاذ ہارون الرشید، الناشر: گرافکس، کراتشی، پاکستان، ط ۲۰۱۰ م
- ۹۸ ”جمہوریت کے شہداء اور غازی“، (الشهداء والغزاة في سبيل الديمقراطية)، داؤد أحمد، نئی روشنی پبلی کیشنز آف پاکستان، ملتان، یونیو ۲۰۱۱ م
- ۹۹ ”حبیب جالب: شخصیت اور فن“ (حبیب جالب: الشخصية والشعر)، سعید پرویز، الناشر: اکادمی ادبیات پاکستان اسلام آباد، اکادمیۃ الادب پاکستان، یاسلام آباد، ط ۲، ۲۰۱۰ م
- ۱۰۰ ”حبیب جالب، گھر کی گوائی“، (حبیب جالب: شهادة الأهل)، ترتیب: سعید پرویز، الناشر: مکتبہ دانیال، کراتشی، پاکستان، ط ۱۹۹۴ م
- ۱۰۱ ”خلافت و ملوکیت“، (الخلافة والملوکية)، الشیخ أبو الأعلى المودودی، الناشر: ”ادارہ ترجمان القرآن“ لاہور۔ پاکستان، ط ۲۵، یونیو ۱۹۹۸ م

۱۰۲. ”درد آشوب، تنقیدی جائزہ“ نقد لدیوان درد آشوب، سعدیہ طاہر، مثال پبلشرز، فیصل آباد، ط ۱، ۲۰۰۹
۱۰۳. ”درد آشوب“ (الآلم المتدمر)، للشاعر أحمد فراز، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۲۰۱۲ م
۱۰۴. ”دست صبا“، (ید الصبا)، مکتبہ کاروالا، لاہور، بدون سنۃ الطبع
۱۰۵. ”زندال نامہ“ (دیوان السجن)، الرائد محمد إسحاق، مکتبہ کاروالا، لاہور، بدون سنۃ الطبع،
۱۰۶. ”زندہ رود“، لجاوید اقبال، طبع بایسٹرائک سنگ میل پبلی کیشنز لاہور، واقبال اکادمی، لاہور، پاکستان، ط ۲۰۰۴ م.
۱۰۷. ”سب آوازیں میری ہیں“، (کل هذه الأصوات لي)، للشاعر أحمد فراز، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۲۰۰۶ م
۱۰۸. ”شب خون“ (هجوم الليل)، للشاعر أحمد فراز، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۱۹۹۷ م
۱۰۹. ”شہاب نامہ“، (ذکریات شہاب)، بالأردیة، قدرت اللہ شہاب، سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، ط ۶، ۲۰۱۵ م،
۱۱۰. ”غبار ایام“ (غبار الأيام)، مکتبہ کاروالا، لاہور، بدون سنۃ الطبع
۱۱۱. ”غلامی ایک تاریخی جائزہ“، (الاستعداد: نظرة تاريخية)، بالأردیة، میال محمد اشرف، فروغ علم اکیڈمی، اسلام آباد، ط ۱، یولیو ۲۰۰۵ م
۱۱۲. ”فکر فیض“، (افکار فیض)، بالأردیة، د. نثار ترابی، ملٹی میڈیا فیروز، لاہور، ط ۲۰۱۲ م
۱۱۳. ”فیض احمد فیض، شخص اور شاعری“، (فیض: شخصية وشعر)، ترتیب: اظہار نبی، الناشر: سیماٹ پراکاشن، دلی - الہند، بدون سنۃ الطبع
۱۱۴. ”فیض احمد فیض، شخصیت اور فن“ (فیض أحمد فیض: الشخصية والفن)، إشفاق حسین، الناشر: اکادمی ادبیات پاکستان اسلام آباد، اکادمیۃ الادب پاکستان، اسلام آباد، ط ۲، ط ۲۰۰۸ م

۱۱۵. ”فیض احمد فیض، فیض صدی، منتخب مضامین“، (فیض احمد فیض، قرن فیض ومقالات مختارة)، ترتیب: الأستاذ یوسف حسن والدكتور روش ندیم، الناشر: مقتدرہ قومی زبان، اسلام آباد، ط ۲۰۱۰م
۱۱۶. ”فیض کی تخلیقی شخصیت“ (شخصیۃ فیض الإبداعیۃ)، د. طاہر تونسوی، سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، پاکستان، ۱۹۸۹م
۱۱۷. ”فیض کے مغربی حوالے“، (مصادر غریبة لفیض) ترتیب: اشفاق حسین، جنگ پبلشرز، لاہور، ط ۱، سنہ ۱۹۹۲م
۱۱۸. ”فیض: ایک جائزہ“ (نظرة على فیض) لإشفاق حسین، الناشر: ادارہ یادگار غالب لاہور، پاکستان، ط ۱۹۷۷م
۱۱۹. ”کلیات حبیب جالب“، (للشاعر حبیب جالب)، ماورائیکس، لاہور، پاکستان، ط ۲۰۰۵م
۱۲۰. ”مارشل لاء، آئین اور عدالتیں“ (الحکم العسکری والدستور والمحاکم) میر خدا بخش مری، فیروز سنز، لاہور - پاکستان، ط ۱۹۹۲م
۱۲۱. ”مرے دل مرے مسافر“ (قلبی مسافری)، مکتبہ کارواں، لاہور، بدون سنہ الطبع
۱۲۲. ”مزا حق ادب“، (الأدب المقام)، ترتیب: الدكتور رشید أمجد، ”اکادمی ادبیات پاکستان“ (أكاديمية الأدب بپاکستان)، ”انجمن ترقی اردو پاکستان“، سنہ ۱۹۹۵م، ص ۲۵
۱۲۳. ”مسلم لیگ کا دور حکومت“، (العهد الحکومى لحزب الرابطة الإسلامية)، للدكتور صفدر محمود، ”سنگ میل پبلشرز، لاہور“، ط ۲۰۱۴م
۱۲۴. ”مطالعہ فیض، امریکا و کینیڈا میں“ (دراسات فیض فی أمريكا وکندا) اشفاق حسین، پاکستان پبلشنگ ہاؤس، دہلی، ہند، ط ۱، ۱۹۹۴م
۱۲۵. ”نعم صدیقی: علمی و ادبی خدمات“، بالاردیۃ، (نعم صدیقی: جهودہ العلمیۃ والأدبیۃ)، الناشر: ادارہ مطبوعات سلیمانی، لاہور، سنہ ۲۰۱۱م
۱۲۶. ”نقش فریادی“، (نقوش مستغیث) للشاعر فیض احمد فیض، مکتبہ کارواں، لاہور، بدون سنہ الطبع
۱۲۷. ”ہندوستانی تہذیب کی داستان“، (قصۃ الثقافۃ ہندیۃ)، بالاردیۃ، ای ایل ہاشم، الناشر: ”نگارشات“ لاہور، پاکستان، ط ۱۹۹۹م، ص ۲۱۰

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	١
أهمية الموضوع	١
أسباب اختيار الموضوع	٣
أسباب اختيار الفترة الزمنية	٤
الدراسات السابقة في الموضوع	٥
أهداف البحث	٥
منهج البحث	٦
خطة البحث	٨
تمهيد	١١
الاستبداد لغة واصطلاحاً	١٢
أنواع الاستبداد وألوانه	١٧
الفرق بين الاستبداد والاستعمار والصلة بينهما	١٩
حديث القرآن الكريم عن المستبدين	٢١
المقاومة لغة واصطلاحاً	٢٥
المقاومة في ضوء التراث الإسلامي	٢٦
ما هو أدب مقاومة الاستبداد والمراد بالشعراء المقاومين	٢٨ □
أنواع المعاناة التي يواجهها الشعراء المقاومون	٢٠ □
مقاومة الاستبداد في الأدب العربي الحديث	٢٠ □
مقاومة الاستبداد في الأدب الأردني	٢٦
الوضع السياسي للعالمين العربي والأردني في النصف الثاني من القرن العشرين	٢٨
الباب الأول:	٤٥
مقاومة الاستبداد لدى الشعراء العرب في النصف الثاني من القرن العشرين	
الفصل الأول:	٤٦
شعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء العرب في النصف الثاني من القرن العشرين	
المبحث الأول: الشاعر محمد محمود الزبيري (من اليمن)	٤٧
المبحث الثاني: الشاعر هاشم الرفاعي (من مصر)	٨٥
المبحث الثالث: الشاعر أحمد مطر (من العراق)	١١١

١٦٠	تحليل السمات الموضوعية والفنية لشعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء العرب	الفصل الثاني:
١٦١	المبحث الأول: تحليل السمات الموضوعية	
١٨٧	المبحث الثاني: دراسة الصور والمعاني	
١٩٦	المبحث الثالث: تحليل السمات الفنية	
٢٠٠	مقاومة الاستبداد لدى الشعراء الأردنيين في النصف الثاني من القرن العشرين	الباب الثاني:
٢٠١	شعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء الأردنيين في النصف الثاني من القرن العشرين	الفصل الأول:
٢٠٢	المبحث الأول: الشاعر فيض أحمد فيض	
٢٢٩	المبحث الثاني: الشاعر حبيب جالب	
٢٧٠	المبحث الثالث: الشاعر أحمد فراز	
٢٠٥	تحليل السمات الموضوعية والفنية لشعر مقاومة الاستبداد لدى الشعراء الأردنيين	الفصل الثاني:
٢٠٦	المبحث الأول: تحليل السمات الموضوعية	
٢٥٠	المبحث الثاني: دراسة الصور والمعاني	
٢٦٥	المبحث الثالث: تحليل السمات الفنية	
٢٧٤	دراسة مقارنة لشعر مقاومة الاستبداد في النصف الثاني من القرن العشرين بين العربية والأردنية	الباب الثالث:
٢٧٥	المقارنة الموضوعية بين شعر مقاومة الاستبداد بالعربية والأردنية	الفصل الأول:
٢٧٧	مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بمعاناة الشعب في العهد الاستبدادي	المبحث الأول:
٢٧٧	▪ قساوة الأوضاع في العهد الاستبدادي	
٢٨١	▪ قضية أحوال المعتقلين في السجون والمعتقلات	
٢٨٤	▪ قضية اختطاف المعارضين وأحوال المفقودين	
٢٨٥	▪ قضية مآسي اللاجئين والمشردين والمنفيين	
٢٨٧	▪ قضية شدة الرقابة البولسية واضطهاد المخابرات	
٢٨٩	▪ أحوال الطبقات المصطهدة البائسة	
٢٩٥	▪ مشكلات الصحافة	
٢٩٧	▪ وضع حرية التعبير عن الرأي	
٢٩٩	▪ غصب الأموال الشعبية	
٤٠٠	▪ صعوبة مهمة الشعراء الأحرار	

٤٠٣	المبحث الثاني: مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بالقوة المستبدة
٤٠٣	▪ السلطة الاستبدادية المطلقة
٤٠٥	▪ تغلب أسر وطبقات حاكمة
٤٠٧	▪ شكوى الشعراء من دور الجيش
٤١٠	▪ تغافل الحكام والأمراء والرؤساء:
٤١٢	المبحث الثالث: مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بالمؤيدين للاستبداد
٤١٢	▪ الصلة بين الاستعمار والاستبداد
٤١٦	▪ قلق الشعراء على دور الهيئات العالمية
٤١٨	▪ الدستور المزيف والبارليمان المزيف
٤٢٠	▪ مشاركة المحاكم في جرائم الحاكم المستبد
٤٢٢	▪ دور مذموم لبعض الأحزاب الدينية والإسلامية
٤٢٦	▪ تنديد وسائل الإذاعة والتلفاز
٤٢٩	▪ الشكوى من غدر بعض الأدباء والشعراء
٤٣١	المبحث الرابع: مقارنة الموضوعات والقضايا المتعلقة بالشعوب التي تعاني مأساة الاستبداد
٤٣١	▪ تغافل الشعب عن حقوقه
٤٣٦	▪ تحريض الشعب / إيقاظ الشعب
٤٣٨	▪ تأييد المعارضين ضد الحكم الاستبدادي / التشديد بأبطال شعراء المعارضة
٤٤١	الفصل الثاني: الصور والمعاني المشتركة في شعر مقاومة الاستبداد بالعربية والأردية
٤٤٢	▪ الشكوى من تكدر الأجواء
٤٤٥	▪ اكتئاب الشعراء على أحوال الوطن
٤٤٧	▪ وصف الكلمات تنم من الاكتئاب
٤٤٩	▪ التعبير عن مرارة العيش في عصر الاستبداد
٤٥١	▪ تعريف الشعر ومقاومة الشعر فريضته الأساسية
٤٥٣	▪ اعتزاز الشاعر بعنه وصدقه
٤٥٦	▪ رفض الشعراء المصالحة والمساومة
٤٥٨	▪ استعداد الشعراء للتضحية من أجل الكلمة
٤٦١	▪ رفض شديد وإباء علني
٤٦٣	▪ تعاؤل الشعراء

٤٦٧	▪ الإيقان بزوال الاستبداد
٤٧٠	▪ الثورة فطرية
٤٧٢	▪ المقاومة فريضة بحكم الشريعة
٤٧٥	▪ التحدي الصريح للطاغية المستبد
٤٧٧	▪ حرية الفكر والشعر
٤٧٨	▪ مقارنة بين الاستبداد والمقاومة
٤٧٩	الفصل الثالث: خصائص وسمات مشتركة لشعر مقاومة الاستبداد بين العربية والأردية
٤٨٠	المبحث الأول الخصائص العامة المشتركة
٤٨٥	المبحث الأول الخصائص الفنية المشتركة
٤٩٤	■ الخاتمة
٤٩٥	نتائج البحث
٤٩٨	توصيات
٤٩٩	■ فهرس
٥٠٠	فهارس الآيات القرآنية الكريمة
٥٠١	فهرس الأعلام الواردة
٥٠٢	فهارس المصادر والمراجع
٥١٢	فهرس الموضوعات

Department Of Literature
Faculty Of Arabic Language
International Islamic University ,
Islamabad - Pakistan

Research Work for Attainment of Doctorate Degree
**RENITENCE OF DESPOTISM IN THE SECOND HALF OF THE TWENTIETH
CENTURY IN ARABIC AND URDU POETRY**
A Comparative Study

Written By: Ubaid Ur Rehman S/O Muhammad Bashir

Indeed, all praise is due to Allah; the Lord of the Universe. And peace and blessing be upon the Master of the Prophets and Messengers, and upon all his family members and his companions.

A huge part of the poetic and prosaic production of all the major literatures contains such a material that has been produced in the wake of political vicissitudes/vagaries and changes of government. It is a matter which is shared by all human ethics without any specification and exception. Similar is the case of Arabic literature: a great part of it has originated from the palaces of emperors and in the company of Kings, caliphs, ministers, princes and at the back of wars, battles and clashes. Also, in most of the cases the poets led their lives in company with rulers either defending them or opposing them. While on one hand the books of literature tell us many stories of acquisition of the mercenaries poets and how they received the gifts from the Kings by way of adulation and exaggeration in praising them, at the same time these books also tell us stories of the poets who became the victim of their poetry due to the difference of opinion and their disagreement with the sultans and the kings because, unlike the poets who used to knock on the doors of kings, caliphs, ministers, they did not sell their words, art and freedom cheaply, but instead they realized the dignity of their art and used it as a source for raising the word of truth against despotism, oppression and coercion. Not only this, but they accepted with pleasure whatever torture, violence and assassination were imposed upon them by the capable sultans.

We have many examples that have been written in the form of poetry defending from the rights of despoiled people and challenging the power and despotism of the rulers. These workings are worth study because they contain a sublime human message, a concessionary thinking, a moral depth and a fascinating impact on the hearts/minds of the public at large. These messages were accepted by the common people and won their hearts because it is a literature of meaningful message and determination and not a literature of adulation and humiliation. It is a literature that rejects the discrimination of black and white, omnipotence of human-being and mixing of day with night. It strongly rejects the entire types and natures of despotism by means of any legitimate watchword or political terminology. It is a literature which does not aim to serve the interest of despotism but instead takes the responsibility of paying its attention to people's matters and demonstrating their hopes along with giving a clear picture of all the events and changes that take place in the country as well as afflicting of its people in worries and problems besides demonstrating the reality of the disrupted people due to the inadvertence of traitorous rulers.

In the second half of the twentieth century after the liberation of most of the Muslim countries and establishment of local governments in the wake of the dismissal of colonialism and its transformation into despotic governments, the Arab and Urdu poets started supporting one another in the public movements against despotism and dictatorship and contributed to the provocation of general human awareness of all classes and enliven the spirit of motivation and fits of jealousy into them. This provided us an independent class of literature in the name of literature of Renitency to Despotism or literature of Revolution. In this type of literature, we find that the poet forgets his very personal worries and enters into the political arena equipped with poetry as his weapon and poem as his shield, attacks on his despot enemy and defends his humble people who are seeking help. He expresses the expectations and hopes of the people and describes the duplex sufferings of the nation. He feels pain on what he sees and grieves on what he witnesses. Then he does not hold control of himself except to shout in front of the despot challenging him with all his strength and intensity.

Perhaps the Urdu literature is the literature of renitency to despotism since it has come into existence as it grew up and developed in an era of strong despotism i.e. at the beginning of the eighteenth century in which there was a weak despotic government. Whereas in the twentieth century, the Urdu literature honored with the presence of big names such as Faiz Ahmed Faiz, Habib Jalib, Ahmed Faraz, Ali Sardar Jafari, Sahir Ludhianvi, Naeem Siddiqui and others. They rose their voice with all its strength against the manifestations of all kinds of despotism especially the political despotism in their societies and countries and enriched the literature of despotism in the two countries, Pakistan and India, with poems that spread in an incomparable way. And the importance of literature of renitency was recognized as a trend of independent literature in Urdu literature since the seventies of the twentieth century.

In the Arabic literature, we find that the term literature of renitency against colonialism was known prior to the literature of revolution or renitency against despotism and it was an expression of struggle and jihad (battle) of poets and writers against the colonial powers, while the term "literature of revolution and renitency" emerged in the later period at the end of the twentieth century. And whenever the internal straits in the hearts of the people increased, in the same way this also grew stronger, and finally its volcano exploded in the words of poets from all the Arab countries. So the poetry of renitency to despotism grew stronger, became handsome and improved near many headed by Ahmed Mater from Iraq, Farooq Juvweidah from Egypt, Mohamed Mehmood Al-Zubairy from Yemen, Tamim Al-Barghouthi, from Palestine, Abdurrahman Yusuf from Egypt and others.

In the first decade of the twenty-first century, when Pakistan was passing from the period of military dictatorship, at that time most of the Arab countries were preparing to rise and stand up in front of the dictators who had absorbed the wealth of these countries in their long term occupancy and had made these countries barren besides depriving their people of dignity, justice, honesty and humanity. And finally we saw its results in the form of current political situations. We think that the whole Islamic world is on the verge of a modern renaissance to get rid of the rule of despotism that spread over all the Islamic countries since tens of years. A student of literature and researcher of poetry cannot overlook the role of these poets and their contribution to awaking the sleeping caravan and directing them towards freedom. When these poets are the forefront of this caravan, then their efforts require deep study and thorough research. In this way, the idea of this study originated. And my choice of the second half of the twentieth century i.e. from the early fifties to the present day is in fact because of the most Islamic countries got liberation in this period and their local governments came into being and then turned to despotic governments. And my choice of the preceding poets came because of the fact that these poets led this resisting caravan and have a bountiful output in the field of renitence to despotism. And some of these poets became famous for their renitent and revolutionary poetry.

REASONS FOR SELECTING THIS TOPIC

The first thing that pushed me to research on this topic is the truth of the literature of Renitence to Despotism and the huge price paid by the originators of this true word for the sake of this particular word in the form of beating, murder, exile, expelling, threats, arrests and captivity. So the character of a poet is challenging to the coercion of the despot in the same way as the character of a hero in legends and films. So the literature of Renitency to Despotism is the literature of truth, courage and mission and suits with the Islamic nature that believes in raising the word of truth without fearing from the blame of blamers.

The second incentive is that I yearned to write on a topic that fits our era, the period, the time and the moment to be, at the same time, a literary, field, real and alive work. And we, the Muslims, are passing through the state of willingness and struggle for the sake of revival and revolution after our long internal straits due to prolonged despotism on our Islamic territory. I think that this research work will serve the literature and the situation at the same time, God willing.

And among the incentives of this research work, one is the beauty, strength and steadfastness of the literature Renitence to despotism. It is a literature that attained immortality and survival and thus fits with every time and place because the tragedy is repeated in the same form and the message appears with the same force. For example, the Urdu poems that said in the times of dictatorship in seventies and eighties in the twentieth century is still valid and suit our environment and are narrated and sung with the same power and interest.

The other incentive is that the poetry of Renitency to Despotism, besides being beautiful poetry, didactic, education and committed poetry. It carries a sublime message and incites the human to face the occupying regime and suppress the roots of despotism and awakes him for changes and self-confidence and takes him aside from being despair and inactivity and revives in his ruptured heart the fire of life and displays him glimmer of hope in the darkness of night.

And from the incentives of writing this research work is my admiration for high level models from the scholars and poets in the evaluation and reformation of the authority holder and his guidance and raising the word of truth before him in the presence of people from the flatterers, no matter whether this leads to the breach of the poet's skull or his crucifixion, killing, exiling or humiliation.

The greatest of the incentives that pushed me forward in selecting this topic is that the library of comparative literary studies between Arabic and Urdu is lacking of the presence of any study or research work or an article on this topic, although it is the subject of our time and has a great importance in the current situation. There are literary studies about every poet among those whom I have selected however they did not precede their studies in the field of Renitence against despotism and dictatorship of the rulers.

PREVIOUS RESEARCH IN THIS TOPIC

All the poets whom I have selected are well-known poets of their respective countries. I have studied their personalities and poetries from many aspects in more than one research work or a book. However, until now I did not find a research work or a book for comparison in the poetry Renitency to Despotism between Arabic and Urdu. Nor did I find an Arabic book that deals with the poetry of Renitency to Despotism as an autonomous topic. Whereas I have found a book in the Urdu Library which is on the title of (Literature of Renitency - مزاحمتی ادب) and it is a collection of those prose and poetry works that represents Renitent Literature of the Arabic language. It is written by Dr. Rashid Amjad, Head of Urdu Department, Faculty of Languages, at our esteemed University and published by Academy of Literatures in Islamabad. The book contains two parts; the first part deals with those literary prose works that are written by the writers in the times of dictatorship in the twentieth century while the second part of the book includes those works that are written by the writers in the era of Dictator General Pervez Musharraf in the twenty-first century. However, the main theme of the book is on the collection and selection of literary prose works in this era without going into the study of these works or dealing with the poetic works in this field

OBJECTIVES OF THIS RESEARCH WORK

This research work aims at achieving the following objectives:

1. Search for the points of convergence and similarities between Arab and Urdu poets in the field of political poetry in general and the Poetry of Renitency to Despotism in particular
2. Determination of the proper/right position of the poets who showed renitence to local despotism in the history of literature shared by the Islamic literatures.
3. Introducing to each of the two nations i.e. the Arabs and the Urdian the wonderful literary works that the other nation has in this field.
4. Comparison between the political facts and major events in the nations of Arab and Urdian and a comparative study of the output of literary poetry which appeared under the protection of these conditions
5. Recording and specification of the common and unique technical features of the two nations on the subject of Renitency to Despotism.
6. Blotting out the general impression about the Muslim poet which is that he is the outcome of the palace and sponger of the ruler and providing evidence for the fact that he did not abandon his country, nation and their affairs, although he suffered from compulsion and coercion.
7. Highlighting the role of poets in the public movements against colonialism and post-colonial local despotism
8. Highlighting the bilateral relationship between the politics and the literature and presenting perfect examples on the part of Muslims in this regard and wiping off the flattery impression on the poets in general
9. Collection and provision of precious literary material that will contribute to the spiritual nurturing of the youth aspirants for supporting the rebirth of the nation and its freedom from artificial human restrictions.

10. Determination of the influence of national poets or the poets of Renitency to Despotism in the awareness of people of their rights and their participation on this basis in the political movements

I have discussed the life of the most famous poets who expressed their views in the field of Renitency to Despotism in the second half of the twentieth century in both Arabic and Urdu languages. Until now I have been able to select the Arab poets from Egypt, Yemen, Iraq, Palestine, Algeria, though Egypt is the most fortunate of the Arabic countries in the selection made. And as for the Urdu poets are concerned, their selection has been done from Pakistan, India and Kashmir. I will continue searching in both Urdu and Arabic form of poetries for those who have strengthened and improved these two kinds of poetries in the field of Renitency to Despotism. It is a good deal that I found such poets whom the people have given the title of (Poet of the Revolution or Poet of the People or Poet of the Coup) due to the multitude of their effective poetic work in the field of Renitency to Despotism in such a way that they themselves got the name of Revolution and Renitency. Ahmed Mattar from Iraq, Abu-l-Ahrar from Yemen, and Habib Jalib and Faiz Ahmed Faiz in Urdu are the examples of these poets.

I've specified the first chapter of this research work for the study of the poetry "Renitency to Despotism" of the Arab poets while the second chapter has been specified for the very kind of poetry of the Urdu poets. And I'll discuss the poetry of each poet in the field of Renitency to Despotism in detail and before that I'll deal with his life in detail. This will help me in understanding and explaining the reasons for the spirit of Renitency in his poetry. This discussion shall be made with a special concentration on the thematic, intellectual and linguistic aspects and the study of the most important lexical, morphological, structural and rhetorical factors of his poetry without studying his entire poetry as this is not from the importance and mission of this study. I shall also analyze the aesthetic foundations of his poetry and the factors that he adopted in his poetic text as well as the tools he used and sought help from in bringing strength and effectiveness in his poetry. In addition, I shall focus on the texts and the political implications of the poetry by studying, analyzing and discussion.

During making research on any of the selected poets, I have selected those of their poems that fall under the field of politics and Renitency to Despotism and only focus on the political and revolutionary aspect without discussing the other topics of their poetry regardless to the amount of material their work offer in this particular field. I have translated the verses of the Urdu language poets into Arabic and this translation shall be prosaic one, and if the verses have already been translated then I'll prefer selecting the translated poem.

At the end of this work, a comparison between the technical and thematic characteristics of the poetry as well as the poets of both the languages has been made besides describing the individual and common features that they have.